المملكة العربية
السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة

القبوريـــــة وموقف الإســـلام منها

رسـالة مقدمـة لنيل درجـة الماجســتير

إعداد الطالب

خالد بن جريد بن هلال العنزي

(٤٢٣٨٠٠٧٠)

إشـــــــراف

الأستاذ الدكتور/ علي بن نفيع العلياني

١٤٢٧هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرســـــالـــة

عنوان الرسالة : **القبـورية وموقف الإسلام منـها.**

اسم الباحث : **خالد بن جريد بن هلال العنـزي.**

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير.

خطة البحث : البحث مكون من : تمهيد، وثلاثة أبواب، وخاتمة، وفهارس.

هدف الدراسة : الكشف عن حقيقة القبورية التي صرفت الناس عن التوحيد وجعلتـهم يتعلقون بالمقبورين، يستغيثون ويتوسلون م، ويطلبون الدعاء منهم، ويطوفـون حـول قبورهم ويقبلو ا ويتمسحون بـها، ويسوقون القرابين إليها، إلى غير ذلك من مظـاهر القبورية المخالفة للشريعة المحمدية، كما تضمنت الدراسة عرض شبهات القبورية والـرد عليها، وبينت الطرق الشرعية لعلاجها.

أهم النتائج:

١- إن من أسباب تعظيم القبور الغلو بالمقبورين.

٢- جهل الناس بحقيقة التوحيد جعلهم يتعلقون بالأموات.

٣- الفرق المغالية في القبور روجت للقبورية ولبست على الناس أمر دينهم.

٤- تلبيس دعاة القبورية جعل كثير من العوام يتأثر م.

٥- أتت الشريعة الإسلامية بسد الذرائع الموصلة لتعظيم القبور.

٦- إن مظاهر القبورية مناقضة لدين الإسلام.

أهم التوصيات :

١- نشر معتقد أهل السنة والجماعة لإبطال الخرافات.

٢- دعوة الناس إلى العلم النافع المستمد من الكتاب والسنة، والعمل الصالح المـستوفي لشروطه من الإخلاص والمتابعة.

٣- التركيز على دعوة التوحيد ونشرها بين الناس.

٤- احتساب الحكام على القبورية وأهلها فإن ذلك من أوجب الواجبات عليهم.

٥- احتساب العلماء على القبورية وأهلها برد شبهاتـهم، وبيان باطلـهم، وفـضح أفعالهم، وإقامة الحجج الشرعية عليهم.

الباحث	المشرف
خالد بن جريد بن هلال العنـزي	**أ. د. علي بن نفيع العلياني**

Abstract

Abstract

Thesis's Title: **Al-Qoboriyah and the situation of Islam towards them.**

Researcher : **Khalid Gareed Helal Al-Anzi**

Thesis for Master Degree

Research plan : this study consists of a preface, three chapters, conclusion and indexes.

Study objective: this study aimed at revealing the fact of Al-Qoboriyah who move people's interest away from monotheism, and made them attracted to dead people, calling them for help, begging them , demanding their pray, circling around tombs , kissing and wiping them. They also drove their sacrifices to them …etc. Of course these features are against Islam. The study also displayed suspicions and doubts of Al-Qoboriyah and rejected them, and displayed the legal methods to treat them.

Important Conclusions:

1- Glorifying dead is a reason of exalting tombs.

2- Illiteracy of people for the fact of tombs made them hanging with dead.

3- Exaggerated sects in tombs helped spreading Al-Qoboriyah and obscure their religion.

4- Obscurity of leaders of Al-Qoboriyah impacted and influenced many common people.

5-The Islamic laws blocked means and instruments leads to exalting tombs.

6- features and characters of Al-Qoboriyah are against Islam.

Recommendations :

1- Trying to spread creed of Sunnah and Jamaa to abolish and cancel superstitions.

2- Calling and inviting people to the useful knowledge derived from the Holy Book and Sunnah.

3- Concentrating on calling to monotheism and spreading it among people.

4- Activating the role of Hesba body by rulers against Al-Qoboriyah

5- Activating the position of religious role of Muslim scholars against Al-Qoboriyah, and refute their doubts, displaying their false, exposing their deeds and acts and erecting the legal proves.

Research — Supervisor

Khalid Gareed Helal Al-Anzi — Prof. Ali Nafe'a Al-Aliani

المقدمـــــة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعـوذ بـالله مـن شـرور أنفـسنا

وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فـلا هـادي لـه، وأشـهد إن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء:١].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد :

أولاً : أهمية الموضوع :

فإن أول شرك وقع في العالم كان في قوم نـوح عليـه الـسلام، والـسبب في هذا الشرك تعظيم قبور الـصالحين، والعكـوف عليهـا حـتى آل الأمـر لعبادتـها، وكذلك الحال بالنسبة لليهود والنصارى اتخذوا قبـور أنبيـائهم مـساجد فاسـتحقوا مقت الله وغضبه ولعنته.

ولهذا حذر النبي عليه الصلاة والسلام مـن اتخـاذ القبـور مـساجد، كمـا حذر من البناء عليها وتجصيصها، والكتابة عليهـا، وإسـراجها، وسـأل ربـه أن لا يجعل قبره وثناً يعبد، بل أمر عليه الصلاة والـسلام بتـسوية القبـور المـشرفة، كـل ذلك حمايةً للتوحيد، وسداً للشرك وذرائعه؛ إذ الفتنـة في قبـور الأنبيـاء والـصالحين أعظم من الفتنة بالأشجار والأحجار. وعلى نهج النبي عليـه الـصلاة والـسلام سـار الصحابة الكرام وتابعوهم حتى سلمت تلك القرون المفضلة مـن مظـاهر القبوريـة، لحرصهم على إفراد الله بالعبادة وسد الذرائع الموصلة إلى الشرك.

وبعد مضي القرون المفضلة بدأت تظهـر مظـاهر القبوريـة، وتنتـشر حـتى وصل الحال في هذا الزمان إلى انتشار آلاف الأضـرحة المعظمـة في بـلاد المـسلمين

التي افتتن بها كثير من الناس، فحصل عند هذه الأضرحة من البدع المفسقة والمكفرة ، والفساد الأخلاقي، ما هو مشاهد للعيان. ولهذا كله جاءت أهمية هذا البحث للمساهمة في علاج هذه الظاهرة.

ثانياً: أسباب اختياري للموضوع:

أما عن أسباب اختياري لهذا الموضوع فيمكن إجمال أهمها في الآتي:

١- انتشار مظاهر القبورية في بلاد المسلمين؛ إذ أصبحت هذه المظاهر مألوفة للناس يشب عليها الصغير، ويهرم عليها الكبير، يعتقدون تعظيم القبور ديناً يتقربون به إلى الله، فأردت المساهمة بجهد المقل لتصحيح العقيدة، والتحذير من الشرك وذرائعه.

٢- حاجتي الملحة لمعرفة شبهات القبورية وطرقهم في نشرها، ومعرفة الرد عليها، وإقامة الحجج المؤيدة بنصوص الكتاب والسنة، وأقوال سلف الأمة ، وهذا لا يتأتى إلا عن طريق البحث العلمي.

٣- لم تصبح القبورية محصورة في منطقة واحدة أو بلد واحد، أو في بعض البلدان دون بعض؛ إذ العالم أصبح كأنه قرية واحدة بسبب كثرة وسائل الاتصال وتنوعها، وأصبح دعاة القبورية يبثون شبهاتهم عبر القنوات الفضائية، والشبكات المعلوماتية، فوصلوا إلى العوام في عقر دارهم، مما يوجب على دعاة الحق تحصين الناس ضد هذه الدعوات الخطيرة التي تدعو إلى الشرك وتحارب التوحيد.

ثالثاً : منهجي في البحث :

١- توضيح عقيدة أهل السنة والجماعة في المسألة بالرجوع لنصوص

الكتاب والسنة والآثار الواردة عن سلف الأمة، وأقوال علماء أهل السنة.

٢- ذكرت بعض الأمم التي وقعت في الشرك وانحرفت عن التوحيد بسبب تعظيم المقبورين ورجعت في ذلك لنصوص الكتاب والسنة المتعلقة بتلك الأمم، مع الرجوع إلى كلام أهل العلم عليها في كتب التفسير وشروح الحديث، وبعض المصادر التأريخية.

٣- استعرضت الأسباب التي أدت لظهور القبورية في الأمة من خلال الأدلة الشرعية ونقول العلماء واستقراء واقع القبورية.

٤- عرض بعض شبهات القبورية بالرجوع إلى كتبهم ثم الرد عليها بنصوص الكتاب والسنة، وأقوال أهل العلم

٥- بينت أن مظاهر القبورية مظاهر دخيلة على الإسلام ، ومناقضة لدينه وأوردت الأدلة على ذلك من الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة.

٦- عزوت الآيات إلى مواضعها بالمصحف بذكر اسم السورة ورقم الآية، مع كتابة الآيات بالرسم العثماني.

٧- خرجت الأحاديث وعزو ا إلى مصادرها ، فإن كانت في الصحيحين أو أحدهما فإني أكتفي بالعزو إليهما ، وأبين في صحيح البخاري اسم الكتاب والباب ورقم الحديث، وأذكر رقم الحديث في العزو لصحيح مسلم.

٨- عزوت الأحاديث في غير الصحيحين إلى مصادرها الأصلية مع الحكم عليها من كلام العلماء المختصين.

٩- عرفت الأعلام غير المشهورين، كما بينت معاني الألفاظ الغريبة الواردة في البحث ، وعرفت ببعض الأماكن غير المشهورة.

١٠- أ يت البحث بخاتمة سجلت فيها أهم النتائج والتوصيات.

١١- قمت بعمل فهارس للبحث : فهرس للآيات القرآنية، والأحاديث، والآثار، والأعلام، والغريب، والأماكن، والأشعار.

١٢- قمت بعمل فهرس موضوعي للأبواب والفصول والمباحث.

رابعاً: الدراسات السابقة:

الدراسات السابقة ، منها دراسات مطولة متداخلة مع غيرها مبثوثة في كتب الأئمة خاصة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى وبعض طلابه كابن القيم وابن عبد الهادي وغيرهم، وكأئمة الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وطلابه رحمهم الله جميعاً. ومن أمثلة هذه الدراسات:

١- قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لشيخ الإسلام .

٢- الاستغاثة في الرد على البكري، وتلخيصها لابن كثير.

٣- الصارم المنكي في الرد على السبكي، للإمام ابن عبد الهادي وتكملته بعنوان الكشف المبدي في الرد على السبكي لمحمد بن حسين الفقي.

٤- صيانة الإنسان من وسوسة الشيخ دحلان للسهسواني وغيرها.

أما الدراسات المعاصرة فقد اطلعت على مجموعة من الدراسات التي اتفق معها في مباحث ومسائل واختلف عنها في أبواب وفصول ومباحث، ومن هذه الدراسات ما يلي :

١- **جهود علماء الحنفية** في **إبطال عقائد القبورية** ، للدكتور/شمس الدين الأفغاني، وهو بحث علمي قدمه الباحث-رحمه الله- لنيل درجة الدكتوراه، في الجامعة الإسلامية، والبحث كما هو واضح من عنوانه جمع لجهود أئمة الحنفية في الرد على القبورية.

٢- اطلعت على أطروحة علمية بعنوان : **شبهات المبتدعة** في **توحيد العبادة عرض ونقد.** للباحث عبدالرحمن الهذيل، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وقد اطلعت على هذه

الأطروحة بعد كتابة أكثر من نصف الرسالة، وتختلف هذه الرسالة عن موضوعي بأنها شاملة لشبهات المبتدعة في توحيد العبادة، بينما يختص موضوعي فيما يتعلق بشبهات القبورية، هذا فيما يتعلق بوجه الشبه مع الاختلاف في طريقة العرض والنقد، بالإضافة إلى تضمن موضوعي لبابين، الباب الأول، والباب الثالث، لم يتطرق لهما صاحب الرسالة.

٣- القبورية في اليمن، للشيخ أحمد بن حسن المعلم. هذه الرسالة تخص القبورية في اليمن من حيث النشأة، ودور الإسماعيلية وبعض الفرق في نشر القبورية في اليمن، وذكر القبور والزيارات في اليمن، وذكر مظاهر القبورية وإبراز جهود علماء اليمن من الإسماعيلية وغيرها. أما موضوعي فيختلف عن موضوع الباحث فيما يتعلق بالشبهات عرضها والرد عليها، كما يختلف عن القبورية في اليمن فيما يتعلق بالباب الثالث الطرق الشرعية لمعالجة ظاهرة القبورية.

خامساً: مشكلات البحث:

من المشكلات التي واجهتني في هذا البحث: سعة الموضوع، وتشعبه، وحاجتي الماسة إلى قراءات كثيرة لأصل إلى معلومة أحتاج إليها، فاحتجت للقراءة في كتب التفسير والحديث وشروحه، وكتب التأريخ والسير، والفرق والأديان. وهذا أخذ مني وقتاً كبيراً، وبذلت فيه جهداً مضنياً. بالإضافة إلى كثرة كتب القبورية وشبهاتهم، وتفنن كثير منهم بالتلبيس على الناس.

سادساً: خطة البحث:

اشتملت خطة البحث على مقدمة، وتمهيد، وثلاثة أبواب، وخاتمة، وفهارس وتفصيل ذلك كالتالي:

أولاً: المقدمة، واشتملت على ما يلي:

١- أهمية الموضوع.

٢- أسباب اختياري له.

٣- منهجي في البحث.

٤- الدراسات السابقة.

٥- مشكلات البحث.

٦- خطة البحث.

٧-شكر وتقدير.

ثانياً : تمهيد شمل:

١- الغاية من خلق الخلق هي توحيد الله.

٢- توحيد الله فطرة فطر الناس عليها.

٣- بقاء الناس على التوحيد قروناً طويلة.

الباب الأول : القبورية في الأمم ، وفيه فصلان :

الفصل الأول : القبورية في الأمم السابقة. وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول : القبورية في قوم نوح .

المبحث الثاني : القبورية عند اليهود .

المبحث الثالث : القبورية عند النصارى .

المبحث الرابع: القبورية عند الفلاسفة .

المبحث الخامس: القبورية عند العرب .

الفصل الثاني : ظهور القبورية في هذه الأمة، وفيه خمسة مباحث.

المبحث الأول : بداية ظهور القبوريـة وتاريخها.

المبحث الثاني : انتشار مظاهـر القبوريـة.

المبحث الثالث : أسباب ظهور القبورية في الأمـة.

المبحث الرابع : دور الشيعة في نشر القبوريـة.

المبحث الخامس : دور الصوفية في نشر القبورية.

الباب الثاني : التوحيد والشرك وشبهات القبورية والرد عليها ، وفيه ستة فصول.

الفصل الأول : مفهوم التوحيد والشرك وشبهات القبورية، وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول : مفهوم التوحيد والشرك عند السلف.

المبحث الثاني : مفهوم التوحيد والشرك عند القبورية.

المبحث الثالث : شبهة القبورية في أن توحيد الربوبية هو الغاية.

المبحث الرابع : شبهة القبورية في بدعية تقسيم التوحيد.

المبحث الخامس : شبهة القبورية أن شرك المشركين كان في الربوبية.

المبحث السادس : شبهة المجاز العقلي.

الفصل الثاني : مفهوم التوسل وشبهات القبورية، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : التوسل عند السلف.

المبحث الثاني : التوسل عند القبورية.

المبحث الثالث: شبهات القبورية في التوسل والرد عليها.

الفصل الثالث : مفهوم الاستغاثة وشبهات القبورية، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : الاستغاثة عند السلف.

المبحث الثاني : الاستغاثة عند القبورية.

المبحث الثالث : شبهات القبورية في الاستغاثة والرد عليها.

الفصل الرابع : مفهوم الشفاعة وشبهات القبورية، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : الشفاعة عند السلف.

المبحث الثاني : الشفاعة عند القبورية.

المبحث الثالث : شبهات القبورية في الشفاعة والرد عليها.

الفصل الخامس : مفهوم التبرك وشبهات القبورية، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول : التبرك عند السلف.

المبحث الثاني : التبرك عند القبورية.

المبحث الثالث : شبهات القبورية في التبرك والرد عليها.

المبحث الرابع : مظاهر التبرك عند القبورية.

الفصل السادس : مفهوم الزيارة وشد الرحل وشبهات القبورية، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول : الزيارة وشد الرحل عند السلف.

المبحث الثاني : الزيارة وشد الرحل عند القبورية.

المبحث الثالث : مفاسد الزيارة عند القبورية.

المبحث الرابع : شبهات القبورية في الزيارة وشد الرحل والرد عليها.

الباب الثالث : الوسائل الشرعية لعلاج ظاهرة القبورية ، وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول : المسلك العلمي ، وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول : الإذن في الزيارة بعد النهي.

المبحث الثاني : سؤال النبي صلى الله عليه وسلم ربه أن لا يجعل قبره وثناً يعبد.

المبحث الثالث : النهي عن الصلاة في المقابر.

المبحث الرابع : النهي عن تجصيص القبور والكتابة عليها.

المبحث الخامس : النهي عن البناء على القبور.

الفصل الثاني : المسلك العملي لأهل القرون المفضلة مع القبور، وفيه تمهيد وخمسة مباحث.

التمهيد : سلامة القرون المفضلة.

المبحث الأول : مواقف الصحابة وأهل القرون المفضلة من قبر النبي صلى الله عليه وسلم.

المبحث الثاني : مواقف الصحابة من قبور الأنبياء.

المبحث الثالث : مواقف الصحابة من عامة القبور.

المبحث الرابع : مواقف التابعين من تعظيم القبور.

المبحث الخامس : وقفة مع اختلاف المؤرخين في تعيين قبور الصحابة.

الفصل الثالث : المسلك الاحتسابي ، وفيه مبحثان :

المبحث الأول : احتساب الولاة على القبورية.

المبحث الثاني : احتساب العلماء على القبورية.

خاتمة البحث :

تضمنت النتائج التي توصلت إليها والتوصيات التي أوصيت بها، وأخيراً فهارس البحث: فهرس الآيات القرآنية، الأحاديث، الآثار، الأعلام، الأماكن والبلدان، الأشعار، الألفاظ الغريبة، فهرس المصادر والمراجع، وفهرس المحتويات.

سابعاً : شكر وتقدير :

وفي الختام ، فإنني أشكر الله تعالى على آلائه الجزيلة ومننه العظيمة ، التي منها إتمام هذا البحث وخروجه بهذه الصورة، فله الحمد أولاً وآخراً ، ظاهراً وباطناً.

ثم إنني أشكر كل من ساعدني في هذا البحث بتوجيهٍ أو نصحٍ أو تقديم مساعدة في إرشادي إلى مرجع من المراجع أو غير ذلك؛ فلهم مني الشكر والدعاء، وأخص بالشكر الجزيل شيخي الكريم، وأستاذي الفاضل الشيخ الأستاذ الدكتور/ علي بن نفيع العلياني ، الذي تفضل مشكوراً بقبول الإشراف على هذه الرسالة، فحظيت منه بالتوجيه والنصح بكل سعة صدر وحسن خلق، فتح لي مكتبه وداره وصدره ، فجزاه الله عني خير الجزاء، وبارك الله له في وقته وعمره وعمله وولده وماله، فله من الدعاء وحسن الثناء.

ثم الشكر موصول لهذا الجامعة المباركة جامعة أم القرى ممثلة في كلية الدعوة وأصول الدين – قسم العقيدة- على إتاحة الفرصة لي وعنايتها وتبنيها لمثل هذه الموضوعات بياناً للحق ونصرة للعقيدة.

وأخيراً : أحمد الله على انتهائي كما حمدت الله في ابتدائي.

الباحث

التمهيـــــد

أولاً : الغاية من خلق الخلق توحيـــــــــــــد الله

ثانيًا : توحيد الله فطرة فطـــــر الناس عليها

ثالثًا : بقاء الناس على توحيد الله قرونًا طويلة

أولاً : الغاية من خلق الخلق توحيد الله تعالى :

نعم الله عز وجل على خلقه كثيرة لا تحصى ولا تعد، خلق الخلق من العدم وأسبغ عليهم النعم ، وخلق لهم مواد العلم والعمل ، وأكرمهم بعبادته، وبين لهم أ ا هي الغاية التي خلقوا من أجلها. قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦ – ٥٧] . والعبادة هي تحقيق العبودية لله ظاهرًا وباطنًا قولاً وعملاً . قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله- : "العبادة اســـم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة " [1]. والعبادة هي الطاعة لله والخضوع له حبا وتعظيمًا ، قال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ [الأنبياء: ٩٠] .

قال البغوي: " والعـبادة الطـاعة مع التذلل والخضوع ، وسمي العبد عبدًا لذلته وانقياده "[2] .

كما أن العبادة هي التوحيد كما فسرها ابن عباس - رضي الله عنه - عند تفسير قوله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ [الفاتحة : ٥] قال رضي الله عنـهما : " إيـاك نوحـد ونخاف ، ونرجو يا ربنا لا غيرك "[3] . بل كل أمر بالقرآن بالعبادة فهو أمر بالتوحيد ، قال ابن عباس رضي الله عنهـما : " كل ما ورد في القرآن مـن العبـادة فمعناهـا التوحيد "[4] .

ثم إن العبادة غاية حميدة يحصل ا كمال بني آدم وسعاد م ، ولهذا جاء الأمـر

(١) العبودية (٢٧ – ٢٨) .

(٢) تفسير البغوي (٤١/١) .

(٣) تفسير الطبري (٦٩/١) ، وانظر : الدر المنثور (٣٧/١) .

(٤) تفسير البغوي (١/ ٥٥) ، وانظر : تفسير الطبري (١٦٠/١) .

الأول في كتاب الله تعالى صريحًا واضحًا بالأمر ا ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾[البقرة : ٢١].

وعبادة الله كما أ ا استجابة لأمر الله تعالى وطاعة له ، فهـي كـذلك حاجـة للإنسان يحتاج إليها أشد من حاجته للطعام والشراب ، فلا صلاح له بدو ا ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " وحاجتهم إليه في عباد م إياه وتـألههم ، كحاجتـهم وأعظم في خلقه لهم وربوبيته إياهم ؛ فإن ذلك هو الغاية المقـصودة لهـم ، وبـذلك يصـيرون عاملين متحركين ، ولا صـلاح لهم ولا فـلاح ، ولا نعيم ولا لذة بـدون ذلك بحال "[1] .

ومن عناية الله عز وجل بالناس يئة الأسباب الظاهرة والباطنة لتحقيق العبودية لله سبحانه وتعالى .

ومن أعظم أسباب عبودية الخلق لله تعالى وتوحيدهم له جل وعلا تلك الفطـرة التي أودعها الله تعالى في أعماق الإنسان . قال تعالى : ﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[الروم : ٣٠] . قال ابن كـثير رحمـه الله : "فإنه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده ، وأنه لا إله غيره "[2]، فمع إقامة الحجـج الظاهرة والبراهين القاطعة من إرسال الرسل وإنزال الكـتب ، وما يدل على الله تعـالى من مخلوقات عظام ، مع هذا كله جعل توحيده فطرة فطر الله الناس عليها .

---

(١) الفتاوى (٢٣/١) .

(٢) تفسير ابن كثير (٤٣٣/٣) .

ثانياً : توحيد الله فطرة فطر الناس عليها:

توحيد الله عز وجل أمر فطري فطر الله سبحانه وتعالى الناس عليه ، من لدن آدم عليه السلام إلى آخر البشر .

فآدم عليه السلام اصطفاه الله عز وجل واختاره ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران :٣٣] . وشرفه الله تعالى بنبوته ، فقد كان عليه السلام نبيا مكلمًا ، كما في حديث أبي ذر رضي الله عنه الطويل ، قال: قلت يا رسول الله ، آدم أنبي كان ؟ قال : " نعم ، نبي مكلم . . ." الحديث[1] .

وأما بالنسبة لذرية آدم عليه السلام فمنذ ذلك الميثاق الأزلي الذي أخذه الله تعالى على ذرية آدم وهم في ظهره ، وتوحيد الله مركوز بفطرهم ، كما دل على ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾

[الأعراف : ١٧٢ – ١٧٣] .

فهذه الآية تدل دلالة واضحة على فطرية التوحيد .

قال ابن كثير رحمه الله : " يخبر تعالى أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكهم ، وأنه لا إله إلا هو ، كما أنه فطرهم على ذلك وجبلهم عليه "[2] .

ويؤيد ذلك حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إن الله تعالى يقول لأهون أهل النار عذاباً : لو أن لك ما في الأرض من شيء

---

(١) أخرجه أحمد برقم (٢١٥٨٦) ، قال الألباني : صحيح الإسناد، انظر : مشكاة المصابيح ، حديث رقم (٥٧٣٧).

(٢) تفسير ابن كثير (٢٦١/٢) .

كنت تفتدي به ؟ قال : نعم . قال فقد سألتك ما هو أهون من هذا وأنـت في صـلب آدم، أن لا تشرك بي فأبيت إلا الشرك "[1]. وما الذي أخذه الله تعالى على ذريـة آدم وهم في ظهره إلا توحيد الله وعدم الإشراك به .

وهذا ما دل عليه قول الله تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم : ٣٠] . فالفطرة بمفهومها الشرعي هي الدين ، وهي الإسلام . قال القرطبي رحمه الله : " وسميت الفطرة دينًا لأن الناس يخلقـون له ، قال الله جل وعز : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات:٥٦][2] . وفي هذه الآية أمر الله سبحانه وتعالى نبيه بإقامة وجهه على الدين الحنيف الذي هو مقتضى فطرة الله تعالى التي فطر الناس عليها .

والله جل وعلا أضاف الفطرة إليه سبحانه وتعالى ؛ ليدل ذلك على أ ا فطـرة محمودة أرادها وفطر الناس عليها . قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في قوله تعالى : ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ ﴾ : وهذا يعم جميع الناس ، فعلم أن الله فطر الناس كلـهم علـى فطرتـه المـذكورة ، وفطـرة الله أضـافها إليـه إضـافة مـدح ، لا إضافة ذم ، فعلم أ ا فطرة محمودة لا مذمومة " [3] .

والأحاديث الثابتة في سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم على أن المقصود بالفطرة التوحيد والإسلام كثيرة، ومن أوضحها وأجلها وأجمعها حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : " ما من مولود إلا يولد على الفطـرة ، فـأبواه

(١) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء ، باب خلق آدم وذريته برقم (٣٣٣٤ ، ٦٥٣٨، ٦٥٥٧)، ومسلم برقم (٥٠١٨) .

(٢) تفسير القرطبي (٢٤/١٤) .

(٣) درء تعارض العقل والنقل (٣٧٢/٨) .

يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء ، هل تحسون فيها من جدعاء "[1] . ثم يقول أبو هريرة : ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾.

وهذا صريح في أنه يولد على الإسلام والتوحيد ، وهذا ما استشهد به أبو هريرة رضي الله عنه ، وتفسير الفطرة بالإسلام أثر عن عامة السلف .

قال أبو عمر[2] " وقال آخرون: الفطرة ههنا الإسلام . قالوا : وهو المعروف عند عامة السلف من أهل العلم بالتأويل ، قد أجمعوا في قول الله عز وجل: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ ﴾ على أن قالوا : فطرة الله دين الله الإسلام "[3] .

فتبين أن الفطرة بمعنى الإسلام وبمعنى التوحيد ، وما من مولود إلا ويولد على توحيد الله عز وجل ، ثم إما أن يبقى على هذا الأصل ، وتلك الفطرة المستقيمة ، وإما أن يحصل له الانحراف بمؤثر خارجي ، كما دل عليه حديث أبي هريرة .

ثالثًا : بقاء الناس على التوحيد قرونًا طويلة:

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه برقم (١٣٥٨ ، ٦٥٩٩، ٤٧٧٥ ، ١٣٥٩) ، ومسلم برقم (٢٦٥٨) .

(٢) **أبو عمر: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي** ، إمام عصره في الحديث والأثر وما يتعلق بهما. من مؤلفاته: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، والاستذكار، والاستيعاب. ولد سنة (٣٦٨)، وتوفي سنة (٤٦٣). انظر: وفيات الأعيان (٦٦/٧ ، ٦٧)، وسير أعلام النبلاء (١٥٣/١٨-١٥٩).

(٣) التمهيد (٧٢/١٨) .

بقي الناس بعد آدم عليه السلام قرونا طويلة على توحيد الله سبحانه وتعالى ، حتى حصل لهم الاجتيال عن التوحيد، ومقتضى فطرة الله التي فطر الناس عليها، إلى ما يناقض هذه الفطرة ، وهو الشرك بالله جل وعلا ، كما ورد في حديث عياض بن حمار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم في خطبته : " ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم ، مما علمني يومي هذا : كل مال نحلته عبداً حلال ، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم ، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ، وحرمت عليهم ما أحللت لهم ، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً ... "[1] الحديث.

وبعد هذا الاجتيال حصل التفرق والاختلاف . قال تعالى : ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة : ٢١٣] .

قال ابن جرير : " وأولى التأويلات في هذه الآية بالصواب أن يقال إن الله عز وجل أخبر عباده أن الناس كانوا على أمة واحدة ، على دين واحد وملة واحدة "[2].

وبقي الناس على هذا الدين الواحد دين الإسلام قرونًا طويلة – عشرة قرون ، كما دلّ على ذلك ما رواه ابن جرير بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : " كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على شريعة الحق فاختلفوا ، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين "[3] .

فالناس كانوا على ملة أبيهم آدم على ملة التوحيد حتى عبدوا الأصنام ، فبعث الله تعالى نوحًا عليه السلام فكان أول رسول بعثه الله تعالى إلى أهل الأرض.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، رقم (٢٨٦٥) .

(٢) تفسير الطبري (٣٣٤/٢) .

(٣) تفسير الطبري (٣٣٤/٢)، ورواه الحاكم ، باب تفسير سورة حم عسق ، برقم (٣٦٥٤) ، وبرقم (٤٠٠٩) و قال : هذا حديث صحيح على شرط البخاري ، ولم يخرجاه .

البـــاب الأول

القبوريـــة في الأمـــم

وفيه فصلان :

الفصل الأول : القبـورية في الأمم الســـابـقة .

الفصل الثانـي : ظهور القبـورية في هذه الأمة.

الفصل الأول

القبورية في الأمم السابقة

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول : القبورية في قوم نوح .

المبحث الثاني : القبورية عند اليهود .

المبحث الثالث : القبورية عند النصارى .

المبحث الرابع : القبورية عند الفلاسفة .

المبحث الخامس : القبورية عند العرب .

المبحث الأول

القبورية في قوم نوح

أولاً : الشرك في قوم نوح :

أول الأمم التي وقع فيها الشرك قوم نوح عليه السلام ، هذه الأمة التي تمادت في ظلمها وطغيا ا، فهي أشد الأمم تمردًا وعصياًنا وفسقًا .

فهذه الأمةلم تستجب لدعوة رسولها نوح عليه السلام النذير لهم المشفق عليهم ، نداءات متكررة ، ودعوات متواصلة استمرت ألف سنة إلا خمـسين عامـاً ، بوسـائل متعددة، وأساليب متنوعة ، ليلاً و اراً ، سراً وجهاراً ، فلم يـستجيبوا لنـصحه ، ولم يستقيموا لأمره ، بل تمادوا في غيهم ، وأصروا على شركهم ؛ فهددوه بالرجم ، وقـالوا مجنون وازدجر ، وتعاقدوا وتعاهدوا على عبادة أصنامهم .

وتواصوا على الشرك بالله تعالى سلفاً وخلفاً ، ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ﴾ [نوح : ٢٣] ، وتضجروا من دعوة نوح عليه السلام ﴿ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [هود : ٣٢] ، ائتنا بعذاب الله إن كنت صادقاً فيما تدعو إليه، علم نوح عليه السلام بوحي من الله تعالى أنه لن يؤمن معه إلا من قد آمـن ، فدعـا ربه ﴿ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ ﴾ [القمـر: ١٠] فكانت النتيجة ﴿ فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ ﴿١١﴾ وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا فَٱلۡتَقَى ٱلۡمَآءُ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ ﴿١٣﴾ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴾ [القمر: ١١– ١٤] حل عليهم العذاب ، وأحاط م الغرق ؛ جزاء لكفرهم وشركهم بر م ، فيا ترى ما هو سبب شركهم ووثنيتهم ؟

ثانياً : سبب الشرك في قوم نوح الغلو في الصالحين:

تمكن الشرك من قلوب قوم نوح ، فتعاقدوا وتعاهدوا على ألا يتركوا عبادة آلهتهم ، كما أخبر الله تعالى عنهم . قال جل وعلا : ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرًا ﴾ [نوح : ٢٣] .

وحقيقة هذه الأصنام أنها أسماء لرجال صالحين من قوم نوح عليه السلام ، فلما ماتوا نصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون إليها أنصاباً ليتذكروهم بها ، وسموها بأسمائهم .

أخرج البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما : " صارت الأوثان التي في قوم نوح في العرب بعد ... إلى أن قال : أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابا، وسموها بأسمائهم ، ففعلوا ، فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدوهم "[1] .

ويتبين مما سبق أن القصد في البداية لم يكن عبادة الأموات، بل غلواً فيهم ، وإفراطاً في محبتهم ، ونصباً للنصب في مجالسهم التي يجلسون فيها ، وبعد طول أمد واندراس علم ، وإجلاب من الشيطان عليهم بخيله ورجله، وتزيين عبادة تلك النصب والتماثيل عبدت من دون الله .

---

(١) أخرجه البخاري ، كتاب التفسير ، باب ﴿ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ ﴾ برقم (٤٩٢٠) .

قال القرطبي : " قال علماؤنا : ففعل ذلك أوائلهم ليتأسوا برؤية تلك الصور ، ويتذكروا أحوالهم الصالحة ، فيجتهدون كاجتهادهم ، ويعبدون الله عز وجل عند قبورهم ، فمضت لهم بذلك أزمان ، ثم أنهم خلف من بعدهم خلوف جهلوا أغراضهم ، ووسوس لهم الشيطان: أن آباءكم وأجدادكم كانوا يعبدون هذه الصور، فعبدوها "[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " والمشركون الذين وصفهم الله ورسوله بالشرك، أصلهم صنفان : قوم نوح وقوم إبراهيم ، فقوم نوح كان أصل شركهم العكوف على قبور الصالحين ، ثم صور تماثيلهم ، ثم عبدوهم ۰۰۰۰ "[2] .

وبهذا يتبين أن أحد صنفي المشركين معظمي الأموات ، وهذا هو الصنف الذي منه قوم نوح، فصرفوا أنواعاً من العبادة للموتى فاستحقوا مقت الله وغضبه.

---

(١) أحكام القرآن (٥٨/٢) .

(٢) التوسل والوسيلة ، (٢٢) ، وانظر : اقتضاء الصراط المستقم (١٩١/٢ – ١٩٢) .

المبحث الثاني

القبورية عند اليهود

إن المبالغة في تعظيم العباد وتنـزيلهم فوق منازلهم ، يوقع في الشرك بالله تعالى . وهذا ما حصل في قوم نوح، وكذلك الأمر مع اليهود .

فاليهود يعتقدون أنهم شعب الله المختار ، وأبناء الله وأحباؤه . قال تعالى : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ ﴾ [المائدة : ١٨]، وبالتالي فاليهود في اعتقادهم أنهم بشر لا كسائر البشر ؛ إذ أنهم جزء من الله ، وأرواحهم جزء من الله كذلك ، كما أن الابن جزء من أبيه .[1]

هذا الغلو في الجنس اليهودي أوصلهم إلى تعظيم بعض أنبيائهم ، فوصفوا عزيراً عليه السلام بأنه ابن الله تعالى . قال عز وجل: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة : ٣٠] .

بل تمادوا في غلوهم ، ووصفوا حاخاماتهم بالألوهية ، بل إن تعاليمهم لا يمكن تغييرها ، ولو بأمر الله " إن تعاليم الحاخامات لا يمكن نقضها ولا تغييرها ولو بأمر الله ، وقد وقع يوماً الاختلاف بين الباري وعلماء اليهود في مسألة ، فبعد أن طال الجدال تقرر إحالة فصل الخلاف إلى أحد الحاخامات الربانيين ، واضطر إلى أن يعترف بغلطه بعد حكم الحاخام عليه "[2] .

هذا الغلو جعلهم ينظرون إلى قبور اليهود على أنها قبور معظمة ، فقبر اليهودي

---

(١) اليهودية ، أحمد شلبي (٢٧٢) ، وانظر : الكنـز المرصود (١٧٨) .

(٢) الكنـز المرصود (١٦٢) .

لا يجوز مسه ، ومن مس قبر يهودي فإنه يتنجس ، وهذا فقط لقبـور اليهـود . قـال صاحب الكنـز المرصود : " يتنجس اليهودي إذا لمس القبور ؛ طبقًا للتـوراة ، ولكـن الغرض من ذلك قبور اليهود ، أما ما عداهم من الأمم فليس قبورهم نجـسة ؛ لأ ـم معدودون من البهائم ، لا من أبناء آدم "[1] ، وبناءً على ذلك فقد أحلوا لهم ما حرم الله عليهم ، وحرموا ما أحل الله لهم ، كما قال الله تعـالى : ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة : ٣١]، حتى وصل من غلوهم أ م سجدوا لأنبيـائهم كما ورد في حديث معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه أنه أتى الشام ، فرأى النـصارى يسجدون لأساقفتهم[2] وقسيسيهم[3] وبطارقتـهم[4] ، ورأى اليهـود يـسجدون لأحبارهم وعلمائهم وفقهائهم ، فقال : لأي شيء تفعلون هذا ؟ قالوا: هذه تحية الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام ، قلت : فنحن أحق أن نصنع بنبينا . فقال نبي الله : " إ ـم كذبوا على أنبيائهم كما حرفوا كتا م . لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ، ولو سألها نفسها وهي على ظهر قتب[5] "[6]

---

(١) الكنـز المرصود (٥٣).

(٢) **الأسقف** : أصل الكلمة يونانية ومعناها مشرف، ولم يظهر النظام الأسقفي إلا بعد المسيح، والأسقف رتبة دينية عند النصارى فوق رتبة القسيس، ودون البطريك. انظر الموسوعة الميسرة (٩٥٦/٢).

(٣) **القسيس** : كلمة يونانية بمعنى شيخ ، والقسيس رئيس النصارى في العلم والمفتي في الدين ومقيم الصلوات، وهو أقل رتبة من الأسقف. انظر الموسوعة الميسرة (١١١٥/٢).

(٤) **البطريق** : كلمة معربة من اليونانية معناها الأب الرئيس، ويطلقه النصارى على بعض الرؤساء الدينيين من القاسوسة والكهان. انظر الموسوعة الميسرة (٩٨٩/٢).

(٥) **القتب** : القتب للجمل كالإكاف لغيره ، لسان العرب (٦٦١/١).

(٦) رواه الحاكم في مستدركه ، كتاب البر والصلة برقم ٧٣٢٥ ، وقال بعد سياقه : حديث صحيح على شرط الشيخين ، وأحمد برقم ١٩٤٢٢ .

وشد الرحال لقبور الأنبياء عبادة عند اليهود ، بعد التحريف الـذي سـرى إلى ديانتهم ، " فترحال اليهود إلى الخليل ؛ إنما كان من قبيل التبرك بالأنبياء الراقدين فيها ، والأماكن ذات الذكرى الطيبة إليهم "[1].

واليهود يعتقدون دفن إبراهيم وأبنائه عليهم السلام في مقبرة المكفيلة[2] .

" قال سايولف أبكر الرحالة الصليبيين الذي زار الحـرم الإبراهيمـي ، ودون ملحوظاته : ذكر أنه في شرقي المدينة يرقد الأنبياء القديسون إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، كل دفن مع زوجته ، علاوة على أبي الخلق آدم[3] ، وأحيطت قبـورهم منـذ القـدم باستحكامات في غاية المناعة ، وكل قبر يبلغ من الكبر حدا يشبه الكنيسة الـضخمة ، ويحوي كل منها قبرين أولهما لأحد الأنبياء ، والآخر لزوجته ، وقد وضعت في جـلال مهيب ، ومنذ عهد بعيد عطرت قبور الأنبياء بأطيب أنواع العطور وأغلاها "[4] .

وهذا دليل على تعظيم قبور الأنبياء عند اليهود ، وبناء المباني العظيمة عليهـا ، وتطيبها بأطيب أنواع العطور .

وهذا التعظيم واتخاذ القبور أماكن للعبادة عند اليهود هو ما أخبر به النبي - صلى الله عليه وسلم ، كما في حديث أبي هريرة - رضي الله تعالى عنـه ، أن رسـول الله - صلى الله عليه وسلم قال : " قاتل الله اليهود ؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد "[5] .

وكذلك في حديث عائشة وابن عباس رضي الله عنهم قالا : " لما نزل برسـول الله - صلى الله عليه وسلم طفق يطرح خميصة على وجهه ، فإذا اغتم كـشفها، وهـو كذلك يقول : " لعنـة الله على اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مـساجـد ؛

---

(١) الخليل والحرم الإبراهيمي (٢٦٢) .
(٢) سفر التكوين (٢٤ – ٢٧) .
(٣) لايعرف مكان قبر من قبور الأنبياء غير قبر النبي عليه الصلاة والسلام وقبر إبراهيم عليه السلام بعضهم يثبت عينه وبعضهم يثبت الناحية ، لكنهم شكوا في إثبات عين القبر. انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١٦٦/٢).
(٤) الحرم الإبراهيمي ، (٢٦٥) .
(٥) أخرجه البخاري ، كتاب الصلاة ، باب الصلاة في البيعة ، برقم (٤٣٧) ، ومسلم ، برقم (٥٣٠).

يحذر ما صنعوا "[1] .

أي قبلة للصلاة يصلون إليها ، أو بنوا مساجد عليها يصلون فيها "[2] .

وهذه أدلة قاطعة تدل على قبورية اليهود .

بل هم أصل قبورية النصارى ؛ لأن النصارى يتبعون اليهود في تعظيمهم للأنبياء.

قال ابن حجر : " فاليهود ابتدعت ، والنصارى اتبعت ، ولا ريب أن النـصارى تعظم قبور كثير من الأنبياء الذين تعظمهم اليهود" [3].

وبذلك يتبين أن باعث القبورية عند أهل الكتاب هم اليهود

المبحث الثالث

القبورية عند النصارى

الديانة النصرانية بعد التحريف أصبحت ديانة غالية ، غلت بأنبيائها وصالحيها ، وارثة هذا الغلو من سابقتها التي سنت لها الضلال ، وقادتها إلى الغواية ، ألا وهـي اليهودية .

بلغ بها الغلو مبلغا عظيما حتى قالت عن المسيح إنه الله ، وأنه ابن الله ، قال الله تعالى :﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة : ١٧] .

فالنصارى قالوا بألوهية المسيح عليه السلام ، قـال ابـن القـيم رحمـه الله : " وقالوا : وليس المسيح عند طوائفنا الثلاث بنبي ، ولا عبد صالح ، بل هو رب الأنبيـاء وخالقهم وباعثهم ومرسلهم ، وناصرهم ومؤيدهم ، ورب الملائكة "[4] .

هذا الغلو أوقعهم بفتن كثيرة ، بالإضافة إلى فتنـتـهم العظمى ، وهو تأليه غير

---

(١) أخرجه البخاري ، كتاب الصلاة ، باب الصلاة في البيعة ، برقم (٤٣٦) ، ومسلم ، برقم (٥٣١).

(٢) عون المعبود (٣٤/٩) .

(٣) انظر : فتح الباري (٥٣٢/١) .

(٤) هداية الحيارى (١٤٥/١).

الله تعالى ، من هذه الفتن فتنة القبور والبناء عليها ، وتصوير صور الموتى وتعظيمها ، وصرف العبادات لها ، ويدل على ذلك حديث عائشة - رضي الله عنها ، أن أم سلمة ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كنيسة رأتها بأرض الحبشة ، يقال لها مارية، فذكرت له ما رأت فيها من الصور ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أولئك قوم إذا مات فيهم العبد الصالح ، أو الرجل الصالح ، بنوا على قبره مسجدًا وصوروا فيه تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله "[1] .

والنصارى يقدسون الصور ويعظمونها ، ويضعونها في كنائسهم ، ويصرفون لها أنواعًا من العبادات ، كالسجود والدعاء وغير ذلك ، قال ابن القيم رحمه الله : " فلا تجد كنيسة من كنائسهم تخلو من صورة مريم والمسيح ، وجرجس وبطرس ، وغيرهم من القديسين عندهم والشهداء ، أكثرهم يسجدون للصور ويدعونها من دون الله – تعالى "[2] .

وأتوا بالحجج لعبادة هذه الصور والسجود لها ودعائها .

قال ابن القيم : " حتى لقد كتب بطريق الإسكندرية إلى ملك الروم كتابًا يحتج فيه للسجود للصور : بأن الله تعالى أمر موسى عليه السلام أن يصور في قبة الزمان[3] صورة الساروس[4]، وبأن سليمان بن داود لما عمل الهيكل ، عمل صورة الساروس من ذهب ، ونصبها داخل الهيكل ، ثم قال في كتابه : وإنما مثال هذا مثال الملك يكتب إلى بعض عماله كتابه ، فيأخذه العامل ويقبله ويضعه على عينيه ، ويقوم له، لاتعظيمًا للقرطاس والمداد ، بل تعظيمًا للملك ، كذلك السجود للصور تعظيم لاسم ذلك

(١) البخاري ، كتاب الصلاة ، باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية، رقم (٤٢٧ ، ٤٣٤، ١٣٤١، ٣٨٧٢) ، ومسلم برقم (٥٢٨) .

(٢) إغاثة اللهفان (٢٥٧/٢) ، وانظر : التوسل والوسيلة (ص٢٤) .

(٣) **قبة الزمان** : هي قبة العهد وكانت مع بني إسرائيل في التيه يصلون إليها وهي قبلتهم وكعبتهم ، وهي سرادق كبير فيها الهيكل وفي الهيكل تابوت السكينة . انظر : تفسير ابن كثير (٣٠٨/١)، تاريخ اليعقوبي (٣٦/١).

(٤) **الساروس** : لم أجده .

المصور، لا للأصباغ والألوان "[1] .

علمًا بأنه ورد في التوراة في العهد القديم ، النهي عن هذه الـصور وعبادـا ، والتوراة عند النصارى كتاب مقدس ، فقد ورد في سفر التثنية : " لا تصنع لك تمثـالاً منحوتًا ، ولا صورة مما في السماء من فوق ، وما في الأرض من أسفل ، وما في الماء من تحت الأرض ، ولا تسجد لهن ، ولا تعبدهن ؛ لأني أنا الرب الملك الغيور "[2] .

إذًا هذا نص صريح في كتا م المقدس يمنعهم من ذلك ، لكن تمكنت هذه الفتنـة من قلو م فأبوا أن يتركوها .

وروى المؤرخ النصراني (ول ديورانت) قصة دخول الصور والتماثيـل علـى الديانة النصرانية فيقول : " كانت الكنيسة أول أمرها تكره الصور والتماثيل ، وتعـدها من بقايا الوثنية ، وتنظر بعين المقت إلى فن النحت الوثني ، الذي يهدف إلى تمثيل الآلهة ، ولكن النصارى المسيحيين في عهد قسطنطين ، وما كان للبيئة والتقاليد والتماثيل اليونانية من أثر . . . كل هذا قد خفف من حدة مقاومة هذه الأفكار الوثنية ، ولما أن تضاعف عدد القديسين المعبودين ، نشأت الحاجة إلى معرفتهم وتذكرهم ، فظهرت لهم ولمـريم العذراء كثير من الصور ، إلى أن قال : وأطلق الشعب العنان لفطرته ، فحول الآثـار ، والصور والتماثيل المقدسة إلى معبودات يسجد الناس لها ويقبلو ا ، ويوقدون الشموع ، ويحرقون البخور أمامها ، ويتوجو ا بالأزهار، ويطلبون المعجزات بتأثيرها الخفي ..

إلى أن قال : ... وأخذت المدن التي تتهددها أخطار الوباء أو الـاعة أو الحرب ، تعتمد على قوة ما لديها من الآثار الدينية ، أو على ما فيها من الأولياء والقديسين للنجاة من هذه الكوارث "[3] .

---

(١) إغاثة اللهفان (٢٩٢/٢) .

(٢) سفر التثنية (٢١٣) .

(٣) قصة الحضارة (٤٩٦٧/٤، ٤٩٦٨).

وحاول بعض الحكام نبذ هذه البدعة والعمل على إزالتها ، ومنهم الإمبراطور (ليو الثالث) الذي اعتقد أن الوثنية أخذت تغزو المسيحية من جديد وحز في نفسه ما كان يوجهه المسلمون واليهود من المطاعن للخرافات السائدة عن جمهور المسيحية، الذي عقد مجلسًا من الأساقفة ، وأصدر مرسومًا عام (٧٢٦م) يطلب فيه إزالة جميع الصور والتماثيل الدينية من الكنائس ، وحرم تصوير المسيح والعذراء ، وأمر بأن يغطى بالجص ما على جدران الكنائس من صور ، لكن لم يقابل هذا المرسوم بالموافقة الجماعية ، فكان أن عارضته الكنيسة ، وثار عليه الشعب ، وعزل وطرد من الحكم ، واجتمع مجلس من أساقفة الغرب ، دعا إليه البابا (جريجوري الثاني) وصب اللعنة فيه على محطمي الصور والتماثيل ، وسار أبناء ليو على جه ، وعقدوا الـالس الكنيسية لتحريم الصور والتماثيل في العبادة ، وتحريم طلب الشفاعة من مريم ، وأمروا بتدمير جميع الصور والتماثيل التي في الكنائس، وفي عام (٧٨٧م) دعت الإمبراطورة (إيريني) رجال الدين في العالم المسيحي إلى عقد مجمع عام للبحث في مسألة الصور والتماثيل ، فجمعوا في مدينة نيقية حوالي ٣٧٧ أسقفًا ، وأصدروا قرارًا بتعظيم المسيح وأمه والقديسين ، لا بعبادتها[1]. وجاء في القرار ما يلي : " إنا نحكم بأن توضع الصور ليس في الكنائس والأبنية المقدسة ، والملابس الكهنوتية فقط ، بل في البيوت وعلى الجدران في الطرقات ، لأننا إن أطلنا مشاهدة ربنا يسوع المسيح ووالدته القديسة ، والرسل وسائر القديسين في صورهم ، شعرنا بالميل الشديد إلى التفكير فيهم ، والتكريم لهم ، فيجب أن تؤدى التحية والإكرام لهذه الصور ، لا العبادة التي لا تليق إلا بالطبيعة الإلهية "[2] .

ولكن غالبية النصارى لا يزالون يقدسون الصور، " أكثر النصارى يسجد للتصاوير في الكنائس ، وهو من كفرهم ، وأي فرق بين عبادة الأصنام والسجود للتصاوير "[3] .

---

(١) انظر : قصة الحضارة نفس الجزء والـلد (٤٩٦٨/٤-٤٩٧٠).

(٢) محاضرات في النصرانية (١٤٣ر / ١٤٤) .

(٣) الأجوبة الفاخرة في الرد على الأسئلة الفاجرة ، مطبوع امش كتاب الفارق بين المخلوق والخالق (١٨٨) نقلاً عن موقف ابن تيمية من النصرانية (٩٢٣/٢) .

إن النصارى نقلوا الأمم الوثنية التي تسجد للقمر والأوثان من عبادة الأصنام المجسدة ، إلى عبادة التماثيل المصورة لموتاهم في الكنائس . قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " فإن أولئك المشركين من اليونان والروم وغيرهم ، كانوا يسجدون للشمس والقمر والأوثان ، فنقلتهم النصارى من عبادة الأصنام المجسدة التي لها ظل ، إلى عبادة التماثيل المصورة في الكنائس "[1] .

وبالإضافة إلى وضع التماثيل للأموات وتعظيمها ، وصرف أنواع من العبادات لها، فهم يعظمون القبور ، ويحجون إليها ، كما يحجون إلى موضع قبر عيسى – عليه السلام ، وهو ما يسمونه الضريح المقدس ، قال شيخ الإسلام : " والنصارى يحجون إلى الكنائس لأجل ما فيها من التماثيل ، ولأجل من بنيت لأجله ، كما يحجون إلى موضع قبر المسيح عندهم ، الكنيسة التي يقال أنها بنيت على قبره ، موضع الصلب بزعمهم ، وهم يبنون الكنائس على من يعظمونه مثل جرجس وغيره ، فيتخذون المعابد على القبور "[2] .

وقد وصف الكاتب (روناد كارلوس بيني) كنيسة بطرس قائلاً : " إن كنيسة القديس بطرس وهي أكبر كنيسة في العالم المسيحي ، تقدم على ساحة مكرسة للعبادة المسيحية منذ أكثر من سبعة عشر قرنًا ، إنها قائمة على قبر القديس نفسه : صياد السمك، حواري المسيح ، وتحت أرضيتها "يقع" تيه من المقابر الأثرية ، والخرائب الرومانية القديمة " ثم ذكر أنه يقصدها نحو مائة ألف شخص في أيام الأعياد الكبيرة للعبادة "[3].

ولهم أعياد يتوجهون فيها إلى قبور أنبيائهم لصرف أنواع من العبادة، كالطواف وإيقاد الشموع وغير ذلك .

---

(١) منهاج السنة النبوية (٣٢١/١) .

(٢) الرد على الإخنائي (٥٨).

(٣) نقلاً عن كتاب تحذير المساجد (١٦٥). مجلة المختار ، عدد مايو (١٩٥٨م)، مقال بعنوان: " الفاتيكان المدينة القديمة المقدسة".

ومن أعيادهم عيد السبت (سبت النور) وفيه يقوم بطريرك الروم ، أو نائبه بالطواف في كنيسة القيامة حول القبر ، حوالي ثلاثة أرباع الساعة ، ثم يدخل بناية القبر، ويناول الأرض شمعة من يده ، من الطاقة الغربية ، ثم شمعة أخرى من الطاقة الشرقية ، وينير منها القبط والسريان شموعهم[1] .

ولا شك ولا ريب في قبورية النصارى ، ولقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في حديث : " لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"[2] .

وعندما يتأمل المسلم في أحوال القبورية اليوم يرى اتباع سنن اليهود والنصارى في تعظيم القبور ، والله المستعان .

المبحث الرابع

القبورية عند الفلاسفة

أولاً : مفهوم الفلسفة :

الفلسفة معناها: محبة الحكمة ، والفيلسوف أصله (فيلا سوفا) أي محب الحكمة، ففيلا هي المحب ، وسوفا هي الحكمة[3] .

قال ابن القيم: " والمقصود أن الفلاسفة اسم جنس لمن يحب الحكمة ويؤثرها ، وقد صار هذا الاسم في عرف كثير من الناس مختصًا بمن خرج عن ديانات الأنبياء ، ولم يذهب إلا إلى ما يقتضيه العقل في زعمه "[4] .

فالفلسفة لا تقتصر على عصر دون عصر ، أو أمة دون أمة ، إذ متى وجد هذا المنهج وجدت الفلسفة .

---

(١) انظر : مجلة رسالة الحياة المسيحية، العدد : الرابع والخامس والسادس، نقلاً عن موقف ابن تيمية من النصرانية (٩٢٨/٢).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز ، "باب ما يكره من اتخاذ المساجد" برقم (١٣٣٠) ، ومسلم برقم (٥٣٠) واللفظ له.

(٣) انظر : إغاثة اللهفان (٢٥٦/٢) .

(٤) إغاثة اللهفان (٢٥٧/٢) .

ثانـياً : قبـورية فلاسفة اليـونـان :

الأمة اليونانية أمة كبيرة ، بلغت تطورًا عظيمًا في حضار ا المادية ، لازلنا نشاهد آثار تلك الأمة ، ومما اشتهرت به هذه الأمة شهر ا بأساطين الفلسفة اليونانية ، والذين أثروا تأثيرًا بالغًا في الأمم التي جاءت من بعدهم ، وإلى وقتنا الحاضر .

ومن أشهر هؤلاء الفلاسفة أرسطو[1] ، والذي سنأخذه مثالاً لقبورية فلاسـفة اليونان ، وذلك لم لته عند أتباعه ، إذ كانوا يعظمونه تعظيمًا فوق ما يعظم به الأنبياء ، ويلقبونه بالمعلم الأول ؛ لأنه أول من وضع لهم التعاليم المنطقية[2] ، وغيره من الفلاسفة ضاعت آثارهم المكتوبة ، عدا الـ ر اليسير ، وأرسطو هذا كان وثنيًـا يعبـد الأصـنام والكواكب .

قال شيخ الإسلام: " وأما أرسطو وأصحابه فكانوا مشركين يعبـدون الأصـنام والكواكب ، وهكذا كان دين اليونان والروم قبل ظهور المسيح "[3] .

وكانوا يعظمون قبور الموتى ، ويزورو ا ، ويطلبـون الفـيض منـها ، قـال الرازي[4]: " وأيضًا سمعت أن أصحاب أرسطو طاليس كلما أشـكل علـيهم بحـث موضوع ، ذهبوا إلى قبره وبحثوا في تلك المسألة ، فكانت المسـألة تنفـتح والإشـكال يزول "[5] .

والذي حملهم على الاعتقاد بالقبور ، عقيد م في الإلهيات ، إذ أن هذه العقيـدة

---

(١) **أرسطو**: فيلسوف يوناني ، تلميذ إفلاطون ،كان مشركا يعبد الأوثان ،كان وزيرًا للإسكندر المقدوني ، وكان قبل المسيح بنحو ثلاثمائة سنة، الجواب الصحيح (٢٧٠/٥).

(٢) انظر : إغاثة اللهفان (٢٥٩/٢).

(٣) الرد على المنطقيين (٢٨٣).

(٤) **فخر الدين محمد بن عمر** بن الحسين القرشي الأصل ، الرازي ، الشافعي ، كان إمام وقته في العلوم العقلية، صاحب التفسير الكبير، والمحصول في أصول الفقه، ولد بالري ٥٤٤ ، ت ٦٠٦ . طبقات الفقهاء (٢٦٣/١)، طبقات المفسرين (١١٥/١) .

(٥) المطالب العالية (٢٢٨/٧) ، والرق المنشور للنيلوي (٩٣) نقلاً عن نقض القبورية (١١) .

مبنية على الوسائط ، ومبنية على الفيض من الأعلى لمن هو دونه ، ولأن التأله عندهم مبني على التشبه بالإله ، تشبه الأدنى بمن هو فوقه ، حتى ينتهي إلى الغاية ، أو المحرك الأول ، الذي سموه إله الآلهة ، والذي يفيض على من دونه من المخلوقات ، ولما كانت أرواح القديسين آلهة صغرى تتلقى الفيض عمن هو أعلى منها ، والذي أعلى منها يتلقاه عمن هو أعلى منه وصولاً إلى إله الآلهة ، فإن هذه الأرواح المقدسة تفيض على من زارها فيضًا من غير إرادة ولا علم[1] .

ثالثاً : قبورية الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام :

الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام ، كالفارابي[2] وابن سينا[3] وابن رشد[4] وغيرهم ، ممن حذا حذوهم وسار على نهجهم ، أخذوا الفلسفة من معلمهم الأول أرسطو ، وأتباعه المشائين ، إلا أن الفلاسفة المنتسبين للإسلام ، حاولوا تقريب مذهب أسلافهم من دين الإسلام ، وصاروا يقربون أصول الفلاسفة إلى طريقة الأنبياء ، ويبينون أنها لا تخالف الشرائع النبوية ، لتصبح هذه الفلسفة مقبولة في أوساط المسلمين[5] .

ولو رجعنا إلى قبورية هؤلاء لوجدناها هي قبورية أولئك ، ينطلقون من منطلقهم، يسيرون على طريقهم ، من عدم إحاطة الله – عز وجل – بالجزئيات ، وليس

---

(١) انظر : تلخيص كتاب الاستغاثة (٥٠٧/٢) ، والصفدية (٣٣٥ – ٣٣٦) .

(٢) **الفارابي**: محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ الفارابي التركي الحكيم المشهور ، صاحب التصانيف في المنطق والموسيقى ، وهو من كبار الفلاسفة ، ت ٣٣٩ . انظر : وفيات الأعيان (١٥٣/٥ – ١٥٦) ، وانظر : شذرات الذهب (٣٥٠/٢) .

(٣) **ابن سينا**: هو أبو علي ، الحسين بن عبد الله بن علي بن سينا ، حفظ القرآن والأدب ، وكان والده إسماعيليا باطنيا وكذلك أخوه وكذلك هو ، أجاب دعوة الحاكم ، اشتغل بكتب الفلسفة ، والطب ، واشتغل بكتب فلاسفة اليونان . ت ٤٢٨ . انظر : : عيون الأنباء في طبقات الأطباء (٤٣٧/١ – ٤٤٥)، وانظر : إغاثة اللهفان (٢٦٦/٢) .

(٤) **ابن رشد** : محمد بن أحمد بن محمد بن رشد الحفيد الأندلسي ، أبو الوليد ، فيلسوف من أهل قرطبة ، عني بكلام أرسطو وترجمه للعربية ، صنف نحو خمسين كتابًا . انظر : شذرات الذهب (٣٢٠/٤).

(٥) انظر : الصفدية (٢٤٠) ، وانظر : الإغاثة (٢٦١/٢) .

له قدرة على تغيير العالم ، بل العالم فيض فاض عنه بغير مشيئته وقدرته[1] .

ولذلك فمفهوم الشفاعة عند هؤلاء ، غير مفهوم الشفاعة عند أهل الإسلام .

فشفاعة الرسول عند هؤلاء ، أن الرحمة التي تفيض على الرسول تفيض على المستشفع به ، من غير شعور من الرسول ولا دعاء منه ، وضربوا لذلك مثلاً بانعكاس شعاع الشمس على المرآة ، أو الأجسام الصقيلة على حائط وغيره ، فيحصل النور على الموضع الثاني ، قالوا : فهكذا الرحمة تفيض على النفوس الفاضلة ، ثم تفيض بتوسطهم على نفوس المتعلقين بهم ، وبالتالي فلا بد من توجه الإنسان إلى النفوس الفاضلة هؤلاء[2] .

كما يرون دعاء الموتى عند القبور وغير القبور ، والتوجه إليهم والاستعانة بهم ، ويرون الصلاة والدعاء عند قبور الأنبياء والصالحين ، أفضل من الصلوات الخمس والدعاء في المساجد ، وأفضل من حج بيت الله العتيق .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " فهذا الداعي المستشفع ، إذا توجه إلى شفيعه ، يشرف عليه من جهة الحق .

ولهذا يرى هؤلاء دعاء الموتى عند القبور ، وغير القبور ، ويتوجهون إليهم ، ويستعينون بهم ، ويقولون أرواحنا إذا توجهت إلى روح المقبور في القبور ، اتصلت به ، ففاضت عليها المقاصد من جهته "[3] .

وقال رحمه الله " وكثير منهم ومن غيرهم من الجهال، يرون أن الصلاة والدعاء عند قبور الأنبياء والصالحين ، وأهل البيت وغيرهم ، أفضل من الصلوات الخمس والدعاء

---

(١) انظر : الرد على المنطقيين (١٠٣) .

(٢) انظر : تلخيص كتاب الاستغاثة (٥٠٧/٢) ، وانظر : كتاب التوسل والوسيلة (٣٧) .

(٣) الرد على المنطقيين (١٠٤) .

في المساجد، وأفضل من حج البيت العتيق "[1] .

وبذلك يتبين لنا قبورية الفلاسفة ، وبأن قبوريتهم أشد من قبورية مشركي العرب؛ لأن العرب يؤمنون بقدرة الله وعلمه ومشيئته ، ويتخذون من معبوداتهم شفعاء عند الله ، أما قبورية هؤلاء، فهي قبورية تنفي العلم والقدرة عن الله – تعالى ، وتطلب الفيض ممن قصدوهم بالعبادة .

قال شيخ الإسلام رحمه الله : " وأما مشركو الفلاسفة ، كما ذكره ابن سينا، ومن اتبعه ، فيقولون : إن من نستشفع به لا يدعو الله لنا بشيء ، والله لا يعلم دعاءنا ولا دعاءه ، ولا يسمع نداءنا ولا نداءه ، بل ولا يعرف بنا ، ولا نراه ولا يعرف به، فإنا نحن من الجزئيات، والله لا يعلم الجزئيات عندهم ، ولا يقدر على تغيير شيء من العالم ، ولا يفعل بمشيئته ، لكن قالوا : نحن إذا توجهنا إلى هؤلاء بالدعاء لهم ، والسؤال منهم ، بل وبالعبادة لهم ، فاض علينا ما يفيض منهم ، وفاض عليهم ما يفيض من جهة الله "[2] ، وهذه فلسفة قبورية الفلاسفة المنتسبين للإسلام .

المبحث الخامس

القبورية عند العرب

كان العرب على ملة إبراهيم الخليل عليه السلام ، فعندما أمره الله عز وجل بالهجرة إلى أرض الحجاز ، وكان معه ابنه إسماعيل عليه السلام ، فتركه هو وأمه هاجر ، وكان إسماعيل عليه السلام رسولاً نبيا . قال الله – تعالى : ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ۝ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ﴾ [مريم ٥٤ – ٥٥] .

فإسماعيل عليه السلام تركه إبراهيم في أرض العرب ، وتزوج منهم من قبيلة

---

(١) الرد على المنطقيين (١٠٤) .

(٢) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

جرهم ، وكانت رسالته لهم ، وبقي الناس على التوحيد وعلى دين إسماعيل أزمنة طويلة، وهذا ما دلت عليه كتب السيرة والتأريخ ، وبعض الآثار عن الصحابة ؛ فقد ورد عـن أنس رضي الله عنه أنه قال : " كان الناس بعد إسماعيل عليه السلام على الإسلام ، فكان الشيطان يحدث الناس بالشيء يريد أن يردهم عن الإسلام ، حتى أدخل عليهم في التلبية : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك ، إلا شريكًا هو لك ، تملكه وما ملك. قال : فما زال حتى أخرجهم عن الإسلام إلى الشرك "[1] .

وكان دخول الشرك إلى العرب ، وتبديل دين إبراهيم وإسماعيـل علـى يـدي عمرو بن لحي . فقد ورد في حديث عائشة - رضي الله عنها – في صفة صلاة الخسوف قالت: قال رسول الله – عليه الصلاة والسلام : " ··· ولقد رأيت جهنم يحطم بعضها بعضًا حين رأيتمـ ـ ـوني تأخرت ، ورأيت فيها عمـ ـ ـرو بن لحي وهـو الـذي سيب السوائب [٢] "[3]. وفي زيادة عند الحاكم : " وهو أول من حمل العـرب علـى عبادة الأصنام "[4] .

وعمرو بن لحي أتى بالأصنام إلى مكة المكرمة ، فدعا الناس إلى عباد ا فأجابوه ، وقد ساعده في إجابة دعوته لعبادة الأصنام ما كان له مـن ملـك مكـة حـتى قـال السهيلي[5]: " وكان عمرو بن لحي حين غلبت خزاعة على البيت ، ونفت جرهم عـن مكة ، وقد جعلته العرب ربا ، ما يبتدع لهم بدعة إلا اتخذوها شرعة)[6] . وبالإضـافة إلى الملك والولاية فقد كان من أكرم العرب . يقول السهيلي : " إنه ربمـا ذبـح أيـام

---

(١) مجمع الزوائد، باب الإهلال والتلبية (٢٢٣/٣).
(2) سيب السوائب : السائبة كانوا يسيبو ا لآلهتهم لا يحمل عليها شيء. انظر: فتح الباري (١٦٩٠/٤).
(٣) جزء من حديث عند البخاري كتاب الجمعة ، باب إذا انفلتت الدابة في الصلاة ، برقم (١٢١٢)، ورقم (٣٥٢١) .
(٤) أخرجه الحاكم ، كتاب الأموال ، برقم (٨٧٨٨) ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه.
(٥) أبو القاسم أبو زيد عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي ، ولد (٥١٨) مؤرخ محدث حافظ لغوي ، من مؤلفاته الروض الأنف ، معجم المؤلفين (١٤٧/٥).
(٦) الروض الأنف (١٠٢/١) .

الحجيج عشرة آلاف بدنة ، وكسا عشرة آلاف حلة "[1] . الشاهد في ذلك أن الـذي صرف العرب عن ملة إبراهيم إلى على عبادة غير الله – تعالى – هو عمرو بن لحي . قال الحافظ بن حجر : " إن عمرو بن لحي كان له تابع من الجن يقال له أبو ثمامة ، فأتاه ليلة فقال أجب أبا ثمامة، فقال : لبيك من امة، فقال : ادخل بلا ملامة ، فقال : إيت سيف جدة تجد آلهة معدة ، فخذها ولا ب ، وادع إلى عباد ا تجب ، قال : فتوجه إلى جدة فوجد الأصنام التي كانت تعبد في زمن نوح وإدريس ، وهي ود وسواع ويغوث ويعوق ونسرًا ، فحملها إلى مكة ، ودعا إلى عباد ا ، فانتشرت بسبب ذلك عبادة الأصـنام في العرب "[2] .

فهذه الأصنام كانت في عهد نوح مقامة على مجالس الصالحين ، فعكف قوم نوح عندها حتى نصبوا لها النصب ، وعبدوها من دون الله ، ثم تماثيل هؤلاء الرجال الصالحين انتقلت إلى العرب ، فقد ورد عن ابن عباس - رضي الله عنـهما – قـال: " صـارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد ... . أما ود فكانت لكلـب بدومـة الجندل، وأما سواع فكانت لهذيل ، وأما يغوث فكانت لمراد ، ثم لبني غطيف بـالجوف عند سبأ ، وأما يغوث فكانت لهمدان ، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع ، أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قـومهم أن انـصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابًا ، وسموها بأسمائهم ، ففعلوا ، فلم تعبد حتى هلـك أولئك ونسخ العلم عبدت "[3] . وسبب عبادة هذه الأصنام أ ا تماثيل لرجال صالحين ، غلَوا م حتى عبدوهم ، فعبدهم قوم نوح ثم تبعهم من بعدهم من العرب وغيرهم . قال الحافظ بن حجر : " وقصة الصالحين كانت مبتدأ عبادة قوم نوح هذه الأصنام ، ثم تبعهم من بعدهم "[4] .

---

(١) الروض الأنف (١٠٢/١).

(٢) فتح الباري (٥٤٩/٦) .

(٣) سبق تخريجه. انظر (٢٠).

(٤) فتح الباري (٦٦٩/٨) .

فعبادة الأوثان لم تكن بقصد عبادة تلك الحجارة وإنما لأ ا رموز لرجال صالحين، ولهذا نجد العرب عبدت اللات، وعكفت على قبره . فعن ابن عباس قال : "كان اللات رجلاً يلت سويق الحاج "[1] . وقال مجاهد : " اللات كان يلت السـويق بالطائف، فعكفوا على قبره "[2] ، ثم أصبحت آلهة يعبدو ا ويعظمو ا ويرجون شفاعتها. أخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة قال : قال النضر وهو من بني عبد الدار : إذا كان يوم القيامـة شـفعت لي اللات والعزي ، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ [3] [الأنعام:٢١] .

وعبادة تلك الأصنام المنصوبة على قبور الصالحين عندهم ، أو الأصنام التي هـي رموز لرجال صالحين هي عبادة غالب أهل الجاهلية ، فكان أهل الجاهلية يعبدو ا رجاء شفاعتها . قال– تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ .[الزمر : ٣].

وبعد اندراس ملة إبراهيم – عليه السلام – بعد انتشار الأوثان المعبودة من دون الله عظمت فتنة أهل الجاهلية بالقبور ، فأصبحت هناك قبور معظمة خاصةً لمن كان لـه مكانة في حياته ممن اتصف بالكرم أو الشجاعة ، حتى ذكر أن قبر حاتم الطـائي صـار م لا لِقِرى الضيوف ، وملاذا للتائهين ، حتى بالغوا في هذا القبر وذكروا أنه لم ينـ ـزل بقبر حاتم أحد إلا قراه " رأيت قبر حاتم طيء ببقعة أو بيبعة ، وإذا قدر عظيمة من قدور

---

(١) الدر المنثور (٦٥٢/٧) .

(٢) المصدر السابق (٦٥٣/٧) .

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (٩٧٣/٣) .

مكفأة في ناحية من القبر ، من القدور التي كان يطعم فيها الناس ، وعن يمين القبر أربع جوار من حجارة، وعلى يساره أربع جوار من حجارة ، كلهن صاحبة شعر منشور محتجرات على قبره كالنائحات عليه ، لم يرم مثل بياض أجسامهن وجمال وجوههن ، مثلهن الجن على قبره "[1] .

ولهذا فغالب العرب قبورية معظمة للقبور ، وما الأصنام التي ينحتونها أو يصنعونها، أو الحجارة التي يطوفون عليها ويذبحون لها الذبائح إلا رموزاً لأولئك المعظمين عندهم . قال أبو رجاء العطاردي : " كنا نعبد الحجر ، فإذا وجدنا حجرًا هو خير منه ألقيناه وأخذنا الآخر ، فإذا لم نجد حجرًا جمعنا جثوة من تراب ، ثم جئنا بالشاة فحلبناها عليه ثم طفنا به . . . "[2] الحديث ، ومعلوم أنه لا يوجد عاقل يعتقد أن هذا الحجر أو جثوة التراب إله . إنما جعله رمزًا للمعظم عندهم .

والشرك في الأمم إما أن يحصل بسبب تعظيم قبور الصالحين كقوم نوح ومشركي العرب ، أو بسبب تعظيم الكواكب السيارة كقوم إبراهيم عليه السلام.

---

(١) مروج الذهب (١٦٢/٢ ، ١٦٣) .

(٢) أخرجه البخاري ، باب وفد بني حنيفة ، رقم (٤١١٧) .

الفصل الثانــــي

ظهــور القبوريــــة في هذه الأمـــة

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول : بـدايـة ظهــور القبـوريـــة وتاريخها

المبحث الثاني : انـتـشـــار مظاهـــر القبـوريـــــــة

المبحث الثالث :أســبـاب ظهور القبـورية فـي الأمــة

المبحث الرابـع : دور الشـــيعة في نــشر القبـوريـــة

المبحث الخامس : دور الصوفيـــة في نـشر القبـوريـة

المبحث الأول

بداية ظهور القبورية وتاريخها

لم تبدأ مظاهر القبورية في القرون المفضلة، وذلك بسبب موقف أهل القرون المفضلة من مسألة إبراز القبور، وإظهارها والبناء عليها، وهذا لا ينفي وجود بعض المظاهر الشاذة التي كان يقضى عليها في مهدها وتقابل بالإنكار من أهل القرون المفضلة.

فعصر الخلفاء الراشدين يخلو من هذه المظاهر، بل كانوا يتعاهدون القبور بالتسوية كما في حديث أبي الهياج الأسدي ، وكذلك الأمر بالنسبة للدولة الأموية، والدولة العباسية في فترة قوتها. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : "بل عامة هذه المشاهد محدثة بعد ذلك، وكان ظهورها وانتشارها حين ضعفت خلافة بني العباس وتفرقت الأمة، وكثر الزنادقة الملبسون على المسلمين، وفشت فيهم كلمة أهل البدع، وذلك من دولة المقتدر في أواخر المئة الثالثة، فإنه إذ ذاك ظهرت القرامطة العبيدية القداحية[1] في أرض المغرب ثم جاؤا بعد ذلك إلى أرض مصر "[2].

وعلى ذلك كان بداية ظهور مظاهر القبورية من البناء على الأضرحة وتعظيمها على أيدي أدعياء الإسلام، أو من أسلم ولا يزال يحمل بعض عقائد ديانته المحرفة من اليهود والنصارى، أو على أيدي الزنادقة من الباطنيين ، أو على أيدي الفرق الضالة، كالرافضة ومن على شاكلتهم .

على أن أول قبر أبرز هو قبر الخليفة المنتصر[3] قال ابن كثير : "وهو أول خليفة

---

(١) **العبيدية** : ويقال لهم القداحية نسبة إلى عبيد الله بن ميمون القداح الذي أسس دولة العبيدية في المغرب عام ٢٩٧هـ ، وأحاط نفسه بأنواع من الغلو وأحاطه دعاته بذلك فكانوا يقولون هو المهدي ابن الرسول وحجة الله على خلقه ، وبعضهم يقول هو الرسول ، وبعضهم يقول هو الله. انظر : الحركات الباطنية (٦٩).

(٢) مجموع الفتاوى (٤٦٦/٢٧).

(٣) **محمد المنتصر بن المتوكل** جعفر بن المعتصم بن الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور، قتل والده المتوكل هو وجماعة من الأمراء، كما قتل الفتح بن خاقان . ولي الخلافة ستة أشهر ومات يوم الأحد لخمس بقين من ربيع الآخر سنة ٢٤٨هـ. انظر : البداية والنهاية (٣٦٦/١٠-٣٦٨)، وانظر : الكامل في التاريخ (١٤٧/٦، ١٤٨).

من بني العباس أبرز قبره بإشارة من أمه الحبشية الرومية "[1].

فأول من أبرز قبره هو محمد المنتصر، وصاحبة المشورة هي أمه الرومية، وأطلق على القبة التي بنيت على قبره قبة الصليبية[2] تقول د. سعاد ماهر " فمن المعروف أن أول ضريح مغطى في الإسلام هو قبة الصليبية بمدينة سامراء[3] بالعراق الذي أقامته أم الخليفة المنتصر... " إلى أن قالت في وصف الضريح: "وقد وجد مثل هذا الأسلوب المعماري في تحويل المربع إلى مثمن يسهل معه إقامة القبة عليه، منذ القرن السادس الميلادي في كنيسة القديس جرجس بعذرا [4]في سوريا "[5].

فلك أن تعرف كيف بني أول ضريح في بلاد الإسلام، فالاسم القبة الصليبية، والمشورة من امرأة رومية، والأسلوب المعماري كأسلوب ضريح القديس جرجس، والله المستعان.

ثم لما ضعفت دولة بني العباس في أواخر القرن الثالث، وظهرت بعض فرق القرامطة والرافضة وأصبحت لهم دول كالدولة الحمدانية، والدولة البويهية[6]، والقرامطة والدولة العبيدية الفاطمية في مصر، وكان لهذه الدول علاقة مع بعضها، وتمالأت على النيل من المسلمين، قتلاً وانتقاماً، وتشويهاً

---

(١) البداية والنهاية (٣٦٩/١٠)، وانظر : الكامل في التاريخ (١٤٩/٦)، وانظر : تاريخ الطبري (٣٥٣/٥).

(٢) مساجد مصر وأولياؤها الصالحون (١١/٢).

(٣) **سامراء** : مدينة بين بغداد وتكريت على شرقي دجلة ، يقال لها سر من رأى، و ا السرداب الذي تزعم الشيعة أن مهديهم يخرج منه، بناها المعتصم ثم نزلها سنة ١٢٢. انظر : معجم البلدان (١٧٤/٣).

(٤) **عذرا** : قرية بغوطة دمشق .انظر : معجم البلدان (٩١/٤).

(٥) مساجد مصر وأولياؤها الصالحون (٤٦/١).

(٦) **الدولة البويهية** : بداية ظهورها عام ٣٢٢وكانوا ثلاثة إخوة أسسوا هذه الدولة وكان أبوهم من أوساط ، وكانت ولايتهم قريب من مئة وعشر سنين، نشروا فيها الرفض . انظر : العبر في خبر من غبر (١٩٤/٢)، والبداية والنهاية (٦٦/١٢) .

للعقيدة الصحيحة قال ابن كثير : عن القرامطة الذين قتلوا الحجاج في سنة ٣١٧، ونالوا من حرمة البيت، واقتلعوا الحجر :" وإنما حمل هؤلاء على هذا الصنيع أنهم كفار زنادقة، قد كانوا ممالئين للفاطميين الذين نبغوا في هذه السنة ببلاد أفريقية من أرض المغرب، ويلقب أميرهم بالمهدي، وهو أبو محمد عبيد الله ابن ميمون القداح، وكان صباغاً بسلمية[1]، وكان يهودياً فادعى أنه أسلم ثم سافر من سلمية، فدخل بلاد أفريقية، فأدعى أنه شريف فاطمي ..." إلى أن قال: "وكان هؤلاء القرامطة يراسلونه ويدعون إليه، ويترامون عليه"[2]

فلما آل الأمر إلى دول الرفض، والزندقة، بنيت المشاهد وعطلت المساجد، ولذلك كان للدولة البويهية (٣٣٤-٤٤٧) دور في البناء على الأضرحة والقبور. قال شيخ الإسلام : " وقريباً من ذلك ظهر بنو بويه، وكان في كثير منهم زندقة وبدع قوية. وفي دولتهم قوى بنو عبيد بن القداح بأرض مصر، وفي دولتهم أظهر المشهد المنسوب إلى علي رضي الله تعالى عنه بناحية النجف ، وإلا فقبل ذلك لم يكن أحد يقول : إن قبر علي هناك، وإنما ذكروا أن بعضهم رأى الرشيد: إنه جاء إلى بقعة هناك، وجعل يعتذر إلى المدفون فيها فقالوا : إنه علي، وأنه اعتذر إليه مما فعل بولده فقالوا : هذا قبر علي، وقد قال قوم: أنه قبر المغيرة بن شعبة"[3] فقامت الدولة البويهية في إيران والعراق ونشرت التشيع والرفض، ومظاهر القبورية، وقامت دولة العبيديين الفاطميين[4] في

---

(١) **سلمية** : بليدة في ناحية البرية من أعمال حماة بينها مسيرة يومين . انظر : معجم البلدان (٣/ ٢٤٠).
(٢) البداية والنهاية (١٧٢/١١).
(٣) مجمع الفتاوى (٤٤٦/٢٧-٤٤٧). بتصرف .
(٤) **الدولة الفاطمية**: قال أبو شامة ((كان منهم ثلاثة بإفريقية وهم الملقبون بالمهدي، والقائم، والمنصور، وأحد عشر بمصر وهم: المعز، والعزيز.... إلخ يدعون الشرف ونسبتهم إلى مجوسي أو يهودي حتى اشتهر لهم ذلك بين العوام فصاروا يقولون الدولة الفاطمية، والدولة العلوية، إنما هي الدولة اليهودية، أو المجوسية الملحدة الباطنية)) ." وأسست الدولة الباطنية في عام ٢٩٧هـ في بلاد المغرب على يد عبيد الله بن ميمون القداح، وامتد نفوذها إلى مصر والشام والحجاز، وكان نهاية الدولة في عهد العاضد عندما أعلن صلاح الدين قيام الدولة الإيوبية عام ٥٦٧هـ. انظر : تاريخ الإسلام (٢٧٥/٣٩). انظر : الحركات الباطنية (٦٩).

مصر(٣٥٨-٥٦٩) وامتد نفوذها في المغرب ومصر والحجاز واليمن، وكانت القرامطة في البحرين تدين لهم بالولاء وتراسلهم، وكانت هذه الدولة العبيدية لها القدح المعلى في نشر مظاهر القبورية في بلاد المسلمين عليها من الله ما تستحق، فمنذ قدومها إلى مصر شرعت ببناء الأضرحة والقبور، سواء كانت الأضرحة لآل البيت كما يدعون، أو أضرحة لهم، وأقاموا غالب أضرحة آل البيت بناء على رؤى ومنامات، فغالب قبور آل البيت في مصر غير معروفة " وأردت بذلك أصحح المشاهد كما رواها العلماء رضي الله عنهم، ولم أر أحداً من أرباب التاريخ صحح مشهداً بغير القرافة من مشاهد أولاد علي بن أبي طالب إلا المشهد النفسي (1) " (1) وفي عصر هذه الدولة كثر ما يسمى بأضرحة الرؤيا، والسبب في كثرتها كما تقول د. سعاد ماهر" وعلى أية حال فقد ظهر في العصور الوسطى وخاصة في أوقات المحن والحروب التي لا تجد فيها الشعوب من تلوذ به غير الواحد القهار أن يلتمسوا أضرحة آل البيت والأولياء للزيارة والبركة والدعاء ليكشف الله عنهم السوء ويرفع البلاء"(2).

فيا ليتهم لجؤا إلى الله وحده، ولم يعبدوه عند قبر رجل صالح، ولم يلتمسوا إجابة الدعاء عند الموتى، ولهذا فإن الدولة العبيدية الباطنية هي أكثر دولة نشرت الأضرحة والقبور خلال فترة قصيرة فبداية هذه الدولة سنة (٣٥٨) ونهايتها (٥٦٩) ويذكر الرحالة ابن جبير في رحلته التي وصل بها إلى القاهرة في أواخر (٥٧٨) وذكر فيه مشاهد آل البيت حيث ذكر ما يقارب ستة عشر مشهداً ثم ذكر مشاهد الشريفات العلويات، ثم قال: " وهذا ذكر ما حصله العيان من هذه المشاهد العلوية المكرمة وهي أكثر من ذلك "(3)

---

(١) انظر ترجمة نفيسة ص (٤٧).

(١) الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة (٥) نقلاً عن مساجد مصر وأولياؤها الصالحون (١٥٤/١-١٢٥).

(٢) مساجد مصر وأولياؤها الصالحون (١٠٢/١-١٠٣).

(٣) رحلة ابن جبير (٢١).

ثم ذكر البناء على هذه القبور قـائلاً : " وعلـى كـل واحـد منـها بنـاء حفيل، فهي بأسرها روضات بديعة الإتقان عجيبة البنيـان، قـد وكـل ـا قوامـة يسكنون فيها ويحفظو ا، ومنظرها عجيـب والجرايـات متـصلة لقوامهـا في كـل شهر"[1] ثم ذكر مـشاهد كـثيرة بالقرافـة تنـسب للـصحابة، وبعـض الأوليـاء والصالحين.

أما ما قامت به الدولة العبيدية من بناء الأضرحة على حكامهـا؛ فيـصف لنـا المقريزي ذلك بقوله : " كان من جملة القصر الكبير : التربة المعزية ، وفيها دفـن المعـز لدين الله، آباءه الذين أحضرهم في توابيت معه من بلاد المغرب " ،[2] وكانت هذه التربة تسمى تربة الزعفران"[3].

وفي أواخر العهد العبيدي الفاطمي[4] عمر ضريح الحسين بالقاهرة، والذي يعتقد بعضهم أن رأس الحسين دفن في هذا الضريح، وهذا الضريح معظم عند الرافضة والصوفية على حدٍ سواء.[5] واختلقوا لذلك القصص المؤثرة، والحكايات المثيرة، لتتعدد الأضرحة ، وتكثر في البلاد، ويفتتن ا العباد.

ثم جاءت الدولة الأيوبية بعد الدولة الفاطمية، وكان لها دور في بناء الأضـرحة.

---

(١) رحلة ابن جبير (٢١، ٢٢).

(٢) انظر : الخطط (٢٨٨/٢).

(٣) المصدر السابق نفس الصفحة.

(٤) انظر : الخطط للمقريزي (٣٢٢/١، ٣٢٣)

(٥) علماً بأن المشهد المقام في القاهرة المسمى بمشهد الحسين كذب مختلق. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "بل المشهد المنسوب إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما الذي بالقاهرة كذب مختلق بلا نزاع بين العلماء المعروفين عند أهل العلم " . انظر : الفتاوى (٤٥١/٢٧).

ويرى بعض الباحثين أن بناء الأضرحة في الدولة الأيوبية إنما هو ردة فعل بسبب الأضرحة التي بنيت في الدولة الفاطمية، إذا اقتصرت الأضرحة في الدولة الفاطمية على أضرحة آل البيت والشيعة: " فلما جاءت الدولة الأيوبية رأت أن تحول الأنظار عن أضرحة الشيعة؛ وذلك ببناء أضرحة لأئمة السنة، فأقامت أم السلطان الملك الكامل قبة الإمام الشافعي سنة ٦٠٨هـ وأجرت عليها الماء "[1] . وبني في الدولة الأيوبية عدد من الأضرحة " ، ومن الأضرحة المهمة في العصر الأيوبي ضريح السادات الثعالبة، والخلفاء العباسيين، وشجرة الدر، ثم ضريح نجم الدين أيوب ".[2] وترى د. سعاد ماهر بناء الدولة الأيوبية للأضرحة من ميزات الدولة الأيوبية قائلة : "كما أقامت الأضرحة لأولياء الله الصالحين، الذين ساعدوها على نشر الوعي الديني في الوطن العربي عامة ومصر خاصة".[3]

فسبحان ربي، لا ينشر الوعي بين الأحياء إلا بمخالفة هدي النبي عليه الصلاة والسلام، والبناء على قبور الأموات.

كما قامت الدولة الصفوية، بأعمال البناء العظيم لأضرحة آل البيت في كربلاء، والكوفة وغيرها من الأضرحة المعظمة عند الشيعة خاصة، حيث كانت الدولة الصفوية شبيهة تماماً بالدولة الفاطمية في مصر. " فإن مثل الدولة الصفوية من هذه الناحية وقيامها في إيران مثل الدولة الفاطمية في مصر طابق النعل بالنعل ".[4] ولهذا نجد أن الشاه إسماعيل الصفوي زار كربلاء والنجف بمجرد سقوط العراق بأيدي جنوده عام ٩١٤هـ ، وقد جاءت نبذة عن زيارته لكربلاء " فعزم في اليوم الثاني على طواف العتبة المقدسة فتوجه

---

(١) مساجد مصر وأولياؤها الصالحون (٢٦/١).

(٢) المصدر السابق نفس الصفحة.

(٣) مساجد مصر وأولياؤها الصالحون نفس الصفحة.

(٤) أربعة قرون نقلاً عن تاريخ كربلاء (٢٥٢).

إلى كربلاء، وعند الوصول إليها أدى مراسم الزيارة بكل دقة، فراعى شروط التشرف بكل احترام، فقبل العتبة المقدسة بخشوع وورع تام ، ومرغ خديه على تراب تلك العتبة السامية مناجياً روح سيد الشهداء عليه آلاف التحية والثناء "[1] إلى أن قال : "وكسا صندوق القبر الشريف بأثواب من أفخر أنواع الحرير المزركش والموشى بالفضة والذهب، ونصب فوق القبر المطهر اثنى عشر قنديلاً من الذهب الخالص تتلألأ كل واحدة منها كالشمس في رابعة النهار، وفرش الروضة الشريفة بأنواع البسط الحريرية البديعة والدقيقة الصنع ".[2] إلى قوله: " ثم أمر بجمع نخبة ممتازة من البارعين في صناعة الفسيفساء مزينة بالنقوش لمراقد الأئمة في كربلاء والنجف والكاظمية وسامراء بدلاً من صناديقها القديمة".[3]

أما الدولة التركية، فقد قامت في عصور تفشى فيها الجهل، ونشطت فيه دعوة التصوف، وكان للمتصوفة قوة في تركيا ومصر، وبلاد الشام وغيرها من البلدان، وكان لها كلمة مسموعة عند السلاطين، أضف إلى ذلك جهل بعض السلاطين بحقيقة التوحيد، بالإضافة إلى خوف السلاطين من سوط العامة المعظمة للقبور، ولذلك نجد أن بعض السلاطين يستجيب لدعوة القبورية، إما تعظيماً للقبور، وإما إرضاء للناس، ولهذا أراد الشافعية تولية مشيخة الشافعية الشيخ أحمد العروسي، وكان الباشا إبراهيم بك يريد غيره، فذهب الشافعية واعتصموا بقبر الشافعي، ثم جاء ناطقهم الشيخ محمد بن الجوهري وقال: " لابد من فروة نلبسها للشيخ العروسي وهو يكون شيخاً للشافعية، وذاك شيخاً للحنفية كما أن الشيخ أحمد الدردير شيخ المالكية، والبلد بلد الإمام الشافعي وقد جئنا إليه وهو يأمر بذلك، وإن خالفت يخشى عليك "[4] فا ستجاب لهم.

---

(١) تاريخ كربلاء (٢٥٣).

(٢) المصدر السابق (٢٥٤).

(٣) المصدر السابق (٢٥٤).

(٤) انظر : عجائب الآثار (٧٦/٢).

ولهذا نجد بعض السلاطين الأتراك كان لهم دور كبير في إبراز مظاهر القبور من البناء على الأضرحة وإهداء الهدايا وإسراجها، وإرسال الستور الفاخرة إليها.

فنجد أن السلطان سليمان القانوني اعتنى بمدينة كربلاء، وأنشأ بها سد لا يزال يدعى بـ "روف السليمانية" ، وأمر بإصلاح ـر الحسينين .[1]

وزار النجف، وقيل أنه ترجل من على فرسه لما رأى قبة النجف، وسئل عن ذلك، فقال: لما وقعت عيني على القبة ارتعشت أعضائي، فلم استطع الركوب على الفرس.

وأوقف مقاطعات للمقاصد الدينية الشيعية والسنية على حدٍ سواء.[2]

وزار أضرحة موسى الكاظم، ومحمد التقي الجواد وأمر بإكمال الجامع الكبير الذي بدأه الشاه إسماعيل الصفوي.[3]

وعمر مشهد السيدة نفيسة[4] في عهد الدولة التركية في عام ١١٧٣هـ كما كتب على باب الضريح بالذهب على الرخام هذان البيتان:

عرش الحقائق مهبط الأسرار ... قبر النفيسة بنت ذي الأنوار

حسن بن زيد بن الحسن نجل الإمام ... علي بن عم المصطفى المختار[5]

---

(١) انظر : تحفة العالم (٢٦٥/١، ٢٦٦) نقلاً عن تاريخ كربلاء (٢٥٧).

(٢) انظر : أربعة قرون (٢٧)، والتاريخ الحديث (٢١) نقلاً عن تاريخ كربلاء (٢٥٦).

(٣) انظر : المصدر السابق نفس الصفحة.

(٤) **نفيسة** : السيدة المكرمة الصالحة ابنة أمير المؤمنين الحسن بن زيد بن سبط النبي الحسن بن علي بن أبي طالب، تحولت من المدينة إلى مصر مع زوجها الشريف إسحاق بن جعفر بن محمد الصادق ، ت (٢٠٨) رحمها الله السير(١٠٦/١٠) .

(٥) مساجد مصر وأولياؤها الصالحون (١٢٧/١).

وقد قامت الدولة العثمانية بإعفاء أهالي البصرة من الرسوم والتكاليف، احترامـاً لصاحب الحضرة الشريف، يعني الزبير وقامت والدة السلطان عبد العزيـز[1] بتـرميمهم القبب، وتكبير المسجد فصار جامعاً حسناً.

وفي سنة ١٢٩٣هـ ورد أمر من السلطان عبد الحميد الثاني.[2] بتعمير المسجد، وأمر أيضاً بكسوتين للضريحين (الزبير وعتبة بن غزوان) من الحرير الأحمر المفتخر المطرز بالفضة، وأمر أيضاً بوضع مباخر ، وقماقم من الفضة عند الضريحين الكريمين.[3]

وهناك مشهد للحسين في حلب لا أصل له، أقيم هذا المشهد بناء علـى منـام كاذب[4] الشاهد أن ممن ساهم في إعمار المشهد السلطان عبد الحميد، الذي أهدى إليه ستاراً حريراً مزركشاً بآيات قرآنية، وضع على المحراب وفرشت أرض قبلتيه بالطنـافس الجميلة، وجدد ترخيم أرض الصحن ورتب له إمام ومؤذن وخادم وموظفون يقـرءون كل يوم أجزاء شريفة، والنفقات على ذلك كله من صندوق أملاك السلطان عبد الحميد في حلب.[5]

فكثير من السلاطين الأتراك كان لهم دور في إظهار مظاهر القبورية ، ونشرها في الأمة ، بل قاموا بحرب ضروس على الدولة السعودية لما قامت بهدم الأضرحة المقامة على القبور ، وتسوية القبور على حسب ما ورد في السنة ، ولما انحـسر سـلطان الدولـة

---

(١) **السلطان عبد العزيز:** ولد في ١٤ شعبان عام ١٢٤٥هـ وضع مجلة الأحكـام العدليـة ، عـزل عـن الخلافة عام ١٢٩٣هـ، ومات بعده بقليل ، انظر : انهيار الدولة العثمانية(١٦٤- ١٦٨) .

(٢) **السلطان عبد الحميد** : ولد ١٢٥٩هـ ، وتـوج ١٢٩٣ هـ ، وكـان عمـره ٣٤سـنة، وتـسلم السلطة والدولة التركية محفوفة بالمخاطر ، عزل من الخلافـة في عـام ١٣٢٨هـ ، انظـر : انهيـار الدولة العثمانية (١٦٩_ ٢١٠)

(٣) انظر : التحفة النبهانية (١١٥-١١٨).

(٤) انظر : الفتاوى (٤٦٩/٢٧).

(٥) انظر : نهر الذهب في تاريخ حلب (٢٨٠/٢).

السعودية عن الحجاز أقيمت القباب مرة أخرى، حتى هدمت على يد الشريف عـون ثم أعاد القبوريون الأضرحة بعد ذلك حتى فتحت الحجاز على يد الملك عبد العزيز رحمه الله سنة ١٣٤٣هـ.[1]

وقد ذكرت د. سعاد ماهر كثير من الأضرحة التي أقيمت في عهد الدولة التركية أبان حكمها لمصر.[2]

المبحث الثاني

انتشار القبورية

منذ عصور متقدمة ومظاهر القبور في ازدياد وانتشار، رغم الدعوات التجديديـة التي يقوم ا الأئمة؛ لأن الفتنة بالمقبورين أعظم من الفتنة بغيرهم من الأشجار والأحجار، فانتشرت القبورية في هذا الزمان انتشاراً كبيراً، حتى شب عليها الصغير وهـرم عليهـا الكبير قال الصنعاني رحمه الله: "فهذا تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد، وجب علي تأليفه وتعين علي ترصيفه، لما رأيته، وعلمته يقيناً من اتخاذ العباد الأنداد في الأمصار والقـرى وجميع البلاد من اليمن والشام ومصر ونجد و امة وجميع ديار المسلمين ، وهو الاعتقـاد في القبور وفي الأحياء ... "[3] إلى آخر كلامه رحمه الله.

ومظاهر القبورية لا يسلم منها بلد من بلاد المسلمين ، وما سلمت منه إلا هـذه البلاد بسبب دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ومناصرة حكام الدولة السعودية لهـذه الدعوة المباركة، وإلا قبل هذه الدعوة كانت الحجاز بـها العشرات مـن الأضـرحة

(١) وسيأتي ذلك كله في المسلك الاحتسابي (٣٩٦-٤١٩)

(٢) انظر : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون.

(٣) تطهير الاعتقاد (٤٨).

المعظمة، التي كانت تصرف لها أنواع من العبادات. حتى هدمت سنة ١٢١٨هـ ـ لأول مرة) " وهدم جميع القبور الطاهرة وكان من ضمن هذه القبور قبر العباس[1] عم النبي صلى الله عليه وسلم أشهر وأفخر محل يزار في أنحاء بلاد العرب في جماله ونظامه وطهارته".[2]

ثم لما دخلت الجيوش مكة المكرمة قاموا بهدم الأضرحة والقبور " وأمر في الوقت بهدم ما ينوف عن ثمانين قبة فاخرة البناء كانت على قبور ذراري الرسول صلى الله عليه وسلم، وعليها مدار رونق مكة وبهجتها وسواها جميعاً بالأرض حتى القبة التي على قبر خديجة رضي الله عنها ".[3]

وكان من أشهر الأضرحة في مكة قبر خديجة رضي الله عنها ، وآمنة أم النبي صلى الله عليه وسلم ، ولكن قبر خديجة أشهر ." وهناك مناسبتان يحتفل بهما كل شهر، ففي الحادي عشر من كل شهر يتجمع العديد من الناس على ضريح السيدة خديجة زوج الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم الذي يحيط به مصلى له قبة كبيرة في مقبرة المعلا، أما اليوم الثاني عشر فهو مخصص للسيدة آمنة أم الرسول صلى الله عليه وسلم ، وإن كلا الضريحين قد أقيما من فترة حديثة نسبياً وعادة الاحتفال بهاتين السيدتين الكريمتين لا يزيد عمرها عن ٣٠٠سنة فقط، وقبر السيدة خديجة رضي الله عنها أكثر شهرة، ولا تمر إلا أيام قليلة من العام لا ترى فيها بعض النساء والرجال ينذرون لها بعض النذور، بقصد شفاء المرضى أو تحقيق بعض الرغبات، وقد ترى أشخاصاً آخرين يحملون الشموع والبخور إلى قبرها وفاء بنذورهم ".[4]

أضف إلى ذلك الأعداد الكبيرة من الأضرحة والقباب التي أقيمت في البقيع ونجد، والتي قام رجال الدعوة الإصلاحية بهدمها.

---

(١) الصحيح أنه قبر عبدالله بن عباس رضي الله عنه، أما العباس فجمع على موته في المدينة سنة ٣٢هـ ، ودفن في البقيع. انظر : السير(٢/١٠٠).

(٢) البحر الزاخر في تاريخ العالم وأخبار الأوائل والأواخر (١٧٥/١) نقلاً عن الإنحرافات العقدية (٣٠٣).

(٣) البحر الزاخر في تاريخ العالم وأخبار الأوائل والأواخر (١٧٩/١)، نقلاً عن الانحرافات العقدية (٣٠٣).

(٤) صفحات من تاريخ مكة المكرمة (١٣٥، ١٣٦).

أما بالنسبة لمصر مهد الدولة الفاطمية ، فقد كان ظهور القبورية، ونشاطها وقوعا من قبلها، ولذلك كان لها القسط الأكبر بين بلاد المسلمين من الأضرحة ، فقد ذكرت د. سعاد ماهر في كتابها مساجد مصر وأولياؤها الصالحون أن عدد المشاهد والأضرحة في مدينة القاهرة وحدها يبلغ عددها بضعة آلاف.[1]

بينما يذهب بعضهم إلى أن مصر لا تخلو كل قرية أو مدينة فيها من ضريح، والقرى والمراكز التي تخلو من الأضرحة هي مكان تندر من العامة، "وأضرحة الأولياء التي تنتشر في مدن مصر بنحو ستة آلاف قرية: هي مراكز لإقامة الموالد للمريدين والمحبين. ويمكننا القول: إنه من الصعب أن نجد يوماً على مدار السنة ليس فيه احتفال بمولد ولي في مكان ما بمصر "[2].

أما بلاد المشرق العراق وإيران، وأفغانستان وغيرها، فهذه البلاد انتشرت بها الرافضة معظمة الأضرحة. فكل قبر ضريح عند الرافضة، إذ إنهم يرفعون الأضرحة، ويكتبون عليها الكتابات، وقد ذكر صاحب موسوعة العتبات المقدسة عشرات الأضرحة في موسوعته، بل ذكر أن في مشهد علي رضي الله عنه عدداً كبيراً من الشخصيات "وفي مشهد الإمام علي (ع) دفن الكثير من الشخصيات الإسلامية البارزة من علماء وسلاطين وملوك ووزراء، تبركاً بالمكان المقدس وتقرباً من المرقد الشريف".[3]

أما في شرق الأردن فتكثر المزارات في القرى العامرة وفي الأرض الخالية "قد وفرت المزارات الدينية في شرقي الأردن، وغدت عند أهل البادية أشهر من نار على علم، فلا يخطو المسافر بعض خطوات في القرى العامرة أو الربوع الخالية، حتى يتعهد مقاماً

---

(١) انظر : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون (١٣/١).

(٢) موالد مصر المحروسة (٧)، نقلاً عن دمعة على التوحيد (٢٦).

(٣) موسوعة العتبات المقدسة (١٠٠/١).

يتوارد إليه الزوار ويقيمون له إكراماً، ويقدمون له القرابين والضحايا".[1]

ثم هذه الأضرحة في شرق الأردن مقسمة إلى مزارات كبرى وصغرى، فالكبرى التي تشيد عليها المباني وتكسى جدرها بالنسيج، وتضأ بالشموع والمصابيح الخزفية المضيئة، والصغرى دائرة من الحجارة تحاط بالضريح.[2]

ويوجد عدد من الأضرحة تنسب لبعض الأنبياء في الأردن كقبر يوشع بن نون عليه السلام، وشعيب عليه السلام، وقبور بعض الصحابة كقبر أبي عبيدة، وقبر معاذ بن جبل، وقبر أبي الدرداء، وقبر عامر بن أبي وقاص رضي الله عنهم ، وهذه القبور تسمى مقامات، وجعفر بن أبي طالب، وزيد بن حارثة، وشرحبيل بن حسنة، وضرار بن الأزور وغيرهم.

وقد أعيد بناء هذه الأضرحة وخصصت أموال طائلة لترميمها. " واليوم نخصص شخصياً كامل نفقات إعمار مسجد ومقام سيدنا جعفر بمحافظة الكرك، وتقدر بنصف مليون دينار أردني، كما نخصص الأموال اللازمة لترميم وصيانة وتطوير مقام ومسجد نبي الله شعيب عليه السلام، ومقام يوشع ".[3]

أما عن القدس ثالث المسجدين، ومهد الرسالة ، ومسرى محمد صلى الله عليه وسلم، فلم تسلم كما لم يسلم غيرها من بلاد المسلمين من مظاهر القبورية، إذ أحاط بالمسجد الأقصى كثير من الأضرحة والقبور المعظمة، فقد ذكرت بعض كتب الآثار عدداً كبيراً من الأضرحة والقبور والترب المعظمة، ووصفوا تشييدها وبناءها منها تربة

---

(١) خمسة أعوام في شرقي الأردن (١٦٣).

(٢) انظر : المصدر السابق نفس الصفحة.

(٣) مقال أضرحة الصحابة الكرام ومقامتهم في الأردن- المجلة الثقافية الأردن، ربيع الثاني، العدد ٣٠- صاحب المقالة /خالد مبارك.

الإخشيديين[1] داخل السور الشرقي للقدس على مقربة من باب الأسباط، لهـذه التربـة سور خارجي يحوي بداخله حديقة تحتل الساحة المكشوفة، والتي تتقدم تراكيب القبـور الرخامية، وذكرت بعض كتب الآثار غيرها كثير.[2]

وإذا أتيت المشرق وجدت الأضرحة المعظمة، المكتظة بالزائرين، ترى الناس مـن حولها ما بين متضرع ومستغيث ومتصدق، ومتمسح بالضريح وساجد له، وكذلك الحال بالسودان وغيرها، وفي السودان في منطقة أبي حراز ا ما يقارب ٣٦قبة.[3]

هذا قليل من كثير في شبكة من الأضرحة ملأت أرجاء العـالم الإسـلامي والله المستعان.

المبحث الثالث

أسباب انتشار القبورية

السبب الأول : الجهل بالدين:

الجهل بالدين آفة عظيمة، ومزلق خطير ، وداء قاتل أوقع من كان قبلنا بالشرك بالله تعالى، فقد ورد في الصحيح عن ابن عباس : " فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدوهم "[4] فقوم نوح عيه السلام عكفوا على قبور قوم صالحين، وصوروا لهم الصور ليكون ذلك ادعى لعبادة الله وهذا بسبب جهلهم، ثم عظم الجهل م حتى عبدوا تلك الصور والتماثيل من دون الله تعالى .

والجهل أوقع العرب بالشرك بالله تعالى قال سبحانه: ﴿ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۝ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِأَبَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ [الكهف ٤ : ٥]. قال شيخ الإسلام : " لأن الغالب عليهم الجهل بالدين ، وأ م يتكلمون بكلام لا يعقلون معنـاه ليس منقـولاً عن الأنبـياء

(١) **منشي التربة محمد الإخشيد**، والإخشيديين حكموا مصر وفلسطين، أنشأت عام ٣٣٤، انظر : القدس مقدسات لا تمحى (١٥٦، ١٥٧).
(٢) انظر : القدس مقدسات لا تمحى (١٥٥- ١٦٦).
(٣) دمعة على التوحيد (٤٢).
(٤) سبق تخريجه. انظر (٢٠).

حتى يسلم لقائله بل هم ابتدعوه ".(1)

ولما بعث عليه الصلاة والسلام، كانت البشرية تعيش في جاهلية جهلاء استحقت مقت الله وغضبه ، فقد ورد في الحديث: (وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربـهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب) .(2)

فبعث الله نبيه بالعلم النافع ليمحو به دياجير الجهل ، قال الله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [الفتح : ٢٨].

والهدى هو العلم النافع ، ودين الحق هو العمل الصالح ،(3) فأخرج الله عز وجل برسوله الناس من الظلمات إلى النور، من ظلمات الجهل والغواية إلى نور العلم والهداية، فلم يزل يدعوهم إلى تحقيق العبودية لله تعالى ، وينذرهم من الشرك حتى دخلوا في ديـن الله أفواجاً ، ثم تغيرت الأحوال عندما غلب الجهل على الناس ، وعندما جهـل النـاس بحقيقة الدين، عظمت القبور عند كثير من العوام وغيرهم ، حتى ظن بعض الناس في أهل القبور أ م يغيثون المستغيث فاستغاثوا م، وتوجهوا لهم بالدعاء "وذلك ما صار يعتقده كثير من العوام وبعض الخواص في أهل القبور من المعروفين بالصلاح من الأحياء(4) مـن أ م يقدرون على ما لا يقدر عليه إلا الله جل جلاله ، ويفعلون ما لا يفعله إلا الله عـز وجل ، حتى نطقت ألسنتهم بما انطوت عليه قلو م ، فصاروا يدعو م تارةً مع الله وتارة استقلالاً".(5)

---

(١) الجواب الصحيح (٢١٩/٢).

(٢) أخرجه مسلم برقم ٢٨٦٥.

(٣) انظر : تفسير ابن كثير (٢٠٣/٤).

(٤) أي عرفوا بالصلاح في حال حيا م.

(٥) الغنية عن الكلام وأهله (١٣).

وقد وصل الجهل ببعض الناس إلى شد الرحل وقطع الفيافي إلى قبر من يعظمه ليدعوه ، أو يدعو عنده، فإذا وصل إلى القبر دخل إليه وقعد عنده، وصلى في المسجد الذي بني عليه تعظيماً لصاحب القبر ، وهذا مما لعن النبي صلى الله عليه وسلم أهل الكتاب على فعله و ى أمته عنه.

ومن جهل القبورية بالدين ، تخليق القبور ، وإسراجها ، والبناء عليها ، ووضع الستر على حيطا ا ، وقصدها للتبرك ا ، وتقبيلها ، والنذر لها وجعل السدنة على أبوا ا، وكل هذه من البدع المحدثة .

والذي أوقعهم بذلك هو الجهل بحقيقة التوحيد ، قال ابن القيم رحمه الله : " فإن قيل فما الذي أوقع عباد القبور في الافتتان ا ، مع العلم بأن ساكنيها أموات لا يملكون لهم ضراً ولا نفعاً ، ولا موتاً ولا حياتاً ولا نشوراً ؟

قيل أوقعهم في ذلك أمور : وهذه الأفعال إنما هي من الشرك بالله تعالى ، وبعضها من الطرق والذرائع الموصلة إليه ، وكل ذلك مما ى عنه الشرع المطهر.

منها الجهل بحقيقة ما بعث الله به رسوله ﷺ ، بل جميع الرسل : من تحقيق التوحيد وقطع أسباب الشرك ، فقل نصيبهم جداً من ذلك ، ودعاهم الشيطان إلى الفتنة، ولم يكن عندهم من العلم ما يبطل دعوته ، واستجابوا له بحسب ما عندهم من الجهل ، وعصموا بقدر ما معهم من العلم ".[1]

ومما أوقعهم بذلك جهلهم بحقوق الله تعالى ، وحقوق أنبيائه عليهم الصلوات والسلام ، إذ أصبح بعض القبورية يذهب للقبور ، وينذر لها لأجل أغراضه الخاصة ، وقضاء حوائجه وهذه من أفعال المشركين ، فإن الله عز وجل قال عن المشركين : ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [العنكبوت:٦٥]

(١) إغاثة اللهفان (٢١٤/١ – ٢١٥).

قال شيخ الإسلام : " إنما يعظمون ر م ويوحدونه ويذكرونه عنـد ضـرور م لأغراضهم، ولا يعرفون حقه إذا خلصهم ، فلا يحبونه ولا يعبدونه ، ولا يشكرونه ، ولا يقومون بطاعته ".[1] وهذا سبب جهلهم بحق الله تعالى ، وكذلك الأمر بالنسبة للأنبياء فهم يطلبون من الأنبياء والصالحين أغراضهم الخاصة وحوائجهم التي يريدو ا ولم يؤدوا إليهم حقوقهم الواردة في نصوص الشرع المطهر . قال شيخ الإسلام رحمه الله تعـالى : "فهم يطلبون من الأنبياء والصالحين ، فإذا أيقنوا أن في زيارة قبر نبي أو صـالح تحـصيل أغراضهم بسؤاله ودعائه وجاهه وشفاعته أعرضوا عن حقه واشتغلوا بأغراضهم، كما هو الموجود في عامة الذين يحجون إلى القبور المعظمة، ويقصدو ا لطلب الحوائج، فلـو أذن الرسول لهم في زيارة قبره ومكنهم من ذلك لأعرضوا عن حق الله الذي يـستحقه مـن الصلاة والسلام عليه والدعاء له، بل ومن جعله واسطة بينهم وبين الله في تبليغ أمره و يه وخبره ، فكانوا يهضمون حق الله وحق الرسول ".[2]

وهذا حال عباد القبور المهم حصول المطلوب ، إذ يطلب حاجته من حيث يظن أنـها تقضى ، فقد يذهب إلى قبر نبي أو رجل صالح أو قبر كافر أو منافق ، قال شـيخ الإسلام ابن تيمية : " وطلبت من طائفة من سياس الخيل قلت : أنتم بالشام ومـصر إذا أصاب الخيل المغل[3] أين تذهبون م ، فقالوا : في الشام يذهب ا إلى قبـور اليهـود والنصارى، وإذا كنا في أرض الشمال يذهب ا إلى القبور التي ببلاد الإسماعيلية كالعليقة والمنفية ونحوهما ، وأما في مصر فيذهب ا إلى دير هناك للنصارى، ونذهب ا إلى قبور هؤلاء الأشراف ، وهم يظنون أن العبيديين شرفاء لما أظهروا أ م مـن أهـل البيـت ، فقلت: هل يذهبون ا إلى قبور صالحي المسلمين مثل قبر الليث بن سعد والشافعي وابن القاسم وغير هؤلاء. فقالوا : لا ، فقلت لأولئك : اسمعوا إنما يذهبون ا إلى قبور الكفار

(١) الإخنائية (١٠٠).

(٢) المصدر السابق (١٠٠).

(٣) **المغل** : مرض البطن ، انظر : لسان العرب (٦٢٦/١١).

والمنافقين، وبينت لهم سبب ذلك. قلت: لأن هؤلاء يعذبون في قبورهم، والبهائم تسمع أصوا م كما ثبت في الحديث الصحيح، فإذا سمعت ذلك فزعت فبسبب الرعب الـذي يحصل لها تنحل بطونه فتروث، فإن الفزع يقتضي الإسهال".[1]

ومن أعظم أسباب انتشار الجهل عند عامة المسلمين اتخاذهم رؤساءً جهالاً ، ليس عندهم علم شرعي ، وقد يكون عندهم بعض العلم ، لكنهم خلطوه بكثير من الباطل ، ولهذا حذر النبي صلى الله عليه وسلم من ترأس الجاهل لمقام الإفتـاء، كمـا ورد في حديث أبي عبد الله بن عمر بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الله لا يقبض العلم انتـزاعاً ينتزعه من الناس ، ولكن بقبض العلماء حتى إذا لم يترك عالماً اتخذ الناس رءوساً جهالاً فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا).[2]

وانظر إلى هذه الدعوة القبورية لسائل جاهل عامي لأحد هـؤلاء الرؤوس قال : "وقد سألني سائل منهم بقوله: يا سيدنا الشيخ أأترك الله وأذهـب لـسيدنا الحـسين ؟ فقلت: في أية جهة تركت الله تعالى فسكت . فقلت : الله خلق الحسين ؟ فقال : الله ، فقلت : ومن أوجد فيه هذه النعمة والمزية التي لا يشاركه فيها غيره ، فقال : الله ، فقلت له : من يعطي سؤلي عنده ؟ فقال : الله ، فقلت له : ومن حببني فيه ورغبني في التوجـه إليه ؟ فقال : الله ، فقلت له : أنا ذاهب إلى مصدر من مصادر نعمة الله التي أوجـدها لعباده في مكوناته ، وأمرهم بالتوجه إليها. وعلى هذا يكون النذر والحج وغيره ".[3]

هذه إجابة هذا الرأس من رؤوس القبورية ، ولو أتى إلى رجل سليم الفطرة حسن العقيدة قال له كما قال الله تعـالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٦] ، لكنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور.

---

(١) تلخيص الاستغاثة (٥٨٨/٢-٥٩٠) .

(٢) البخاري ، كتاب العلم ، باب كيف يقبض العلم ، برقم (١٠٠) ، ومسلم برقم (٢٦٧٣).

(٣) فيض الوهاب (١٤٠/٤).

ولم يقف الأمر عند إصدار الفتاوى لطلا م ومريديهم ، بل تعـداه إلى محاربـة التوحيد وأهله بأنواع المحاربة من بث الشائعات ضدهم ، وتنفير العامة منهم ، واستعداء السلطان عليهم.

قال البكري[1] مستعد الدولة على شيخ الإسلام ، مبيناً سـكو م عـن شـيخ الإسلام بأنه تخاذل عن نصرة الرسول : " ولقد خشيت على كثير من أهل الأقاليم بسبب تقاعدهم عن نصرة الرسول صلى الله عليه وسلم بإهلاكه وإهلاك أمثاله خصوصاً أهـل الدولة وأصحاب الحكم ".[2]

ولا غرابة أن يصدر هذا ممن لا يعرف حقيقة الدين ، فإن من جهل شيئاً عاداه ، هذه الدعوة المستمرة المكثفة من سدنة الأضرحة ، ورؤوس الجهل بالتوحيـد ، أدت إلى انتشار الشرك في عوام المسلمين في كثير من بلاد الإسلام ، ولهذا بنيت مئات الأضـرحة وأقيمت عليها المساجد ، وأهديت لها الهدايا ، وأنيرت قبور المـوتى ، وأهـدي إليهـا الشموع ، وشد الرحال إليها ملايين البشر . وكلما أنعم الله بنعمة على عبد من عبـاده تقرب لصاحب الضريح . قال عبد المنعم الجداوي : "ولقد كنت من كبـار معظمـي القبور ، فلا أكاد أزور مدينة ا أي قبر أو ضريح لشيخ عظيم، إلا وأهرع فوراً للطواف به ، سواء كنت أعرف كراماته أو لا أعرفها ، أحياناً أختـرع لهـم كرامـات، أو أتصورها، أو أتخيلها فإذا نجح ابني هذا العام، كان ذلك للمبلغ الكبير الذي دفعتـه إلى صندوق النذور ، وإذا شفيت زوجتي كان ذلك بسبب الخروف الذي ذبحتـه للـشيخ العظيم فلان ولي الله ... ! ".[3]

وهذا مثال من ملايين الأمثلة التي تحصل عند الأضرحة والقبور؛ إذ يصل أعـداد

---

(١) **البكري** : هو أبو الحسن نور الدين علي بن يعقوب بن جبريل بن عبدالمحسن البكري الشافعي المصري، كان صوفياً يغلب عليه التجلي والانقطاع، مات سنة ٧٢٤هـ. انظر : حسن المحاضرة (٤٢٣/١، ٤٢٤)،

(٢) الاستغاثة في الرد على البكري (١٦٠/١).

(٣) كنت قبورياً (٧-٨).

الزائرين إلى هذه الأضرحة في بعض مناسباتـهم إلى ملايين من البشر " ومولد البـدوي الذي حضره عام ١٩٩٦م حوالي ٣ ملايين زائر ، حسب تقرير الحالة الدينية في مـصر الصادر عن مركز الدراسات الاستراتيجية ".[1]

ولقد نتج عن هذه الدعوات القبورية انقلاب الموازين عند كثير من العامـة؛ إذ أصبح عندهم المنكر معروفاً والمعروف منكراً ، والشرك توحيداً والتوحيد شركاً ، ولهذا لما بدأ المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب دعوته للتوحيد، عاداه كثير من العوام ، بـل أصبح للعوام سوط على العلماء الذين عرفوا الحق ، ولم يجهروا به؛ إذ سكتوا عن بيـان الحق خوفاً من عامة الناس.

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب : " جرى علينا من الفتنة مـا بلغكـم وبلـغ غيركم، وسببه هدم بنيان في أرضنا على قبور الصالحين ، فلما كبر هذا على العامة لظنهم أنه تنقيص للصالحين ، ومع هذا نهيناهم عن دعواهم ، وأمرناهم بإخلاص الـدعاء لله ، فلما أظهرنا هذه المسألة مع ما ذكرنا من هدم البنيان على القبور كبر على العامة جـداً، وعاضدهم من يدعي العلم لأسباب أخر التي لا تخفى على مثلكم ، أعظمها اتباع هوى العوام".[2]

وهكذا بلغ الجهل بأهله فعظموا القبور بأنواع كثيرة من التعظيم وحجب عنـهم نور العلم والهداية ، فضلوا وأضلوا.

السبب الثاني : الاستدلال بالأحاديث المكذوبة والضعيفة:

مما لا جدال فيه ولا مراء أن هناك مئات بل ألوف الأحاديث التي كذبت علـى صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم ، وقد وضع أحد الزنادقة نحو أربعة آلاف حديث، ووضع ثلاثة من المعروفين بالوضع أكثر من عشرة آلاف حديث ، وضعوها لأغـراض

---

(١) دمعة على التوحيد (٤٨).

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب (٢٤/٣).

معينة، وغايات متباينة، منها السياسية، ومنها العصبية، ومنها المذهبية، ومنها التقرب إلى الله بزعمهم، ومنها أحاديث وضعت خطأ دون قصد من بعض المغفلين مـن الـصوفية وضعفاء الحفظ من الفقهاء وغيرهم ، لكن قيض الله لهذه الأمة رجالاً ذبوا عن سنة النبي صلى الله عليه وسلم، وميزوا للأمة بين الصحيح والضعيف، وبين الثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم، والموضوع؛ كما قال عبد الله بـن المبـارك[1]: " هـذه الأحاديـث المصنوعة؟"، أجاب بقوله : " يعيش لها الجهابذة "[2].

والشاهد في ذلك أن أهل الابتداع لما لم يستطيعوا أن يدخلوا في القرآن ما لـيس منه ، أخذوا يزيدون في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومن وضع أحاديث مكذوبة مختلقة القبورية ، إذ وضعوا أحاديث لتعظيم القبور ، وهذه الأحاديث تناقض ما جاء به صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم. ومـن هـذه الأحاديث : (إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور)، وحديث (لو أحسن أحدكم ظنه بحجر لنفعه).

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في مجمل ذكره للأسباب التي أوقعت عباد القبـور بالافتتان فيها: "ومنها أحاديث مكذوبة مختلقة، وضعها أشباه عباد الأصنام: من المقابرية على رسول الله صلى الله عليه وسلم تناقض دينه، وما جاء به كحديث : (إذا أعيـتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور)، وحديث (لو أحسن أحدكم ظنه بحجر لنفعه) وأمثال هذه الأحاديث التي هي مناقضة لدين الإسلام وضعها المشركون، وراجت على أشباههم من الجهال الضلال، والله بعث رسوله بقتل من حسن ظنه بالأحجار ، وجنب أمته الفتنة بالقبور بكل طريق".[3]

---

(١) **عبد الله بن المبارك بن واضح** الحنظلي التميمي مولاهم أبو عبد الرحمن أحد الأئمة الأعـلام ، كـان مـن الحفاظ لم يكن في زمانه أطلب للعلم منه، وكان ثقة عالماً ثبتاً صحيح الحديث ، ت (١٨١) هـ ، انظـر : طبقات الحفاظ (١٢٤/١) ترجمة رقم ٢٤٩ .

(٢) انظر : مقدمة سلسلة الأحاديث الضعيفة (١٦/١).

(٣) إغاثة اللهفان (٢١٥/١).

ومن هذه الأحاديث "من زارني وزار أبي إبراهيم الخليل في عام واحد ضمنت له الجنة ".[1] ومنها " من زارني بعد مماتي فكأنما زارني في حياتي"،[2] ومنها "من حج ولم يزرني فقد جفاني ".[3]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : " ولم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث واحد في زيارة قبر مخصوص ، ولا روى أحد في ذلك شيئاً ، لا أهل الصحيح ولا السنن، ولا الأئمة المصنفون في المسند كالإمام أحمد وغيره ".[4] ثم ساق هذه الأحاديث المذكورة، وقال رحمه الله : " ونحو هذه الأحاديث كلها مكذوبة موضوعة ".[5]

وأول من وضع هذه الأحاديث هم أهل البدع لترويج بدعهم ، والتلبيس على العامة من الروافض وغيرهم ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " وأول من وضع هذه الأحاديث في السفر لزيارة المشاهد التي على القبور هم أهل البدع من الروافض ونحوهم، الذين يعطلون المساجد ويعظمون المشاهد، التي يشرك فيها ويكذب فيها ويبتدع فيها دين لم ينزل الله به سلطاناً ، فإن الكتاب والسنة إنما فيهما ذكر المساجد دون المشاهد"[6]

وهكذا البدعة إذا تمكنت من قلب صاحبها بحث لها عن الحجج ، ولوى لها أعناق النصوص ، وكذب على صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم ليتبوء في النار مقعداً، فقد ورد في حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار ".[7]

---

(١) سيأتي في فصل الزيارة ، قال النووي في المجموع: " وهذا حديث باطل ليس هو مروياً عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يعرف في كتاب صحيح ، ولا ضعيف بل وضعه الفجرة " (٢٠٦/٨).

(٢) الحديث ضعفه البيهقي وقال الذهبي طرقه كلها لينة، انظر : المقاصد الحسنة (٦٤٨)، وكشف الخفاء (٣٤٦/٢-٣٤٨).

(٣) لم يصح. انظر: المقاصد الحسنة (٦٦٩)، قال الصنعاني وابن الجوزي : موضوع. كشف الخفاء (٣٢٠/٢).

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم (٢٩٦/٢).

(٥) المصدر السابق .

(٦) الإخنائية (٣٢) .

(٧) رواه البخاري في كتاب العلم، باب أثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم، برقم١٠٧، وبرقم ١٠٨ ، ١٢٢٩، ورواه مسلم رقم ٢ ، واللفظ له.

السبب الثالث: تلبيس الشيطان على القبورية:

أخذ الشيطان على نفسه إضلال بني أدم وإغوائهم، باتخاذ جميع السبل وشتى الطرق لتحقيق غايته والوصول إلى بغيته، فقد أخبرنا الله تعالى عن مكره وكيده ، بقوله تعالى: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝١٦ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴾ [الأعراف:١٦ ، ١٧] .

قال: قتادة : " آتاك الشيطان يا ابن آدم من كل وجه، غير أنه لم يأتك من فوقك، لم يستطع أن يحول بينك وبين الله " (١)

وكان هم الشيطان الأكبر صرف الإنسان عن التوحيد، وإغراقه في الشرك، يتخذ لذلك طرقاً ويقعد له مقاعد، كما ورد في الحديث عن سبرة بن الفاكه رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " إن الشيطان قعد لابن آدم بطريق الإسلام، فقال: تسلم وتذر دينك ودين آبائك، فعصاه فأسلم فغفر له ، فقعد له بطريق الهجرة فقال له اجر وتذر دارك، وأرضك، وسماءك، فعصاه فهاجر، فقعد بطريق الجهاد فقال: تجاهد وهو جهد النفس، والمال، فتقاتل فتقتل فتنكح المرأة، ويقسم المال فعصاه، فجاهد فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن فعل ذلك فمات كان حقاً على الله أن يدخله الجنة، وإن غرق كان حقاً على الله أن يدخله الجنة ..."(٢)

والشيطان كما أن له مقاعد لابن آدم على طريق الإسلام، فله خطوات يسلكها، ولهذا انا الله تعالى عن إتباع خطوات الشيطان ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ [جزء من آية : النور : ٢١]، ومن خطواته التلطف في الدعوة، فلا يأتي للمسلم فيقول ادعو صاحب القبر أو اسجد له، إنما يأتيه على مراحل، فيدعوهم أولاً

---

(1) إغاثة اللهفان (١٠٣/١).

(2) النسائي، كتاب الجهاد، باب ما لمن أسلم وجاهد، رقم٣٠٨٣، وأحمد برقم١٥٣٩٢ ، قال الألباني: (صحيح)، انظر : صحيح الترغيب والترهيب (١٢٩٩/٢).

للدعاء عند القبر، وقد يستجيب الله لدعوته، لا لأجل القبر وإنما لما قام في قلبه من حرقة وانكسار.

والله يستجيب لدعوة المضطر ولو كان كافراً ، فيظن الجاهل أن للقبر تـأثيراً، ثم ينقله إلى الدعاء به، والإقسام على الله به، ثم ينقله بعد ذلك إلى دعاء صـاحب القـبر، والاستغاثة به.

قال: ابن القيم رحمه الله تعالى : " والمقصود أن الشيطان بلطف كيـده يحـسن الدعاء عند القبر، وأنه أرجح منه في بيته ومسجده وأوقات الأسحار، فإذا تقـرر ذلـك عنده نقله درجة أخرى من الدعاء عنده إلى الدعاء به، والإقسام على الله به، وهذا أعظم من الذي قبله، فإن شأن الله أعظم من أن يقسم عليه أو يسأل بأحد من خلقـه...." إلى أن قال رحمة الله:" فإذا قرر الشيطان عنده أن الإقسام على الله به، والدعاء به، أبلـغ في تعظيمه، واحترامه، وأنجع في قضاء حاجته، نقله درجة أخرى إلى دعائه نفسه مـن دون الله، ثم ينقله بعد ذلك درجة أخرى، إلى أن يتخذ قبره وثناً يعكف عليه، ويوقـد عليـه القنديل، ويعلق عليه الستور، ويبني عليه المسجد، ويعبده بالسجود له، والطـواف بـه، وتقبيله، واستلامه، والحج إليه والذبح عنده، ثم ينقله درجة أخرى إلى دعاء النـاس إلى عبادته، واتخاذه عيداً، ومنسكاً، وأن ذلك أنفع لهم في دنياهم وآخرتهم"[1]

فإذا استجاب الجاهل لدعوة إبليس ، وذهب إلى القبر إما داعياً لله عنده أو داعًيا لله به أو داعياً صاحب القبر استقلالاً، قد يجد الشيطان عنده، فيخبره ببعض المغيبات عنه، ويقضي له بعض حوائجه، وقد يتمثل الشيطان بصورة المقبور فيخرج من القبر فيما يرى هذا الجاهل، ويعانقه ويسلم عليه، فيظن هذا المغرور أن ذلك هو النبي أو الولي المقصود، وهو الشيطان الرجيم. قال شيخ الإسلام ابن تيمية:" والمقصود هنا أن من أعظم أسباب ضلال المشركين ما يرونه، أو يسمعونه عند الأوثان، كإخبار عن غائب، أو أمر يتضمن قضاء حاجة، ونحو ذلك، فإذا شاهد أحدهم القبر انشق وخرج منه شيخ ي عانقـه أو

(1) إغاثة اللهفان (١/٢١٥-٢١٧).

كلمه ظن أن ذلك هو النبي المقبور، والقبر لم ينشق وإنما الشيطان مثل له ذلك، كما يمثل لأحدهم أن الحائط انشق، وأنه خرج منه صورة إنسان ويكون هو الشيطان تمثل لـه في صورة إنسان وأراه أنه خرج من الحائط.

ومن هؤلاء من يقول لذلك الشخص الذي رآه قد خرج من القبر نحن لا نبقى في قبورنا، بل من حين يقبر أحدنا يخرج من قبره ويمشي بين الناس، ومنهم من يرى ذلـك الميت في الجنازة يمشي ويأخذه بيده، إلى أنواع أخرى معروفة عند من يعرفها "[١]

ومن القبورية من يعرف أن هذه من الشيطان، لكن غلب عليه الهـوى ففـضل طريقة الشيطان على طريقة الرحمن، ومن القبورية من لا يعرف أن هذه من الشيطان فيقع في شركه ، وقد يقع في ذلك من أهل الكلام والتصوف والعبادة [٢]

والشاهد أن الشيطان لا يهدأ له بال، ولا يقر له قرار، حتى يصرف الإنسان عن عبادة الله تعالى إلى عبادته، وعن توحيد الله تعالى إلى الشرك به جل وعلا . قال شـيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله تعالى عن تزيين الشيطان لبني الإنسان: "وقد زين الـشيطان لكثير من الناس سوء عملهم، واستزلهم عن إخلاص الدين لله إلى أنواع مـن الـشرك، فيقصدون بالسفر والزيارة : الرجاء لغير الله، والرغبة إليه، ويشدون الرحال : إما إلى قبر نبي أو صاحب، أو صالح ، أو من يظن أنه نبي، داعين له راغبين إليه.

ومنهم من يظن أن المقصود من الحج هو هذا، فلا يستشعر إلا قـصد المخلـوق المقبور ، ومنه من يرى أن ذلك أنفع له من الحج.

ومن شيوخهم من يحج، فإذا دخل المدينة رجع ظن أن هذا أبلغ."[٣]

---

(1) التوسل والوسيلة (٤٨).

(2) انظر : الفتاوى (٢٣٣/٨).

(3) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٣٨٣،٣٨٢).

والمتأمل بحال هؤلاء القبورية، خاصة أولئك الذين وصل الأمر م إلى الـ ذبح، والنذر، ودعاء أصحاب المزارات والقبور والأضرحة، يجد أ م عبدوا الجن والشياطين من دون الله. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "والمشركون الذين وصـ فهم الله ورسوله بالشرك أصلهم صنفان: قوم نوح، وقوم إبراهيم. فقوم نوح كان أصل شركهم العكوف على قبور الصالحين ثم صوروا تماثيلهم ثم عبدوهم ، وقوم إبراهيم كان أصـ ل شركهم عبادة الكواكب والشمس والقمر ، وكل من هؤلاء يعبدون الجن، فإن الشياطين قد تخاطبهم وتعينهم على أشياء، وقد يعتقدون أ م يعبـ دون الملائكـ ة، وإن كـ انوا في الحقيقة إنما يعبدون الجن، فإن الجن هم الذين يعينو م ويرضون بشركهـ م ، قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَهَـٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ۝ قَالُواْ سُبْحَـٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾ [سبأ: ٤٠،٤١].

والملائكة لا تعينهم على الشرك لا في المحيا ولا في الممات، ولا يرضون بـ ذلك، ولكن الشياطين قد تعينهم وتتصور لهم في صور الآدميين، فيرو م بأعينـ هم. ويقـ ول أحدهم أنا إبراهيم ، أنا المسيح، أنا محمد، أنا الخضر، أنا أبو بكر، أنا عمر، أنا عثمـ ان، أنا علي، أنا الشيخ فلان، وقد يقول بعضهم عن بعض هذا هو النبي فلان، أو هذا هـ و الخضر، ويكون أولئك كلهم جناً يشهد بعضهم لبعض، والجن كالإنس، فمنهم الكافر، ومنهم الفاسق، ومنهم العاصي، وفيهم العابد الجاهل، فمنهم من يحب شيخاً فيتزيـ ا في صورته، ويقول أنا فلان، ويكون ذلك في برية ومكان قفر، فيطعم ذلك الشخص طعاماً، ويسقيه شراباً أو يدله على الطريق أو يخبره ببعض الأمور الواقعة الغائبة، فـ يظن ذاـ ك الرجل أن نفس الشيخ الميت أو الحي فعل ذلك، وقد يقول هذا سر الشيخ ، وهذه رقيقته وهذه حقيقته، أو هذا ملك جاء على صورته، وإنما يكون ذلك جنياً "[١]

والشاهد أن الشيطان يجلب بخيله ورجله ليضل الإنسان عن التوحيد، ويوقعه في الشرك، وهذا الذي قام به مع كثير من القبورية.

---

(1) الفتاوى (١/١٥٧) .

السبب الرابع: تلاعب سدنة القبور بالقبوريين حفاظاً على المال والشرف:

إن من الأسباب الصارفة عن الحق حب الشرف والمال والمكانة، فقد ورد في الحديث الذي رواه ابن كعب بن مالك الأنصاري عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه"،[1] فالمنافسة في رياسة أو مال أو توصل إلى عرض من أعراض الدنيا إذا تمكنت من قلب صاحبها أعمته عن الحق ، وصرفته إلى الباطل، ولهذا فإن هرقل[2] عرف الحق ، وعلم بصدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، ولكنه امتنع عن الحق بعدما عرفه ، منعه الجاه والسلطان ، وخوفه على نفسه من قومه فاختار الكفر ومات عليه.[3]

قال الشوكاني في مجمل ذكره للأسباب الصارفة عن الحق بعدما ذكر حب الشرف والمال : " فإن هذا السبب الذي حرف به أهل الكتاب كتب الله المنزلة على رسله ، وكتموا ما جاءهم فيها من البينات والهدى كما وقع من أحبار اليهود ... ".[4]

وبعد ما أصبحت المقابر ليست المقابر على عهد النبوة، إذ تحولت إلى أضرحة معظمة، ومشاهد تشد لها الرحال ، ودور عبادة تصرف عندها كثير من العبادات ، فلم تصبح الزيارة لهذه القبور الزيارة الشرعية الثابتة في السنة النبوية، بل أصبحت زيارة

---

(١) الترمذي ، كتاب الزهد ، رقم ٢٣٧٦، والمسند برقم ١٥٢٢٤ ، ورقم ١٥٢٣٣ ، والدارمي ، كتاب الرقاق، رقم ٢٦١٤، قال الترمذي: حسن صحيح ، قال الشيخ الألباني: حديث صحيح، انظر : جامع الترمذي .

(٢) **هرقل**: هو ملك الروم ، وهرقل : اسمه ، وهو بكسر الهاء وفتح الراء وسكون القاف، ولقبه قيصر ، كما يلقب ملك الفرس : كسرى ونحوه . انظر : فتح الباري (٤٦/١).

(٣) إشارة إلى حديث أبي سفيان رواه البخاري كتاب بدئ الوحي برقم٧ ، ومسلم برقم١٧٧٣ ، وانظر : هداية الحيارى (٦/١).

(٤) أدب الطلب (١٠٦).

مبتدعة لها طقوس ومراسم ، وصار لتلك الأضرحة حجاباً وسدنة، لا يمكن الوصول إلى الضريح إلا عن طريقهم، فعظموا في قلوب رواد هذه الأضرحة، فأعماهم حـب الجـاه والمنـزلة والشرف عن قبول الحق، وبعضهم جاور هذه الأضرحة والقبور ظناً منه أ ـا تكشف ضراً، أو تجلب نفعاً. " فالسدنة الذين عند القبور ونحوهم غرضهم يأكلون أموال الناس بـهم ، وأتباعهم غرضهم تعظيم أنفسهم عند الناس ، وأخذ أموالهم، والـصادق المحض المتدين منهم غرضه أنه إذا سألهم واستغاث م في دفع الشدة أو طلـب حاجـة قضوها له ".[1]

فحافظ سدنة القبور على مكانتهم الزائفة ، وتجار م الكاسدة فنسجوا الحكايات الكثيرة عن أرباب الأضرحـة ، وعظمـوا المقبـ ـورين في قلوب الناس افتراءً وزوراً ، قال ابن القيم يرحمه الله : " ومنها حكايات حكيت لهم عن تلك القبـور : أن فلانـاً استغاث بالقبر الفلاني في شدة فخلص منها ، وفلاناً دعاه أو دعا به في حاجة فقـضيت له، وفلاناً نزل به ضر فاسترجى صاحب ذلك القبر فكشف ضـره ، وعنـد الـسدنة والمقابرية من ذلك شيء كثير يطول ذكره ، وهم من أكذب خلق الله تعالى على الأحياء والأموات ".[2]

ولهذا من قرأ في كتب القوم يجد الغلو المتناهي ، فالمقبور يفعل كل شـيء لمـن قصده من قضاء الحوائج وكشف الكرب والشدائد ، فهذا قبر مجرب لقضاء الحاجـات "وقد أفرد تلميذه الشيخ خليل ترجمته بمؤلف حافل ، ذكر فيه أنه أخبره غير واحد أنـه جرب قبره لقضاء الحاجات "،[3] وهذا قبره يشفي المرضى " وكان على قبره شـجرة

(١) تلخيص الاستغاثة (٥٨٦/٢).

(٢) إغاثة اللهفان (٢١٥/١).

(٣) الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية (٤٦/٣) في ترجمة عبد الله المنوفي .

سدر ، إذا بخر ا محموم ، أو طُلي رأسه بسدرها برئ لوقته فقطعها رجل ، فقتل " ،[1] وهذا ترياق[2] مجرب" مجاب الدعوة يستشف بقبره ، يقول البغداديون : قبر معروف [٣] ترياق مجرب ".[4]

وهذا يخرج من قبره ليرد الحمار إلى صاحبها " وجاء رجل لزيارة قبره فـأوقف حمارته بباب الزاوية، ودخل فزار ، وخرج فلم يجدها فعاد إليه ، فقال : جئتك للزيارة ، فتضيع علي الحمارة ؟ فانشق القبر ، وخرج منه إلى البرية ، وعاد معه الحمارة ، وقال : إذا جئتنا بعد اليوم فقيد حمارتك ولا تتعبنا ، وإلا فلا تأتنا ".[5]

وهذه الحكايات لهذه القبور قليل من كثير وغيض من فيض، ومن قرأ في كتـب القوم وجد أن هذه القبور والأضرحة تتصرف في الكون ، وتشفى المرضـى وتقـضي الحوائج إلى غير ذلك من الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله سبحانه وتعالى، وغالب هذه الحكايات مصدرها سدنة الأضرحة والقبور .

ومن طرق السدنة في المحافظة على مكانتهم ومنـزلتهم في قلوب القبورية إفهام الناس أن لهم اتصالاً بصاحب الضريح ، وأنه يتلقى الأوامر والأسـرار منـه، فـيحكم صاحب الضريح أحكاماً لابد من تنفيذها ، فقد يحكم بالقتل أو النفي أو الضرب. فقـد ورد في ترجمة المناوي[6]: " وله كرامات كثيرة، ومكاشفات شهيرة ، منها : أنه كـان يسمع كلام الموتى، ويكلمهم ويكلمونه".

---

(١) الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية (٥٨/٣) في ترجمة علي بن عمر الأبي .

(٢) **الترياق** : دواء السموم . فارسي معرب . انظر : لسان العرب (٣١/٢).

(3) معروف: هو معروف بن فيروز الكرخي، من موالي علي بن موسى الرضا، من كبار الـصوفية، ت ٢٠٠ وقيل ٢٠١ . انظر : الرسالة القشيرية(٢٦-٢٧).

(٤) الرسالة القشيرية (٢٦).

(٥) الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية (١١١/٣) في ترجمة يوسف العجمي .

(٦) يحيى **بن محمد بن محمد** بن محمد بن أحمد بن مخلوف بن عبد السلام شرف الدين المناوي ، الشيخ العارف ، المكاشف ، المربي . انظر : الكواكب الدرية في ترجمة السادة الصوفية (٢٧٧/٣).

فقد وقع أن أبا الخير النحاس الذي كان انتصب لمُصادرة الناس، حسن للسلطان مصادرة صاحب الترجمة ، وقال إن جِهاته يتحصلُ منها كل يوم مقدار جامكية [١] عدة أمراء، فإذن له السلطان في ذلك، فحضر عنده ، وقال السلطان يسلم عليكم ، ويسألكم أن تقرضوه خمسة عشر ألف دينـار. ولم يكن عنده منها خمسة عشر درهماً، فقال له : يا لطف الله ! وكان من أتباعه رجل متأصل في القرافة [2]بجوار الإمام الشافعي ، يقيم في خدمة الشيخ بياض النهار وآخره يبيت في بيته، فاستدعاه ، وقال له : ادخـل إلى قبـة الإمام ، وقف تجاه وجهه بأدب ، وقل له : خادمك يحيى يعلمك بما نزل بـه ، ومهمـا سمعته من الجواب أحفظه، وارجع به إلي. ففعل الرجل ما أمره به ، فلم يسمع جواباً ولا خطاباً. وكرر ذلك، ولا حس ولا خبر، فلما أصبح دخل على الشيخ فوجده مسروراً ، فقال : ماذا جئت به ؟ قال : لم أسمع شيئاً أصلاً . فقال : وعـزة ربي ، لقـد سمعـت الجواب لك في مجلسي هذا ، وقال لك: قل له بعد خمسة عشر يوماً يأتي إليك بأبي الخير حافياً حاسراً مكتوفاً، وأنت مخير فيه بين ثلاث : القتل ، أو النفي ، أو الضرب. فكان كذلك، غضب السلطان عليه بسبب لم يعلمه الناس ، وأرسله إليه ليفعل به مـا يثبـت عليه، فحكم بنفيه، فنفي ، ولم يزل طريداً شريداً حتى مات " .[3]

وربما أمر السادن بولاية قطر من الأقطار بناء على اتصاله بصاحب الضريح ، قال المقريزي : " زار طلائع[4] وأصحابه من الفقراء الإمام المعصوم سادن مشهد الإمام علي وباتوا هنالك فرأى ابن معصوم في منامه الإمام علي بن أبي طالب رحمه الله وهو يقـول

---

(1) **الجامكية** : مبلغ معلوم تقرره الدولة للرجل عطاء من بيت المال له أجل معين. انظر: الدر المختار (٥١٧/٤).

(٢) **القرافة** : خطة بالفسطاط من مصر ، وقد كانت في عهد ياقوت الحموي مقبرة أهل مصر و ا أبنية جليلـة ومحال واسعة وسوق قائمة ومشاهد للصالحين . انظر : معجم البلدان (٣١٧/٤).

(٣) الكواكب الدرية في ترجمة السادة الصوفية (٢٩٤/٣).

(٤) أبو الغارات طلائع بن زريك، الأرمني الأصل ، كان من وزراء الدولة الفاطمية، كان وزيراً للعاضد والفائز قبله، وكان أديباً شاعراً كريماً ، قتل سنة ٥٥٦هـ . انظر البداية والنهاية (٢٤٣/١٢).

له: قد ورد عليك الليلة أربعون فقيراً في جملتهم طلائع بن زريك من أكبر محبينا ، قل له اذهب فقد وليناك مصر ".[1]

بل هذه القبور والأضرحة يقصدها كبراء القوم للزيارة والتبرك فيخرج لهم سادن الضريح ليبشرهم بالنصر والتمكين ، ولهذا تجد من الطقوس المعمول بها في بعض الدول الإسلامية أن يخرج علية القوم في موالد أحد هؤلاء المقبورين فيأتون للسلام والتبرك ويخضعون ويذلون أنفسهم، ويخرج سادن الضريح مباركاً أولئك الزوار مبشراً لهم؛ لأن صاحب السر أخبره بالنصر والتمكين لهم مشعراً إياهم بمنزلته ومكانته وعلاقته بصاحب الضريح .

ثم إن هذه الحكايات التي ينسجها سدنة الأضرحة لابد من تصديقها ، والذي لا يصدق بهذه الأفعال فعليه الويل والثبور وعظائم الأمور ، وهذا سوط يستعمله السدنة لإضلال العامة؛ لأن النفوس مولعة بقضاء حوائجها ، وكشف كربها. قالوا عن ضريح السيد البدوي ومجيئه بالأسارى : "يعني سيدي أحمد البدوي بعد موته مما أجمع عليه وأطبق عليه الجمع الكثير المتواتر ، وأخبرني من أثق به أنه رأى أسيراً مقيداً وهو نازل يهوي ، وقعد ثلاثة أيام مدهوشاً لا يدري أين هو ، ثم أفاق وقال : إن النصارى لما ضربوني أخذت ولدهم وقتلته فناديت بأعلى صوتي : يا سيدي أحمد يا بدوي أغثني، فإذا يد من الهواء التقفتني فما شعرت إلا وأنا في هذا المكان . ومعلوم أن هذا لا ينكره إلا من طبع على قلبه ، فرأى الباطل حقاً ، ورأى الحق باطلاً لسخافة عقله ، ولضلال فكره نعوذ بالله من زلة عاقل سولت له نفسه الحمقاء، وفكره المختل لقصور علمه وضلال عقله ، وقال في حق أولياء الله ما قال. وقد قال صلى الله عليه وسلم في الأحاديث القدسية المروية عن الله تعالى : (من آذى لي ولياً آذنته بالحرب) ، وذلك كناية عن

---

(١) المقريزي ، نقلاً عن مساجد مصر وأولياؤها الصالحون (٣٩٨/١).

هلاكه والعياذ بالله ومقته، وبعده عن الله عز وجل وعمن اختارهم لحضرته ، ويخشى على من والاهم ، أو أحبهم أو جالسهم ، أن يحدث في قلبه ما طبع به على قلوبهم، فيجب هجرهم في الله ومجانبتهم ". [1] كل هذا لمن لم يصدق الخرافة ، ويؤمن بالكذب، ويعتقد الشرك ويستغيث بالموتى، ثم أكد على مسألة هجر من لم يصدق بهذا إمعاناً في إضلال الناس ، وصرفاً عن الحق وعن دعاته، فنهى عن مجالستهم وحبهم وموالاتهم ، بل أوجب هجرهم في الله ومجانبتهم، لكي لا يسمع هؤلاء العوام إلا دعوة هؤلاء المقابرية وسدنة الأضرحة، حفاظاً على شرفهم ومكانتهم والعطايا والأموال الكثيرة التي تساق إلى هذه الأضرحة. " ويكفي أن تعلم أن ما كان يصل إلى ضريح الجيلاني في السنة من أموال الزائرين يفوق ما تنفقه الدولة العثمانية على الحرمين الشريفين في السنة الواحدة أضعافاً مضاعفة". [2]

هذا بالإضافة إلى النذور والهدايا والأعطيات، والرشوة التي يدفعها زوار الضريح ليشفع لهم عند صاحب السر. ولهذا فسدنة الأضرحة أغنى الناس، [3] بل ربما ينشأ الضريح، لغرض التكسب وأكل أموال الناس بالباطل. فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " حدثني بعض أصحابنا أنه ظهر بشاطئ الفرات رجلان، وكان أحدهما اتخذ قبراً تجبى إليه أموال ممن يزوره وينذر له من الضلال، فعمد الآخر إلى قبر، وزعم أنه رأى في المنام أنه قبر عبد الرحمن بن عوف، وجعل فيه من أنواع الطيب ما ظهرت له رائحة عظيمة ". [4]

ويجمل السيد محمد صديق حسن خان تلاعب سدنة الأضرحة بقوله : " وربما

---

(١) كرامات الأولياء (٦٣ – ٦٤).

(٢) بدع الاعتقاد ، (٢٦٧).

(٣) انظر : دمعة على التوحيد (١٧٣) .

(٤) مجموع الفتاوى (٤٥٩/٢٧).

يقف جماعة من المحتالين على قبر ، ويجلبون الناس بأكاذيب يحكو ا عن ذا ـك الميـ ت، ليستجلبوا منهم النذور، ويستدروا منهم الأرزاق، ويقتنصوا النحائر ، ويستخرجوا مـ ن عوام الناس ما يعود عليهم وعلى من يعولونه، ويجعلوا ذلك مكـ سباً ومعاشـ اً، وربمـ ا يهولون على الزائرين لذلك الميت بتهويلات، ويجعلون قبره بما يعظم في عين الواصـ لين إليه، ويوقدون في مشهده الشموع، ويوقدون فيه الأطياب، ويجعلون لزيارتـ ه مواسـ م مخصوصة ، يجتمع فيها الجمع الجم، فينبهر الزائر ، ويرى ما يملأ عينه وسمعه ، من ضجيج الخلق وازدحامهم وتكالبهم على القرب من الميت، والتمسح بأحجار قـ بره، وأعـ واده والاستغاثة به، والالتجاء إليه وسؤاله قضاء الحاجات ونجاح الطلبات مـ ع خـ ضوعهم واستكانتهم وتقريبهم له نفائس الأموال ونحرهم أصناف النحائر ".[1] و ذا وغيره مـ ن الحيل ساهم السدنة في نشر القبورية في الأمة.

السبب الخامس: اتباع سنن الأمم السابقة :

لما كان من أعظم الأسباب الصارفة عن دين الله تعالى التشبه بالكافرين، فقد أتت الشريعة الإسلامية بالنهي عن ذلك والتحذير منه، كما قال تعـ الى : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[الجاثية: ١٨].

ولهذا وغيره من الأدلة أتى النهي عن مشا ة الأمم الكافرة في العبادات، والأقوال والجهات والهيئات، فقد ينا عن الصلاة عند طلوع الشمس، وعند غرو ا، لأ ا تطلـ ع على قرني شيطان، فيسجد الكفار حينئذ لها، قال صلى الله عليه وسلم: (صـ ل صـ لاة الصبح ثم أقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس، وحينئذ يسجد لها الكفار، ثم صل، فـ إن الصلاة مشهودة محضورة حتى يستقل الظل بالرمح، ثم أقصر عن الصلاة، فإ ـ ا حينئـ ذ

(١) الدين الخالص (٨١/٤).

مشهودة محصورة، حتى تصلي العصر ثم أقصر عن الصلاة، حتى تغرب الشمس، فإنها تغرب بين قرني شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار ..."[1] الحديث .

وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن مشابهة الكفار في صورة العبادة، علماً بأن المؤمن لا يقصد السجود للشمس عن طلوع الشمس وعند غروبها، قال شيخ الإسلام : "ومعلوم أن المؤمن لا يقصد السجود إلا لله تعالى، وأكثر الناس قد لا يعلمون أن طلوعها وغروبها بين قرني شيطان، ولأن الكفار يسجدون لها، ثم أنه صلى الله عليه وسلم نهى عن الصلاة في هذا الوقت حسماً لمادة المشابهة بكل طريق".[2]

إذ أن جنس مخالفة الكفار مقصودة للشارع، لما في مخالفة الكفار من مصلحة ، ومنفعة لعباد الله، ولقد دلّ الكتاب والسنة والإجماع على مخالفة المشركين من اليهود والنصارى والمجوس وغيرهم من الأمم الكافرة، بل إن اليهود فهموا أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بما يخالف ما هم عليه، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه : " أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها، ولم يجامعوها في البيوت فسأل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ ﴾ [البقرة: من : ٢٢٢]، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "اصنعوا كل شيء إلا النكاح" فبلغ ذلك اليهود، فقالوا : "ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه ..."."[3][4] فيتبين لنا أن من مقاصد الشريعة العظيمة مخالفة الكفار في عباداتهم وهديهم وهيئاتهم، ولهذا أتى التحذير من مشابهة من كان

(١) رواه مسلم برقم (٨٣٢).
(٢) اقتضاء السراط المستقيم (٢١٨/١ – ٢١٩).
(٣) مسلم برقم (٣٠٢).
(٤) انظر : اقتضاء السراط المستقيم (١٨٠/١ – ٢٠٧).

قبلنا من الأمم والديانات ، قال صلى الله عليه وسلم : " لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها شبراً بشبر، وذراعاً بذراع ، فقيل يا رسول الله كفارس والروم ، فقال ومن الناس إلا أولئك".[1]

وقال صلى الله عليه وسلم كما في حديث أبي سعيد رضي الله عنه : " لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر ، وذراعاً بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه قلنا : يا رسول الله اليهود والنصارى قال : فمن ".[2]

قال ابن حجر رحمه الله : "والذي يظهر أن التخصيص إنما وقع لجحر الضب لشدة ضيقه ورداءته، ومع ذلك فإنهم لاقتفائهم آثارهم واتباعهم طرائقهم لو دخلوا في مثل هذا الضيق الرديء لتبعوهم ".[3]

وهذه الأحاديث التي وردت عن النبي صلى الله عليه وسلم في إتباع الأمم السابقة متضمنة للإخبار عن وقوع ذلك، والذم لمن يفعل فعلهم. قال شيخ الإسلام : "وهذا كله خرج منه مخرج الخبر عن وقوع ذلك، والذم لمن يفعله، كما يخبر عما يفعله الناس بين يدي الساعة من الأشراط والأمور المحرمات ، فعلم أن مشابهتها اليهود والنصارى، وفارس ، والروم مما ذمه الله، وهو المطلوب ".[4]

والمتأمل في أحوال أمة الإسلام يجد أن كثيراً مما حذر منه النبي صلى الله عليه وسلم وقع في هذه الأمة، من مشابهة المشركين والاقتداء بهم ، قال ابن حجر رحمه الله: " وقد وقع معظم ما أنذر به صلى الله عليه وسلم وسيقع بقية ذلك "،[5] وقد

---

(١) رواه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب : لتتبعن سنن من كان قبلكم برقم (٦٨٨٨).
(٢) رواه البخاري في كتاب الأنبياء، باب : ما ذكر عن بني إسرائيل برقم (٣٢٦٩)، وفي كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة.
(٣) فتح الباري (٤٩٨/٦).
(٤) اقتضاء الصراط المستقيم (١٧٠/١).
(٥) فتح الباري (٣٠١/١٣).

قال ابن حجر، ذلك في زمنه فكيف لو رأى زماننا، بل سيشتد الحال في هذه الأمة متابعة للأمم السابقة كما أخبر صلى الله عليه وسلم حتى يعبد قبائل من هذه الأمـة الأوثـان وتلحق أخرى بالمشركين، كما قال صلى الله عليه وسلم : " ولا تقوم الساعة حتى يلحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتى يعبد فئام من أمتي الأوثان ... ".(1)

ولهذا فإن غلاة القبورية اتبعوا سنن المشركين من اليهود والنصارى وغيره، إذ أن من خصال اليهود والنصارى التي ذمهم النبي صلى الله عليه وسلم عليها تعظيم القبـور واتخاذها مساجد ، والبناء عليها. ورغم نهيه وتحذيره وخشيته إلا أن فئام من أمة محمـد خالفوا أمره واتبعوا سنن الأمم السابقة ، فشيدوا القباب والمساجد على القبور، وسموها مزارات وأضرحة وعتبات مقدسة ومشاهد . "ومن غربة الإسلام أن الذي لعن رسـول الله صلى الله عليه وسلم فاعليه تحذيراً لأمته أن يفعلوه معه صلى الله عليه وسـلم ومـع الصالحين من أمته، فقد فعله الخلق الكثير من متأخري هذه الأمة، واعتقدوه قربـة مـن القربات، وهو من أعظم السيئات، والمنكرات، وما شعروا أن ذلك محادة لله ورسوله".(2)

ومن خصال المشركين العكوف على الأضرحة والقبور ومجاورتها طلبـاً للبركـة وهذه لم تكن من خصال الأمة المحمدية، بل هذه من صفات قوم نوح الذين عكفوا على قبور رجال صالحين من قومهم ثم طال عليهم الأمد فاتخذوا لهم صوراً وتماثيلاً فعبـدوهم من دون الله ، كما ورد في تفسير قوله تعـالى : ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرًا ﴾ [نوح : ٢٣].

فأول ما زين الشيطان لقوم نوح العكوف على صورة صالحيهم ليتذكروا عبـادتهم لله تعالى، ولم يزل بهم حتى عبدوها كما سبق ذكره، وكذلك فعل بسفهاء هذه الأمة، أول

---

(١) سنن أبي داود، باب ذكر الفتن ودلائلها برقم (٨٣٩٠)، سنن الترمذي، باب ما جاء لا تقوم الساعة حتى يخرج كذابون ، برقم (٢٢١٩)، وأحمد برقم (٢٢٤٤٨)، صحيح ابن حبان ، باب ذكر سؤال المصطفى صلى الله عليه وسلم ربه جل وعلا لأمته بأن لا يسلط عليهم عدواً من غيرهم برقم (٧٢٣٨)، والمستدرك ، كتاب الفتن والملاحم رقم (٨٣٩٠)، قال الشيخ الألباني : " حديث صحيح ". انظر: سنن أبي داود (٩٧/٤)، وسنن الترمذي (٤٤٩/٤).

(٢) فتح المجيد (٢٦٢).

ما أشار عليهم بتعظيم المقبورين، ورفع قبورهم والبناء عليهم حفظاً لحقهم ومحبة لهم، ثم بالعكوف عليها، وعبادة الله عز وجل عندها تبركاً ، وتيمناً بتلك البقاع التي فضلت م إذ دفنوا فيها، ثم بعباد م أنفسهم دون الله عز وجل، ثم استرسلوا في تلك العبادة شـيئاً فشيئاً إلى أن أثبتوا للمخلـوق صفات الربوبيـة من التصرف فيما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل، فصار الأمر كما ترى في غالب الأقطار وفي معظم القرى والأمصار

ومن خصال المشركين أ م يتخذون الأصنام وسائط بينـهم وبـين الله تعـالى، وكذلك مشركي هذه الأمة من القبورية يتخذون أصحاب الأضرحة والمزارات وسـائط بينهم وبين الله ، ولهذا يثني صاحب فيض الوهاب على تلك المرأة التي توجهت إلى قـبر السيد البدوي وهي تناديه وتناجيه وتوصيه أن يحفظ زوجها وأولاده ، فلما قيل لها هـل هو ربنا حتى تناجيه بتلك الألفاظ قالت: "طاهر مقرب من الله تعالى يطلب لي منه" [1] ، ومن خصال المشركين الذبح للأصنام والعقر لها، وسوق الذبائح لها ، وهذا حـصل في بعض قبورية هذا الزمن ، وأول من فعل ذلك هم الفاطميون يقول المقريزي : " كانـت لهم ستة موالد ، مولد النبي صلى الله عليه وسلم، ومولد علي بن أبي طالب والحـسن ، والحسين، وفاطمة رضي الله عنهم ، ومولد الخليفة، وكانوا ينحرون عند قـبر الحـسين الإبل والبقر والغنم ". [2]

ومن خصال المشركين الاستغاثة بغير الله تعالى فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى من كشف ضر أو جلـب نفع أو غير ذلك كما قـال الله تعالى : ﴿... فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلاً ﴿٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ ...﴾ [الإسراء : ٥٦-٥٧]. قال طائفة من السلف : "كان أقوام يدعون المسيح وعزيراً

(١) انظر : فيض الوهاب (١٣٣/٦).

(٢) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (٤٢٧/١ ، ٤٩٠) .

والملائكة " فأنزل الله هذه الآية " [1] ، وكذلك القبورية يلجؤون إلى الأضرحة والقبور، يستغيثون ا ويستشفون عندها و ا .

ومن مشا ة الأمم السابقة مشا ة الفلاسفة في زيار م الشركية لقبور معلميهم وأساتذ م، إذ يذهبون إليها يطلبون الفيض منها.[2] إذ أن العقل الفعال يفـيض عليهـا وهي تفيض على زائرها. ومن قبورية هذه الأمة من اتبع سنة هؤلاء وزار أضرحة الأنبياء والأولياء بحثاً عن الفتوحات من صاحب القبر " تختلف أحوال الزائرين في استفاد م من زيار م واستمدادهم من الله بواسطة نبيهم المصطفى ، وحبيبهم النبى صـلى الله عليـه وسلم ، وبحسب استعدادهم في تلقي الفتوحات الإلهية والواردات الربانيـة بواسـطة الحضرة المحمدية".[3]

ومن مشا ة القبورية لأفعال الأمم السابقة التمسح بالقبر وتقبيله وهو من خصال النصارى : "ولا يمسح القبر ولا يقبله ولا يمسه فإن ذلك عادة النصارى ".[4]

وفي العصر الحديث نرى في وسائل الإعلام تعظيم لأضرحة بعض الرموز التي تزار بالمناسبات، ويهدي إليها أكاليل الورود ، وتنطلق منها المناسبات والمسيرات، وكل ذلك ليس من فعل المسلمين، إنما هو من أفعال اليهود والنصارى وغيرهم من الأمم الكـافرة. ولهذا فالكفار من اليهود والنصارى وغيرهم يفرحون بتعظيم المسلمين للقبور، كما قـال الله تعالى : ﴿ وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗ ﴾ [النساء : ٨٩].

ولهذا ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أنه لما قدم إلى القاهرة والتقى ببعض الرهبـان

---

(١) الفتاوى (٦٥/٢٧) .

(٢) انظر : القبورية عند الفلاسفة. انظر (٣٠-٣٤).

(٣) شفاء الفؤاد بزيارة خير العباد (١٢٤).

(٤) المجموع شرح المهذب (٢٧٨/٥)، وانظر: حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح (٤١٢/١) ، ومرقاة المفاتيح (٢١٩/٤).

وناظرهم وبين لهم فساد دينهم وقال لهم : " أنتم مشركون، وبين من شركهم ما هـم عليه من العكوف على التماثيل والقبور ، وعباد ا والاستغاثة ا ، فقال لي نحن ما نشرك م ولا نعبدهم ، وإنما نتوسل م ، كما يفعل المسلمون إذا جاؤا إلى قبر الرجل الصالح ، فيتعلقون بالشباك الذي عليه ونحو ذلك ، فقلت له : وهذا أيضاً من الشرك ، ليس هـذا من دين المسلين ، وإنما فعله الجهال ، فأقر أنه شرك ، حتى إن قسيساً كان حاضـراً في هذه المسألة فلما سمعها قال : نعم ، على هذا التقدير نحـن مـشركون ".[1] فـاليهود والنصارى يفرحون بما يفعله القبورية عند القبور ما يوافق دينهم ، قال شيخ الإسـلام : "وكان بعض النصارى يقول لبعض المسلمين : لنا سيد وسيدة، ولكم سيد وسيدة، لنـا السيد المسيح والسيدة مريم، ولكم السيد الحسين ونفيسة ".[2]

ولهذا كان لليهود والنصارى دور كبير في إيقاع الناس بتعظيم القبـور بطـرق متعددة منها :

١- اختلاط المسلمين بالأمم الكافرة من اليهود والنصارى والـوس والاطلاع إلى ما عندهم من علوم ، وثقافات، والاطلاع على ما بكتبهم، خاصة وأن كثيراً من كتبهم سرى إليها التحريف، فراج كثير من الإسرائيليات المملوءة بالتقديس وتعظيم المقبورين ، مما كان له دور في نشر كثير من عقائدهم عند المسلمين قال شيخ الإسلام : "ولما كانت تلك الأحاديث الإسرائيليات قد كثرت صار بعـض النـاس قـد يـدخل في بعـض خصائصهم".[3] وقد يكون بتأثير أهل الكتاب، وإلقاء الشبه علـى جهـال المـسلمين

(١) الفتاوى (٤٦١/٢٧ – ٤٦٢).

(٢) المصدر السابق (٤٦٢/٢٧).

(٣) تلخيص كتاب الاستغاثة (٥٨٢/٢).

ليوافقوهم على تعظيم الموتى . كما قال شيخ الإسلام : "والنصارى كثيراً ما يعظمـون آثار القديسين منهم، فلا يستبعد أ م ألقوا إلى بعض جهال المسلمين أن هذا قبر بعـض من يعظمه المسلمون ليوافقوهم على تعظيمه ".[1] وقد يكون بتعظيم جهال المـسلمين للقبور التي يعظمها النصارى التماساً للبركة. قال شيخ الإسلام : " وصار كثير من جهال المسلمين ينذرون للمواضع التي يعظمها النصارى، كما قد صار كثير من جهالهم يزورون كنائس النصارى ، ويلتمسون البركة من قسيسيهم ورهابينهم ".[2]

ومن أمثلة ذلك احتفال يقام سنوياً في مصر عند ضريح رجل يهودي اسمه يعقوب أبو حصيرة ، وتأتيه كل عام وفود كبيرة من السياح اليهود من إسرائيل ، وتقام حراسة مشددة لحماية الاحتفال والمحتفلين، فيحتفل به المسلمون واليهود، بل قد يحصل تبـادل الزيارات والحضور للأضرحة والقبور ، فكما أن بعض المسلمين يحضرون لأضرحة اليهود والنصارى، فكذلك القبورية يدعون اليهود والنصارى لزيارة بعض القبور المعظمة عندهم كما كتب على قبر جلال الدين الرومي " صالح للأديان الثلاثة ، المـسلمين واليهـود والنصارى " [3].

٢- ترجمة كتب اليونان : من أسباب تأثر هذه الأمة بالأمم السابقة ترجمة كتب فلاسفة اليونان ، وكانت بداية ترجمة كتب فلاسفة اليونان على يد خالد بن يزيد بـن

(١) الفتاوى (٢٧/٤٦٠).

(٢) تلخيص كتاب الاستغاثة (٢/٥٨).

(٣) انظر : دمعة على التوحيد (٥٢).

معاوية[1] الذي يسمى حكيم آل مروان ، كان له همة في نفسه ومحبـة لعلـوم القـوم، فأحضر جماعة من الفلاسفة فأمرهم بنقل بعض كتب الفلسفة من اليونانية للعربية، وهذا أول نقل في الإسلام[2]، وقد أسهم عدد من خلفاء بني العباس بترجمة كتب اليونان ، إلا أن علوم اليونان ازدهرت في عهد الخليفة المأمون الذي أشرف عليها بنفسه فطلبها مـن ملوك الروم ، وأمر بترجمتها في غاية من الاهتمام، وحث الناس على تعلمهـا، وشـجع الناس على ذلك، وأقبلوا الناس عليها، وافتتنوا ا وأكرم من يأتي ا بالجوائز والـصلات والمناصب العالية.[3] ومما زاد الطين بلة أن أكثر الكتب التي ترجمت إلى العربية هي كتب أرسطو ، وهو أبعد الفلاسفة عن الهدى والحق. قال ابن القيم رحمه الله تعالى : " وقـد حكى أرباب المقالات أن أول من عرف عنه القول بقدم هذا العالم أرسـطو، وكـان مشركاً يعبد الأصنام، وله في الإلهيات كلام كله خطأ من أوله إلى آخره "[4]

أضف إلى ذلك أن الذين قاموا بترجمة هذه الكتب وفرحوا ا هم من النصارى ، إذ بنى الخليفة المأمون بيت الحكمة، وائتمن عليه يحيى بن ماسويه، إلى أن خلف تلميـذه الخصب الشهير حنين ابن إسحاق وكان حنين أشهر مترجم للمؤلفـات اليونانيـة إلى السريانية والعربية دون أدنى شك [5].

---

(١) **خالد بن يزيد بن معاوية** بن أبي سفيان الأمير أبو هاشم الأموي ، كان من نبلاء الرجال ذا علم وفضل وسؤدد من أعلم قريش بفنون العلم ، وكان بصيراً بالطب والكيمياء ، له نظم رائق . انظر : سير أعلام النبلاء (٤١٢/٩).

(٢) انظر : أبجد العلوم (٢٥٢/٢ ، ٢٥٣).

(٣) انظر: رجال الفكر والدعوة في الإسلام (٤٧).

(٤) انظر : إغاثة اللهفان (٢٥٩/٢).

(٥) انظر : تاريخ الفلسفة الإسلامية (٥٨).

وليس بغريب أن يضعوا في هذه الكتب من معتقدا م الباطلـة فيجمعـوا بـين ضلالهم وضلال اليونان، والله المستعان. ولهذا كان التشبه باليونان أعظم أثراً على الأمة من التشبه بأهل الكتاب. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : "ولم يكن قد ظهـر في المسلمين شيء من أثار اليونان والهند، إلى أن عربت بعض كتب هـؤلاء، وحـدث في الناس من التشبه بأولئك ما كان أعظم من التشبه بأهل الكتاب، حتى آل الأمر إلى دولة العبيديين وهم ملاحدة في الباطن أخذوا من مذاهب الفلاسفة والـوس ما خلطوا به أقوال الرافضة فصار خيار ما يظهرون من الإسلام دين الرافضة، وأما في الباطن فملاحدة شر من اليهود".(1)

٣- كان للاستعمار دور في نشر القبورية في الأمة، إذ أن المستعمرين يبحثون عن تحقيق مصالحهم ، ولما كانت القبورية وانتشارها لها أعظم الأثر في خنوع الأمة وضعفها وتعلقها بالخرافات والأوهام، فلا تأخذ بأسباب القوة المعنوية من التوكل على الله تعـالى والاعتماد والائتمار بأمره والانتهاء عن يه، ولا تأخذ بالأسباب المادية من إعداد القوة التي ترهب الأعداء، إذ أن القبورية يعتقدون أن أصحاب الأضرحة والمزارات يقومـون بالدفاع عنهم ، وبقتال الكفار ومحوهم عن بكرة أبيهم ، فإذا كانوا النصارى يحققـون أغراضهم من تعظيم القبور فلماذا لاينشرو ا، خاصة وأن تعظيم الأضرحة دين عند كثير منهم يقول محمد الغزالي: " و ذه المناسبة ، أذكر أن أحد كبار المستشرقين حدثني عـن بعض أساليب الاستعمار في آسيا أن الضرورة كانت تقتضي بتحول القوافل الآتية مـن الهند إلى بغداد عبر تلك المنطقة الواسعة إلى اتجاه جديد للمستعمر فيه غاية، ولم تجد أيـة وسيلة من وسائل الدعاية في جعل القوافل تختاره . وأخيرا اهتدوا إلى إقامـة أضـرحة

---

(١) تلخيص كتاب الاستغاثة (٥٨٢/٢).

وقباب على مسافات متقاربة في هذا الطريق، وما هو إلا أن اهتزت الإشاعات بمن فيها من الأولياء، وبما شوهد من كراما م ، حتى أصبحت تلك الطريق مأهولة عـامرة" [1] ، بل ربما تحركت بعض دول المستعمر حفاظاً على الأضرحة، إما ديناً وإما رغبة في إضلال المسلمين ، وإما لكلا الغرضين. يقول محمد لبيب: " لما قصد الشريف عون الرفيق هـدم قبتها - أي قبة حواء في جدة - فيما هدم من قباب الصالحين بمكة وغيرهـا ، قـام في وجهه قناصل الدول وحالوا بينه وبينها " [2] ، ولهذا ربما دسوا في صفوف المسلمين من يظهر الإسلام ويترقى بين القبورية حتى يصبح سيداً معظماً فيملي عليهم ما يريد، فيضل ويضل .

السبب السادس : الغلو في الصالحين وفي قبورهم:

الغلـو : مجاوزة الحد ، فغلا في الأمر أي جاوز الحد،[3] ولما كان الغلو في الدين من أعظم أسباب الضلال وتبديل دين الله تعالى ، كما حصل لأهل الكتاب الذين قـال الله تعالى فيهم : ﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [المائدة : ٧٧]. فـالله عز وجل ى أهل الكتاب عن الغلو في دينهم وعن اتباع الهوى ، وابتداع البـدع الـتي غيروا فيها شرع المسيح فضلوا من قبل وأضلوا كثيراً من اتباعهم .[4]

وهذا النهي وإن كان لليهود والنصارى ، فإنه ى للأمـة عـن الغلـو. قـال

(١) ليس من الإسلام (١٧٤).

(٢) الرحلة الحجازية (٨١).

(٣) مختار الصحاح (٢٠١/١).

(٤) انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٣٧٧/٢).

الشـيخ عبد الرحمن بن حسن : "والخطاب وإن كان لأهل الكتاب ، فإنه عام يتناول جميع الأمة تحذيراً لهم من أن يفعلوا فعل النصارى في عيسى عليه السلام ، واليهـود في العزير ".[1]

ولهذا جاءت السنة النبوية محذرة من الغلو ، مبينة عواقبـه الوخيمـة في الـدنيا والآخرة وأن هذا الغلو إنما هو سبب هلاك الأمم السابقة، فعن ابن عبـاس رضـي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غداة جمع : " هلم القط لي ، فلقطت له حصيات ، هن حصى الخذف ، فلما وضعهن في يده قال : نعم ، بأمثال هؤلاء ، وإياكم والغلو في الدين ، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين ".[2]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : "هذا عام في جميع أنواع الغلـو في الاعتقـادات والأعمال ".[3]

ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم سد كل الذرائع الموصلة للغلو ، وأغلق أبوا ـا فنهى عن إطرائه خوفاً أن يقال فيه ما قالته النصارى في عيسى عليه السلام، فعـن ابـن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : " لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم فإنما أن عبد الله فقولوا عبد الله ورسوله ".[4]

وكذلك فإن النبي صلى الله عليه وسلم أمر أن ينـزل المنـزلة التي أنزله الله إياها لا غلو ولا جفاء، فعن أنس أن أناساً قالوا يا رسول الله يا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا، فقال صلى الله عليه وسلم : "يا أيها الناس قولوا ببعض قولكم ولا يـستهوينكم

---

(١) فتح المجيد (٢٤٧).

(٢) رواه النسائي ، باب التقاط الحصى برقم (٣٠٥٧) رواه الإمام أحمد (١٨٥١)، وصححه الألباني ، الصحيحة رقم (١٢٨٢).

(٣) اقتضاء السراط المستقيم (٣٢٨/١).

(٤) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب واذكر في الكتاب مريم، رقم (٣٢٦١).

الشيطان أنا محمد بن عبد الله عبد الله ورسوله ما أحب أن ترفعوني فوق منـزلتي التي أنزلني الله عز وجل"[1] وهذا من أعظم حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته ، ألا تغلوا فيه بزيادة أو نقصان ، وإنما ننـزله المنـزلة التي أنزله الله إياه، وهو عبد الله ، ورسوله صلى الله عليه وسلم.

لكن من القبورية من لا يرضى إلا بالغلو والتلبيس على الناس ، فيخلط الحق بالباطل لتقرير باطله، ولهذا يرى أن الإطراء المحرم والغلو المذموم محصور فقط بقول النصارى عن عيسى بأنه ابن الله أو أنه الله ، أو ثالث ثلاثة. "فهم بعض الناس بقوله صلى الله عليه وسلم: لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم ، النهي عن مدحه واعتبار ذلك من الإطراء، والغلو المذموم المؤدي إلى الشرك، وأن كل من مدحه صلى الله عليه وسلم ورفعه عن غيره من عامة البشر وأثنى عليه ووصفه بما يميزه عن غيره فقد ابتدع في الدين، وخالف سنة سيد المرسلين ، وهذا فهم سيئ يدل على قصر نظر صاحبه، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم ى أن يطرى، كما أطرت النصارى ابن مريم ... إلى أن استدل بأبيات من الشعر:

دع ما دعته النصارى في نبيهم	واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم
فإن فضل رسول الله ليس له	حد فيعرب عنه ناطق بفم
فمبلغ العلم فيه أنه بشر	وأنه خير خلق الله كلهم[2]

ويرد هذا الكلام بما يلي :

أولاً – لا أحد من أهل السنة ينهى أن يمدح النبي صلى الله عليه وسلم بما يستحق من المدح كيف لا ؟ وقد مدحه الله وزكاه في سمعه وبصره وقلبه ، وزكاه كله فقال عنه : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم : ٤].

---

(١) مسند الإمام أحمد (١٥٣/٣) برقم (١٢٥٧٣) ، قال الشيخ الألباني: الحديث صحيح، انظر السلسلة الصحيحة (١٠٩٧).

(٢) مفاهيم يجب أن تصحح (٢٠٢).

ثانياً – أن الناس الذين جاؤا إلى النبي صلى الله عليه وسلم لم يقولوا كما قالت النصارى ، أنه هو الله ، أو أنه ابن لله تعالى أو أنه شريك لله عز وجل " وإنما قالوا يا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا " ورغم ذلك اهم النبي صلى الله عليه وسلم . قال البيهقي : " وكان لا يحب المبالغة في الثناء عليه في وجهه تواضعاً لربه عز وجل وكان يقول : لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ...".(1)

وأما قوله : " هذا فهم سيئ ، ويدل على قصر نظر صاحبه وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم ى أن يطرى كما أطرت النصارى ابن مريم؛ إذ قالوا : ابن الله " فهذا الكلام خطير جداً ، بل هو انتقاص من النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ، إذ أن النبي صلى الله عليه وسلم ى أولئك النفر الذين قالوا له : أنت خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا . وهو يفهم قصدهم ويعلم ما قالوا بأ م لم يقصدوا بكلامهم أنه هو الله ، ولهذا نجد أن المالكي في مقولته السابقة لم يسق الحديث كاملاً.

ومن الغلو الذي ى عنه النبي عليه الصلاة والسلام القول بأنه يعلم الغيب والتبرك بقبره ، والتبرك بآثار الصالحين والأنبياء ، وشد الرحال إلى قبورهم ، وطلب الفيض من قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، والاستغاثة به صلى الله عليه وسلم والاستشفاع به، ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم في قبره إلى غير ذلك ، وهذا ما وقع فيه المالكي .(2)

فإذا الغلو الذي ى عنه النبي صلى الله عليه وسلم ليس مقصوراً على غلو النصارى بعيسى عليه السلام ، وإنما كل مجاوزة للمنزلة التي أنزلها الله نبيه غلواً وتنقص للنبي الكريم صلى الله عليه وسلم.

---

(١) شعب الإيمان (١٨٣/٢).

(٢) انظر : شفاء الفؤاد ، والذخائر المحمدية ، ومفاهيم يجب أن تصحح ، وسيأتي كثيراً في باب الشبهات والرد عليها.

وهذا الغلو بالأنبياء والصالحين أدى إلى الغلو في قبورهم حتى صيروها أوثاناً تعبد من دون الله تعالى . فقوم نوح عليه السلام غلو في صالحيهم، فعكفوا على قبـورهم ، وصوروا صورهم ، واتخذوها أوثاناً ، وبنوا عليها الهياكل ثم جعلت أصناماً وعبدت من دون الله تعالى وسموها آلهة وتواصوا على عبادتها وعدم تركها . قال الله عز وجل عنهم ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ [نـــوح: ٢٤]. قال ابن القيم رحمه الله تعالى : "فقد رأيت أن سبب عبادة ودٍ ويغـوث ويعـوق ونسراً واللات إنما كانت من تعظيم قبورهم ثم اتخذوا لها التماثيل وعبدوها "،[1] وكذلك اليهود والنصارى ، ومن أخذ عنهم من العرب؛[2] لأن تعظيم قبور الصالحين والافتتـان بها، وصرف أنواع العبادات عندها أقرب إلى نفوس الناس من الافتتـان بغيرها قال ابن القيم : قال شـيخنا : " فإن الشرك بقبر الرجل الذي يعتقد صلاحه أقرب إلى النفـوس من الشرك بخشبة أو حجر، ولهذا نجد أهل الشرك كثيراً يتضرعون عندها ، ويخـشعون ويخضعون ، ويعبدونهم بقلوبهم عبادة لا يفعلونها في بيوت الله، ولا وقت السحر ، ومنهم من يسجد لها، وأكثرهم يرجون بركة الصلاة عنـدها والـدعاء مـا لا يرجونـه في المساجد"؛[3] ولأن الفتنة في قبور الأنبياء والصالحين عظيمة وهي سبب الشرك في كـثير من الأمم . ولهذا فإن النبي صلى الله عليه وسلم حسم مادة هذه الفتنة بالنهي عن الصلاة في المقبرة ، ولعن اليهود والنصارى الذين اتخذوا القبور مساجد ، ونهيه لأمته عن ذلك ، وسؤاله لربه أن لا يجعل قبره وثناً يعبد، وبيانه أن الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد هم شرار الخلق ، إلى غير ذلك سداً للذرائع الموصلة إلى هذه الفتنة العظيمة.[4]

---

(١) إغاثة اللهفان (١٨٤/١).

(٢) انظر : الباب الأول ، الفصل الأول القبورية في الأمم (١٩-٣٨).

(٣) إغاثة اللهفان (١٨٤/١- ١٨٥).

(٤) انظر : المسلك العلمي (٣٥١-٣٧٢).

إلا أن فئات من هذه الأمة غلت في صالحيها ثم غلت في قبورهم ، فخالفوا أمر نبيه، ولم يمتثلوا لنهيه ، فبنوا عليها المباني الشاهقة ، وطيبوها ، وهيؤها للعاكفين عليها والساجدين لها، والخاضعين عندها ، واستغاثوا ا ، وسألوها المدد ، وشفاء المريض ، وحفظ المسافر ، ورد الغائب إلى غير ذلك مما ينافي ما جاء به صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم.

السبب السابع : دور المتكلمين في تقرير التوحيد :

لاشك أن المتكلمين كان لهم دوراً في نشر مظاهر القبورية من خلال تقريرهم لمفهوم التوحيد؛ إذ أن التوحيد عند المتكلمين الإقرار بأن الله هو الخالق ، القادر على التأثير والاختراع قال الشهرستاني[1] : " وأما التوحيد؛ فقد قال أهل السنة وجميع الصفاتية أن الله تعالى واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته الأزلية لا نظير له، وواحد في أفعاله لا شريك له"[2] .

ولهذا نجد أن المتكلمين استماتوا في تقرير ذلك وإثباته، فقد امتلأت كتبهم في إثبات أن الله هو الصانع ، وأن الحوادث لا بد لها من محدث ، وأن صانع العالم خالق الأعراض والأجساد [3] ، وأغفلوا إفراد الله تعالى بالعبادة، وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى أن هذا مفهوم قاصر للتوحيد، إذ لابد من إفراد الله تعالى بالتوحيد ، بتوحيد الربوبية والألوهية وتوحيد الأسماء والصفات" ، فإن عامة المتكلمين الذين يقررون التوحيد في كتب الكلام والنظر غايتهم أن يجعلوا التوحيد ثلاثة أنواع.

فيقولون هو واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته لا شبيه له، وواحد في أفعاله لا شريك له .

---

(١) **الشهرستاني** : محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني أبو الفتح ، الفقيه المتكلم الأشعري ولد (٤٧٩)، وت (٥٤٨) . انظر : لسان الميزان (٢٦٣/٥)

(٢) الملل والنحل (٤٢/١) .

(٣) انظر : الفرق بين الفرق (٣١٩-٣٢١) .

وأشهر الأنواع الثلاثة عندهم هو الثالث، وهو توحيد الأفعال، وهو أن خـالق العالم واحد، وهم يحتجون على ذلك بما يذكرونه من دلالة التمانع وغيرها، ويظنون أن هذا هو التوحيد المطلوب، وأن هذا هو معنى قولنا: لا اله إلا الله، حتى يجعلوا معنى الإلهية القدرة على الاختراع.

ومعلوم أن المشركين من العرب الذين بعث إليهم محمد صلى الله عليـه وسـلم أولاًلم يكونوا يخالفونه في هذا، بل كانوا يقرون بأن الله خالق كل شيء، حتى أ م كانوا يقرون بالقدر أيضاً وهم مع هذا مشركون، فقد تبين أنه ليس في العالم من ينازع في أصل هذا الشرك؛ ولكن غاية ما يقال إن من الناس من جعل بعض الموجودات خلقاً لغـير الله كالقدرية وغيرهم ، لكن هؤلاء يقرون بأن الله خالق العباد وخالق قدر م، وإن قالوا أ م خلقوا أفعالهم .

وكذلك أهل الفلسفة والطبع والنجوم الذين يجعلون أن بعض المخلوقات مبدعـة لبعض الأمور، فهم مع الإقرار بالصانع يجعلون هذه الفاعلات مصنوعة مخلوقة؛ لا يقولون ا ا غنية عن الخالق مشاركة له في الخلق، فأما من أنكر الصانع فـذاك جاحـد معطـل للصانع كالقول الذي أظهر فرعون .

والكلام الآن مع المشركين بالله المقرين بوجوده، فإن هذا التوحيـد الذي قرروه لا ينازعهم فيه هؤلاء المشركون، بل يقرون به مع أ م مشركون كما ثبـت بالكتـاب والسنة والإجماع.

وكذلك النوع الثاني: وهو قولهم لا شبيه له في صفاته؛ فإنه ليس في الأمم مـن أثبت قديماً مماثلاً له في ذاته، سواءً قال أنه يشاركه، أو قال: أنه لا فعل له، بل شبه بـه شيئاً من مخلوقاته فإنما يشبهه به في بعض الأمور، وقد علم بالعقل امتناع أن يكون له مثل في المخلوقات يشاركه فيما يجب أو يجوز أو يمتنع عليه، فإن ذلك يستلزم الجمـع بـين النقيضين كما تقدم .

وعلم أيضاً بالعقل أن كل موجودين قائمين بأنفسهما فلابد بينهما من قدر مشترك، كاتفاقهما في مسمى الوجود والقيام بالنفس والذات ونحو ذلك، فإن نفي ذلك يقتضي التعطيل المحض، وأنه لا بد من إثبات خصائص الربوبية، وقد تقدم الكلام على ذلك"[1].

ومن هذا التقرير لمفهوم التوحيد انطلق القبورية في تقرير ما هم عليه من تعظيم المقبورين ، فمادام أن الرجل يعتقد أن الله هو الخالق المستقل بالتأثير فهو موحد، حتى لو صرف أنواع من العبادة لغير الله، من دعاء غير الله والاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، والذبح لغير الله، والنذر لغير الله، إلى غير ذلك من الأعمال التي لا ينبغي صرفها لغير الله [2]

المبحث الرابع

دور الشيعة في ظهور القبورية في هذه الأمة

أولاً : تعريف الشيعة لغةً واصطلاحًا :

الشيعة في **اللغة :** الأنصار والأتباع ، والأعوان ، والجماعة .

قال الأزهري[3] : " والشيعة أنصار الرجل وأتباعه ، وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة "[4] .

---

(١) الفتاوى (٣/٩٧-٩٩)

(٢) سيأتي تقرير ذلك كله في في مفهوم التوحيد والشرك عند القبورية .(١٢٦-٢١٤).

(٣) **محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة بن نوح الأزهري** : اللغوي الأديب الهروي الشافعي ، كان رأسًا في اللغة وكان عارفًا بالحديث ، عالي الإسناد ، شديد الورع ، له تصانيف منها تهذيب اللغة ، والتقريب في التفسير . ولد سنة ٢٨٢ هـ ، وتوفي سنة ٣٧٠ هـ ، انظر : معجم الأدباء (١١٢/٥)، وطبقات المفسرين (٨٣/١) .

(٤) تهذيب اللغة (٦/٣) .

وقال الفيروزآبادي : " وشيعة الرجل بالكسر أتباعه وأنصاره . .."[1]

الشيعة اصطلاحًا : عرفت بتعريفات كثيرة سواءً من علماء الشيعة أو من العلماء الذين كتبوا بالفرق ، وقد تفاوتت تلك التعريفات في ضبطها ودلالتها على هذه الفرقة .

فقد عرفها ابن حزم حيث قال : " من قال أن عليا عليه السلام أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأحقهم بالإمامة وولده من بعده ، فهو شيعي "[2] .

ويقول الشهرستاني في تعريفه للشيعة : " الشيعة هم الذين شايعوا عليا عليه السلام على الخصوص ، وقالوا بإمامته نصا ووصية ، إما جليا أو خفيا واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج عن أولاده ، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره ، أو بتقية من عنده ، وقالوا : وليست الإمامة قضية مصلحية تناط باختيار العامة، وينتصب الإمام بنصبهم، بل هي قضية أصولية ، وهو ركن الدين لا يجوز للرسول إغفاله وإهماله ولا تفويضه إلى العامة ، ويجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيص ، وثبوت عصمة الأئمة وجوبًا عن الكبائر والصغائر، والقول بالتولي، والتبري قولاً وفعلاً وعقدًا لا في حال التقية ، ويخالفهم بعض الزيدية في ذلك، ولهم في تعدية الإمامة كلام وخلاف كثير "[3] .

ويعتبر تعريف الشهرستاني من أقرب التعريفات وأكثرها شمولاً لعقائد الشيعة[4] رغم أن الباحث يصعب عليه وضع تعريف جامع مانع شامل للشيعة،

---

(١) القاموس المحيط (٩٤٩) .

(٢) الفصل في الملل والنحل (٣٧٠/١) .

(٣) الملل والنحل (١٤٥/١) .

(٤) انظر : مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة (١٢٤/١) .

وذلك للأسباب التالية :

١ – لكثرة فرقها ، وتباينها فيما بينها. قال عبد القاهر البغدادي :" ثم افترقت الرافضة – بعد زمان علي رضي الله عنه – إلى أربعة أصناف : زيدية ، وإمامية ، وكيسانية ، وغلاة. وافترقت الزيدية فرقًا، والإمامية فرقًا، والغلاة فرقًا، كل فرقة منها تكفر سائرها "[1] .

٢ – كما أنها تختلف فيما بينها في الأصول التي تستقي منها عقيدتها "وهم خمس فرق: كيسانية، وزيدية، وإمامية، وغلاة إسماعيلية، وبعضهم يميل في الأصول إلى الاعتزال ، وبعضهم إلى السنة،[2] وبعضهم إلى التشبيه "[3].

بل إن من غلاتهم من يقر ببعض ما في القرآن وبه شعبة من الإيمان بالجبت والطاغوت، يعظم الفلاسفة، ويأخذ عنهم. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " فإن هؤلاء الإمامية أوتوا نصيبًا من الكتاب إذ كانوا مقرين ببعض ما في الكتاب المنزل، وفيهم شعبة من الإيمان بالجبت وهو السحر والطاغوت وهو ما يعبد من دون الله ، فإنهم يعظمون الفلسفة المتضمنة لذلك "[4] .

٣ – كما أن التشيع أصبح بابًا مفتوحًا على مصراعيه لكل من أراد أن يطعن في دين الإسلام . قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " الرافضة والجهمية هم الباب لهؤلاء الملحدين ، منهم يدخلون إلى سائر أصناف الإلحاد في أسماء الله وآيات كتابه المبين، كما قرر ذلك رؤوس الملحدة من القرامطة الباطنية وغيرهم من المنافقين "[5] . كما قال رحمه الله تعالى عن الباطنية :

---

(١) الفَرق بين الفِرق (١٢) .

(2) ولا يوافق البغدادي أن من الرافضة من هو قريب لأهل السنة أقرب الشيعة وهم رافضة معتزلة.

(٣) الملل والنحل (١٤٥/١) .

(٤) منهاج السنة النبوية (٤٥٢/٣) .

(٥) المصدر السابق (٧/١) .

"وكان من أعظم ما به دخل هؤلاء على المسلمين وأفسدوا الدين هو طريق الشيعة ؛ لفرط جهلهم وأهوائهم وبعدهم من دين الإسلام "[1] .

لهذه الأسباب، يصعب وضع تعريف جامع مانع للشيعة ، ولكن يبقى فيما يظهر أقرب التعاريف لهذه الفرقة تعريف الشهرستاني ، حيث إن جميع فرق الشيعة تعتقد بالإمامة والتقية والعصمة ما عدا بعض فرق الزيدية .

ثانياً : نشأة التشيع:

معرفة نشأة الشيعة أمر مهم يبين لنا أصل هذه الفرقة ومبدأها ومؤسسها والأهداف التي نشأت من أجلها ، وبذلك يعطينا تصورًا واضحًا عن دور هذه الفرقة في نشر القبورية في الأمة .

ظهرت الشيعة في أواخر خلافة عثمان رضي الله عنه وارتبط ظهور الشيعة بـ (عبد الله بن سبأ) المعروف بـابن السوداء اليهودي الحميري، الذي أظهر الإسلام وأبطن الكفر وأثار الفرقة بين المسلمين . قال ابن حزم : "عبد الله بن سبأ الحميري فإنه – لعنه الله – أظهر الإسلام لكيد أهله، فهو كان أصل إثارة الناس على عثمان رضي الله عنه "[2] .

ولم يكن ليقف عند زرع الفتنة بين المسلمين ، بل أراد أن يفسد دين الإسلام، ويضل أهله، وخاصة وإنه كان في يهوديته يقول في يوشع بن نون أنه وصي موسى عليهما السلام ، مثلما قال في علي رضي الله تعالى عنه.[3]

وليس ذلك بغريب على اليهود؛ فقد أفسدوا النصرانية ، وأرادوا أن يفسدوا الإسلام . قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " عبد الله بن سبأ الذي كان

---

(١) منهاج السنة النبوية (٨/١٣) .

(٢) الفصل في الملل (٩١/٢).

(٣) انظر : الفصل (١ / ١٦٤) ، وانظر : فرق الشيعة (٢٢/١) .

يهوديا وأظهر الإسلام، وأراد فساد دين الإسلام كما أفسد بولص [1] دين النصارى"[2] .

بل لقد اعترف بعض علماء الشيعة بيهودية عبد الله بن سبأ ، وإنه كان يقول بأن يوشع بن نون وصي موسى عليهما السلام .

ولم يقتصر نسبته لليهود على كتب السنة ، قال النوبختي[3] : " وحكي جماعة من أهل العلم من أصحاب علي عليه السلام أن عبد الله بن سبأ كان يهودياً فأسلم، ووالى علياً عليه السلام، وكان يقول وهو على يهوديته في يوشع بن نون بعد موسى عليه السلام بهذه المقالة، فقال في إسلامه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم في علي عليه السلام بمثل ذلك ، وهو أول من شهر القول بفرض إمامة علي عليه السلام وأظهر البراءة من أعدائه، وكاشف مخالفيه فمن هناك قال : من خالف الشيعة أن أصل الرفض مأخوذ من اليهودية "[4] .

فعبد الله من سبأ يهودي دخل الإسلام نفاقاً وزندقة ، أبطن الكفر وأظهر الإسلام، للنيل من أهله، ونقل معتقده اليهودي الذي يعتقده في يوشع بن نون إلى الإسلام، وقال بوصاية النبي صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه نكاية في الإسلام وأهله، وكان ذلك أول خطوات إتباع سنة من كان قبلنا كما ورد في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله عليه وسلم : " لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر

---

(1) هو شاؤول اليهودي ولد بطرسوس وتربى في أورشليم، أخذ حظاً وافراً من الفلسفة. كان عدواً لدوداً للنصرانية، ثم دخل في النصرانية ليهدمها من داخلها ، وهو الذي قال بعقيدة التثليث والصلب والفداء. انظر: دراسات في اليهودية والنصرانية (٣٣٧-٣٤١).

(٢) مجموع الفتاوى (٥١٨/٤) ، وانظر : منهاج السنة النبوية (٢٩/١) .

(٣) **الحسن بن موسى النوبختي الشيعي** (أبو محمد) ، المتفلسف صاحب التصانيف، له كتاب الآراء والديانات. وفرق الشيعة والجامع في الإمامة . ذكر بلا وفاة. انظر : سير أعلام النبلاء (٣٢٧/١٥).

(٤) فرق الشيعة (٢٢/٢) .

ضب لدخلتموه ، قالوا يا رسول الله ؟ اليهود والنصارى ؟ قال فمن ؟ "[1] .

ومن خلال هذه العقائد التي يبثها عبد الله بن سبأ وغيره ممن ساروا على آثاره انتشرت عقائد مخالفة لعقيدة التوحيد ، ومن ضمنها تعظيم القبور وأهلها .

ثالثا: طرق الشيعة في نشر القبورية في الأمة

أولا: تمهيد حول غلو الشيعة في الأئمة:

فرق الشيعة فرق غالية في حبها وفي بغضها، وإن كانت تتفاوت فيما بينها في الغلو، علما بأن الغلو هوالسبب الرئيس في نشر مظاهر القبورية ، ومن خلال هذا المبحث سأستعرض بعض مظاهر الغلو عند بعض فرق الشيعة.

فمن فرق الشيعة: السبئية الذين قالوا بألوهية علي بن أبي طالب رضي الله عنه. قال ابن حزم : " فأولهم قوم من أصحاب عبد الله بن سبأ الحميري – لعنه الله – أتوا إلى علي بن أبي طالب ، فقالوا مشافهة: أنت هو . فقال لهم: ومن هو ؟ قالوا : أنت الله . فاستعظم الأمر ، وأمر بنار ، فأججت ، فأحرقهم بالنار ، فجعلوا يقولون وهم يرمون في النار : الآن صح عندنا أنك الله ؛ لأنه لا يعذب بالنار إلا الله .

وفي ذلك يقول رضي الله عنه :

لما رأيت الأمر أمرًا منكرًا أججت ناري ، ودعوت قنبرًا"[2] .

روى البخاري في صحيحه عن عكرمة رحمه الله قال : " أُتي علي ابن أبي طالب بزنادقة، فأحرقهم، فبلغ ذلك ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم؛ لنهي النبي صلى الله عليه وسلم: " لا تعذبوا بعذاب الله "، ولقتلتهم؛

(١) سبق تخريجه.(٧٧).

(٢) الفصل (١٢١/٣)، وانظر: منهاج السنة النبوية (٣٧٠/١) .

لقول النبي صلى الله عليه وسلم : " من بدل دينه فاقتلوه " [1].

وهم هؤلاء السبئية أتباع عبد الله بن سبأ.

ومن طوائف الشيعة من قالت بألوهية الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتعرف بالمحمدية. قال ابن حزم: "وقالت طائفة من الشيعة يعرفون بالمحمدية: أن محمدًا عليه السلام هو الله "[2] .

ومنهم من قالوا بألوهية الأئمة علي رضي الله عنه، والحسن، والحسين، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد "[3] .

بل قالت الخطابية[4] بألوهية جعفر بن محمد، ولبسوا ملابس الإحرام ولبوا باسمه. قال ابن حزم: " وأعلنت الخطابية بذلك نهارًا بالكوفة في ولاية عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس[5] ، فخرجوا صدر النهار في جموع عظيمة في أزر وأردية محرمين ينادون بأعلى أصواتهم : لبيك جعفر ، لبيك جعفر ، قال ابن عياش وغيره : كأني أنظر إليهم يومئذ فخرج إليهم عيسى بن موسى فقاتلوه فقتلهم واصطلمهم[6] "[7] .

وما سبق من القول بألوهية الأئمة هو قول غلاة الشيعة ، والغالية من الشيعة ينقسمون إلى قسمين :

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين ، باب حكم المرتد ، برقم (٦٥٢٤) .

(٢) الفصل (١٢١/٣) .

(٣) انظر : المصدر السابق ، نفس الصحفة . أصحاب المختار بن عبيد الثقفي، قالوا بإمامة محمد بن الحنفية بن علي ومن مذهبهم أنهم يجوزون البدأ على الله ، ويعتقدون ألوهية بعض الأئمة.

(٤) **الخطابية** : أصحاب المختار بن عبيد الثقفي ، قالوا بإمامة محمد الحنفية بن علي بن أبي طالب، ومن مذهبهم أنهم يجوزون البدأ على الله ، ويعتقدون إلهية بعض الأئمة . انظر : الفرق بين الفرق (١١). وانظر : الملل والنحل (١٤٦/١، ١٤٧).

(٥) **عيسى بن موسى بن محمد** بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب وجعله السفاح ولي عهده ، وكان جليلا في اهل بيته . انظر : تاريخ مدينة دمشق (٤٨/٧).

(٦) **اصطلمهم** : استأصلهم وأبادهم (المعجم الوسيط : ٥٢١) .

(٧) الفصل (١٢١/٣) .

قسم أوجبوا الإلهية لغير الله عز وجل فلحقوا بالنصارى واليهود ، وكفروا أشنع الكفر.

وقسم أوجبت النبوة بعد رسول الله لغيره، كالغرابية الذين قالوا : إن محمدًا صلى الله عليه وسلم كان أشبه بعلي من الغراب بالغراب ، وأن الله عز وجل بعث جبريل عليه السلام بالوحي إلى علي فغلط جبريل عليه السلام بمحمد، ولا لوم على جبريل في ذلك لأنه غلط؛ وقالت طائفة منهم: بل تعمد ذلك جبريل وكفروه ولعنوه لعنهم الله[1] .

وفرق الشيعة التي أوجبت النبوة بعد الرسول لبعض الأئمة كثيرة[2] . وهذا الغلو أدى إلى تعظيم الأضرحة والقبور عند عموم فرق الشيعة

وسأخذ فرقة من فرق الشيعة أجعلها مثلا للشيعة وهي الإمامية: هذه الفرقة التي هي من أكبر فرق الشيعة وأكثرها انتشارًا في العالم الإسلامي ، فقد غلت بأئمتها غلوا كبيرًا ؛ لكنه دون غلو السبئية، فقد غلوا بأئمتهم أحياءً وأمواتًا، والذي يتعلق بالموضوع غلوهم بأئمتهم بعد موتهم، ودورهم في نشر القبورية في الأمة وطرقهم في ذلك ، ومن طرق الأمامية في نشر القبورية مايلي :

أولا: تسمية قبورهم بالعتبات المقدسة .

والعتبة لغةً : هي أسكفة الباب، والأسكفة: هي خشبة الباب التي يوطأ عليها، وقد تشمل العتبة خشبة الباب العليا والسفلى ، من محل موطأ القدم، ثم ما لبث العرف أن منح هذه العتبة من أبواب قصور الملوك ومداخل بيوتهم شيئًا من الاحترام ازدادت أهميته بمرور الزمان ، حتى أصبحت بعض بيوت الحكم وقصور الأئمة تقبل عتباتها، قال ياقوت الحموي عن أبواب دار الخلافة

---

(١) انظر : الفصل (١١٧/٣) .

(٢) انظر : المصدر السابق (١١٧/٣ – ١٢٠) .

العباسية: "وعنده باب العتبة التي تقبلها الرسل والملوك إذا قدموا إلى بغداد"[1] .

ومن هذا المفهوم أخذت الشيعة تسمية القبور بالعتبات المقدسة وأخذت كذلك المراسم والطقوس التي تعمل عند أبواب قصور السلاطين لتعمل عند قبور الأئمة والأولياء، " ولما كانت أضرحة الأئمة مقدسة فهم أنوار الله، ورسل الخير وصفوة الخلق طهارة، وعفة وعلمًا، وتقى، كانت أبوابهم وعتباتهم أحق بمثل هذه المراسيم التي اعتبرت فيما بعد طقوس مقدسة ، فأقبل عليها الموالون والعارفون بقدسيتها على ما تعتقد ، وأولوها عناية أكبر وقدسية انبعثت من أعماق نفوسهم وإيمانهم، ثم توسعوا في عرفهم فسموا الأضرحة كلها باسم العتبات"[2]. وبناءً على ذلك تضافرت جهود مثقفي الشيعة ليخرجوا موسوعة في (١٢) مجلدًا لتلك العتبات المقدسة وأحاطوها بأنواع من الأهمية والقداسة، وهي في الأصل قبور لأموات.

ثانيا: تسمية أماكن قبور أئمتهم " حرمًا " :

يدعي الشيعة أن الكوفة حرم، وكربلاء حرم، وقم حرم، ومشهد حرم، وغيرها من أضرحتهم وقبورهم .

فالكوفة عند هؤلاء حرم علي بن أبي طالب، قال المجلسي بالإسناد عن المدائني ، قال : " سمعت أبا عبد الله (ع) يقول : مكة حرم الله، والمدينة حرم رسول الله، والكوفة حرم علي بن أبي طالب (ع)، إن عليا حرم من الكوفة ، وما حرم إبراهيم من مكة ، وما حرم محمد من المدينة "[3] .

وفي كتاب من لا يحضره الفقيه في السلام على قبر علي رضي الله عنه

(١) انظر : موسوعة العتبات المقدسة (٤١/١) .

(٢) موسوعة العتبات المقدسة (٤١/١ – ٤٢) .

(٣) مساجد الكوفة (٣٠) نقلاً عن بحار الأنوار ، مطبعة النعمان، الطبعة الأولى، النجف الأشرف، المؤلف: كامل سلمان الجبوري .

قال : " وتقول عند أمير المؤمنين (ع) ، . . . ودفع عني المكروه حتى أدخلني حرم أخي نبيه وأرانيه في عافية "[1] .

وأما بالنسبة لكربلاء ، فيروون عن الصادق: " إذا أتيت أبا عبد الله الحسين (ع) فاغتسل على شاطئ الفرات ثم البس ثيابًا طاهرة ثم امش حافيًا ، فإنك في حرم من حرم الله عز وجل وحرم رسوله صلى الله عليه وسلم"[2] .

بل يرون أن الله تعالى اتخذها حرمًا آمنًا، ورووا عن علي بن الحسين (ع): " اتخذ الله أرض كربلاء حرمًا آمنًا مباركًا "[3] .

بل يرون أن الله اتخذها حرمًا آمنًا قبل أن يتخذ مكة حرمًا آمنًا ، قال أبو عبد الله: " إن الله اتخذ كربلاء حرمًا آمنًا مباركًا قبل أن يتخذ مكة حرمًا"[4].

بل جعلوا ما حول قبر الحسين حرمًا . فقد رووا عن الصادق : " حرم قبر الحسين عليه السلام خمسة فراسخ من أربعة جوانب القبر "[5] .

وكذلك مدينة قم جعلها الشيعة حرمًا لهم كحرمة مكة والمدينة: " إن لله حرمًا هو مكة، ولرسوله حرمًا وهو المدينة، ولأمير المؤمنين حرمًا وهو الكوفة،

---

(١) من لا يحضره الفقيه (٣٦٦/٢) .

(٢) المصدر السابق (٣٧٣/٢) .

(٣) العتبات المقدسة (٧٩/٨) نقلاً عن ابن الأنوار (١٤٠/٢٢) .

(٤) البحار للمجلسي (٣٣/١٠١) .

(٥) المصدر السابق (٣٧٧/٢) .

ولنا حرم وهو قم[1] ، ستدفن فيه امرأة ولدي تسمى فاطمة ، مـن زارهـا وجبـت له الجنة "[2] .

وكذلك طوس[3] حرم فقد ذكروا عـن حوادثهـا " وفي سـنة ٩٩٦ هــ ـ حاصر طوس عبد المؤمن خان أوزبك ، مدة أربعة أشهر ، وعنـد فتحـه إياهـا قتـل قتلاً عاما ، و ب جميع ما في الحرم الشريف من القناديـل والخـزائن والكتـب"[4]، ويطلقون على عدد كبير من قبـور الأئمـة الحـرم الـشريف ، وكـذلك الـصحن الشريف وهو الذي حول القبر[5] .

والسر الذي جعل الشيعة يجعلون هـذه البقـاع أمـاكن مقدسـة يطلقـون عليها " حرمًا " هو وجـود قبور الأئمة ، وإلا فالكوفـة وكـربلاء ، وقـم وغيرهـا لا مزية لها قبل وجود هذه القبور ا .

ولهذا جعلوا أفضل بقاع الأرض بعد حرم رسـوله ، الكوفـة. فـرووا عـن أبي عبد الله أو أبي جعفر قـال : " قلـت : أي بقـاع الأرض أفـضل بعـد حـرم رسوله ؟ فقال : الكوفة يا أبا بكر ، هـي الزكيـة الطـاهرة ، فيهـا قبـور النبـيين والمرسلين وغير المرسلين والأوصياء والصادقين "[6] .

والكوفة عند هؤلاء روضة مـن ريـاض الجنـة والـسبب في ذلـك قبـور الأنبياء، فرووا عن أبي عبد الله (ع) قال : " الكوفـة روضـة مـن ريـاض الجنـة ،

---

(١) **قم** : بالضم وتشديد الميم وهي كلمة فارسية ، وهي مدينة مستحدثة إسلامية ليس للأعاجم أثر فيها ، أول من مصرها طلحة بن الأحوص الأشعري . انظر : معجم البلدان (٣٩٧/٤)

(٢) البحار (٢٦٧/٢) نقلاً عن مسألة التقريب ٣٠٢ .

(٣) **طوس** : هي مدينة بخراسان ، فتحت في أيام عثمان و ا قبر علي بن موسى الرضا ، و ا قبر هارون الرشيد . انظر : معجم البلدان (٤٩/٤).

(٤) العتبات المقدسة (٢٠٠/١١) .

(٥) انظر : موسوعة العتبات المقدسة(٢٠٠/١١) .

(٦) مساجد الكوفة (٣١) .

فيها قبر نوح وإبراهيم وقبور ثلثمائة نبي وسبعين نبيا وستمائة وصـي ، وقـبر سـيد الأوصياء أمير المؤمنين (ع) "[1] .

وأما كربلاء فهي عندهم أفضل من الكعبة والـسبب في ذلـك مـا تـضمنه أرض كربلاء ، ففي حديث لهم عن أبي عبد الله أنـه قـال : " . . . إن الله أوصـى إلى الكعبة لولا تربة كربلاء ما فـضلتك، ولـولا مـا تـضمنته أرض كـربلاء مـا خلقتك، ولا خلقت البيت الذي به افتخـرت ، فقـري واسـتقري ، وكـوني ذنبًـا متواضعًا، ذليلاً غير مـستنكف ولا مـستكبر لأرض كـربلاء ، وإلا سـخت بـك وهويت بك في نار جهنم "[2] .

وكربلاء عند الشيعة إنما نالت هذا الفضل منذ أن دفـن فيهـا الحـسين فقـد رووا عن أبي عبد الله (ع) قـال : " موضـع قـبر الحـسين روضـة مـن ريـاض الجنة"[3] . بل جعلوها تزهر بين رياض الجنـة ، وتنـادي بأ ـا أرض الله المقدسـة المباركة الطيبة؛ لأنـها تضمنت سيد الشهداء " فإ ا لتزهـر بـين ريـاض الجنـة ، كما يزهر الكوكب الدري بين الكواكب لأهـل الأرض ، يغـشى نورهـا أبـصار أهل الجنة جميعًا ، وهـي تنـادي : أنـا أرض الله المقدسـة الطيبـة المباركـة الـتي تضمنت سيد الشهداء وسيد شباب أهل الجنة "[4] .

ثالثا : الحج إلى الأضرحة والقبـور :

من المعلوم من الدين بالضرورة ، أن الحج لبيت الله الحرام، وهـذا مـا دلـت عليه الأدلة من الكتاب والسنة وأجمعت عليه الأمة سلفها وخلفها .

---

(١) مساجد الكوفة (٣٥) .

(٢) ا لبحار للمجلسي (٢٦٧/١٠٢) .

(٣) كتاب من لا يحضره الفقيه (٣٧٧/٢) .

(٤) ا لبحار للمجلسي (١٤/٢٢) نقلاً عن موسوعة العتبات المقدسة (٧٩/٨) .

إلا أن الشيعة الذين غلوا بقبور الأئمة قد قرروا ورغبوا في الحج إلى القبور والأضرحة، ولم تكن هذه الفعلة الشنعاء حديثة عهد، بل إنها قديمة قادهم إليها عالمهم النعمان[1] الملقب بالمفيد إذ صنف كتابًا في مناسك

حج المشاهد[2]، فضل العبادات في هذه المشاهد على العبادات المشروعة في المسجد الحرام ، ملأه من الكذب والشرك ، ما هو من جنس شرك النصارى[3] ، وجعل فيه قبور المخلوقين ، وبيوت الموتى كبيت الله الخالق الحي القيوم .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " حتى رأيت كتابًا كبيرًا صنفه بعض أئمة الرافضة (محمد بن النعمان الملقب بالمفيد) سماه (الحج إلى زيارة المشاهد) ، ذكر فيه من الآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم وأهل بيته وزيارة هذه المشاهد والحج إليها ما لم يذكر في الحج إلى بيت الله الحرام "[4] .

والشيعة منذ ذلك الوقت إلى الوقت الحاضر يسمون زيارة الأضرحة والقبور حجا، لأن ما يحصل عند تلك الأضرحة والقبور تجاوز حد الزيارة؛ ولذلك قالوا : " وإن شعائر الحج إلى الضرائح القدسية المنورة بتلك الأجساد الطيبة والهياكل الملكوتية ومناسك الزيارة للمشاهد المشرفة بمضاجع أمناء الله على وصيه وودائع سره لمن أفضل ما ندب إليه الأئمة الأطهار "[5] .

---

(١) **محمد بن النعمان العكبري** ، أبو عبد الله ، الملقب بالمفيد ، أحد شيوخ الإمامية ، رافضي انتهت إليه رئاسة المذهب في زمانه ، ولد سنة ٣٣٦ ، ومات سنة ٤١٣ هـ ، اسم كتابه ((مناسك حج مشاهد الأبرار لمن عني إليهم من المقيمين والزوار)) انظر: سير أعلام النبلاء (٣٤٤/١٧) ، والنجوم الزاهرة (٢٥٨/٤) ، شذرات الذهب (١٩٩/٣) .

(٢) انظر : الإخنائية (١٥٥) .

(٣) انظر : منهاج السنة النبوية (٤١٩/٣) ، وتلخيص الاستغاثة (١٦٦/١) .

(٤) مجموع الفتاوى (٥١٧/٤) .

(٥) الأنوار اللامعة في شرح الزيارة الجامعة (١٧) .

ولذلك ألف في زيارات المشاهد الكتب والأبواب ، ففي كتاب بحار الأنوار للمجلسي كتاب المزار في ثلاثة مجلدات، وفي كتاب ما لا يحضره الفقيه عدة أبواب عن زيارة المشاهد والقبور وفضلها.

بالإضافة إلى الرسائل الكثيرة في الأدعية والأذكار عند كل ضريح " وقد أثبت أحد شيوخ الرافضة أن ما صنف شيوخهم في المزار والمناسك والآداب والأدعية عند تلك الأضرحة أكثر من ستين كتابًا "[1] .

ومن الآداب التي يراعيها الحاج إلى هذه القبور ما يلي :

١ – أن يغتسل الزائر قبل الشروع في الزيارة .

٢ – أن يلبس أحسن وأنظف ما عنده من الثياب .

٣ – أن يتطيب ما وسعه من الطيب .

٤ – أن يمشي على سكينة ووقار غاضا من بصره. وواضح ما في هذا من توقير للحرم والزيارة وتعظيم للمزور .

٥ – أن يكبر يقول : " الله أكبر " ويكرر ذلك ما شاء .

٦ – وبعد الفراغ من الزيارة للنبي أو الإمام ، يصلي ركعتين على الأقل، ويهدي ثواب الصلاة إلى المزور .[2]

وذكروا دعاءً خاصا لكل ضريح ملؤوه غلوا وتعديًا ، كما نصوا على الصلاة عند القبر ، فعند قبر علي رضي الله عنه " تصلي عنده ست ركعات تسلم في كل ركعتين ؛ لأن في قبره عظام آدم ، وجسد نوح ، وأمير المؤمنين عليهم السلام ، فمن زار قبره فقد زار آدم ونوحًا وأمير المؤمنين عليهم السلام

(١) الذريعة إلى تصانيف الشيعة نقلاً عن أصول مذهب الشيعة (٤٦٧/٢) .

(٢) انظر : عقائد الإمامية (١٣٥- ١٣٩) .

فتصلي لكل زيارة ركعتين "[1] .

ويصلي الزائر لقبور الأئمة عند رؤوسهم؛ ما عدا موسى بن جعفر ، والسبب في ذلك: " ولا تصل عند رأس موسى عليه السلام؛ فإنه يقابلك قبور قريش ، ولا يجوز اتخاذها قبلة إن شاء الله "[2]، والمفهوم أن قبور الأئمة يجوز اتخاذها قبلة ويصلى إليها إلا قبر موسى بسبب مقابلة قبور قريش للمتوجه له، ولا يجوز اتخاذ قبور قريش قبلة .

ثم في ختام هذه المناسك للأضرحة والقبور يجعل آخر عهده بها الوداع، فهناك وداع لقبر علي ، ووداع لقبر الحسن والحسين ، ووداع لقبور الأئمة[3] .

فالمتتبع لهذه المناسك يجد أنها تضاهي الحج إلى بيت الله الحرام فهناك آداب قبل الزيارة وأثنائها وبعدها .

بل جعلوا الحج لهذه المناسك أفضل من الحج لبيت الله الحرام. رووا أن رجلاً أتى عبد الله فقال له : " إني قد حججت تسع عشرة حجة فادع الله أن يرزقني تمام العشرين ، فقال : هل زرت قبر الحسين (ع) ؟ قال : لا . قال : لزيارته خير من عشرين حجة "[4] .

وإذا كان أهل الإسلام يرون أن الحج عرفة ، وأن الله تعالى يباهي بعباده الملائكة ويغفر الله تعالى لمن شاء في ذلك الموقف، فإن الشيعة تقول إن الله ينظر إلى زوار قبر الحسين قبل النظر إلى أهل الموقف ، كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبًا.

---

(١) من لا يحضره الفقيه (٣٧٣/٢) .

(٢) المصدر السابق (٣٧٩/٢) .

(٣) انظر: المصدر السابق (٣٧٠/٢ ، ٣٧٥ ، ٣٨٢) .

(٤) الوافي (م٢/ج٢١٩/٨) نقلاً عن مسألة التقريب (٣٠٢/١).

فرووا عن أبي عبد الله:[١] " إن الله يبدأ بـالنظر إلى زوار قـبر الحـسين بـن علي (ع) قبل نظره إلى أهـ ـل الموقـف " ؛ قال الـ ـراوي : وكيـف ذلـك؟ قال أبو عبد الله – كما يزعمـون – لأن في أولئـك أولاد زنـا؛ ولـيس في هـؤلاء أولاد زنا"[2].

بل من حضر عرفة عند قبر الحسين – عند هؤلاء الـشيعة – فكأنمـا حـضر عرفة في الموقف مع المسلمين حجاج بيت الله . قال الـصادق : " مـن حـضر عنـد قبر الحسين فقد شهد عرفة "[3] .

بل يحصل لمن عرف عند قبر الحسين – على رأيهـم – مـن الأجـر أضـعافًا مضاعفة لمن عرف في عرفة ووقف في الموقـف ، فعـن الـصادق : " مـن زار قـبر الحسين يوم عرفة كتب الله له ألف حجة مع القائم (ع)؛ وألف ألـف عمـرة مـع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعتق ألف ألف نسمة، وحمـل ألـف ألـف فـرس في سبيل الله، وسماه الله عبدي الصديق آمـن بوعـدي ، وقالـت الملائكـة : فـلان الصديق، وزكاه الله من فوق عرشه "[4] .

بل إن هؤلاء الرافضة ينتظرون اليوم الذي يقتلـع فيـه الحجـر الأسـود مـن موضعه في الكعبة لينصب في مسجد الكوفة. فقد رووا عـن علـي رضـي الله عنـه أنه قال : " يا أهل الكوفة لقد حباكم الله بما لم يحب بـه أحـد، ففـضل مـصلاكم

(1) أبو عبدالله هو جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ولد سنة ٨٠هـ،. وتدعي الشيعة أنه أحد الأئمة الاثنى عشر ولم يكن الرجل على طريقتهم ، مات سنة ١٤٨هـ . انظر سير أعلام النبلاء (٢٦٩/٦)، والبداية والنهاية (٣٠٩/٩).

(٢) الوافي (م٢/ج٢٢٢/٨) نقلاً عن مسألة التقريب (١ : ٣٠٣).
مفهوم أولاد الزنا عند الشيعة : هم غير الشيعة من المسلمين ، انظر: مسألة التقريب ص ٣٠٣ .
في الكافي عن أبي جعفر قال : والله إن الناس كلهم أولاد بغايا ما خلا شيعتنا . الكافي كتاب الروضة (١٣٥) ، وعقد المجلسي في البحار بابًا لهذا الاعتقاد (٢٣٧/٧) .

(٣) الوافي (م٢/ج٢٢٢/٨) نقلاً عن مسألة التقريب (١ : ٣٠٣).

(٤) المصدر السابق (١ : ٣٠٣).

وهو بيت آدم وبيت نوح، وبيت إدريس ومصلى إبراهيم ، ومصلى أخي الخضر، ومصلاي – إلى أن قال – ولا تذهب الأيام حتى ينصب الحجر الأسود فيه ... "[1] .

ولعل هذا النص وأمثاله من دوافع الاعتداء الآثم من قبل القرامطة على بيت الله العتيق في سنة ٣١٧ هـ وقلع الحجر الأسود ، وقد ورد في بعض كتب الرافضة أنه نقل إلى مسجد الكوفة "حيث نقلوا الحجر من مكة إلى الكوفة ونصبوه في المسجد، وكان فيه مدة مديدة "[2] .

وقد ذكر ابن كثير في أحداث سنة ٣٣٩ قال رحمه الله تعالى:" هذه السنة المباركة في ذي القعدة منها رد الحجر الأسود المكي إلى مكانه في البيت، وقد كان القرامطة أخذوه في سنة سبع عشرة وثلثمائة كما تقدم، وكان ملكهم إذا ذاك أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الحسين الجنابي[3]، ولما وقع هذا أعظم المسلمون ذلك، وقد بذل لهم الأمير بجكم التركي خمسين ألف دينار على أن يردوه إلى موضعه فلم يفعلوا، وقالوا: نحن أخذناه بأمر فلا نرده إلا بأمر من أخذناه بأمره، فلما كان في هذا العام حملوه إلى الكوفة، وعلقوه على الأسطوانة السابعة من جامعها ليراه الناس، وكتب أخو أبي طاهر كتاباً فيه إنا أخذنا هذا الحجر بأمر، وقد رددناه بأمر من أمرنا بأخذه ليتم حج الناس ومناسكهم، ثم أرسلوه إلى مكة بغير شيء "[4]

رابعا : تعمير الأضرحة والقبور:

---

(١) مساجد الكوفة (٣٣) نقلاً عن كتاب الأمالي (بحار الأنوار) ، والوافي ، باب فضل الكوفة ومساجدها (٢١٥/٨) .

(٢) مساجد الكوفة (٧٣) .

(٣) **أبو طاهر سليمان القرمطي الجنابي الأعرابي** الزنديق الذي سار إلى مكة ، واستباح الحجيج، واقتلع الحجر الأسود وردم زمزم . انظر سير أعلام النبلاء (٣٢٠/١٥).

(٤) البداية والنهاية (٦٣/١١) .

تعمير الشيعة للأضرحة والقبور ناشىء من اعتقادهم بأفضلية ذلك، وأنه من القربات العظيمة؛ لأن الأضرحة في اعتقادهم لها حرمة المساجد وزيادة. "إن للمشاهد المشرفة حرمة المساجد وحكمها لاشتمالها على فائدتها، مع زيادة الشرف "[1] .

بل يفتخر الشيعة بتعمير الأضرحة والقبور ويجعلون ذلك ميزة لعقيدتهم ، "ومما امتازت به الإمامية العناية بزيارة القبور (قبور النبي والأئمة (ع) وتشييدها وإقامة العمارات الضخمة عليها، ولأجلها يضحون بكل غالٍ ورخيص عن إيمان وطيب نفس "[2] .

فتعمير الأضرحة والقبور عقيدة تعتقدها الشيعة، بل يلوون أعناق النصوص للاستدلال لذلك ، إذ يرون البيوت التي أذن الله أن ترفع هي قبور أئمتهم؛ فقد ورد في تفسير قوله تعالى – عندهم – ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ﴾ [النور:٣٦]. " تصريح بأن المراد فيها بيوت الأئمة، ويدل على ذلك ما رواه القمي عن الباقر هي بيوت الأنبياء وبيت علي "[3] .

ولقد كذبوا على النبي صلى الله عليه وسلم إذ قالوا : " إن النبي لما قرأ هذه الآية سئل : أي بيوت هذه ؟ قال : بيوت الأنبياء ، فقام أبو بكر فقال : يا رسول الله هذا البيت منها ، وأشار إلى بيت علي وفاطمة ، قال : نعم من أفاضلها"[4] .

بل يرى الشيعة أن تعمير القبور من أفضل الطاعات والقربات ، فيحصل

---

(١) عمدة الزائر في الأدعية والزيارات (٢٥) .

(٢) عقائد الإمامية (١٣٣) .

(٣) عمدة الزائر في الأدعية والزيارات (٢٥) .

(٤) عمدة الزائر في الأدعية والزيارات (٢٥).

من يعمر قبور الأئمة على شفاعة الرسول عليه الصلاة والسلام ، ويرد حوض النبي صلى الله عليه وسلم ، ويزور النبي عليه الصلاة والسلام بالجنة وغير ذلك من الفضائل . فقد رووا " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للحسين: والله لتقتلن بأرض العراق وتدفنن بها . قلت : يا رسول الله وله من زار قبورنا وعمرها وتعاهدها ؟ فقال لي : يا أبا الحسن إن الله جعل قبرك وقبر ولدك بقاعات من بقاع الجنة وعرصة من عرصاتها، وإن الله جعل قلوب نجباء من خلقه وصفوة من عباده تحن إليكم، وتحمل المذلة والأذى فيكم، فيعمرون قبوركم، ويكثرون زيارتها، تقربًا منهم إلى الله ومودة لرسول الله ، أولئك يا علي المخصصون بشفاعتي والواردون حوضي ، وهم زواري غدًا في الجنة ، يا علي من عمر قبوركم وتعاهدها فكأنما أعان سليمان بن داود على بناء بيت المقدس . . . "[1]

فإذًا تعمير الأضرحة والبناء عليها في اعتقاد الشيعة أنها قربة من القربات وطاعة من أعظم الطاعات ، ثم إنهم شيدوا القباب الشاهقة الارتفاع وزينوها بأغلى وأجمل أنواع الزينة ، وفرشوا ما حول القبور بأغلى الفرش ، وأناروا تلك القباب بقناديل الذهب والفضة ، وجعلوا على أبواب القبور الحجاب والخدم ، وسموا ما حول القبور روضة . ففي وصف قبر علي بن أبي طالب رضي الله عنه في النجف " والروضة المقدسة التي وسطها القبر الشريف ، مربعة الشكل، طول ضلعها ثلاثة عشر مترًا، وأرضيتها مفروشة بالرخام الإيطالي المصقول ، والجدران على علو حوالي المترين ، مغطاة بالرخام ذي اللون البديع ، وما يعلو تلك الصخور فقد كسيت الجدران جميعًا بالمرائي الملونة والزخارف الهندسية البديعة وبالفسيفساء ذات الأشكال الجميلة . . . إلى أن قال : " وفي وسط الحضرة القبر الشريف الذي ضم البدن الطاهر وقد وضع عليه صندوق من

---

(١) المصدر السابق (٣٦) .

الخشب الساج المرصع بالنقوش عليه بعض الآيات القرآنية . . . "[1]

وأما القبة التي نصبت على القبر فقد قالوا عنـها : " وتعلـو القـبر الـشريف قبة جميلة واسعة مرتفعة من قاعدة الروضة المقدسة إلى ٣٥ متـرًا ، ومحـيط قاعـدها ٥٠ متراً ، وقطرها حوالي ١٦ مترًا ، وللقبة شباكًا ، وهـي مزينـة بالقيـشاني ومـا تحت الشبابيك بحوالي المتر ، زينت بأشكال مختلفة من المرايا البديعة "[2] .

ما ذكرت قليل من كثير يخص القبـة والروضـة ، ناهيـك عـن الإيوانـات والأبواب المسبوكة من الذهب والفضة حول القبر ، إلى غير ذلك .

علمًا بأن البناء حول القبور كما مر معنا عقيـدة لـدى الـشيعة يعتقـدوها، وذلك في جميع قبور الأئمة، قد بنوا عليها البنايـات العظيمـة .[3] ولم يقفـوا عنـد هذا الحد، بل وصلوا إلى محذور آخر وهو تـصوير صـور أئمتـهم ، يعظمونـها، ويصرفون لها أنواعًا من العبـادة ". وكـذلك الحـال بالنـسبة للرافـضة فإنـهم يصورون صور الأئمة، ويعظمونـها، بل ويسجدون لهـا ولقبـورهم ومـا جـرى مجرى ذلك "[4] .

وقد اشتهر نـصب الـصور والنقـوش في مـساجد الـشيعة المقامـة علـى الأضرحة، ففي وصف ضـريح فاطمـة بنـت موسـى الكـاظم " ثم خرجنـا إلى الصحن فرأينا حجرات فيها قبور الملوك القاجاريين، وبينهم رأينـا فيهـا قـبر محمـد قاجار، وفتحعلي شاه، وعليهما صـفيحتان مـن المرمـر الـشفاف عليهمـا صـور ملائكة ذات أجنحة، وعلى قبر فتحعلي صورته منحوتة في المرمـر، وقـد رأينـا مـن قبل في النجف الأشرف في مسجد الإمام علي قـبرًا آخـر للقارجـايين علـى هـذه

(١) موسوعة العتبات المقدسة (٩٥/١ – ٩٦) .

(٢) المصدر السابق (٩٦/١، ٩٧) .

(٣) انظر : موسوعة العتبات المقدسة (١٢ مجلدًا) .

(٤) مختصر التحفة الإثنى عشرية (٢٩٩) .

الشاكلة، ولست أعرف في القبـور الإسـلامية قبـور عليهـا صـور غـير هـذه القبور"[1] .

فكأنما علم الشيعة بحديث النبي عليه الصلاة والسلام عن شـرار الخلـق يـوم القيامة الذين إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قـبره مـسجدًا ، وصـوروا فيـه تلك الصور، فقالت الشيعة: نحن لـذلك. فبنـوا علـى القبـور وصـوروا عليهـا التصاوير . إ ا لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور .

بل انتشرت الصور والنقـوش الآدميـة والحيوانيـة في كـثير مـن المـساجد والأضرحة " أما النقوش والـصور الحيوانيـة فموجـودة في كـثير مـن المـساجد والأضرحة الإيرانية المشيدة في القرن الثامن الهجري "[2] .

بل أسسوا الجمعيات المؤيدة من علمـائهم لنـشر القبوريـة في العـالم حـتى تعالت صيحات الرافضة مطالبة بإعمـار أضـرحة البقيـع ، ووضـعوا المقترحـات لذلك وسعوا سعياً حثيثاً لتحقيق مايريدون. نـسأل تعـالى أن يحفـظ دينـه ويعلـي كلمته ويردهم خائبين ومن مقترحتهم لهذا العمل المشين مايلي :

"هناك مقترحات عديدة تـساهم في بنـاء بقيـع الغرقـد وتمهـد الأرضـية لذلك، منها:

١ - تأسيس منظمة حقوقية عالمية خاصة ببناء البقيع.

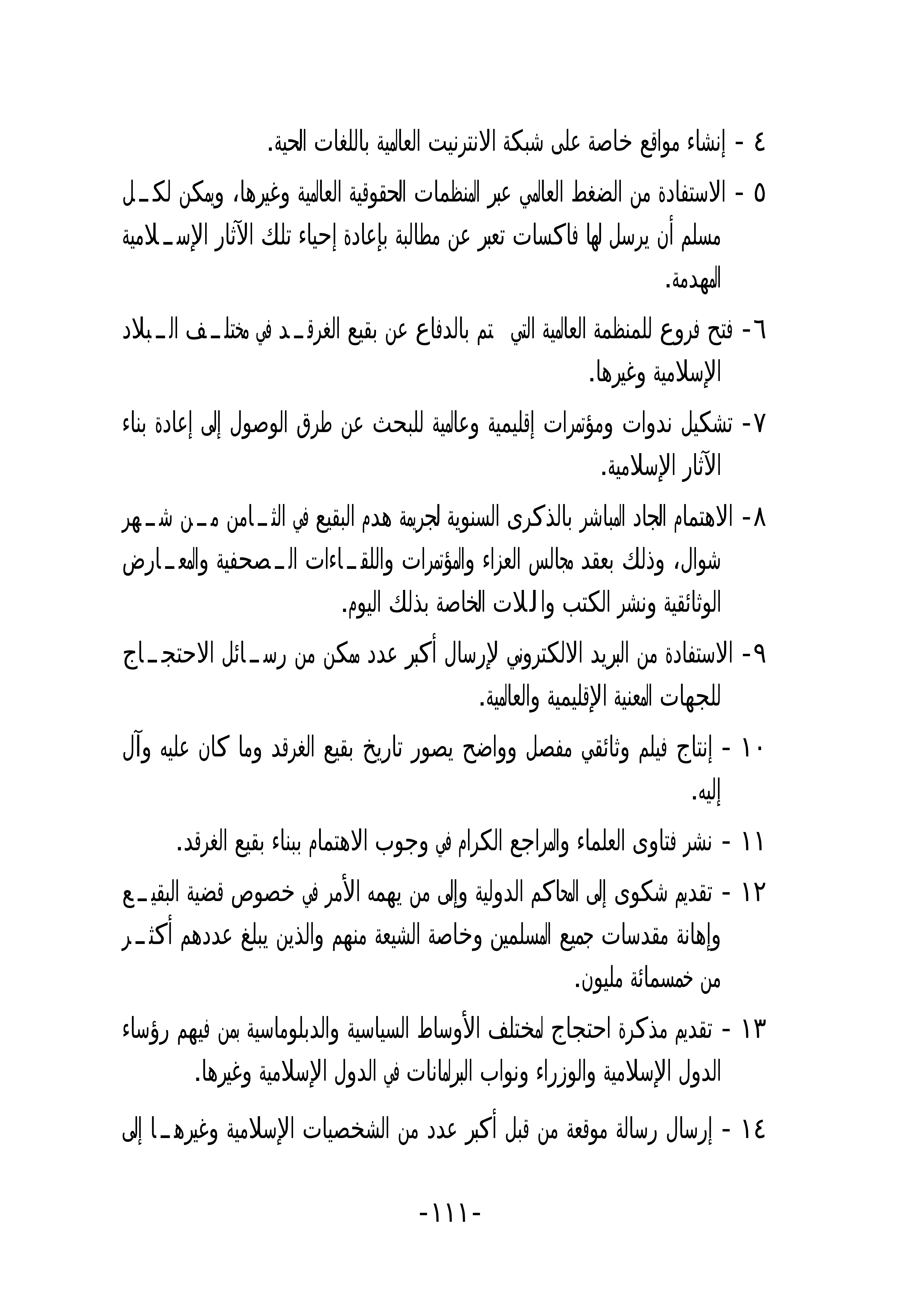
٢ - إصدار نشرات ومجلات في هذا الـال.

٣ - الاستفادة من الـال الإعلامي الدولي الواسع.

---

(١) مجلة الثقافة المصرية عدد (٩٠) ، الثلاثاء ١٤ شعبان ١٣٥٩، نقلاً من كتاب رحلات للدكتور عبد الوهاب عزام . مقال بقلم زكي محمد حسن . (١٥٩٤-١٥٩٦).

(٢) المصدر السابق .



٤ - إنشاء مواقع خاصة على شبكة الانترنيت العالمية باللغات الحية.

٥ - الاستفادة من الضغط العالمي عبر المنظمات الحقوقية العالمية وغيرها، ويمكن لكل مسلم أن يرسل لها فاكسات تعبر عن مطالبة بإعادة إحياء تلك الآثار الإسلامية المهدمة.

٦- فتح فروع للمنظمة العالمية التي تهتم بالدفاع عن بقيع الغرقد في مختلف البلاد الإسلامية وغيرها.

٧- تشكيل ندوات ومؤتمرات إقليمية وعالمية للبحث عن طرق الوصول إلى إعادة بناء الآثار الإسلامية.

٨- الاهتمام الجاد المباشر بالذكرى السنوية لجريمة هدم البقيع في الثامن من شهر شوال، وذلك بعقد مجالس العزاء والمؤتمرات واللقاءات الصحفية والمعارض الوثائقية ونشر الكتب والمجلات الخاصة بذلك اليوم.

٩- الاستفادة من البريد الالكتروني لإرسال أكبر عدد ممكن من رسائل الاحتجاج للجهات المعنية الإقليمية والعالمية.

١٠ - إنتاج فيلم وثائقي مفصل وواضح يصور تاريخ بقيع الغرقد وما كان عليه وآل إليه.

١١ - نشر فتاوى العلماء والمراجع الكرام في وجوب الاهتمام ببناء بقيع الغرقد.

١٢ - تقديم شكوى إلى المحاكم الدولية وإلى من يهمه الأمر في خصوص قضية البقيع وإهانة مقدسات جميع المسلمين وخاصة الشيعة منهم والذين يبلغ عددهم أكثر من خمسمائة مليون.

١٣ - تقديم مذكرة احتجاج لمختلف الأوساط السياسية والدبلوماسية بمن فيهم رؤساء الدول الإسلامية والوزراء ونواب البرلمانات في الدول الإسلامية وغيرها.

١٤ - إرسال رسالة موقعة من قبل أكبر عدد من الشخصيات الإسلامية وغيرها إلى

مختلف المراكز المذكورة أعلاه.

١٥- تـهيئة طوامير موقعة من قبل ملايين المسلمين في مختلف بقاع العالم.

١٦ - تكثير صور البقيع الغرقد ونشرها في مختلف وسائل الإعلام وحتى علـى مثـل الطابع البريدي وما أشبه"[1].

هذا قليل من كثير من أفعال أهل الرفض لتعمير الأضرحة.

المبحث الخامس

دور الصوفية في نشر القبورية في الأمة

أولا: تعريف الصوفية:

تعريف الصوفية لغة: اختلف الصوفية وغيرهم في اشتقاق كلمة صوفية إلى عدة أقوال منها:

١- نسبة إلى لبس الصوف "نسبةً لهم إلى ظاهر اللبسة لأ م اختاروا لبس الصوف".[2]

٢- نسبة إلى الصف الأول "لأ م في الصف الأول بين يدي الله عز وجـل بارتفـاع هممهم، وإقبالهم على الله تعالى بقلو م، ووقوفهم بسرائرهم بين يديه".[3]

٣- نسبة إلى الصفة "سموا صوفية نسبة إلى الصفة التي كانت لفقراء المهاجرين علـى

---

(١) نقلاً عن موقع خصص لغرض إعمار أضرحة البقيع على الشبكة العنكبوتية على هذا الرابط "http://www.albaqeea.com/index.html "

(٢) عوارف المعارف (٦٠).

(٣) عوارف المعارف (٦٢).

عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ".[1]

٤- نسبة إلى الصفاء "الصفاء محمود بكل لسان ... إلى أن قال : " ثم هذه التسمية غلبت على هذه الطائفة ".[2]

٥- نسبة إلى صوفة "الصوفة كل من ولي شيئاً من عمل البيت الحرام وهو الصوفانة".[3]

قال ابن الجوزي " ورأوا أن أول من انفرد بخدمة الله سبحانه عند بيته الحرام رجل كان يقال له : صوفه واسمه الغوث بن مر،[4] فانتسبوا إليه لمشابهتهم إياه في الانقطاع إلى الله سبحانه، فتسموا بالصوفية".[5]

٦- نسبة إلى سوفيا " إنهم منسوبون إلى "السوفية" الحكماء القائلون بالوحدة ، وأن الصوفية أول من أدخل ذلك في الإسلام فسموا باسمهم".[6]

والمتأمل في اشتقاق الصوفية من الألفاظ السابقة يلحظ ما يلي :

---

(١) المصدر السابق نفس الصفحة.

(٢) الرسالة القشيرية (٣١١-٣١٢)، وانظر : التعرف لمذهب التصوف (٢١).

(٣) انظر : لسان العرب (٩/٢٠٠).

(٤) هو **الغوث بن مر بن أد بن طانجه بن إلياس بن مضر** ، من أعيان مضر في الجاهلية، وكان يخدم الكعبة ويلي الإجازة للناس بالحج بعرفة، وكان يقال له ولولده صوفه. انظر: المنتظم ٣٢٢/٢.

(٥) تلبيس إبليس (٩٢١/٣).

(٦) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذوله (٢٤، ٢٥).

١- لم تتفق الصوفية، فكثرت أقاويلهم، واختلفت آراؤهم .

٢- إذا رجعنا إلى هذه الكلمة وجدناها كلمة غريبة على اللغة العربية، وعلى دين الإسلام إذ لم ترد هذه الكلمة في كتاب الله، ولا على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، ولا على ألسنة الصحابة والتابعين، ولا علـى ألـسنة الـشعراء والخطباء في الجاهلية، فهي كلمة وافدة لم تكن معروفة في القـرون الثلاثـة المفضلة[1]

٣–إذا رجعنا إلى هذه الكلمة نجد أن الاشتقاق الصحيح من حيث اللغة للـصوفية أنها نسبة إلى لبس الصوف، وليس في لبس الصوف مزية، فـإن محمـد بـن سيرين[2] بلغه أن قوماً يفضلون لباس الصوف، فقال : إن قومـاً يـتخيرون الصوف، ويقولون : أنهم يتشبهون بالمسيح بن مريم ، وهدي نبينا أحب إلينا ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يلبس القطن وغيره[3] .

نشأة التصوف:

لم يكن التصوف مشهوراً في القرون المفضلة، وإنما بدأت شهرته بعد ذلك[4]، وقد اعترف بعض المتصوفة بذلك، قال السهروردي: " وقيل لم يعرف هذا إلى

(١) انظر : الفتاوى (٥/١١) والتصوف والمتصوفة في مواجهة الإسلام (٧٣).

(٢) **محمد بن سيرين** : أبو بكر البصري كان أبوه عبد لأنس بن مالك ، روى عن أبي هريرة، وعبد الله بن عمر ، وعبدالله بن الزبير ، وعمران بن حصين ، وأنس بن مالك وغيرهم من الأئمة ، وهو أحد الفقهاء من البصرة مذكور بالورع ، ت (١١٠) هـ. انظر : السير (٤/٦٠٦-٦٢١).

(٣) انظر : الفتاوى (٧/١١).

(4) الفتاوي (٥/١١).

المائتين من الهجرة العربية؛ لأن في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم كان أصحابه يسمون الرجل صحابياً لشرف صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكون الإشارة إليها أولى من كل إشارة، وبعد انقراض عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، من أخذ منهم العلم سمي تابعياً".[1]

وهذا لا يعني ، نفي وجود بعض الأفراد الذين، كانوا بذرة للتصوف وبداية له، إذ أشار بعض المؤرخين إن نشأة التصوف وبدايته كانت في منتصف القرن الثاني.[2]

ويذكر أن أول رجل لقب بالصوفي هو أبو هشام عثمان بن شريك الكوفي الصوفي، لأنه كان يلبس لباساً طويلاً من الصوف كفعل الرهبان، ويرى أنه كان يقول بالحلول[3] والاتحاد[4]، وهو أول من بني خانقاه[5] للصوفية في بلاد الشام.[6]

ويرى شيخ الإسلام ابن تيمية أن نشأة التصوف كانت أوائل القرن الثاني الهجري، وأنه لم يشتهر إلا في القرن الثالث،[7] وهذا الرأي هو الذي يراه كثير من الباحثين من الصوفية وغيرهم. " أما علم التصوف فقد ظهر في القرن الثالث الهجري على أيدي الجنيد[8] ومدرسته، وإن كان التصوف نفسه قد ظهر في القرن الثاني".[1]

---

(1) عوارف المعارف (٦٤) .

(2) انظر : مقدمة ابن خلدون (٤٦٧) ، الطبعة الرابعة.

(3) **الحلول** : أن الله يصطفي أجساما يحل فيها فيزيل عنها البشرية، والحلولية فرق كثيرة ، والقول بالحلول من أضل الأقوال وأقبحها، انظر: مجموع الفتاوى(٢٢٠/٤)، (٢٩٩/٥)، والفرق بين الفرق (٢١٥)، (٢٢٧) ، (٢٣٤)

(4) أهل الإتحاد هم القائلون باتحاد الخالق بالمخلوق ، المعجم الفلسفي (٣٤/١)

(5) **خانقاه** : رباط الصوفية، ومتعبدهم ، فارسية أصلها خانة كاه، انظر : تاج العروس (٣٧٤/٣٦).

(6) انظر : الصلة بين التصوف والتشيع ، للشيبي (٢٦٩/١)، والتصوف المنشأ والمصادر (٤٣).

(7) انظر : الفتاوى (٥/١١-٧).

(8) **الجنيد : أبو القاسم الجنيد بن محمد الجنيد** ، سيد طائفة الصوفية وإمامهم ، أصله من نهاوند ت(٢٩٧)، انظر: الرسالة القشيرية (٤٩،٥٠).

ولا شك أن التصوف مر بمراحل، وأطوار، فبدأ بالزهد، ولكنه يختلف عن الزهد بصفات وأحوال، ولهذا فإن الزهد لم يذمه أحد، بينما التصوف ذمه كثير من السلف.[2]

ومن المراحل التي مر ا المتصوفة ترك الدنـيا بالجملة، ورفض ما يصلح الأبدان، ثم جاء أقوام تعلموا في الجوع، والفقر والوسـاوس والخطرات، ثم جاء آخرون وميـزوه بصفات منها الاختصاص بالرقص والسماع والوجـد، والتصفيق، ثم جـاء آخـرون وجعلوا ما يرونه وما يعلمونه أوفى العلـوم وسموه علم الباطن، وجعلوا الـشريعة علـم الظـاهر، ومنهم من خرج إلى الخيالات الفاسدة، فادعى عشق الحق، والهيمان فيـه، ثم تشعبت م الأقوال ففسدت عـقائدهم، فمنهم من قال بالحـلـول، ومنهم من قـال بالاتحـاد.[3]

ثانيا : طرق الصوفية في نشر القبورية :

أولا: مفهوم الولاية ودوره في تعظيم القبور:

من أعظم الأسباب التي أدت لتعظيم القبور عند الـصوفية، مفهـوم الولايـة، فالصوفية غلوا في أوليائهم غلواً كبيراً، حتى خلعوا على أوليائهم من صفات الألوهيـة، والربوبية.

فالأولياء عند غلاة المتصوفة ليسوا كالبشر، إنما يتميزون عـن البـشر بخـصال عظيمة، ومن هذه الخصال، أنـهم عندهم العلم المطلق، فهم يعلمون الغيب وغيره، قال

---

(1) التصوف الإسلامي(٤٨/١).

(2) انظر : تلبيس إبليس (٩٥٣/٣).

(3) انظر : المصدر السابق (٩٤٢/٣-٩٤٥) .

الحكيم الترمذي[1] : "وهذه آياتهم وعلاماتهم، ما ينطقون به من العلم من أصوله، قال له قائل: وما ذاك العلم؟

قال: علم البدء وعلم الميثاق، وعلم المقادير، وعلم الحروف، فهذه أصول الحكمة، وهي الحكمة العليا، وإنما يظهر هذا العلم من كبراء الأولياء، ويقبله عنهم من له حظ في الولاية".[2]

ولم يقتصر اعتقاد غلاة الصوفية على أن الأولياء، يعلمون الغيب، علماً بأن علم الغيب مما هو معلوم من الدين بالضرورة أنه مما اختص الله تعالى به، لا يشاركه في ذلك أحد قال تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ﴾ [الجن : ٢٦ ، ٢٧].

بل تعدى الأمر علم الغيب ليصل إلى الإحياء والإماتة، وإبراء المرضى، تصريف الكون، وغير ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله تعالى " إن الكرامات أنواع منها: إحياء الموتى، وكلامهم، وانغلاق البحر، وجفافه، والمشي على الماء، وانقلاب الأعيان، وانزواء الأرض، وإبراء العليل، وكلام الحيوانات وطاعتها، وطي الزمان، ونشره، واستجابة الدعاء، وإمساك اللسان عن الكلام وإطلاقه، وجذب القلوب، والإخبار بالمغيبات، ومقام التصريف – كما حكي عن بعضهم أنه بقعة المطر – والقدرة على تناول الكثير من الغذاء، والحفظ من أكل الحرام، ورؤية البعيد، من وراء حجاب، والهيبة بحيث مات من يشاهده، وكفاية شر من يريد بأحد شر، والإطلاع على ذخائر الأرض، وتسهيل التصانيف في زمن يسير والتطور بأطوار مختلفة".[3]

وهذه الأفعال قادر عليها الولي من غير جهد ومشقة، بل يحصل ما يريد الولي بقوله للشيء كن فيكون . "وقد سئل بعض الأئمة الأكابر عن من قال: إن من كرامة

---

(1) **أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن** أو الحسين ابن بشر الملقب الحكيم الترمذي، نسبة إلى ترمذ، ولد في أوائل القرن الثالث للهجرة وتوفي في آخرها، صاحب كتاب "ختم الولاية" لقى أبا تراب النخشبي، وصحب يحيى الجلاء. انظر : طبقات الصوفية (١٧٥/١)، وانظر: مقدمة محقق ختم الولاية.

(2) ختم الولاية (٣٦٢) .

(3) جامع كرامات الأولياء. (٢٥٧/٢).

الولي أن يقول للشيء كن فيكون فأجابه هذا الإمام بأن ما قاله صحيح".(1)

هذه العقيدة في الولي عند غلاة الصوفية، جعلتهم يتخذونهم أرباباً من دون الله، يستغيثون بهم، ويطلبون منهم المدد والنصر، والغوث، وشفاء المرض، وجلب النفع ودفع الضر، إلى غير ذلك من العبادات التي لا تصرف إلا لله تعالى، بل وصل ببعضهم الحال أنهم يعتقدون بأن الولي أسرع إجابة من الله. قال الألوسي رحمه الله : " وسمعت عن بعضهم أنه قال: الولي أسرع إجابة من الله عز وجل، وهذا من الكفر بمكان . نسأل الله تعالى أن يعصمنا من الزيغ والطغيان".(2)

وتصرف هؤلاء الأولياء في نظر غلاة المتصوفة لا يقتصر عليهم في الحياة، بل تصرفهم بالكون، وقضاء الحاجات وكشف الكربات حتى بعد موتهم قال الجوهري(3)، في معرض كلامه عن كرامة الأولياء وأنها مستمرة لهم في الحياة وبعد الممات، قال: "والدليل على ثبوتها بعد مماتهم أيضاً ما ورد في الصحاح أنه مر بقبر "ثابت البناني" فوجده يصلي في قبره، وقد نقل ذلك الشعراني في بعض كتبه وهو حجة، ووقعت أمور بعد موتهم كبيرة".(4)

ثانياً: اعتقاد الصوفية أن الأولياء أحياء حياة كاملة في قبورهم:

يعتقد غلاة الصوفية أن الأولياء أحياء حياة كاملة في قبورهم كحياة الدنيا، فيسمعون، ويرون ويتكلمون، ويعلمون، ويخرجون من قبورهم ويتحدثون مع مريديهم يقظة.

وخروج الأنبياء والأولياء من قبورهم عقيدة صوفية، وهي كذبة مكشوفة، ولكنها بدهاء شيطاني زينوها للناس، فإذا لم يستطع رجل أن يرى النبي أو الولي يقظة

(1) كرامات الأولياء في الحياة وبعد الإنتقال (٥٨).
(2) روح المعاني (١١/٢٤) دار إحياء التراث العربي، بيروت.
(3) **أحمد بن الحسن بن عبد الكريم** بن محمد بن يوسف الخالدي، الشهير بالجوهري، ولد بمصر سنة ١٠٩٦، واشتغل بالعلم ، والفتوى ، ت (١٨) انظر : تحقيق كرامات الأولياء .
(4) كرامات الأولياء (٥٩).

اتهم نفسه بالتقصير، ثم أن عقيدة المتصوفة أصلت عند الناس عدم سؤال الشيخ عن ما يفعل ويقول وأن كل ما يأخذه من الشيخ حق لا باطل فيه، وصدق لا يتطرق إليه الكذب " المريد الصادق مع شيخه كالميت مع مغسله، لا كلام ولا حركة، ولا يقدر ينطق بين يديه من هيبته، ولا يدخل ولا يخرج، ولا يخالط أحداً، ولا يشتغل بعلم ولا قرآن ولا ذكر إلا بإذنه".[1]

الشاهد في ذلك أن الالتقاء بالأنبياء والأولياء بعد موتهم عقيدة صوفية، تناقلها المتصوفة قديماً، وحديثاً، " وقد يكون في الدنيا لأهل الكمال من المؤمنين وصفاء البصيرة الذين وصفهم الله تعالى، ووصف قلوبهم ومعارفهم " كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجره مباركه زيتونة لا شرقيه، ولا غربية.

﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٌۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍۗ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾

[النور: ٣٥]. وهو تمثيل لما نور الله به قلب المؤمن من العلوم والمعارف، وما فيه من المعارف، فمثل هذا القلب هو المؤهل لرؤيا النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة، وسائر المغيبات".[2]

والوصول إلى رؤية الأنبياء والأولياء يقظة عند غلاة الصوفية غير ممكنة إلا لمن ترقى، وبلغ درجة عالية في الولاية. " إن الله تعالى جعل في عباده درجات الوصول والقرب متفاوتة، فمنهم من يكون دأبه دأب بدء الرسالة من الرؤيا الصالحة، ومنهم من ترك في هذا إلى ما هو أرقى منه وهو المشاهدة واللقي، وهذا لمن يرى الروحانيات التي هي من شأن غيره لا ترى له إلا في المنامات وهو يدركها عياناً ويشاهدها يقظة غير أنه تعطل منه الحواس الظاهرية فيراها على حقائقها الظاهرية، ومنهم من كمل ظاهره وباطنه وقويت روحه وغلبت عليه مادته فيراها حقيقة يقظة بدون تعطل حواس ظاهرية، وهذا

(1) الأنوار القدسية (١٨٧/١) نقلاً عن كشف حقيقة الصوفية (٣١٩).

(2) الذخائر المحمدية (١١٦).

ما يسمى الإنسان الكامل".[1]

وفي هذا النص السابق قرر هذه العقيدة الباطلة، كما قرر في هذا النص، أن الولاية بداية النبوة درجة يستطيع الولي أن يصل إلى مرحلة أعلى وأكمل منها، إنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور.

إذاً القبورية يعتقدون الالتقاء بالأنبياء والأولياء يقظة، يكلمونهم، ويسألونهم، بل ويحضر الأنبياء الموالد، ولهذا فهم يرون القيام عند ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في مولده لتشريفه وحضوره يقظة. "وبهذا يتضح لك من بادئ الأمر أن حال من استحسن القيام عند ذكر هذه الحالة، قد شاهدوا تشريفه الشريف صلى الله عليه وسلم، وعاينوا طلعة ذلك المثل الأعلى عند ذكر اسمه واللهج به، والابتهال إلى الله تعالى به، فيكون صلى الله عليه وسلم عندما يلوح لهم النظر إليه كالقادم عليهم فوجب القيام لحضرته".[2]

بل يعتقد غلاة الصوفية أن النبي يحضر مجالس من يصلون عليه بنفسه يقظة، ويكلمونه، ويكلمهم، ويعالجهم، ويجالسهم، وربما جاء معه بعض أصحابه، قال عبد ربه ابن سليمان: "وإليك ما حدث لي شخصياً، وأنا المحدث بنعمة ربي المنان ذي الفضل والإحسان أقول محدثاً بكرمه، إني جلست مرة أصلي على سيد العالمين صلى الله عليه وسلم، فحضرني صلى الله عليه وسلم والصديق رضي الله تعالى عنه، وجلسا عندي نحو من ساعة، وتحدث صلى الله عليه وسلم معي، وسألت حضرته عن أشياء في أمور كثيرة لا داعي لذكرها خشية الإطالة، ومنها أنه كانت بي علة عظيمة أعيت الأطباء، فقلت لحضرته صلى الله عليه وسلم هذه علة ظاهرة أعيا الأطباء علاجها، فقلت لحضرته هذه تؤلمني يا سيدي يا رسول الله، فمد أصبعه الشريف صلى الله عليه وسلم، ووضعه على العلة الظاهرة البارزة فطارت كأن لم تكن، فحدثت بها كل من كان يعرفها فلم يجدوا لها أثراً".[3]

---

(1) فيض الوهاب (٩٨/٥، ٩٩).

(2) المصدر السابق (٩٨-٩٩).

(3) فيض الوهاب (١٠١/٥).

بل قالوا إن النبي صلى الله عليه وسلم يحضر مجالس العلم فيراه بعض المتصوفة، ويعلمهم العلم، ويحكم على الأحاديث، "حكى بعض الأولياء أنه حضر مجلس فقيه، فروى ذلك الفقيه حديثاً فقال له الولي: هذا الحديث باطل. فقال الفقيه: ومن أين لك هذا. فقال له الولي: هذا النبي واقف على رأسك، يقول : إني لم أقل هذا الحديث، وكشف للفقيه فراءه ".(1)

وربما سمع صوت من قبر النبي صلى الله عليه وسلم، أو أخرجت يده الشريفة لتصافح أولياء الصوفية، دون غيرهم.

قال السيوطي: "وفي بعض المجامع حج سيدي أحمد الرفاعي، فلما وقف تجاه الحجرة الشريفة أنشد:

في حالة البعد روحي كنت أرسلها   تقبل الأرض عني فهي نائبتي

وهذه نوبة الأشباح قد حضرت   فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي

فخرجت اليد الشريفة من القبر فقبلها".(2)

هذا قليل من كثير في كتب القوم عن لقائهم بالنبي يقظة، وأما لقائهم بغير النبي عليه الصلاة والسلام فحدث ولا حرج.

فالخضر عليه السلام يأخذ العلم عن أبي حنيفة رحمه الله.

هذه الفرية التي جمعت بين التصوف والتعصب للأئمة، وانتقاص الأنبياء. " ومنها ما نقله بعض أكابر الحنفية في كرامات الإمام الأعظم أبي حنيفة رضي الله عنه، أن الخضر كان يذهب لقبره ويقرأ عليه علم الشريعة".(3)

وهم يرون الخضر إما يقظة أو مناماً حسب مراتبهم، فيأخذون منه علماً لم يكونوا يعلموه، قال الشعراني: "ما واظب أحد على الدعاء للخضر إلا واجتمع به قبل موته، وهو لا يجتمع بأحد إلا ويعلمه ما ليس عنده، وما من ولي إلا ويجتمع به، لكن يأتي

---

(1) الحاوي للفتاوى (٤٨٠/٢).

(2) الحاوي للفتاوى (٤٨٠/٢).

(3) كرامات الأولياء في الحياة وبعد الانتقال (٦٠).

العارف في اليقظة، والمريد في النوم، فإنه لا يطيق صحبته في اليقظة".[1]

وليس بغريب أن يصدر هذا عنهم من الآخذ عن النبي صلى الله عليـه وسـلم والخضر عليه السلام والأولياء. فقد قالوا ما هو أعظم من ذلك؛ فقد ادعوا العلم عن الله تعالى: "أخذتم علمكم ميتاً عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت".[2]

بل ذهب غلاة الصوفية أن الولي يأخذ المريد إلى قبر وليهم الأعظـم، فيكلمـه، ويوصيه على مريده.

"ومنها ما نقله الشيخ الشعراني لما ذهب به شيخه (الشناوي) إلى ضريح الـسيد البدوي فمد يده سيدي أحمد البدوي من القبر وأخذ العهد للشعراني، وقال له "الشناوي" يكون نظرك يا سيدي عليه ".[3]

بل ربما ذهب الولي ، إلى أحد قبور الأولياء الموتى فخرج من قبره، وأعـد لـه وليمة، وذكره بفضله عليه. "ومنها ما حكاه الشعراني قال رضي الله عنه : ذهبت لزيارة الإمام الشافعي فطلع من القبة الشريفة وأجلسني على قبة القاضي "بكار" وجاءني ببطيخ في غير أوانه، وقال لي: يا عبد الوهاب كل، فإن ملوك الدنيا بحسرة هذه القعدة معـي، ودعالي".[4]

رحمه الله لقد افترى عليه الشعراني، فرية عظيمة.

ثالثا: البنـاء على أضرحة الأوليـاء والصالحين :

غلاة الصوفية غلواً في أوليائهم أحياء، وغلوا فيهم أمواتاً، فلا يمكن أن يكون قبر الولي، والقطب، والغوث كقبور عامة الناس في معتقدهم، فلابد أن تشيد عليـه المبـاني العظيمة، والقباب العالية، ويوضع عليه السياجات المذهبة، والستور الجميلـة، ويـضاء بالمصابيح الجذابة و ىدى إليها الهدايا النادرة، وتدفع في صناديقها الأموال الطائلة، ولنأخذ

---

(1) الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية (٣٩٨/٣).

(2) المصدر السابق (٢/١، ٦٥٦) في تراجم شقران المغربي.

(3) كرامات الأولياء في الحياة وبعد الانتقال (٦١).

(4) المصدر السابق نفسه.

مثالاً لأحد هذه القبور المعظمة عند الصوفية وغيرهم، وهو قبر الحسين في مصر، يقـول ابن جبير الذي زار مصر في العصر الأيوبي: " فمن ذلك المشهد العظيم الشأن الذي بمدينة القاهرة حيث رأس الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، وهو في تابوت مـن فضة مدفون تحت الأرض، قد بني عليه بنيان حفيل يقصر الوصف عنه، ولا يحيط الإدراك به، بحلل بأنواع الديباج، محفوف بأمثال العمد الكبار شمعاً أبيض، ومنه ما هو دون ذلك، قد وضع أكثرها في أتوار[1] فضة خالصة، ومنها مذهبة وعلقت عليه قناديل فضة، وحف أعلاه كله بأمثال التفافيح ذهباً في مصنع شبيه الروضة، يقيد الأبصار حسناً وجمالاً، فيـه من أنواع الرخام المـزع، الغريب الصنعة، البديع الترصيع، مـا لا يتخيلـه المتخيلـون، ولا يلحق أدنى وصفه الواصفون .... "[2] .

وقد توالت العناية بضريح الحسين منذ إنشائه في عهد الدولة الفاطمية العبيديـة، مروراً بالدولة الأيوبية، والمملوكية والعثمانية وإلى العصر الحديث، فتذكر د. سعاد ماهر في تاريخ بنائه إلى أن قالت: "أما في عهد ثورتنا المباركة، ثورة ٢٣ يوليو سـنة ١٩٥٢، فقد عنيت عناية خاصة بتجديد مسجد الحسين وزيادته"[3].

وقالت في وصف قبة الضريح : " أما مربع القبة من الداخل فقد كسيت واجهته المطلة على المسجد بالرخام الدقيق المطعم بفسيفساء من الصدف، وكذا غطى محيطها من الداخل بالرخام والصدف في رسوم هندسية غاية في الدقة والإبداع"[4].

وعظمت المباني على القبور، ليشعر الداخل إليها بالعظمة، والمهابة والحاجـة إلى المدفون بـها تقول د. سعاد ماهر: "وقد اعتمدت وزارة الأوقاف مبلغ (٤٠) ألف جنيه

---

(1) **أتوار** : الواحد تور وهو الإناء . انظر : تاج العروس (٢٩٧/١٠).

(2) رحلة بن جبير (١٩).

(3) مساجد مصر وأولياؤها الصالحون (٣٨٤/١).

(4) مساجد مصر وأولياؤها الصالحون (٣٨٧/١).

الآن لإقامة واجهة جديدة تتقدم الواجهة القديمة تليق بصاحب المقام"[1].

هذه المهابة في تلك البنايات السامقة على القبور مع الإضاءات المختلفة، تضفي نوعاً من التعظيم لصاحب الضريح وسؤاله الحاجات وكشف الكربات.

يقول ابن جبير: "ومن أعجب ما شاهدناه في دخولنا إلى هذا المسجد المبارك (مسجد قبر الحسين) حجر موضوع في الجدار الذي يستقبله الداخل شديد السواد والبصيص، يصف الأشخاص كلها كأنه المرآة الهندية الحديثة الصقل، وشاهدنا من استلام الناس للقبر المبارك، وإحداقهم به وانكبا م عليه، وتمسحهم بالكسوة التي عليه، وطوافهم حوله مزدحمين داعين باكين متوسلين إلى الله سبحانه وتعالى ببركة التربة المقدسة، متضرعين ما يذيب الأكباد ويصدع الجماد، والأمر فيه أعظم، ومرأى الحال أهول"[2].

وتسابق الولاة والموسرين المتأثرين بالفكر الصوفي، لبناء الأضرحة يبين ذلك ما كتب على أبواب هذه الأضرحة من كتابات تبين مقاصد القوم ورجاءهم ، فكان تعظيم المباني من أعظم الطرق التي سلكتها الصوفية وغيرها من الفرق لنشر القبورية.

رابعا: أئمة الصوفية يدعون المريدين طلب الحاجات عند قبورهم.

يعتقد غلاة الصوفية، أن لهم منزلة في قضاء الحاجات، وكشف الكربات، وإجابة الدعوات، أحياءً وأمواتاً، أما في الحياة، فقد أحاطوا أنفسهم الة كبيرة من صفات الربوبية والألوهية.

وأما في الممات فقد أوصوا مريديهم بالفزع إلى قبورهم عند الملمات، فإن الحاجة تقضى والكربة تزول.

(1) المصدر السابق (٣٨٥/١).

(2) رحلة ابن جبير (٢٠).

قال أحدهم مبيناً أن قضاء الحاجة من أيسر ما يكون عليه وهو في قبره. " مـن كان له حاجة فليأت إلى قبري ويطلب حاجته أقضها له، فإنه ما بيني وبينكم غـير ذراع من التراب، وكل رجل يحجبه عن أصحابه ذراع تراب فليس برجل"[1].

بل عند غلاة الصوفية إذا صدق المريد مع شيخه ودعاه حياً وميتاً أجابه وكشف غمه وهمه.

"إذا صدق المريد مع شيخه ونادى شيخه من مسيرة ألف عام أجابه حياً كـان الشيخ أو ميتاً ، فليتوجه الصادق بقلبه إلى شيخه في كل أمر دهمه في دار الدنيا فإنه يسمع صوت شيخه ويغيثه مما هو فيه، ومهما ورد عليه من مشكلات يطبق عينيه ويفتح عـين قلبه فإنه يرى شيخه جهاراً، فإذا رآه فليسأله عما شاء وأراد"[2].

هذه دعوة من غلاة الصوفية وأئمتهم لتعظيم قبورهم بعد موتـهم، كما أن هناك دعوة إلى تعظيم قبورهم من مريديهم، وعامة المتصوفة فمن قرأ في طبقات القـوم وقـرأ الوفاة، فإنه سيجد في غالب تراجمهم "وقبره معروف يزار".

كما سيجد في بعض تراجمهم أن قبره مجرب في إجابة الدعوات إلى غير ذلك من الدعوات التي ساهمت في نشر القبورية في الأمة.

الباب الثانــي
التوحيد والشرك

(1) جامع كرامات الأولياء (١/٢٧٠).

(2) الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية (١٨٩) نقلاً عن كشف حقيقة الصوفية (٣١٩).

وشبهات القبورية فيها والرد عليها

وفيه ستة فصول:

الفصل الأول : مفهوم التوحيد والشرك وشبهات القبورية، وفيه ستة مباحث.

الفصل الثاني : مفهوم التوسل وشبهات القبورية وفيه ثلاثة مباحث.

الفصل الثالث : مفهوم الاستغاثة وشبهات القبورية، وفيه ثلاثة مباحث.

الفصل الرابع : مفهوم الشفاعة وشبهات القبورية، وفيه ثلاثة مباحث.

الفصل الخامس : مفهوم التبرك وشبهات القبورية، وفيه ثلاثة مباحث.

الفصل السادس : مفهوم الزيارة وشد الرحل وشبهات القبورية، وفيه ثلاثة مباحث.

الفصــل الأول

مفهوم التوحيد والشرك وشبهات القبورية

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول : مفهوم التوحيد والشرك عند السلف.

المبحث الثاني : مفهوم التوحيد والشرك عند القبورية.

المبحث الثالث : شبهات القبورية في مفهوم التوحيد .

المبحث الرابع : شبهة القبورية في بدعية تقسيم التوحيد.

المبحث الخامس : شبهة القبورية في أن شرك المشركين كان في الربوبية.

المبحث السادس : شبهة المجاز العقلي.

المبحث الأول

مفهوم التوح ... د عند السلف

أولاً : مفهوم التوحيد

١ - تعريف التوحيد لغة:

التوحيد مصدر للفعل الثلاثي المضعف (وحد) ،" الواو والحاء والدال أصل واحد يدل على الانفراد من ذلك الوحـدة ، وهو واحد قبيلته إذا لم يكن فيهم مثله قـال :

يا واحد العرب الذي *** ما في الأنام له نظير "[1]

قال الأزهري : " وحد أحد ، والوحد المنفرد، والوحد خفيف حدة كل شيء، والوحدة الانفراد، والتوحيد الإيمان بالله وحده لا شريك له، والله الواحـد الأحـد ذو الوحدانية والتوحد " [٢]

فالمعنى اللغوي يدور حول التفرد والوحدة .

٢- تعريف التوحيد اصطلاحاً :

عرف علماء السلف التوحيد بتعريفات كثيرة، وهذه التعريفات معناها واحد وإن اختلفت العبارات.

والتوحيد له دلالة خاصة وهي الدلالة الشرعية.

قال ابن عبد الهادي: " فالتوحيد في الأصل الإفراد قولاً وفعلاً، بأن تجعل الإلـه واحداً، والمعبود واحداً، كما قال الله عز و جل:﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ وهذا أصل كـل طاعة وربوبية وألوهية ؛ ولهذا كانت هذه السورة تعدل ثلث القرآن"[3] .

(1) معجم مقاييس اللغة (٦/٩٠).

(2) ذيب اللغة (١٢٥/٥).

(3) مسألة في التوحيد وفضل لا إله لا الله (٤٦) .

وقال الطحاوي: " نقول في توحيد الله معتقدين أن الله واحد لا شريك له"[1].

وقال ابن القيم : " التوحيد أن لا يعطى المخلوق شيئاً من حق الخالق وخصائصه، فلا يعبد، ولا يصلى له ولا يسجد، ولا يحلف باسمه، ولا ينذر له، ولا يتوكل عليه، ولا يؤله، ولا يقسم به على الله، ولا يعبد ليتقرب إلى الله زلفى، ولا يساوي برب العالمين في قول القائل: ما شاء الله وشئت، وهذا منك ومن الله......."[2] .

والمتأمل في تعريف السلف للتوحيد يجده يدور حول إفراد الله تعالى بالعبادة، وإفراده في أفعاله، وإفراده في صفاته، ولهذا سمي دين الإسلام توحيداً؛ لأنه مبني على ذلك "وسمي دين الإسلام توحيداً ؛ لأن مبناه على أن الله واحد في ملكه وأفعاله لا شريك له، وواحد في ذاته وصفاته لا نظير له، وواحد في ألهيته وعبادته لا ند له "[3] .

والتوحيد هو إفراد الله بالعبادة، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة :٢١]. قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: "وحدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم"[4]، بل قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: " كل ما ورد في القرآن من العبادة فمعناها التوحيد"[5]. وإفراد الله بالعبادة

---

(1) شرح الطحاوية (٢٦) .

(2) كتاب الروح (٢٦٣).

(3) تيسير العزيز الحميد (٣٢).

(4) تفسير ابن كثير (١/ ٥٨)

(5) تفسير البغوي (٥٥/١).

هي التوحيد وهذا مقتضى النصوص وفهم سلف الأمة؛ ولهذا قال الإمام المجدد محمد بـن عبدالوهاب رحمه الله تعالى: " إن العبادة هي التوحيد لأن الخصومة فيه "[1].

٣- أقسـام التوحيـد:

سلف الأمة من الصحابة الأبرار ، والتابعين الأخيار ، وتابعيهم بإحسان، ومـن سار على نهجهم، وسلك مسلكهم، أخذوا بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسـلم علماً وعملاً، فهو الطريق المستقيم الذي من سلكه سلم من طرق الضلال والغواية، فإليه يردون ومنه يصدرون، وهذا منهج نجوه في جميع مسائل الدين ، أصول الدين وفروعه، وأصل الأصول، وأشرف العلوم ، وأحوج ما يكون إليه الخلق توحيد الله تعالى. يقول ابن

(1) كتاب التوحيد (١١).

القيم رحمه الله تعالى : " فحاجتهم إليه فوق جميع الحاجات، وضرورتهم إليه مقدمة على جميع الضرورات، فإنه حياة للقلوب، ولا نعيم ولا لذة ولا سرور ولا أمان ولا طمأنينة إلا بأن تعرف ربها ومعبودها وفاطرها بأسمائه وصفاته وأفعاله، ويكون أحب إليها مما سواها ، ويكون فيما يقربها إليه ويدنيها من مرضاته....."[1] ؛ ولهذا الأمر أنزل الله الكتب ، وأرسل الله جميع الرسل ، وأيدهم بالمعجزات قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل :٣٦] .

وقال الله تعالى :﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء :٢٥] ، فالدعوة إلى التوحيد هو دين الرسل جميعاً.

قال : ابن القيم رحمه الله تعالى :

فالدين في التوحيد دين واحد ... لم يختلف منهم عليه اثنان

دين الإله اختاره لعباده ... ولنفسه هو قيم الأديان

فمن المحال بأن يكون لرسله ... في وصفه خبران مختلفان [2]

وختمت الرسالات بأكملها، وختم الأنبياء بخيرهم محمد علية الصلاة والسلام ، وكانت دعوته صلى الله عليه وسلم منذ بعثته إلى وفاته لتوحيد الله تعالى؛ ولذلك لا تخلو سورة من كتاب الله تعالى من الدعوة إلى التوحيد، قال ابن القيم رحمه الله تعالى: " بل

(1) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (١٥٠/١).

(2) الكافية الشافية مع شرحها (٤٣٥/١).

نقول قولاً كلياً أن كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد شاهدة عليه" [1] . ونظـراً لهذه الأهمية العظيمة للتوحيد، فقد اعتنى السلف الصالح بالتوحيد دعوة إليـه ، وتبينـا لمسائله، وتأليفا فيه، ورداً على مخالفيه من أهل الأديان والفرق، واستنباطاً لأحكامه، ومن عنايتهم بالتوحيد تقسيم التوحيد إلى أقسام بعد استقراء نصوص الكتاب والسنة وفهمها، فنجد من قسم التوحيد إلى ثلاثة أقسام: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهيـة، وتوحيـد الأسماء والصفات [2].

١- **توحيد الربوبية** : هو إفراد الله عز وجل بأفعاله، ويسميه بعـض العلمـاء توحيد الربوبية والملك. "وهو الإقرار بأن الله تعالى رب كل شـيء ومالكـه وخالقـه ورازقه، وأنه المحيي المميت، النافع الضار، المتفرد بإجابة الدعاء عند الاضطرار، الذي لـه الأمر كله وبيده الخير كله، القادر على ما يشاء، ليس له في ذلك شـريك، ويـدخل في ذلك الإيمان بالقدر "[3]. والأدلة على هذا النوع من التوحيد في كتاب الله وسنة نبيـه عليه الصلاة والسـلام كثيـــرة جدا منها ، قول الله تعـالى : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الفاتحة:٢].

وقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ [الأنعام :٩٥] ، وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [البقرة:١٠٧].

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى عن توحيد الربوبية " هو إفراد الله سبحانه وتعالى في أمور ثلاثة : في الخلق، والملك، والتدبير ، ودليل ذلك قوله تعـالى : ﴿ أَلَا لَهُ

(1) مدارج السالكين (٤٥٠/٣).

(2) انظر : شرح الطحاوية (٢٧،٢٨)، وشرح الفقه الأكبر (٣٩)، تفسير السعدي (٦٨/١) ، أضواء البيـان (١٨/٣).

(3) تيسير العزيز الحميد (٣٣) .

ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف:٥٤]. ووجه الدلالة من الآية أنه قـدم فيها الخبر الذي من حقه التأخير ، والقاعدة البلاغية: أن تقديم ماحقـه التـأخير يفيـد الحصر، ثم تأمل افتتاح هذه الآية بـ (ألا) الدالة على التنبيه والتوكيـ ـد ﴿ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ ﴾ لا لغيره ، فالخلق هذا هو، والأمر هو التدبير، أما الملك فدليله مثل قـول الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ [الجاثية:٢٧]، فإن هذا يدل علـى إنفـراده سبحانه وتعالى بالملك ، ووجه الدلالة من هذه الآية كما سبق تقديم ماحقه التأخير .

إذاً فالرب عز وجل منفرد بالخلق والملك والتدبير " [1]

٢- توحيد الألوهية: وهو إفراد الله تعالى بالعبادة، وهو تحقيق معنى لا إله إلا الله بنفيها وإثبا ا "وهذا لا يتحقق إلا بنفي وإثبات، نفي الحكم عما سوى الموحد وإثباته له، فمثلا نقول إنه لا يتم التوحيد حتى يشهد أن لا إله إلا الله فينفي الألوهية عما سوى الله عز وجل، ويثبتها لله وحده، وذلك أن النفي المحض تعطيل محض والإثبات المحض لا يمنع مشاركة الغير في الحكم". [2]

وهذا التوحيد مبني على تحقيق العبودية لله تعالى ." توحيد الإلهية المـبني علـى إخلاص التأله لله تعالى من المحبة والخوف والرجاء والتوكل والرغبة والرهبة والـدعاء لله وحده، وينبني على ذلك إخلاص العبادات كلها ظاهرها وباطنها لله وحده لا شريك له، لا يجعل فيها شيئاً لغيره لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل، فضلاً عن غيرهما"[3]

ولهذا كانت دعوة الأنبياء لأممهم ولأبنائهم منصبة على هذا النوع من التوحيد، لوقوع الخصومة فيه قال الله تعالى : ﴿ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهًا

(1) شرح العقيدة الواسطية (١٤،١٥).

(2) فتاوى مهمة (٣/١).

(3) تيسير العزيز الحميد (٣٦).

وَٰحِدًا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٣] . وذكر بعض المفسرين أن يعقوب دخل مصراً فوجد الناس يعبدون غير الله، فخاف على أبنائه من الشرك ، وسألهم ما تعبدون من بعدي فأجابوا بقولهم: نعبد إلهك أي معبودك ، وكان الغرض من ذلك حثهم على التوحيد وتخويفهم من الشرك " . وفي السؤال عن حالهم بعد موته دليل على أن الغرض حثهم على ما كانوا عليه حال حياته من التوحيد والإسلام، وأخذ الميثاق منهم عليه، فليس الاستفهام حقيقياً، وكان هذا بعد أن دخل عليه السلام مصراً ، ورأى فيها من يعبد النار ، فخاف على ولده، فحثهم على ما حثهم، قالوا : نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق "[1]

والمشركون الذين بعث إليهم النبي عليه الصلاة والسلام كانوا يعترضون على هذا النوع من التوحيد، وينكرونه أشد الإنكار. قال الله تعالى حكاية عنـهم: ﴿ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص: ٥]، ويرون إفراد الله تعالى بالعبادة أمر يـثير العجب ، بل تواصوا بالصبر على الشرك بالله تعالى: " أي أزعم أن المعبود واحد لا إلـه إلا هو ؟ أنكر المشركون ذلك، قبحهم الله تعالى، وتعجبوا من ترك الشرك بالله ، فـإنهم كانوا قد تلقوا عن آبائهم عبادة الأوثان وأشربته قلوبـهم، فلما دعاهم الرسول صـلى الله عليه وسلم إلى خلع ذلك من قلوبهم وإفراد الإله بالوحدانية أعظموا ذلك وتعجبوا، وقالوا : أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب ، وانطلق الملأ منهم وهم سـادتهم وقادتهم ورؤساؤهم وكبراؤهم قائلين: امشوا أي استمروا على دينكم واصـبروا علـى آلهتكم ، ولا تستجيبوا لما يدعوكم إليه محمد من التوحيد"[2]

ومع ذلك فهم يقرون أن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت ، بـل ويفردونـه بأنواع من العبادة، لكن هذا الاعتقاد لم ينقذهم من الشرك ؛ لأنهم صرفوا أنـواع مـن العبادة لغير الله تعالى ، والله عز وجل أغنى الشركاء عن الشرك.

---

(1) روح المعاني (٣٩١/١).

(2) تفسير ابن كثير (٢٨/٤).

٣- توحيد الأسماء والصفات: هو إفراد الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى الواردة في كتابه وفي سنة نبيه عليه الصلاة والسلام، من غير تعطيل ولا تمثيل ولا تكييف ولا تأويل . " هو أن يدعي الله تعالى بما سمى به نفسه، ويوصف بما وصف بـه نفـسه ووصفه به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وينفي عنه التشبيه والتمثيل، فضد ذلـك شيئان ويعمهما اسم الإلحاد؛ أحدهما: نفي ذلك عن الله عز وجل وتعطيله عن صـفات كماله ونعوت جلاله الثابتة بالكتاب والسنة، ثانيهما: تشبيه صفات الله تعالى بـصفات خلقه، وقد قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ "[1]

فالله جل وعلا له الأسماء الحسنى البالغة في الحسن غايته قال الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأعراف :١٨٠] ، وله الصفات العلا ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [النحل :٦٠] " أي الصفة العليا "[2]

والأسماء والصفات توقيفية، فلا يجوز لنا أن نسمي الله أو نصفه سبحانه وتعـالى باسم أوصفة لم ترد بالكتاب والسنة. " لا يجوز أن يقال في حق الله تعالى تائـب اسـم فاعل من تاب يتوب؛ لأنه ليس لنا أن نطلق عليه من الأسماء والصفات إلا ما أطلقه هـو على نفسه، أو نبيه عليه السلام، أو جماعة المسلمين، وإن كان في اللغة محتملاً جـائزاً . هذا هو الصحيح في هذا الباب "[3].

وهذا النوع من التوحيد لا يحصل به الإسلام، بل لابد من توحيد العبادة، فـإن معرفة كفار قريش به لم تدخلهم في الإسلام.

---

(1) معارج القبول (٤٥٩/٢) ، وانظر: تفسير السعدي (٤٠/١) وانظر: التحفة المدنيـة في العقيـدة الـسلفية (٢٣/١) .

(2) تفسير البغوي (٢١/٣).

(3)تفسير القرطبي (١ /٣٢٦).

"وهذا أيضاً لا يكفي في حصول الإسلام، بل لا بد مع ذلك من الإتيان بلازمه من توحيد الربوبية والإلهية، والكفار يقرون بجنس هذا النوع وإن كان بعضهم قد ينكر بعض ذلك إما جهلاً وإما عناداً، كما قالوا : لا نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة؛ فأنزل الله فيهم : ﴿ وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِ ﴾"[1] وحتى جحودهم لبعض الأسماء (كالرحمن) كان دافعه العناد والجحود ، فقد ورد في أشعارهم تسمية الله تعالى بالرحمن ، قال ابن كثير رحمه الله : "والظاهر أن إنكارهم هذا إنما هو جحود وعناد وتعنت في كفرهم، فإنه قد وجد في بعض أشعار الجاهلية تسمية الله بالرحمن"[2].

ومن أهل العلم من قسم التوحيد إلى قسمين : توحيد في الإثبات والمعرفة، وتوحيد في الطلب والقصد [3]، ومنهم من عبر عن هذين النوعين بتوحيد العلم والاعتقاد، وتوحيد الإرادة والقصد[4] والمعنى واحد.

١- **توحيد الإثبات والمعرفة** : متضمن لتوحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات، قال ابن أبي العز بعد أن ذكر نوعي التوحيد: " فالأول هو إثبات حقيقة ذات الرب تعالى وصفاته وأفعاله وأسمائه، ليس كمثله شيء في ذلك كله، كما أخبر به عن نفسه، وكما أخبر رسوله صلى الله عليه وسلم، وقد أفصح القرآن عن هذا النوع كل الإفصاح، كما في أول الحديد، وطه، وآخر الحشر، وأول ألم تنزيل السجدة ، وأول آل عمران، وسورة الإخلاص بكمالها، وغير ذلك "[5]

٢- **توحيد القصد والطلب :** متضمن لتوحيد الألوهية " والثاني وهو توحيد

(١)تيسير العزيز الحميد (٣٥).

(2) تفسير ابن كثير (٢٢/١).

(3) شرح العقيدة الطحاوية (٤١) .

(4) مدارج السالكين (٢٤/١).

(5) شرح العقيدة الطحاوية (٤١).

الطلب والقصد، مثل ما تضمنته سورة : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾، و﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ [آل عمران:٦٤]، وأول سورة تنزيل الكتاب وآخرها، وأول سورة يونس وأوسطها وآخرها، وأول سورة الأعراف وآخرها، وجملة سورة الأنعام "[1]. وكلا التقسيمين بمعنى واحد، قال ابن القيم رحمه الله تعالى: " فصل في اشتمال هذه السورة على أنواع التوحيد الثلاثة التي اتفقت عليها الرسل صلوات الله وسلامه عليهم"[2]، ثم ذكر أن التوحيد ينقسم إلى قسمين إذْ قال رحمه الله تعالى: " التوحيد نوعان: نوع في العلم والاعتقاد، ونوع في الإرادة والقصد"[3].

فنجد أن السلف وإن تباينت عصورهم، واختلفت مدارسهم الفقهية، إلا إنهم متفقون في مسائل الاعتقاد؛ لأن المصدر الذي ينهلون منه ثابت لا يتغير، كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام، ولا يمكن للعبد معرفة علم التوحيد وغيره من علوم الشريعة إلا بالرجوع إلى نصوص الوحيين. قال ابن أبي العز الحنفي: " كيف يرام الوصول إلى علم الأصول بغير إتباع ما جاء به الرسول"[4] . وكل عبادة من العبادات لابد أن تكون مبنية على إخلاص لله، ومتابعة لرسول الله صلى الله عليه، وإلا أصبحت مردودة غير مقبولة، والتوحيد هو أعظم العبادات، وهو أول الأمر وأخره، فلا يمكن للمرء أن يصل إلى فهم مسائله بمقدمات فلسفيه ، أو أدلة عقليه مجردة عن هدي الكتاب والسنة ، بل لابد من تقديم دلالة الكتاب والسنة، قال ملا علي قاري : " أعلم أن التوحيد الذي هو أساس بناء التأييد أشرف العلوم تبعاً للمعلوم، لكن بشرط أن لا يخرج من مدلول الكتاب

---

(1) المصدر السابق (٤١).

(2) مدارج السالكين (٢٤/١).

(3) المصدر السابق (نفس الصفحة).

(4) شرح العقيدة الطحاوية (٢٤).

والسنة وإجماع العدول، ولا يدخل فيه مداخل مجردة لأدلة العقول، كما وقع فيه أهل البدعة، فتركوا طريق الجادة التي عليها أهل السنة والجماعة "[1] .

وبالتالي فإن تقسيم السلف للتوحيد إلى أقسام لم يكن من تلقاء أنفسهم ، ولم يكن ابتداع في دين الله تعالى، بل التزاماً بالمنهج الذي قرروه وهو الأخذ بالكتاب والسنة، قال محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله: " وقد دل استقراء القرآن العظيم على أن توحيد الله ينقسم إلى ثلاثة أقسام ....."[2] ، ثم ذكرها واستدل لكل قسم منها بأدلة كثيرة من كتاب الله تعالى، وتقسيم التوحيد إلى هذه الأقسام المذكورة والعمل بها عقيدة المسلمين الموحدين، وهو التوحيد الذي جاء به المرسلون. قال ابن القيم رحمه الله تعالى: "فصل في اشتمال هذه السورة على أنواع التوحيد الثلاثة التي اتفقت عليها الرسل صلوات الله وسلامه عليهم"[3] .

وما وقع كثير من الانحراف في الأمة إلا بسبب جهلها بعلم التوحيد، وبالطريق الموصل إليه.

٤- العلاقة بين **أنواع التوحيد:** أنواع التوحيد متلازمة لا ينفك نوع عن نوع، ولا يكمل توحيد العبد إلا إذا علم هذه الأنواع وعمل بها، ولما كان توحيد الربوبية معلوم عند بني آدم ولم يذهب إلى إنكاره طائفة معروفة من البشر؛ لأنه لابد للخلق من خالق، ولابد للكون من مدبر يملكه ويصرفه، ولهذا كان المشركون يقرون بهذا النوع من التوحيد، بل حتى من أنكر هذا النوع من التوحيد وهو فرعون كان منكراً في الظاهر مستيقناً في الباطن ، قال الله تعالى - عنه وعن قومه - : ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [النمل:١٤]. وهذا النوع من

(1) شرح الفقه الأكبر (٢١).

(2) أضواء البيان (١٧/٣).

(3) سبق ذكره . انظر : (١٣٦).

التوحيد ذكره الله في كتابه في آيات كثيرة ، جاعلاً إياه دليلاً على توحيد الألوهية، قال ابن أبي العز الحنفي: " ومن ذلك أنه يقرر توحيد الربوبية ويبين أنه لا خالق إلا الله ، وأن ذلك مستلزم أن لا يعبد إلا الله ، فيجعل الأول دليلاً على الثاني، إذ كانوا يسلمون في الأول، وينازعون في الثاني، فيبين لهم سبحانه إنكم إذا كنتم تعلمون أنه لا خالق إلا الله وحده، وأنه هو الذي يأتي العباد بما ينفعهم، ويدفع عنهم ما يضرهم، لا شريك له في ذلك، فلم تعبدون غيره، وتجعلون معه آلهة أخرى " [1] ، فإن الخالق الرازق المحيي المميت هو الذي يستحق العبادة، ولذا خاطب الله تعالى منكري توحيد الألوهية بالاستفهام التقريري لتوحيد الربوبية كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس :٣١]، فلما أقروا أن الرازق الذي يملك السمع والبصر ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي هو الله، وبخهم منكراً عليهم بقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [2] . قال الشيخ الشنقيطي - رحمه الله تعالى - بعد سياق الآيات الكثيرة المتضمنة للاستفهام التقريري "ولا شك أن الجواب الذي لا جواب لهم غيره هو لا، أي ليس من شركائنا من يقدر على أن يفعل شيئاً من ذلك المذكور من الخلق والرزق والإماتة والإحياء، فلما تعين اعترافهم وبخهم منكراً عليهم بقوله : ﴿ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [يونس: ١٩].

والآيات بنحو هذا كثيرة جداً ، ولأجل ذلك ذكرنا في غير هذا الموضع أن كل الأسئلة المتعلقة بتوحيد الربوبية استفهامات تقرير، يراد منها أ م إذا أقروا رتب لهم التوبيخ والإنكار على ذلك الإقرار؛ لأن المقر بالربوبية يلزمه الإقرار بالألوهية ضرورة"[3]

وكما أن توحيد الربوبية دليل على توحيد الألوهية، فإن توحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية " فعلم أن التوحيد المطلوب هو توحيد الألوهية الذي يتضمن توحيد

---

(1) شرح العقيدة الطحاوية (٣٥ ، ٣٦).

(2) انظر: تفسير أضواء البيان (١٩/٣-٢٣).

(3)تفسير أضواء البيان (٢١/٣)

الربوبية، قال تعـالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾ [الروم:٣٠] (1) .

فلا يستقيم توحيد العبد إلا إذا آمن بأنواع التوحيد، فلا يقبل توحيد الربوبية من غير توحيد الألوهية ، ولا يستقيم توحيد الربوبية والألوهية إلا بتوحيد الأسماء والصفات. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "وقد استدل عليهم سبحانه بإقرارهم بتوحيد الربوبية على بطلان مذهبهم ؛ لأنه - إذا كان هو المدبر وحده وجميـع مـن سـواه لا يملكون مثقال ذرة - فكيف يدعون معه غيره مع إقرارهم بهذا، وأما توحيد الصفات فلا يستقيم توحيد الربوبية ولا توحيد الألوهية إلا بالإقرار بالصفات، لكن الكفار أعقل ممن أنكر الصفات والله أعلم"(2)

ويستدل بأسماء الله الحسنى وصفاته العلى على وحدانيته، فإن من أتصف بصفات الكمال هو الذي يستحق العبادة .

"ويستدل أيضا بأسمائه وصفاته على وحدانيته، وعلى بطلان الـشرك، كمـا في قولـه تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الحشر:٢٣] (3).

وعلى هذا فأنواع التوحيد متلازمة لا يكون المرء موحداً إلا إذا استكملها قـولاً وعملاً واعتقاداً .

أولاً : مفهوم الشرك عند السلف :

الشرك يطلق في اللغة على الاشتراك والمخالطة " شرك الشركة ، و الشركة سواء مخالطة الشريكين. يقال: اشتركنا بمعنى تشاركنا، وقد اشـترك الـرجلان، وتـشاركا،

(1) شرح العقيدة الطحاوية (٣٣)
(2) الفتاوى (٤٢/١)
(3) شرح العقيدة الطحاوية (٩٦/١).

وشارك أحدهما الأخر"[1] ؛ كما يطلق على الحصة والنصيب." وفي الحديث من أعتـق شركاً له في عبد[2] أي حصة ونصيباً، وفي حديث معاذ أنه أجاز بين أهل اليمن الشرك ، أي الاشتراك في الأرض، وهو أن يدفعها صاحبها إلى آخر بالنصف أو الثلـث أو نحـو ذلك"[3]

ويطلق على المصاهرة؛ لأنه شرك في النسب " ويقـالُ في المُـصاهرةِ رغِبنـا في شِركِكُم وصِهرِكُم أي مشاركَتِكُم في النسبِ "[4] .

ويطلق على المقارنة، وعدم الانفراد " . شرك ، الشين والراء والكاف أصـلان، أحدهما يدل على مقارنة وخلاف انفراد، والآخر يدل على امتداد واستقامة"[5] . والذي يخص البحث هو المعنى الأول.

وجمع هذه المعاني صاحب مختار الصحاح : " ش ر ك : جمع الشريك شـركاء وأشراك مثل شريف وشرفاء وأشراف، والمرأة شريكة والنساء شرائك، وشاركه صـار شريكه، واشتركا في كذا ، وتشاركا، وشركة في البيع والميراث، يشركه؛ مثـل علمـه يعلمه شركة، والاسم الشرك وجمعه أشراك كشبر وأشبار، والشرك أيضاً الكفر، وقـد أشرك بالله فهو مشرك، وقوله تعالى : ﴿ وأشركه في أمري ﴾ أي: أجعله شريكي فيـه، وأشرك نعله وشركها تشريكاً ، أي: جعل لها شراكاً. والشرك بفتحتين حبالة الـصائد الواحدة شركة"[6]

فالشرك باللغة يدور حول الاشتراك، والمخالطة، والحصة والنصيب، وعلى المقارنة وعدم الإنفراد.

---

(1) لسان العرب (١٠/ ٤٤٨)، وانظر: تاج العروس (٢٢٣/٢٧).

(2) رواه البخاري ،كتاب الشركة ، باب الرقيق ، برقم (٢٥٠٣) ،ومسلم برقم (١٥٠١).

(3) لسان العرب (٤٤٩/١٠).

(4) تاج العروس (٢٢٥/٢٧) .

(5) معجم مقاييس اللغه (٢٦٥/٣).

(6) مختار الصحاح (١٤٢/١).

ثانيا : تعريف الشرك اصطلاحا :

الشرك له معاني شرعية دلت عليه نصوص الكتاب والسنة وفهمها سلف الأمة ومن هذه المعاني ما يلي:

يأتي الظلم ويراد به الشرك بمعنى الظلم ،كما في قول الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾[الأنعام :٨٢]؛ إذ بين النبي صلى الله عليه وسلم أن الظلم المقصود في هذه الآية هو الشرك، كما ورد في الحديث عن عبد الله رضي الله عنه قال : "لما نزلت ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ قلنا يا رسول الله أينا لا يظلم نفسه، قال: "ليس كما تقولون لم يلبسوا إيمانـهم بظلم بشرك، أولم تسمعوا إلى قول لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم"(1) . ويدل على أن الظلم يأتي بمعنى الشرك آيات كثيرة من كتاب الله تعالى كقول الله تعالى: ﴿ وَٱلْكَـٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٥] ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [يونس : ١٠٦] ، وفسر عدد من السلف الظلم بالشرك، كما في قول الله تعالى : ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾[البقرة :١٢٤] . قال سعيد بن جبير"(2) : في قول الله : ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾، قال : الظالم في هذه الآية المشرك، لا يكون إماماً ظالماً

---

(1) البخاري كتاب الإيمان، باب ظلم دون ظلم، برقم (٣٢)، ورقم (٣٣٦٠، ٣٤٢٨، ٣٤٢٩ ، ٤٦٢٩ ، ٤٧٧٦) ، ومسلم برقم ١٧٨.

(2) **سعيد بن جبير بن هشام** الإمام الحافظ المقرئ المفسر الشهيد ، أبو محمد ويقال: أبو عبد الله أحد الأئمة الأعلام، روى عن عبد الله بن عباس فأكثر وجود، وعن عائشة ، وعدي ، أبي هريرة ، وأبي مسعود البدري وغيرهم ، قتله الحجاج سنة (٩٥). انظر: السير (٣٢١/٤-٣٤١) .

يقول: لا يكون إمام مشركا "[1]

والظلم في لغة العرب وضع الشيء في غير موضعه، وسمي الشرك ظلماً؛ لأنه وضع للعبادة التي هي حق الخالق للمخلوق، قال الشنقيطي رحمه الله تعالى: " إن الظلم في لغة العرب وضع الشيء في غير محله، ومن أعظم ذلك وضع العبادة في مخلوق"[2] . وهـذا الظلم الذي هو الإشراك بالله هو أعظم أنواع الظلم قال القرطبي: " أي لا أحد أظلم ممن جعل مع الله شريكا"[3].

والشرك هو الكلمة السفلى. قال ابن عباس : "وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وهو الشرك بالله وكلمة الله هي العليا قال لا إله إلا الله"[4]

والشرك أن يجعل العبد لله نداً قال: ابن عباس: " الأنداد هو الشرك "[5] ، وهذا ما دل عليه حديث عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : سألت النبي صـلى الله عليه وسلم أي الذنب أعظم عند الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم: " أن تجعل لله نداً وهو خلقك، قلت: إن ذلك لعظيم، قلت: ثم أي ؟ قال: وأن تقتل ولدك تخـاف أن يطعـم

(1) تفسير ابن أبي حاتم (٢٢٤/١).

(2) أضواء ا لبيان (٣/ ٢٦٧).

(3) تفسير القرطبي (٣٦٤/١٣).

(4) تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٨٠١) .

(5) الدر المنثور (١ /٨٧).

معك، قلت: ثم أي ؟ قال : أن تزاني حليلة جارك " [1] والأنداد هم الأكفاء والأمثال والأشباه قال الله تعالى: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٢]، فمن جعل لله نداً في ربوبيته، وألوهيته فقد أشرك، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " فمن جعل لله نداً من خلقه فيما يستحقه عز وجل من الإلهية والربوبية فقد كفر بإجماع الأمة"[2]

وقد بين ابن القيم رحمه الله تعالى مفهوم الشرك بأنه اتخاذ أنداد لله تعالى، يحبهم ويعبدهم كما يعبد الله. فقال :

"والشرك فاحذره فشرك ظاهر ذا قسم ليس بقابل الغفران
وهو اتخاذ الند، أيا كان من حجر ومن إنسان
يدعوه أو يرجوه ثم يخافه ويحبه كمحبة الديان[3]

قال شارح الشافية الكافية : "وقوله وهو اتخاذ الند للرحمن الخ ، أي إن الشرك هو اتخاذ ند من دون الله يدعوه كما يدعو الله، ويرجوه كما يرجو الله، ويخافه كما يخاف الله، ويحبه كما يحب الله، ونحو ذلك ، وهذا هو الشرك الأكبر الذي أرسل الله

---

(1) البخاري ،كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: ﴿ فَلَا تجعلُواْ لِلّهِ أنداداً وأنتم تعلمونَ ﴾[البقرة :٢٢] وبرقم (٤٤٧٧و٤٧٦١ و٦٠٠١ و٦٨١١)، ومسلم برقم (٨٦).

(2) الفتاوى (٨٨/١).

(3) شرح الكافية الشافية لأحمد بن إبراهيم بن عيسى (٢٦٣/٢).

الرسل وأنزل الكتب للنهي عنه، وتكفير أهله واستباحة دمائهم وأموالهم"[1]

وكما يكون الشرك صرف العبادة لغير الله تعالى فإن الشرك يكون بصرف إي شيء من العبادة لغير الله، قال ابن عطية [2] في تفسير قوله تعالى ﴿ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾[الأنعام : ١].

"﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ في هذا الموضع هم كل من عبد شيئاً سوى الله. قال قتادة هم أهل الشرك صراحية"[3]

ولهذا فصرف شيء من العبادة لغير الله تعالى هو شرك نهى الله تعالى عنه، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا ﴾[الحج :٢٦].

فلا يشرك مع الله أحداً كائناً ما كان ، ولا يصرف من العبادات قليلاً أو كثيراً لغير الله ، قال الشنقيطي رحمه الله تعالى: "وقوله تعالى في هذه الآية ﴿ لا تشرك بي شيئاً﴾ لفظة شيئاً مفعول به للاشتراك، أي: لا تشرك بي من الشركاء كائناً ما كان، ويحتمل أن تكون ما ناب عن المطلق، من لا تشرك ، أي: لا تشرك بي شيئاً من الشرك لا قليلاً ولا كثيراً"[4]

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى : "وهو صرف نوع من العبادة لغير الله ، أو هو أن يدعو مع الله غيره، أو يقصده بغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها"[5]

---

(1) المصدر السابق (٢٦٣/٢).

(2) **عبد الحق بن غالب بن عبد الملك** بن غالب بن تمام بن عطية الإمام المفسر أبو محمد كان فقيهاً عارف في الحديث ، والتفسير ، ت (٥٤٦). انظر طبقات المفسرين (١٧٥ – ١٧٦).

(3) المحرر الوجيز (٢٦٦/٢).

(4) أضواء البيان ج٤/ص٢٩٧.

(5) مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، قسم العقيدة (٢٨١).

وهذا المعنى أكده العلامة الدهلوي[1] : " إن الشرك لا يتوقف على أن يعدل الإنسان أحداً بالله، ويساوي بينهما فلا فرق ، بل إن حقيقة الشرك أن يأتي الإنسان بخلال وأعمال خصها الله بذاته العلية ، وجعلها شعاراً للعبودية لأحد من الناس، كالسجود لأحد، والذبح باسمه ، والنذر له ، والاستغاثة به في الشدة ، واعتقاد أنه حاضر ناظر في كل مكان ، وإثبات قدرة التصرف له، وكل ذلك يثبت به الشرك، ويصبح الإنسان به مشركاً ، وإن كان يعتقد أن هذا الإنسان ، أو الملك ، أو الجني ، الذي يسجد له، أو يذبح أو ينذر له، أو يستغيث به ، أقل من الله شأناً، وأصغر منه مكاناً ، وأن الله هو الخالق ، وهذا عبده وخلقه"[2].

ولعل من أجمع تعريفات الشرك: " أن يجعل الإنسان لله نداً في ربوبيته، أو ألوهيته، أو أسمائه وصفاته"[3].

ثانيا: أنواع الشرك:

كما قسم السلف التوحيد إلى أنواع بعد استقراء نصوص الكتاب والسنة، فقد قسموا الشرك إلى أنواع ، بحسب ما دلت عليه النصوص، فمنهم من قسم الشرك إلى ثلاثة أقسام باعتبار، ومنهم من قسمه إلى قسمين باعتبار آخر ، فالذي قسمه إلى قسمين قسمه إلى شرك أصغر ، وشرك أكبر. [4]

قال ابن القيم رحمه الله : "وأما الشرك فهو نوعان: أكبر، وأصغر، فالأكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة منه، وهو أن يتخذ من دون الله نداً يحبه كما يحب الله ، وهو

(1) هو : **محمد بن إسماعيل بن عبد الغني بن عبد لرحيم الدهلوي** ،كان عالماً ، مجاهداً ، من علماء الحديث في الهند، سافر لبلاد الحرمين ، وله مصنفات كثيرة ، ت ١٢٤٦هـ ، ومعجم المؤلفين (٥٨/٩).

(2) رسالة التوحيد ، الدهلوي (٣٢ ،٣٣).

(3) معارج القبول ، وفتاوى اللجنة (٥١٦،٥١٧/١).

(4) مدارج السالكين (٣٩٩/١) ، وانظر: شرح الكافية الشافية (٢٦٨/٢)، وانظر: فتح اليد (١٠٤).

الشرك الذي تضمن تسوية آلهة المشركين برب العالمين ... "[1]

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله تعالى : "واعلم أن اتخاذ النـد علـى قسمين ؛ الأول: أن يجعله لله شريكاً في أنواع العبادة، أو بعضها كما تقدم وهو شـرك أكبر، والثاني : ما كان من نوع الشرك الأصغر ، كقول الرجل ما شـاء الله وشـئت، وكيسير الرياء "[2] . ومن قسم هذا التقسيم نظر إلى حقيقة الشرك من حيث إخراجه لصاحبه من الإسلام من عدمه، فالأكبر هو المخرج من الملة ،والأصغر لا يخرج منها.

"تقسيم الشرك إلى أكبر، وأصغر، فالأكبر هو المخرج من الملة، والأصغر ما حكم الشارع عليه بأنه شرك ، وليس فيه تنديد كامل يلحقه بالشرك الأكبر، وعبر عنه بعـض العلماء : ما كان وسيلة إلى الشرك الأكبر"[3].

إذاً فالشرك الأصغر : " كل ما نهى عنه الشارع مما هو ذريعة إلى الشرك، ووسيلة للوقوع فيه وجاء في النصوص تسميته شركاً "[4].

والذي قسمه إلى ثلاثة أقسام : أصغر، وأكبر، وخفي،لم يخالف التقسيم الـسابق إلا إنه أراد بيان أهمية الشرك الخفي الذي دلت عليه الأحاديث النبوية، وهذا النوع منه ما هو شرك أصغر، ومنه ما هو شرك أكبر، فهو داخل تحت الأصغر والأكبر ، ومثـال الشرك الأكبر الخفي كشرك المنافقين ، فشرك المنافقين أكبر ،وهو مع ذلـك خفـي ، وشرك المتوكلين على الأموات، فالتوكل عمل قلبي خفي، ومن توكل علـى المـشايخ كتوكله على الله فقد أشرك إلى غير ذلك من الصور.

وكذلك الشرك الأصغر منه ما هو خفي كيسير الرياء[5].

---

(1) مدارج السالكين (٥٢٣/٣).

(2) فتح المجيد (١٠٤).

(3) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٨).

(4) فتاوى اللجنة (٥١٧/١) ، وانظر: الكواشف الجلية (١٨٦).

(5) انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٨) ، والشرك في القديم والحديث (١٣٨ -١٣٩).

ومنهم من قسم الشرك بحسب مضادته لأنواع التوحيد ، فالشرك ضد التوحيد ، فهناك شرك يضاد توحيد الربوبية ، وهناك شرك يضاد توحيد الألوهية، وهنـاك شـرك يضاد توحيد الأسماء والصفات، فالذي يضاد توحيد الربوبية هو اعتقاد العبـد وجـود متصرف مع الله غيره فيما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل ، والذي يضاد توحيد الألولهية هو صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله عز وجل، وهذا هو الغالـب علـى عامـة المشركين، وفيه الخصومة بين جميع الرسل وأممهم، والذي يضاد توحيد الأسماء والصفات شيئان، ويعمهما اسم الإلحاد، أحدهما: نفي الأسماء والصفات عن الله عز وجل وتعطيله عن صفات كماله ونعوت جلاله الثابتة بالكتاب والسنة، وثانيهما: تشبيه صـفات الله تعالى بصفات خلقه ، وقد قال تعـالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى :١١] ، وقـال تعالى : ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ [طه :١١٠][1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "شرك في الإلهية، وشرك في الربوبية، فأما الشرك في الإلهية: فهو أن يجعل لله نداً ، أي: مثلاً في عبادته، أو محبته، أو خوفه، أو رجائـه، أو إنابته، فهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله إلا بالتوبة منه، قال تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[الأنفال :٣٨]. وهذا هو الذي قاتل عليه رسول الله مشركي العرب ؛ لأنـهم أشركوا في الإلهية قال الله تعالى:﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾[البقـرة: ١٦٥] الآيـة، وقـالوا: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزمر:٣] الآية "[2]. إلى أن قال رحمة الله تعالى "وأما النوع الثاني: فالشرك في الربوبيـة فإن الرب سبحانه هو المالك، المدبر، المعطي، المانع، الضار، النافع، الخافض، الرافع، المعز،

(1) انظر: معارج القبول (٤٥٩/٢) ، وانظر: تيسير العزيز الحميد (٢٧،٢٨).
(2) الفتاوى (٩١/١).

المذل، فمن شهد أن المعطي، أو المانع، أو الضار، أو النافع، أو المعز، أو المذل غيره، فقد أشرك بربوبيته"[1].

وهذه التقسيمات عند السلف لا تضاد، ولا تباين بينها ، بل يوافق بعضها بعضاً، وهذا التقسيم من باب التكامل بين علماء الأمة فهماً لنصوص الكتاب والسنة، ونصحاً للأمة وتحذيرا لها من الوقوع في الشرك ووسائله.

المبحث الثاني

التوحيد والشرك عند القبورية

أولاً: التوحيد عند القبورية:

لا يمكن للإنسان معرفة حقيقة التوحيد إلا بالرجوع للكتاب والسنة على فهم سلف الأمة، فإذا استحضر العبد الأدلة، والشواهد، وفهمها الفهم الصحيح، تصور حقيقة التوحيد وما يضاده من الشرك، وبالتالي يتضح له معنى لا إله إلا الله ، ومفهوم العبادة، وإذا جهل مفهوم التوحيد، جهل مفهوم ما يضاده من الشرك، وجهل معنى العبادة، وجهل معنى أول ركن من أركان الدين، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. يقول الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ :" اعلم أن من تصور حقيقة أي شيء على ما هي عليه في الخارج، وعرف ماهيته بأوصافها الخاصة ، عرف ضرورة ما يناقضه و يضاده، وإنما الخفاء بلبس إحدى الحقيقتين، أو بجهل كلاً الماهيتين، ومع انتفاء ذلك وحصول التصور التام لهما، لا يخفى ولا يلتبس أحدهما بالآخر، وكم هلك بقصور العلم، وعدم معرفة الحدود والحقائق من أمة، وكم وقع بذلك من غلط وريب وغمة، ومثال ذلك أن الإسلام والشرك نقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان، والجهل بالحقيقتين أو أحدهما أوقع كثيراً من الناس في الشرك، وعبادة الصالحين لعدم معرفة الحقائق وتصورها، وإن ساعد الجهل، وقصور العلم عوائد مألوفة، استحكمت

(1) الفتاوى (٩٢/١).

البلية، وتمكنت الرزية "[١].

وهذا ما حصل عند القبورية، فنتيجة للتصور الخاطئ ، والمفهوم القاصر لمعنى التوحيد، وحقيقته، وقع القبورية في أنواع من الشرك بالله تعالى .

إذ أن حقيقة التوحيد عند القبورية، الإقرار بتوحيد الربوبية، وإفراد الله تعالى بالخلق والإيجاد والتدبير. قال الغماري : "و تنشئتهم على التوحيد الخالص، واعتقاد نفي الشريك مع الله، وأنه سبحانه المنفرد بالخلق والإيجاد والتدبير، والتصريف لا فاعل غيره، ولا مؤثر في ملكه سواه "[٢]

وعلى هذا فمن أقر بتوحيد الربوبية عند القبورية فقد كمل توحيده، لأن توحيد الربوبية عند القبورية هو توحيد الألوهية بعينه . قال دحلان: "ومن المعلوم أن من أقر بالربوبية فقد أقر بالألوهية ؛ إذ ليس الرب غير الإله ، بل هو الإله بعينه " [٣] .

وبناءً على هذا الفهم للتوحيد عند القبورية ، فهموا معنى الإله؛ فالإله عندهم معناه الرب، ومعناه كذلك المستغني عن كل ما سواه. قال القليوبي: " اعلم أن (الله) الذي لا إله إلا هو بمعنى الإله، والإله هو الذي يؤله له ، ويرجع إليه في كل شيء ، فيكون معنى الإله بحق هو المستغني عن كل ما سواه، المفتقر إليه كل ما عداه "[٤].

وكما أخطأوا في مفهوم التوحيد ، و أخطؤا في معنى الإله، جرهم هذا الخطأ إلى أخطاء أخرى، في معنى كلمة الحق والتوحيد شهادة أن لا إله إلا الله ، و جاءوا بالنصوص الصريحة في مفهوم لا إله إلا الله ، ليوافق ما قرروه من معنى التوحيد، ولهذا أصبح معنى (لا إله إلا الله) عند القبورية اعتقاد أن الله هو الرازق المحيي المميت. قال ابن

---

(1) منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داوود بن جرجيس (١٢) .

(2) إحياء المقبور (٢٦) .

(3) الدرر السنية في الرد على الوهابية (٤٠)، وانظر: مصباح الأنام (١٧).

(4) فيض الوهاب (١٤٤/٢) .

مرزوق: "إن توحيد الربوبية وتوحيد الإلوهية متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخـر في الوجود وفي الاعتقاد، فمن اعترف بأنه لا رب إلا الله كان معترفا بأنه لا يستحق العبادة غيره، وكان مذعناً بأنه لا رب سواه، وهذا الثاني معنى (لا إله إلا الله)"[1] ، وعليه فمعنى (لا إله إلا الله) عند القبورية أي: لا رب سواه .

ومن الانحراف في مفهوم التوحيد، إلى الانحـراف في معـنى لا إلـه إلا الله، إلى الانحراف في مفهوم العبادة، إذ لا يعتبر أي عمل من الأعمال عبادة إلا إذا اقترن باعتقاد الربوبية، لمن صرف له العمل "إن مسمى العبادة شرعاً لا يدخل فيه شيء من التوسـل ، والاستغاثة وغيرهما، بل لا يشتبه بالعبادة أصلاً، فإن كل ما يدل على التعظيم لا يكـون من العـبادة إلا إذا اقترن به اعتقاد الربوبية لذلك المعظم، أو صفة من صفا ا الخاصة ا "[٢]

وقد قرر هذا المعنى لمفهوم العبادة محمد علوي مالكي إذ قال: " ذكر العلمـاء المحققون شرعاً هي الإتيان بأقصى غاية الذل والخضوع، مع اعتقاد ربوبية المخضوع له، أو شيء من خصائصها، كالاستقلال بالنفع والضر، وأما مع انتقاء هذا الاعتقـاد، فـلا يكون المأتي به عبادة ولو كان سجوداً فضلاً عما دونه " [٣]ولذلك فالقبوريـة لم يقفـوا على تقرير باطلهم، ونشره عند أتباعهم ، بل حاربوا أهل السنة حرباً لا هوادة فيها، فمن قولهم بأن الوهابية يكفرون المسلمون بسبب تعريفهم للتوحيد، إلي إنكـارهم لتقـسيم التوحيد، واعتبار تقسيم التوحيد تثليث،كتثليث النصارى "فهذا جزء لطيـف، ومنـار منيف، أثبت فيه إبطال التثليث في تقسيم التوحيد إلى توحيد ألوهيـه وربوبية،وتوحيـد أسماء وصفات"[٤].

---

(1) التوسل بالنبي لابن مرزوق (٢٢).

(٢) البراهين الساطعة (٣٦٩)

(٣) الأجوبة الغالية في عقيدة الفرقة الناجية (٤٢).

(١) مجموع رسائل السقاف (٢/٥ ٩ ٥) ، وقد سبقه في ذلك القضاعي في البراهين (٣٧٦ ، ٣٧٧).

كما اعترضوا على تعريف أهل السنة والجماعة للعبادة، واعتبروا تعريف شـيخ الإسلام ليس بتعريف بل هو هراء. "وقوله [يعني شيخ الإسلام ابن تيميه]:"العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة": هـراء لـيس بتعريف للعبادة"[١].

وبعد هذه النقول من كلام القبورية يمكن تصور عقيدة القوم بوضوح، فيما يتعلق بمفهوم التوحيد ، ومعنى العبادة.

ثانيا: الشرك عند القبورية:

الشرك ضد التوحيد، فمن تصور مفهوم التوحيد تصوراً صحيحاً مستحضراً أدلته فهم معنى الشرك فهماً صحيحاً، ومن أخطأ في مفهوم التوحيد أخطأ في مفهوم الشرك.

فالشرك والتوحيد نقيضان، لا يجتمعان ولا يرتفعان،كما سبق، و القبورية فهموا التوحيد بأنه إفراد الله تعالى بأفعاله، كالخلق، والرزق، والإحياء، والإماتة، والاسـتقلال بالتأثير كالنفع والضر. وبناءً عليه فمفهوم الشرك عند القبورية هو اعتقاد الربوبية لغـير الله تعالى، قال المالكي: "وأن ابتغاء المسلم إلى الله وسيلة وسؤاله إياه مستشفعاً برسـوله ونداءه مستغيثاً به ونذره لأحد من الأنبياء أو الأولياء بقصد التصدق عنه وتمسحه وطوافه بقبره فليس ذلك كله من عبادة غير الله بشيء، إذ لا يوجد في أحد من المـسلمين مـن يعتقد بربوية غير الله، أو يعتقد النفع والضر والتأثير لأحد سواه"[٢].

فالذي يوقع في الشرك عند القبورية اعتقاد الربوبية لغير الله، أو اعتقاد اسـتقلال غير الله جل وعلا بالتأثير. قال دحلان :"الذي يقدح في التوحيد هو اعتقاد التأثير لغـير الله، أو اعتقاد الألوهية واستحقاق العبادة لغير الله، وأما مجرد النداء من غير اعتقاد شيء من ذلك فلا ضرر فيه"[٣]

(1) التوسل بالنبي لابن مرزوق (٦٧).
(2) الأجوبة الغالية في عقيدة الفرقة الناجية (٤٤).
(3) الدرر السنية (٣٥) .

وبناءً على مفهوم الشرك، والعبادة عند القبورية، فإنه يجوز المبالغة في تعظيم النبي عليه الصلاة والسلام بما دون الربوبية بأي نوع من أنواع التعظيم، قال السبكي: "واعلم أن هاهنا أمرين لابد منهما:

الأول: وجوب تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم ، ورفع رتبته على سائر الخلق.

والثاني: إفراد الربوبيه، واعتقاد أن الرب تبارك وتعالى منفرد بذاته، وصفاته، وأفعاله عن جميع خلقه، فمن اعتقد في أحد من الخلق مشاركة الباري تعالى في ذلك فقد أشرك، وجنى على جانب الربوبية فيما يجب، وعلى الرسول فيما أدى إلى الأمة من حقها، ومن قصر بالرسول عن شيء من رتبه، فقد جنى عليه فيما يجب له، وعلى الله تعالى بمخالفته فيما أوجب لرسوله، ومن بالغ في تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم بأنواع التعظيم، ولم يبلغ به ما يختص بالباري فقد أصاب الحق ، وحافظ على جانب الربوبية والرسالة جمعياً، وذلك هو العدل الذي لا إفراط فيه ولا تفريط "[1].

فدعاء الأموات، والاستغاثة م ، والسجود لهم، والنذر والذبح لهم ، والتوسل م في اعتقاد من يرون أن الشرك فقط في الربوبية عدل لا إفراط فيه ولا تفريط ، وأي عمل يتوجه به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فهو عدل لا إفراط فيه ولا تفريط ما لم يعتقد بالنبي صلى الله عليه وسلم مقام الربوبية أو التأثير استقلالاً.

وبناءً على هذا التقرير لمفهوم الشرك، فإن جميع أعمال القبورية التي يعملو ا عند القبور ليست من الشرك، بل هي تتردد بين أنه لا ضرر فيها، وبين تعظيم الأولياء والصالحين، وبين أ ا ليست من قبيل العبادة في شيء ، فالشرك الذي يحبط العمل مبرر عند هؤلاء القبورية، فدعاء غير الله ليس بشرك عند القبورية " . بل افتروا على النبي عليه الصلاة والسلام وقالوا : " ما علمهم صلى الله عليه وسلم من التوسل به والاستغاثة والاستشفاع والنداء له في الغيبة وبعد الوفاة إنما هو موجب لكمال الإيمان وناشئ عن قوة الإيمان بأصوله كلها يجب الإيمان ا" [2].

---

(1) شفاء السقام (١٤٦).

(2) البراهين الساطعة ، للقضاعي (٣٩٣) .

وكذلك السجود لغير الله هذه العبادة ، ليست شركاً عند القبورية ما لم يعتقـد الخاضع ربوبية المخضوع له. قال المالكي: " فالعبادة هي الإتيان بأقصى غاية الخضوع مع اعتقاد ربوبية المخضوع له ، أو شيء من خصائصها كالاستقلال بالنفع والضر، أما مـع انتفاء هذا الاعتقاد فلا يكون المأتي به عبادة أصلاً، ولو كان ذلك سجوداً فـضلاً عمـا دونه"[1].

وكذلك الذبح للولي عند القبورية فلا يكون شركاً، إلا مع اعتقاد ربوبية الولي، قال المالكي - في إجابة عن حكم الذبح بأبواب الأولياء _ : " ذكر العلماء رحمهـم الله تفصيلاً أنه إذا فعل الإنسان ذلك، باسم الولي، أو لكي يتقرب به إليه فهو كمن ذبح لغير الله، فالمذبوح ميتة والفاعل آثم، ولا يكفر إلا إذا قصد به التعظيم والعبادة، كما لو سجد له لذلك"[2].

فرغم أنه تقرب بذبيحة للولي، والذبيحة باسم الولي، فهو كمن ذبح لغير الله، إلا أنه لا يكفر مع ذلك كله إلا إذا اعتقد ربوبية الولي، وكذلك النذور لمشاهد الأولياء فهي جائزة وقربة عند القبورية؛ إذْ أجاب المالكي عن سؤال تقديم النذور إلى الأولياء بقوله: "ذكر العلماء نفع الله بـهم أن النذر لمشاهد الأولياء والعلماء جائز صحيح، إن قـصد الناذر أهــل ذلك المحل من أولادهم أو الفقراء عند قبورهم أو قصد صرفه في عمـارة ضرائحهم "[3].

فالشرك بالله تعالى وصرف القرب لغيره عند هؤلاء القبوريـة جـائز صـحيح بدعوى عدم اعتقاد الربوبية بـهم، أو استقلال الأموات بالتأثير، ولكن البدعة لابـد أن تأتي ببدعة أخرى، والشبهة تنادي أختها حتى أوصلت هذه الشبه غلاة القبورية للإشراك بتوحيد الربوبية، واعتقاد تصرف الأموات بالكون ودعائهم عند الشدائد والملمات.

المبحث الثالث

(1) الأجوبة الغالية في عقيدة الفرقة الناجية (٤٢).
(2) الأجوبة الغالية في عقيدة الفرقة الناجية (٩٢).
(3) المصدر السابق نفس الصفحة.

شبهات القبورية في مفهوم التوحيد

الشبهة الأولى : شبهة القبورية في أن توحيد الربوبية هو الغاية

قرر القبورية أن التوحيد الذي هو حق الله على العبيد هو توحيد الربوبية، فمن أقر بأن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت، وأن لا أحد له التأثير في هذا الكون استقلالاً إلا الله ، فمن اعتقد ذلك فهو الموحد عند القبورية، وقرروا هذه الشبهة بما يلي:

١- أنه لا فرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، فمن أقر بالربوبية فقد أقر بالألوهية، إذ ليس الرب سوى الإله، بل هو الإله بعينه. قال علوي الحداد : " ومن المعلوم أن من أقر له بالربوبية فقد أقر له بالألوهية، إذ ليس الرب غير الإله، بل هو الإله بعينه ". (١)

٢- استدلوا على أن توحيد الربوبية هو توحيد الألوهية بنصوص من الكتاب والسنة، ومنها قول الله تعالى : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ ، قال دحلان (٢): "ولم يقل: ألست بإلهكم" فاكتفى منهم بتوحيد الربوبية ". (٣) كما استدلوا كذلك بالحديث: "إن الملكين يسألانه في قبره فيقولان له : من ربك ؟" ولم يقولا من إلهك، فدل على أن توحيد الربوبية هو توحيد الألوهية ". (٤)

٣- واستدلوا أن النبي عليه الصلاة والسلام ما كان يفصل لمن قدم عليه توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية. قال دحلان: " فهل سمع المسلمون في الأحاديث والسير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قدمت عليه أجلاف العرب ليسلموا على يده، يفصل لهم توحيد الربوبية، ويخبرهم أن توحيد الألوهية هو الذي يدخلهم في دين الإسلام ، أو يكتفي منهم بمجرد الشهادتين". (٥)

الرد على هذه الشبهة من وجوه :

---

(١) مصباح الأنام (١٧) ، وانظر: الدر السنية (٤٠)، وانظر: مقال الدجوي (توحيد الألوهية، وتوحيد الألوهية) ، وانظر: رسائل السقاف ، رسالة التنديد بمن عدد التوحيد (٥٩٨/٢).

(2) هو أحمد زيني دحلان مفتي الشافعية بمكة، من أعظم أعداء دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ألف كتب للرد على دعوة الشيخ منها الدرر السنية في الرد على الوهابية. انظر معجم المؤلفين (٢٢٩/١، ٢٣٠).

(٣) الدرر السنية (٤٠).

(٤) الدرر السنية (٤١).

(٥) الدرر السنية (٤١).

القول أن توحيد الربوبية هو الغاية هذا في حد ذاته شبهة تحتـاج إلى رد والـرد عليها من وجوه:

الوجه الأول : لا يمكن أن يكون الإنسان موحداً حقاً إذا أقر بتوحيد الربوبية، وهو إفراد الله تعالى بأفعاله كالخلق، والرزق، والإحياء، والإماتة، والإقرار بأنه لا مؤثر في الكون سواه إلا إذا أتى بلازمة وهي توحيد الألوهية. والدليل على ذلك: أن كفار قريش، كانوا يقرون ويشهدون بأن الله هو الخالق كما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾[الزخرف :٨٧] ،كما يقرون بأن الله تعالى هو الرازق، وهو الذي يملك السمع والبصر ويحي ويميت، ويدبر الأمر ﴿ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ . [يونس : ٣١].

وهم يقرون بأن الله خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [العنكبوت : ٦١] ، وهم يعلمون أن الله هو الذي ينـزل المطر، وينبت الزرع ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾[العنكبوت : ٦٣].

وهم مقرون معترفون بأن الله هو الذي يجير ولا يجار عليه، فهو الذي يجير من استجار به، ولا يستطيع أحد أن يحمي من أراد الله إهلاكه، ﴿ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾ [المؤمنون٨٩ ، ٨٨]، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

والقبورية يعلمون أن الذي أرسل إليهم النبي عليه الصلاة والسلام مشركون ولا يجادلون في ذلك ، فكيف يكونون مشركين وهم يقرون ويعترفون أن الله هـو الخـالق

الرازق المحيي المميت الذي بيده كل شيء، وهو يجير ولا يجار عليه. وعلى هذا فالتوحيد الذي أمر الله به، وخلق الناس من أجله، وجاهد به النبي عليه الصلاة والسلام جهاداً كبيراً، ليس على حسب فهم هؤلاء القبورية، بل هو إفراد الله بالعبادة.

الوجه الثاني : توحيد الربوبية قدر مشترك يعترف به جميع الناس إلا قليلاً لا يعتبر بهم . يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : " ولا نقل عن قوم قط من الكفار أنهم قالوا أن هذا العالم له خالقان متماثلان ". (١)

بل إن توحيد الربوبية، لا ينازع فيه المشركون الذي أرسل إليهم النبي عليه الصلاة والسلام ، كما ثبت بالكتاب والسنة والإجماع، وكما علم بالاضطرار من دين الإسلام .

ولما كان المشركون لا يخالفون النبي عليه الصلاة والسلام بهذا النوع من التوحيد، بل كانوا يقرون به، كان حجة عليهم بالالتزام بلازمه وهو توحيد الألوهية. قال الله تعالى مذكراً بآلائه ونعمائه عليهم مما هم مقرون به ، معترفون فيه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة :21].

قال ابن عباس –رضي الله عنهما - : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ أي: لا تشركوا به غيره من الأنداد التي لا تضر ولا تنفع ﴿ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أنه لا رب لكم يرزقكم غيره". (٢)

---

(١) فتاوى شيخ الإسلام (٧٥/٧).

(٢) الدر المنثور (٨٥/١).

فالله سبحانه وتعالى جعل من إقرارهم بأن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت حجة عليهم لتقرير توحيد الألوهية كما قال الله تعالى : ﴿ وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرًا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ۝٣ إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ ۝٤ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ ۝٥ ﴾ [الصافات : ١-٥]، قال الشنقيطي رحمه الله تعالى : " ولما قال تعالى : ﴿ إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ ﴾ أقام الدليل على ذلك ، بقوله تعالى : ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ ﴾ ، فكونه خالق السموات والأرض، الذي جعل فيها المشارق والمغارب، برهان قاطع على أنه هو المعبود وحده ". (١)

وبذلك يتبين أن كفار قريش الذين قاتلهم النبي عليه الصلاة والسلام، وهو من جعله الله رحمة للعالمين، لم يكونوا منكرين لتوحيد الربوبية، بل كانوا منكرين للازمه وهو أفراد الله بالعبادة.

الوجه الثالث : المتأمل لكتاب الله ، ولسنة نبيه عليه الصلاة والسلام، يجد أن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تدعوا الناس لإفراد الله بالعبادة : ﴿ وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ ﴾ [البقرة : ١٦٣] ، فهي تنفي تعدد الآلهة والمعبودات، وتثبت تفرد الله تعالى بالعبادة، والآيات في هذا المعنى كثيرة ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ [الفاتحة : ٥]، وقال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء : ٢٣] ، ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ [البينة : ٥]، كما أن دعوة جميع الأنبياء من نوح عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وسلم كانت دعوة لإفراد الله بالعبادة قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ [الأنبياء:٢٥] إلى غير ذلك من الآيات التي تقرر توحيد الألوهية، وإفراد الله بالعبادة.

وكذلك دعوة النبي عليه الصلاة والسلام ؛ فلم يرد بالسنة أن النبي عليه الصلاة

(١) أضواء البيان (٣٠٢/٦).

والسلام أقام الحجج على توحيد الربوبية لمعرفة الناس ـذا التوحيد وإقرارهم به ، إنما كان دعوته لإفراد الله بالعبادة ، وهي حق الله على عباده، فلا تحصل لهم النجاة حتى يعبـدوه ولا يشركوا به شيئاً ؛ كما ورد في حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : " كنـت رديف النبي صلى الله عليه وسلم فقال لي : يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله . قلت : الله ورسوله أعلم، قال : حق الله على العباد : أن يعبـدوه ولا يشركوا به شيئاً ... ". [1] الحديث.

والأحاديث التي تدل على أن دعوة النبي عليه الـصلاة والـسلام إلى إفـراد الله بالعبادة كثيرة، منها ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما: " أن رسول الله صلى الله عليـه وسلم، لما بعث معاذاً لليمن قال : إنك تأتي قوماً من أهل الكتـاب، فلـيكن أول مـا تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله ". الحديث، وفي روايـة " أن يوحـدوا الله ".[2] الحديث، وفي رواية " أن يعبدوا الله " [3].

وأهل الكتاب كانوا يقرون أن الله هو الخالق الرازق المصور، ولم يكونوا ملاحده منكرين للخالق، ورغم ذلك لم يقبل منهم؛ فدعوة النبي ليست فقط دعوة للربوبية، إذ أن الربوبية أمر معلوم عند الناس مفطور عليه الخلق، إنما دعوته إلى أفراد الله بالعبـادة قـال الشيخ عبد الرحمن بن حسن : " وليس المراد بالتوحيد: مجرد توحيد الربوبية، وهو اعتقاد أن الله وحده خلق العالم ، كما يظن ذلك من يظنه من أهل الكلام والتصوف! ويظـن هؤلاء أ م إذا أثبتوا ذلك بالدليل، فقد أثبتوا غاية التوحيد، وأ م إذا شهدوا هذا وفنـوا فيه فقد فنوا في غاية التوحيد، فإن الرجل لو أقر بما يستحق الرب تعالى من الـصفات، ونزهه عن كل ما ينـزهه عنه، وأقر بأنه وحده خالق كل شيء لم يكن موحـداً حـتى يشهد أن لا إله إلا الله. فيقر بأن الله وحده هو الإله المستحق للعبادة، ويلتزم بعبـادة الله

---

(١) البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب اسم الفرس والحمـار بـرقم (٢٨٥٦، ٥٩٦٧، ٦٢٦٧، ٦٥٠٠، ٧٣٧٣)، ومسلم برقم (٣٠).

(2) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم برقم (٧٣٧٢).

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الزكاة ، باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة، برقم (١٤٥) ، ومـسلم، برقم (١٩).

وحده لا شريك له " [1].

وفي الوقت الذي يقربه المشركون بتوحيد الربوبية، فهم ينكرون أشد الإنكار ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من التوحيد ، ويعتبرون ذلك سباً للآلهة، ونـيلاً مـن معبودا م وتسفيهاً لعقولهم، ولذلك لما قال لهم النبي عليه الصلاة والسلام: قولوا لا إله إلا الله . قالوا كما ذكـر الله عنـهم: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَـٰهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص :5] فلم ينكروا أن الله هو الخالق الرازق، بل أنكروا إفراد الله بالعبادة.

الشبهة الثانية: قول القبورية أن توحيد الربوبية هو توحيد الألوهية.

وقالوا : " فمن أقر بتوحيد الربوبية فقد أقر بتوحيد الألوهية؛ إذ ليس الرب غـير الإله، بل هو الإله بعينه" [2]

المتأمل ـذا القول، وهو أن توحيد الربوبية هو توحيد الألوهية، وأن مـن أقـر بالربوبية، فقد أقر بالألوهية يجد فيه من الجهل، والمغالطة، والمخالفة لنـصوص الكتـاب والسنة، وأقوال السلف، والواقع المشاهد، ما يرد هذا القول، ويبطله جملةً وتفصيلاً.

فتوحيد الربوبية : هو توحيد الله تعالى بأفعاله مثل: الخلق، والرزق، والإحيـاء ، والإماتة ، وتدبير الأمور، وهذا النوع من التوحيد يقر به المشركون كما أثبت ذلـك في الوجوه السابقة.

و**توحيد الألوهية** : هو أفراد الله تعالى بأفعال العباد، مثل : الدعاء ، والخـوف، والرجاء، والنذر، والذبح، وغير ذلك من أفعال العباد، ، وهذا النوع هو الـذي أنكـره المشركون، مع اعترافهم بالأول، وعلى هذا التوحيد قاتلهم النبي عليه الصلاة والـسلام حتى يفردوا الله بالعبادة.

فتوحيد الربوبية توحيد يختص بأفعال الله تعالى، وتوحيد الألوهية، يختص بأفعـال

---

(١) فتح المجيد (٣٩).

(٢) الدرر السنية (٤٠) وانظر: مصباح الأنام ١٧.

العبد، وليست أفعال العبد هي أفعال الله تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

يقول الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب : " فإذا قيل لـك مـا الفـرق بـين توحيـد الربوبية وتوحيد الألوهية ؟ فقل: توحيد الربوبية فعل الرب مثـل الخلـق ، والرزق ، والإحياء ، والإماتة، وإنزال المطر، وإنبات النبات، وتدبير الأمـور. وتوحيـد الإلهية فعلك أيها العبد مثل: الدعاء، والرجاء، والخوف، والتوكل، والإنابـة، والرغبـة، والرهبة، والنذر، والاستغاثة، وغير ذلك من أنواع العبادة " [1].

وحرصاً من أهل السنة والجماعة على بيان الحـق بدليلـه، إذ أن أهـل الـسنة والجماعة أعرف الناس بالحق وأرحمهم بالخلق .

فقد بينوا التوحيد وما يضاده من الشرك من باب وبضدها تتميز الأشياء ، قـال الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله: " فإذا عرفت أن توحيد الربوبية هو الإقرار بأن الله تعالى هو الخالق الرازق المحي المميت المدبر لجميع الأمور، المتصرف في كل مخلوقاته لا شريك له في ملكه، فضد ذلك هو اعتقاد العبد وجود متصرف مع الله غيره، فيما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل " إلى أن قال : " وإذا عرفت أن توحيد الألوهية هو إفراد الله تعالى بجميـع العبادة، ونفى العبادة عن كل ما سوى غير الله عز وجل ، فضد ذلك هو صرف شـيء من أنواع العبادة لغير الله عز وجل، وهذا هو الغالب على عامـة المـشركين، وفيـه الخصومة بين جميع الرسل وأممها " [2].

وتوحيد الربوبية له معنى يدل عليه، وكذلك توحيد الألوهية له معنى يدل عليـه، كما سبق بيانه، وتوحيد الربوبية دليل على توحيد الألوهية، فالخالق الرازق المحي المميت هو الذي يستحق العبادة.

---

(١) مجموعة مؤلفات الشيخ (١/ ٣٧١).

(٢) معارج القبول (٢ / ٤٥٩).

والعبد مأمور باعتقاد هذا وهذا . قال السهسواني:" أقـول : لا مريـة في أننـا مأمورون باعتقاد أن الله وحده هو ربنا ليس لنا رب غيره، وباعتقاد أن الله وحده هـو معبودنا، ليس لنا معبود غيره، وأن لا نعبد إلا إياه، والأمر الأول هو الذي يقـال لـه : توحيد الربوبية، والأمر الثاني هو الذي يقال: له توحيد الألوهيـة، والإشـراك في الأول يسمى الإشراك بالربوبية، والإشراك في الثاني يسمى الإشراك في الألوهية، والآيات الدالة على الأمر كثيرة" (1).

وباستقراء آيات الكتاب وأحاديث الرسول نجد أن توحيد الربوبية له معنى يـدل عليه ، كما أن توحيد الألوهية له معنى يدل عليه كما سبق، والنوعان متلازمان، وكذلك قد يجتمعان ويفترقان. قال الإمام المجدد محمد بن عبـدالوهاب: " اعلـم أن الربوبيـة والألوهية يجتمعان، ويفترقان، كما في قوله تعالى: ﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ ﴾ [الناس: ١، ٢] ، كما يقال : رب العالمين، وإله المرسـلين وعنـد الإفراد يجتمعان ، كما في قول القائل: من ربك ، مثاله : الفقير والمسكين نوعان في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ ﴾ [التوبة: ٦٠]. ونوع واحد في قوله صلى الله عليه وسلم: " افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد إلى فقرائهم" (2).

فإذا عرف ذلك، فليس توحيد الربوبية هو توحيد الألوهية، ويزداد بطلان قول القائل: "إن من أقر بالربوبية، فقد أقر بالألوهية " فهذا من مغالطات القبورية، ومصادمتهم لنصوص الكتاب والسنة، وأقوال سلف الأمة ، والواقع المشاهد. فقد مر معنا في آيات كثيرة أنهم يعترفون بالربوبية وينكرون الألوهية، ويقرون بالربوبية ويشركون بالألوهية منها قول الله تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوۡ أَرَادَنِي بِرَحۡمَةٍ

(١) صيانةالإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان (٤٣٦).

(٢) مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب (٥/١).

﴿ هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦۚ قُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُۖ عَلَيۡهِ يَتَوَكَّلُ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [الزمر: ٣٨]

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾، يعني المشركين يعترفون بأن الله عز وجل هو الخالق للأشياء كلها، ومع هذا يعبدون معه غيره مما لا يملك لهم ضراً، ولا نفعاً، ولهذا قال تبارك وتعالى : ﴿ قُلۡ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوۡ أَرَادَنِي بِرَحۡمَةٍ هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦۚ قُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُۖ عَلَيۡهِ يَتَوَكَّلُ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴾ (1)[الزمر:٣٨]. فهؤلاء المشركون أقروا بالربوبية ولم يقروا بالألوهية، وهذا مصداق قول الله تعالى : ﴿ وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ﴾ [يوسف : ١٠٦].

فهم معترفون بالربوبية مقرون بها، منكرون للألوهية مشركون بها، قال ابن عباس، والحسن ومجاهد وعامر الشعبي وأكثر المفسرين على أن معنى هذه الآية: " أن أكثر الناس وهم الكفار ما كانوا يؤمنون بالله بتوحيدهم له في ربوبيته إلا وهم مشركون به غيره في عبادته " (2).

والآيات التي تدل على هذا المعنى كثيرة جداً، فكيف يقولون أن من أقر بالربوبية فقد أقر بالألوهية، وكذلك دلت السنة المطهرة على أن من المشركين من يكون مقراً بالربوبية منكراً للألوهية، كما في حديث ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم: أي الذنب أعظم عند الله ؟ قال : " أن تجعل لله نداً وهو خلقك ..." (3)

وفي هذا الحديث ما يدل على أن العبد يقر بأن الله خالقه ورازقه، ورغم ذلك يتخذ من دون الله أنداداً.

---

(١) تفسير ابن كثير (٥٥/٤).
(٢) الدر المنثور (٥٩٣/٤).
(٣) سبق تخريجه (١٤٣).

وبالإضافة إلى الآيات الكريمات، وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، وأقـوال السلف، التي تبين الفرق بين الربوبية والألوهية، فالواقع المشاهد في الفرق، والأديان، أن تجد من يقر بالربوبية ولا يقر بالألوهية، و ذا يتبين أن توحيد الربوبية ليس هو توحيـد الألوهية، بل كل له معنى يدل عليه، ومن أقر بالربوبية واعترف ا لا يلـزم أن يكـون معترفاً بالألوهية، بل قد يكون معترفاً بالربوبية مقراً ا مشركاً بالألوهية منكراً لها،كمـا هو شرك العرب.

مما استدل به القبورية على أن توحيد الربوبية هو توحيد الألوهيـة قـولهم:" إذ ليس الرب غير الإله، بل هو الإله بعينه ":

وهذا القول فيه إجمال، واستعمال الألفاظ والعبارات المجملة من أسـاليب أهـل الابتداع، إذ يستعملون أقوالا متشا ة تحمل معاني متعددة، ويكون فيها من الاشـتباه في المعنى والإجمال باللفظ، ما يجعلها تحمل في ثناياها حقاً وباطلاً ، فبما فيها من الحق يقبل من لم يحط ا علماً ما فيها من الباطل، لأجل الاشتباه والالتباس ، ثم يعارضون بما فيهـا من الباطل نصوص الأنبياء، وهذا منشأ من ضل من الأمم السابقة، وهذا منـشأ البـدع كلها، فإن البدع لو كانت باطلاً محضاً لما قبلت، ولبادر كل أحد إلى ردها وإنكارهـا، ولكنها تشمل على حق وباطـ ـ ـل ويلتبـ ـس فيها الحق بالباطل، كما قال تعالى : ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَـٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٤٣] (1).

والقبوريـة في هذه الشبهة استعملوا الإجمال لتمرير باطلهم على العامة فقالوا : "إذا ليس الرب غير الإله ، بل هو الإله بعينه ".

---

(١) انظر: الصواعق المرسلة (١٤٣٩/٤).

وهم بهذه الشبهة أرادوا تقرير أن توحيد الربوبية هو توحيد الألوهية، وأن توحيد الربوبية هو الغاية ، فقالوا : " إن الرب هو الإله "، وهذا الإجمال يحتاج إلى تفـصيل ، والتفصيل في ذلك أن أسماء الله الحسنى أوصاف وأعلام، فمن حيث دلالتها على الـذات فهي مترادفة، ومن حيث المعاني فهي متباينة ، إذ كل اسم من أسماء الله تعالى يحمل معنى يختلف عن الاسم الآخر ، فليس معنى الخالق هو الرازق، ولا الحي هو السميع ، إذ كـل اسم من أسماء الله تعالى يدل على صفة، وعلى هذا فالرب يدل على صـفة الربوبيـة، والإله يدل على صفة الألوهية، والرب والإله اسمان لله تعالى . قال شيخ الإسـلام ابـن تيمية : "ونعلم أن الأسماء كلها اتفقت في دلالتها على ذات الله ، مع تنوع معانيها، فهي متفقة متواطئة من حيث الذات، متباينة من جهة الصفات " [(1)]

والقبورية أرادوا بهذا الإجمال جعل معنى الرب هو معنى الإله ليتوصلوا بـذلك أن توحيد الربوبية هو توحيد الألوهية، ومما هو معلوم أن الرب والإله اسمان لله تعالى، وكل منهما يدل على معنى.

ولهذا نجد أن الإله في مفهوم أهل اللغة، وأهل التفسير مغـاير لمفهـوم الـرب ، ومعناه، إذ الإله يأتي بمعنى المعبـود .

وقال الرازي : " إله على فعال بمعنى مفعول ؛ لأنه مألوه معبـود " [(2)]، ولهـذا سميت الشمس آلهة والأصنام آلهة، لعبادة عبادها لها ظناً منهم أنها تستحق العبادة . قال

(١) التدمرية مع شرحها التحفة المهدية (٢٣٨).

(٢) مختار الصحاح (٩) .

الرازي : عن سبب تسمية الشمس آلهة: " وكأنهم سموها آلهة ، لتعظيمهم لها وعبادتهم إياها، والآلهة الأصنام سموا بذلك لاعتقادهم أن العبادة تحق لها، وأسماؤهم تتبع اعتقادهم لا ما عليه الشيء في نفسه " [1].

ويرى ابن منظور أن الإله لا يكون إلهاً حتى تصرف له أنواع من العبادة، ولا يكون الإله حقاً حتى يكون خالقاً رازقاً مدبراً "ولا يكون إلهاً حتى يكون معبوداً ، وحتى يكون لعابده خالقاً ورازقاً، ومدبراً وعليه مقتدراً" [2].

إذاً فالإله عند أهل اللغة يدل على المعبود ، وهو الذي تصرف له العبادة سواءً كان ذلك المعبود يستحق العبادة أو لا يستحقها، وهذا موافق لدلالة النصوص الشرعية كما في قوله تعالى : ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ ﴾[الجاثية : ٢٣].

ولو رجعنا إلى أقوال السلف، وأئمة التفسير في معنى لفظة الإله لوجدناها مطابقة، لما ذهب إليه أهل اللغة.

فإن ابن عباس رضي الله عنهما يرى أن معنى الإله هو الذي يأله كل شيء. ويعبده كل شيء " هو الذي يأله كل شيء ويعبده كل خلق " [3]، وكذلك فسرها بالألوهية والمعبودية ، قال رحمه الله:" الله ذو الألوهية والمعبودية على خلقه أجمعين" [4].

وتطلق الآلهة على العبادة "ويذرك وآلهتك".

(١) مختار الصحاح (٩).
(٢) لسان العرب (٤٦٨/١٣).
(٣) تفسير الطبري (٤٥/١).
(٤) نفس المصدر والصفحة.

قال مجاهد: " وعبادتك "[1]، ومن هذا قـراءة ابن عباس للآيـ ـة  ويـذرك وإلهتك  قال: " عبادتك ". وقال : إنما كان فرعون يعبد ، ولا يتعبد " [2].

قال ابن جرير : " وأما قوله : وآلهتك فإن قراء الأمصار على فتح الألف منـها ومدها بمعنى وقد ترك موسى عبادتك وعبادة آلهتك التي تعبدها " [3]

والإله عند أهـ ـل التفسير هو : المعبود . قال أبو الـسـعود : " والإلـه في الأصل اسم جنس يقع على كل معبود بحق أو باطل "[4].

قال ابن جرير مثبتاً أن معنى الإله هو المعبود : " فإن قـال: ومـا دل علـى أن الألوهية هي العبادة، وأن الإله هو المعبود وأن له أصلاً في فعل ويفعل، وقيل لا تمانع بين العرب في الحكم لقول القائل يصف رجلاً بعبادة ، ويطلب مما عند الله عز وجل ذكـره تأله فلان بالصحة ولا خلاف، ومن ذلك قول رؤبة بن العجاج

لله در الغانيات المـ ـده سبحن واسترجعن من تألهي

يعني من تعبدي [5]

فهذه أقوال ابن عباس ومجاهد وأئمة التفسير، وعلماء اللغة نجدها متطابقة علـى معنى الإله بأنه المعبود.

ونجد كذلك أئمة التفسير ، وعلماء اللغة أقوالهم متطابقة في معنى الرب.

فالرب، معناه، مالك الشيء، المتصرف به، والمصلح له، وصاحبه وسيده إلى غير ذلك من المعاني، والرب بالتعريف دون الإضافة، لا تطلق إلا على الله، إما إذا أضـيفت فتطلق على غير الله.

قال ابن منظور : " الرب هو الله عز وجل، وهو رب كل شيء أي مالكه، ولـه

---

(١) الدر المنثور ٣/٠٣‏/٥١٦).
(٢) المصدر السابق نفس الصفحة ، وانظر: تفسير الطبري (٢٥/٩).
(٣) تفسير الطبرى (٢٥/٩).
(٤) تفسير أبو السعود (١٠/١).
(٥) تفسير الطبري (٥٤/١).

الربوبية على جميع الخلق"[1] إلى قوله: " ورب كل شيء مالكه، ومـستحقه ، وقيـل : صاحبه ، ويقال : فلان رب هذا الشيء ، أي ملكه له ، وكل من ملك شيئاً فهو ربه ، ويقال : هو رب الدابة، ورب الدار ، وفلان رب البيت ، وهن ربات الحجال " [2]

قال الرازي : " رب كل شيء مالكه " [3].

وقال الجوهري : " والرب: المصلح للشيء ، والله جل ثناؤه الرب ؛ لأنه مصلح أحوال خلقة " [4]،فهذه أقوال علماء اللغة في معنى الرب.

وإليك أقوال علماء التفسير:

قال ابن كثير: " الرب هو المالك المتصرف، ويطلق في اللغة على السيد وعلـى المتصرف للإصلاح ، وكل ذلك صحيح في حق الله تعالى، ولا يستعمل الرب لغـير الله، بل بالإضافة تقول: رب الدار، ورب كذا، وأما الرب فلا يقال إلا لله عز وجل ". [5]

وقال البغوى : " فالرب يكون بمعنى المالك ، كما يقال لمالك الدار، ورب الدار، ويقال : رب الشيء إذا ملكه، ويكون بمعنى التربية والإصلاح " [6].

وقال السـ ـعدي : "رب العالمين، الرب هو المربي جميع العالمين " [7].

فالرب في مفهوم أهل اللغة، والتفسير بمعنى واحد.

ولهذا ذكر ابن جرير : أن الرب في لغة العرب متصرف على معـاني، فالـسيد

---

(١) لسان العرب (٣٩٩/١).

(٢) نفس المصدر ونفس الصفحة.

(٣) مختار الصحاح (٩٦).

(٤) معجم مقاييس اللغة (٣٨٢/٢).

(٥) تفسير ابن كثير (٢٤/١).

(٦) تفسير البغوي (٣٩/١).

(٧) تفسير السعدي (٣٩/١).

المطاع يدعى رباً، والرجل المصلح يدعى رباً، ومصلح الشيء يدعى رباً، والمالك لـشيء يدعى رباً، ثم استشهد لكل معنى من هذه المعاني بشاهد يدل عليه من كلام العـرب، ثم قال : "وقد يتصرف أيضاً معنى الرب في وجوه غير ذلك، غير أ ا تعود إلى بعض هـذه الوجوه الثلاثة [1].

ثم بين أن ربوبية الله تعالى هذه معانيها؛ إذ قال : " فربنا جل ثناؤه السـيد الذي لا شبيه له، ولا مثيل له في سؤدده، والمصلح أمر خلقة بما أسبغ عليهم من نعمه، والمالك الذي له الخلق والأمر " [2].

وبعد هذا الاستعراض لمعنى الإله والرب عند السلف وأهل اللغة، وأئمة التفـسير يتبين أن معنى الرب غير الإله وأ ما مفهومان متغايران.

وبالتالي يتبين بطلان قول القبـورية " أن الرب والإله بمعنى واحد ".

وبناءً عليه يتبين أن توحيد الربوبية مفهوم مغاير لتوحيد الألوهية.

واستدل القبورية بنصوص من الكتاب والسنة على أن توحيد الربوبية هو الغاية، وأن توحيد الربوبية هو توحيد الألوهية.

أجلب القبورية بخيلهم ورجلهم ليثبتوا أن توحيد الربوبية هو توحيد الألوهية، وأن توحيد الربوبية هو الغاية، فقد أوردوا بعض الشبه للوصول إلى ذلك، ومن شـبههم قول دحلان: " ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ ، ولم يقل : ألستم بـإلهكم، فاكتفى منهم بتوحيد الربوبية؛ إذ ليس الرب غير الإله، بل هو الإله بعينه، وفي الحديث: " أن الملكين يسألان في قبره ، فيقولان له ، من ربك[3]: ولم يقولا : من إلهك"[1] .

(١) تفسير الطبري (٦٢/١).

(٢) المصدر السابق نفس الصفحة.

(3) سنن الترمذي باب تفسير القرآن ، باب ومن سورة إبراهيم ، برقم (٣١٢٠)، وأبو داوود باب في المسألة في عذاب القبر برقم (٤٧٣٥). قال الشيخ الألباني : حديث صحيح . انظر: جامع الترمذي (٢٩٥/٥).

والإجابة على هذه الشبهة من وجوه:

الوجه الأول : توحيد الربوبية والإلوهية قد يجتمعان، فإذا اجتمعاً دلّ كل واحد منهما على معنى ، وقد يفترقان فيدل أحدهما على الآخر . قال الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى: " أعلم أن الربوبية والألوهية يجتمعان ويفترقان كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ﴾ [الناس : ١-٣]، وكما يقال رب العالمين وإله المرسلين، وعند الإفراد يجتمعان كما في قول القائل: من ربك، مثاله الفقير والمسكين نوعان في قوله تعالى :﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَـٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَـٰكِينِ ﴾ [التوبة : ٦٠]. ونوع واحد في قوله صلى الله عليه وسلم : " افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد إلى فقرائهم". إذا ثبت هذا فقول الملكين للرجل في القبر : من ربك ؟ معناه : من إلهك ؛ لأن الربوبية التي أقر بها المشركون ما يمتحن أحد بها، وكذلك قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ﴾ [الحج: ٤٠]. وقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا ﴾ [الأنعام : ١٦٤]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ﴾ [فصلت : ٣٠]، فالربوبية في هذا هي الألوهية ليست قسيمة لها، كما تكون قسيمة لها عند الاقتران فينبغي التفطن لهذه المسألة " (2) .

الوجه الثاني: أن توحيد الربوبية دليل على توحيد الألوهية، وأن توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية ، فالخالق الرازق المحي المميت هو المستحق للعبادة ،وليس معنى ذكر الله تعالى لنوع من التوحيد في آية نفي للآخر، أو دلالة على اتحاد معناهما ،كما استدل بعض القبورية على اتحاد توحيد الربوبية والألوهية والاكتفاء بتوحيد الربوبية عن غيره بقولة تعالى: ﴿ ألست بربكم ﴾ [الأعراف:١٧٢]، فالله عز وجل أخبر بهذه الآية أنه قد أشهد بني آدم على أنفسهم بأنه ربهم ، وأنهم شهدوا على أنفسهم

---

(1) الدرر السنية (٤٠،٤١).

(٢) مجموعة مؤلفات الشيخ (٥/١-٦).

بذلك، ولا يفهم من هذا بحال من الأحوال بأن الله تعالى اكتفى منهم بتوحيد الربوبيــة، فالآية لا تفيد حصر التوحيد بالربوبية ، بل الآية تدل على لازمه وهو إفراد الله بالعبــادة قال شيخ الإسلام ابن تيمية: رحمه الله تعــالى : " ﴿ أَن تَقُولُواْ ﴾ ، أي: كراهــة أن تقولوا: ﴿إنا كُنا عن هذَا غَافِلِين ﴾ [الأعراف: ١٧٢]عن الإقرار لله بالربوبية ، وعلى أنفسنا بالعبودية "[1] ، وتوحيد الألوهية ذكر في هذه الآية بدلالة التلازم ، وحتى لــو لم يذكر في هذه الآية فقد ذكر في آيات كثيرة من كتاب الله تعالى ، والواجــب إعمــال نصوص الكتاب والسنة لا إهمال بعضها قال السهسواني : "وأما ما استدل به المؤلف على اتحاد توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية بقوله تعالى : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ [الأعراف:١٧٢] ولم يقل ألست بإلهكم ، بأنه تعالى اكتفى منهم بتوحيد الربوبية فليس بشي، فإن غاية ما يثبت من الآية أن الله تعالى لم يذكر في هذه الآية توحيد الألوهية، وهذا لا دلالة له بشيء من الدلالات على اتحادهما، فرب حكم يذكر في آية دون أخرى، وتوحيد الألوهية وإن لم يذكر في هذه الآية فهو مذكور في الآيات التي تلونا آنفاً، وتوجيه الاكتفاء بتوحيــد الربوبية ليس منحصراً في أ ما لما كانا متحدين اكتفى بذكر أحدهما"[2] . وبذلك يتبين أن توحيد الربوبية والألوهية إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا ، وإن ذكر أحد أنواع التوحيد في آية لا يدل على رفع المعنى الآخر ، وبذلك يتبين بطلان استدلال القبورية ذه النصوص ومشا ة بعضهم لمن يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض .

المبحث الرابع

شبهة القبورية في إنكار تقسيم التوحيد

هذه الشبهة مبنية على الشبهة الأولى، وهي القول بأن توحيد الربوبية هو الغاية ،

---

(1) درء تعارض العقل والنقل (٤٨٩/٨).

(2) صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان (٤٤٢).

وبالتالي أنكروا تقسيم التوحيد إلى الربوبية والألوهية والأسماء والصفات [1]، وساقوا بعض الشبه لتقرير ذلك، فقالوا :

ـ إن تقسيم التوحيد إلى أقسامه المعروفة بدعة لم ترد في الكتاب والسنة، ولم يقل به أحد من الصحابة ، والتابعين ، بل ولا أحد من السلف الصالح قال السقاف: " ولم يذكر الله تعالى في كتابه، ولا النبي صلى الله عليه وآله وسلم في سنته، أن التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام : توحيد ربوبية، وتوحيد ألوهية، وتوحيد أسماء وصفات، بل ولم ينطق بهذا التقسيم أحد من الصحابة، ولا أحد من التابعين ، بل ولا أحد من السلف الصالح رضي الله عن الجميع ، بل إن هذا التقسيم بدعة خلفية مذمومة "[2] .

والرد على هذه الشبهة من وجوه :

الوجه الأول : تقسيم التوحيد إلى ربوبية وألوهية وأسماء وصفات يدل على معانٍ، ويثبت أن الله تعالى هو الخالق الرازق المحيي المميت ، وأن الله تعالى هو المستحق للعبادة ، وأن الله تعالى له الأسماء الحسنى والصفات العلى، والعبرة بالمعاني فما الذي ينكره القبورية من ذلك .

الوجه الثاني : أهل السنة والجماعة لا يبتدعون في دين الله تعالى ما ليس منه، إنما يستقرؤون نصوص الكتاب والسنة ، ويستنبطون منها الأحكام كما شرع الله لهم ذلك وأذن لهم فيه ﴿ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ [النساء :٨٣]، قال مجاهد: " الذين يسألون عنه ويتحسسونه" [3]

(1) وقد سبق الرد عليهم ، انظر: ص ١٥٤.

(2) مجموع رسائل السقاف (٥٩٥/٢) وقد سبقه في إنكار هذا التقسيم دحلان ، انظر: الدرر السنية (٤١،٤٠) والدجوي في مقاله بعنوان: " توحيد الألوهية ، وتوحيد الربوبية " ، وابن مرزوق في التوسل (٩٧).

(3) تفسير ابن جرير الطبري (١٨٢/٥).

وأهل السنة والجماعة استقرؤا نصوص الكتاب والسنة فيمـا يتعلـق بالتوحيـد فقسموه إلى أقسامه الثلاثة ، يقول الشنقيطي رحمه الله تعالى : " وقد دلّ استقراء القرآن العظيم على أن توحيد الله ينقسم إلى ثلاثة أقسام "[1] ، ثم ذكر كل قسم ، وساق الأدلة الموضحة له من كتاب الله تعالى .

الوجه الثالث : القبورية يكيلون بمكيالين تلبيساً على الناس، فهـم في الوقـت الذي يأتون فيه بالبدع الشنيعة المنكرة التي تناقض دين الإسلام بالكلية أو تناقض كماله، يقولون لأهل السنة : لا يجوز لكم أن تستقرؤا النصوص، بل الواجب عليكم قراءة النص من غير استنباط الأحكام منها، ولذلك قالوا عن تقسيم التوحيد: " ولم يذكر الله تعـالى في كتابه، ولا النبي صلى الله عليه في سنته، أن التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام"[2] .

وبناء على هذا القول فلا يبقوا كتاباً من كتب العلم ، ولا مسألة من مسائله إلا اعترضوا عليها، فلا شروط للا إله إلا الله ، ولا أركان لها، ولا أنواع للشرك، ولا أنواع للنفاق ، ولا شروط للصلاة ، ولا أركان لها، ولا واجبات، وقس على ذلـك مـسائل الدين أصوله وفروعه، بل هذا القول به إلغاء لجميع تبويبات أهل الحديث ، وكتب الفقه، وكتب العقيدة فلا يبقي ذا القول لأهل الإسلام شيئ من تراثهم، وهذا القول لا يقول به إلا جاهل ملغياً لدلالات النصوص، ومقاصد الشريعة المستنبطة منها، أو متبعا لهـواه؛ لأن تقسيم المسائل وتفصيلها ، وبيان الفروق بينها إنما هو استنباط من دلالة النـصوص قال الشيخ بكر أبو زيد : " استقراء تام لنصوص الشرع وهو مطرد لدى أهل كل فن ، كما استقرأ النحاة كلام العرب إلى اسم ، وفعل وحرف، والعرب لم تفـه ـذا ، ولم

(1) أضواء البيان (١٧/٣).

(2) رسائل السقاف (٥٩٥/٢).

يعتب على النحاة في ذلك عاتب ، وهكذا من أنواع الاستقراء "[1] ، فمن استقرأ النصوص وأستنبط منها الأحكام فهو عند السقاف ومن هو على شاكلته مبتدع، ولهذا قال عن تقسيم التوحيد: " فهي بدعة خلفية مذمومة " .

وعلى قوله هذا فإنه وصف جميع الصحابة والتابعين والأئمة وعلماء الإسلام على مر العصور الذين استنبطوا الأحكام الشرعية من أدلتها بأ م مبتدعة .

الوجه الرابع : أن هذا التقسيم ورد عن سلف الأمة من الصحابة والتابعين وأئمة الإسلام ، وليس كما قال السقاف : " بأنه بدعة خلفية حدثت في القرن الثامن الهجري"[2] ؛ إذ ورد ذلك عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وغيرهم ومن هذه الآثار:

١- قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ أي لا تشركوا به غيره من الأنداد التي لا تضر ولا تنفع ﴿ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ إنه لا رب لكم يرزقكم غيره"[3].

٢- قول ابن عباس رضي الله تعالى عنه في تفسير قول الله تعالى : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف:١٠٦] ، قال" سلهم من خلقهم، ومن خلق السموات والأرض، فيقولون: الله فذلك إيما م، وهم يعبدون غيره"[4]

٣- قول عطاء رضي الله تعالى عنه في قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ ، قال :" كانوا يعلمون أن الله ر م وهو خالقهم وهو رازقهم وكانوا مع

---

(1) التحذير من مختصرات الصابوني في التفسير (٣٠).

(2) مجموع مقالات السقاف (٥٩٥/٢)، وسبقه ذا القول الدجوي؛ إذ قال: "مقال غير معروف لأحد قبل ابن تيمية". انظر: مقالة توحيد الألوهية والربوبية .

(3) الدر المنثور (٨٥/١).

(4) الدر المنثور (٥٩٣/٤).

ذلك يشركون"[1]

٤- قول مجاهد في تفسير هذه الآية رضي الله عنه قال: " إيما م قولهم الله خلقنا وهو يرزقنا و يميتنا فهذا إيمان، مع شرك عباد م غيره"[2]

وكذلك ورد هذا التقسيم عن أئمة الإسلام وعلماء التفسير ممن سـبقوا شـيخ الإسلام ابن تيمية بقرون.

ومن أقوال الأئمة الدالة على هذا التقسيم:

١- قول الإمام أبو حنيفة: " والله يدعى من أعلى لا من أسفل؛ لأن الأسفل ليس من وصف الربوبية والألوهية بشيء"[3]

٢ - قول الإمام أبي عبد الله عبيد الله ابن بطة العكبري[4] :" وذلـك أن أصـل الإيمان بالله الذي يجب على الخلق اعتقاده في إثبات الإيمان به ثلاثة أشياء :

أحدها: أن يعتقد العبد ربانيته، ليكون ذلك مبايناً لمذهـب أهـل التعطيل الذين لا يثبتون صانعاً.

والثاني : أن يعتقد وحدانيته، ليكون مبايناً بذلك مذهب أهل الشرك الذين أقروا بالصانع وأشركوا معه في العبادة غيره .

والثالث: أن يعتقده موصوفاً بالصفات التي لا يجوز إلا أن يكون موصوفًا ا، من العلم، والقدرة ، والحكمة ، وسائر ما وصف به نفسه في كتابه "[5] .

٣- ورد هذا التقسيم في تفسير ابن جرير الطبري في مواضع كثيرة منها

---

(1) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة.

(2) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة.

(3) الفقه الأبسط (٥٠) نقلاً عن القول السديد .

(4) **عبيد الله بن محمد أبو عبد الله العكبري** ، المعروف بابن بطة أحد علماء الحنابلة ، وله التـصانيف الكـثيرة الحافلة في الفنون، ت ٣٨٧هـ، وله ٨٣ سنة . انظر: البدايـة والنهايـة (١١/ ٣٢١،٣٢٢) ، شـذرات الذهب. (١٢٢/٣-١٢٤).

(5) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ، النسخة الخطية (٦٩٣-٦٩٤) نقلاً عن القول السديد (٣٥-٣٦).

أولاً: قال ابن جرير في تفسير قول الله تعـالى : ﴿ أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ﴾ [آل عمران :٨٣] وله أسلم من في السماوات والأرض يقول: وله خـشع مـن في الـسماوات والأرض، فخضع له بالعبودية، وأقر له بإفراد الربوبية، وانقاد له بإخلاص التوحيد والألوهية"(1) .

ثانياً: قال ابن جرير في قوله تعالى : ﴿ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ ﴾[الأنعام :٥٠] "ولا أعلم أيضاً الغيب يعني ما خفي من سرائر العباد، فإن ذلك لا يعلمـه إلا الله، فـأدعي الربوبية وأدعوكم إلى عبادتي" (2).

ثالثًا: قال ابن جرير عن أهل الجاهلية :" ولكن الله جل ثناؤه قد أخبر في كتابه عنها أ ا كانت تقر بوحدانيته ، غير أنـها كانت تشرك في عبادته ما كانت تشرك فيها، فقال جل ثناؤه: ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ وقال : ﴿ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ . [يونس:٣١].

فالذي هو أولى بتأويل قوله وأنتم تعلمون، إذ كان ما كان عند العرب من العلم بوحدانية الله وأنه مبدع الخلق وخالقهم ورازقهم نظير الذي كان من ذلك عنـد أهـل الكتابين"(3).

فهذه نصوص وردت عن الصحابة والتابعين وأئمة الإسلام تثبت هذا التقـسيم، ولاشك ولا ريب بذلك،؛ إذ أن هذا هو دين الإسلام الذي دلت عليه نصوص الـذكر

(1) تفسير الطبري (٣٣٦/٣).

(2) تفسير الطبري (٣٠/١٢).

(3)تفسير الطبري (١٦٤/١).

الحكيم ، والسنة النبوية المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم ، ثم يأتي هذا الـ... ومن سبقه ليجزم بأن هذا التقسيم تقسيم لم يسبق إليه أحد قبل القرن الثامن ، فإما أن يكون قد جهل هذا التقسيم المعتبر عند أهل العلم منذ القدم وهذه مصيبة تدل على التقول في الدين من غير علم ، وإما أن يكون علم فأخفى فالمصيبة أعظم والله المستعان .

الوجه الخامس : كل هذه المحاولات من القبورية لإنكار تقسيم التوحيد لها غاية، وهي تبرير ما يفعله القبورية عند القبور، من الاستغاثة والتوسل وطلب الشفاعة ودعاء أصحاب القبور ، وكما قيل إذا عرف السبب بطل العجب قال السقاف :" والهدف من هذا التقسيم عند من قال به هو تشبيه المؤمنين الذين لا يسيرون على نهج المتمسلفين بالكفار ،بل تكفيرهم بدعوى أنهم وحدوا توحيد ربوبية كسائر الكفار بزعمهم ، ولم يوحدوا توحيد ألوهية- وهو توحيد العبادة الذي يدعونه – وبذلك كفروا المتوسلين بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام، أو الأولياء"[1] ، فالهدف من إنكار تقسيم التوحيد ، وتنفير العامة من هذا التقسيم ووصفه بالتثليث ليس نصرة للسنن ، وغيرة على العقيدة ، إنما تسويغ مايفعله القبورية عند القبور المعظمة.

المبحث الخامس

شبهة القبورية أن شرك المشركين كان في الربوبية

إن الجهل بحقيقة التوحيد، يوقع في الجهل بحقيقة ما يضاده من الشرك، القبورية ظنوا أن التوحيد هو الإقرار بأن الله هو الخالق الرازق المحي المميت، وبالتالي فهموا الشرك بأنه الإشراك بالخالقية والرازقية، فالمشرك عند القبورية من أشرك بالربوبية،وقد قرروا هذا

---

(1) المصدر السابق (٥٩٥/٢، ٥٩٦).

في كتبهم واجلبوا على ذلك بخيلهم ورجلهم ، ولووا أعناق النصوص لتقرير ذلك .

يرى القبورية أن مشركي العرب مشركون في الربوبية قال داوود بن جرجيس: "لقد جاء مشركوا العرب الكفر من جهة اعتقادهم استحقاق العبادة لغير الله ، واتخاذه ربا من دون الله" (1)

وقال المالكي: " فكفرهم وإشراكهم من حيث عبادتهم لها ومن حيث اعتقادهم أنها أرباب من دون الله"(2)

بل أفصح بعضهم عن هذه العقيدة بوضوح، إذ اعتبر مشركي العرب ملاحدة لا يعترفون بوجود الخالق ، قال السقاف: "ما كانوا يقرون بتوحيد الربوبية لو سلمنا جدلاً بقسم توحيد الربوبية، وما كانوا يقرون بوجود الله تعالى" (3).

الرد على هذه الشبهة من وجوه :

الله جل وعلا أنزل لنا كتابه ، وهو الحكم الفصل الذي يرجع إليه عند التنازع، مع العلم أن هذه المسألة من المسائل الواضحة، لتوافر الأدلة الكثيرة في القرآن والسنة، والتأريخ على أن المشركين يقرون بربوبية الله تعالى، ولا يشركون بها، وقد دلت نصوص القرآن والسنة على هذه المسألة من وجوه :

الوجه الأول : دل القرآن الكريم على أن المشركين يقرون بأن الله هو الخالق الرازق ، المدبر للكون كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [العنكبوت : ٦١] فهذا إقرار من المشركين بربوبية الله تعالى ذكره الله عنهم ورتب عليه حكماً بأن أكثرهم لا يعقلون .

الوجه الثاني : دل القرآن الكريم على أن المشركين يعلمون أن الله هو إلههم

---

(١) سعادة الدارين (٢٢/٢)، نقلاً عن دعاوى المناوئين (٣٣٠) .

(٢) مفاهيم يجب أن تصحح (٩٥).

(٣) مجموع رسائل السقاف (٥٩٦/٢).

ولكنهم يقولون: إن معه آلهة أخـرى، قـال تعـالى : ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الحجر :٩٤، ٩٥].

بل إن المشركين يعتقدون أن الله هو الإله الأعظم، وأنه خير من معبودا م ، قال الله تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ﴾ [الأنعام: ١٠٩] قال القرطبي في تفسير هذه الآية: "وأقسموا أي حلفوا، وجهد اليمين أشـدها، وهـو الله، فقوله: جهد أيما م أي غاية إيما م التي بلغها علمهم وانتهت إليها قدر م، وذلك أ ـم كانوا يعتقدون أن الله هو الإله الأعظم، وأن هذه الآلهة إنما يعبدو ا ظناً منهم أ ا تقر م إلى الله زلفى، كما أخبر الله تعـالى: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ وكـانوا يحلفون بأبائهم، وبالأصنام، وبغير ذلك، وكانوا يحلفون بالله تعالى ويسمونه جهد اليمين إذا كانت اليمين بالله" (1).

فالقبورية وجدوا أنفسهم في تناقض شديد، وموقف محرج، بسبب مشا ة أقوالهم وأفعالهم أقوال وأفعال المشركين، فلم يجدوا بداً من تبرير ذلك إلا بقول: إن المـشركين مشركون بالربوبية .

بل المتأمل بالنصوص يجد أن العرب عندهم عبادات وقرب يتقربون ـا إلى الله تعالى، ومن عباد م صيام يوم عاشوراء ،كما ورد في حديث عائشة رضـي الله عنـها قالت: "كان يوم عاشوراء يوماً تصومه قريش في الجاهلية، وكان رسول الله صـلى الله عليه وسلم يصومه في الجاهلية، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة صامه، وأمر بصيامه، فلما فرض رمضان كان هو الفريضة وترك عاشوراء ، فمن شاء صـامه، ومن شاء تركه" (2).

ومن عبادا م في الجاهلية الاعتكاف، كما ورد في حديث ابن عمر: " أن عمـر

---

(١) تفسير القرطبي (٦٢/٧).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الصوم، باب صيام يوم عاشوراء، بـرقم (١٨٩٣ ، ٢٠٠١، ٢٠٠٢)، ورقـم (٣٨٨١ ، ٤٥٠٢) ومسلم برقم ١١٢٥.

سأل النبي صلى الله عليه وسلم، قال: كنت نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام، قال أوف بنذرك"[1]، وكان عمر رضي الله عنه مشركاً. قـال ابـن حجـر: "وأصرح من ذلك ما أخرجه الدار قطني من طريق سعيد بن بشير عن عبيد الله بلفظ نذر عمر أن يعتكف في الشرك" [2].

وكذلك من عبادا م الذبح لله تعالى؛ فقد ورد في حديث ميمونة بنت كردم عن أبيها كردم بن سفيان أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نذر في الجاهلية، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : ألوثن أو لنصب قال : لا ولكن لله تبارك وتعالى، قـال: فأوف لله تبارك وتعالى ما جعلت له أنحر على بوانه [3] وأوف بنذرك"[4] .

ومن عبادات أهل الجاهلية أ م يصلون، فقد ورد في قصة إسلام أبي ذر رضي الله عنه أنه قال : "وقد صليت يا ابن أخي قبل أن ألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاثة سنين، قلت لمن، قال : لله، قلت فأين توجه، قلت: أتوجه حيث يوجهني ربي، أصـلى عشاءً حتى إذا كان من آخر الليل ألقيت كأني خفاء[5] حـتى تعلـوني الـشمس ...." الحديث[6] .

ومن عبادا م أ م كانوا يحجون البيت، ويعتمرون، ويحرمون، ويطوفون بالبيـت

---

(١) متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب الاعتكاف، باب الاعتكاف ليلاً بـرقم (٢٠٣٢، ٢٠٤٣، ٣١٤٤ ، ٤٣٢٠ ، ٦٦٩٧) ، ومسلم برقم (١٦٥٦).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٢٧٤/٤٤).

(٣) **بوانه**: بالضم وتخفيف الواو، هضبة وراء ينبع قريبة من ساحل البحر، وبوانه ماء بنجد لبني جشم، وقال أبو زياد بوانه مياه لبني عقيل، انظر: معجم البلدان (٥٠٥/١ ، ٥٠٦).

(٤) مسند الإمام أحمد (١٥٤٩٤) ، قريباً منه، سنن أبي داوود، باب ما يؤمر به من الوفاء بالنذر برقم (٣٣١٣، ٣٣١٤)، وسنن البيهقي الكبرى، باب من نذر أن ينحر بمكة برقم (١٩٩٢٣)، والحديث صحيح ، انظـر: صحيح السنن للألباني برقم (٣٣١٤)، (٢٣٨/٣).

(١) **خفاء** : أي الكساء وهو كل شيء غطيت به شيئا فهو خفاء . انظر: النهاية (٥٧/٢)

(٦) رواه مسلم برقم ٢٤٧٣.

ويمسحون الحجر، ويسعون بين الصفا والمروة، وكانوا يلبون وكانوا يقفون مواقف الحج وينسكون مناسكه، وكانوا يهدون الهدي، ويرمون الجمار، وهم بذلك يقصدون عبادته سبحانه، وكانوا يعظمون البيت، ويعظمون الأشهر الحرم التي حرمها الله تعالى إلى غـير ذلك من العبادات (1) .

ومن عباد م، المحافظة على الطهارة، وصفات الفطرة، كما كانوا يغتسلون مـن الجنابة، ويغسلون موتاهم، وكانوا يكفنون موتاهم ويصلون عليهم، وكانت صلا م على الميت، إذا مات الرجل حمل على سريره ثم يقوم وليه فيذكر محاسنه كلها ويثني عليـه، ثم يدفنه ثم يقول عليك رحمة الله (2) .

ومن عبادا م الختان. قال ابن عبد البر: " ثم سمي من كان يختتن ويحج البيـت في الجاهلية حنيفاً " (3).

إذاً حقيقة شرك العرب ليس بإنكار الله تعالى ، ولا لأ م لا يعبدون الله بـبعض العبادات التي ورثوها من ملة إبراهيم، لكن حقيقة شرك العرب أ م كانوا يعبـدون الله ويعبدون غيره، ويحجون له ويحجون لغيره، ويدعون الله ويدعون غيره.

ويصرفون أنواع من العبادة لله ويصرفو ا لغير الله تعالى، فحقيقة شرك المشركين أ م أشركوا مع الله آلهاً آخر، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَـٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام:١٩] ، فهذه الآية تدل على أن المشركين يعترفون بألوهية الله، ولكنهم يشركون معه آلهة أخرى .

---

(١) انظر: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب (٢٨٨/٢ - ٣٠٠).

(٢) انظر: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب (٢٨٧/٢ ، ٢٨٨).

(٣) التمهيد (٧٦/١٨).

إذا علم ذلك فحقيقة شرك المشركين هو صرف أنواع من العبادة لغير الله تعالى، إذ يدعون غير الله تعالى كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [الزمر: ٣٨].

كما كانوا يحجون لله ولغير الله، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " كما كانت العرب تحج إلى اللات والعزى ومناه الثالثة الأخرى، ومع ذلك يحجون إلى البيت، ويطوفون به، ويقفون بعرفات، ولهذا كانوا تارة يعبدون الله، وتارة يعبدون غيره "[1].

وكانوا يلبون لله، ويشركون في تلبيتهم، كما ورد في حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: "كان المشركون يقولون، لبيك لا شريك لك، قال فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قد[2]، فيقولون إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك، ويقولون هذا وهم يطوفون بالبيت"[3]، هذه حقيقة شرك العرب وليس بالإشراك بالربوبية .

الوجه الثالث : دل القرآن الكريم على أن المشركين لم ينظروا إلى معبوداتهم أنها خالقة أو رازقة من دون الله تعالى، أو أن لها التأثير استقلالاً، بل نظروا إلى هذه المعبودات أنها وسائل تقربهم إلى الله تعالى، كما في قوله عز وجل ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزمر:٣].

قال القرطبي: "وذلك أنهم كانوا يعتقدون أن الله هو الإله الأعظم، وأن هذه الآلهة إنما يعبدونها ظناً منهم أنها تقربهم إلى الله زلفى كما أخبر الله تعالى"[4].

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣٥٤/٢٧).
(٢) أي كفاكم هذا الكلام / فاقتصروا عليه ولا تزيدوا. انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٩٠/٨).
(٣) رواه مسلم برقم (١١٨٥).
(٤) القرطبي (٦٢/٧).

فعبادة هذه الآلهة المتعددة في اعتقاد المشركين اتخاذها وسائط عند الله جل وعـلا لقضاء الحاجات، فالمشرك أهم ما عنده قضاء حوائجه الدنيوية، قال العلمـاء: قولـه: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا ﴾ هذا قصر قلب إضافي – معلوم في علم المعاني في علم البلاغة.

قال :" والاستثناء في قوله: ﴿ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ ﴾ استثناء من علل محذوفة . أي : ما نعبدهم لشيء إلا لعلة أن يقربونـا إلى الله، فيفيد قصراً على هذه العلة، قصر قلب إضافي "[1]، وقد دل على هذا المعنى آيـات كثيـرة من كتاب الله تعالى منها قول الله : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾" [يونس: ١٨].

وكما في قوله تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ [الزمر: ٤٣].

واتخاذ هذه المعبودات وسائط وشفعاء هو غالب الشرك في العرب، وفي الأمـم التي سبقتهم قال الطبري : " يقول الله تعـالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ﴾ يتولو م، ويعبدو م من دون الله يقولون لهم: ما نعبدكم أيها الآلهة إلا لتقربونـا إلى الله زلفى – قربة ومنـزلة – وتشفعوا لنا عنده في حاجاتنا، قال مجاهد: قـريش تقولـه للأوثان، ومن قبلهم يقوله للملائكة ولعيسى بن مريم ولعزير " [2].

وكذلك ورد هذا المعنى عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه : "وقرأ ابن مسعود : قالوا ما نعبدهم بإظهار القول ، أي يقول: الكفار ما نعبد هؤلاء الآلهة إلا ليقربونا إلى الله ويشفعوا لنا عنده، ويعني بذلك الكفار الذين عبدوا الملائكة، أو الذين عبدوا الأصنام، أو

---

(1) تفسير التحرير والتنوير (٣٢٢/٢٣). وانظر: هذه مفاهيمنا (١٠٦).

(٢) تفسير الطبري (١٩١/٢٣).

الذين عبدوا عيسى أو عزيراً فإن جميعهم قالوا هذه المقالة، ومعنى زلفى قربى" [(1)].

فاتخاذ المعبودات وسائط وشفعاء، هو الشرك الذي وقعت فيه الأمـم الـسابقة، والعرب في الجاهلية، وهو الشرك الذي وقع فيه القبورية في هذه الأمة.

قال المقريزي رحمة الله: " فالشرك في الإلهية – العبادة - هو الغالب على أهـل الإشراك، وهو شرك عباد الأصنام، وعباد الملائكة، وعبـاد الجـن، وعبـاد المـشايخ والصالحين. والأحياء والأموات الذين قالوا : إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى، ويشفعوا لنا عنده، وينالنا بسبب قر م من الله وكرامته لهم قرب، وكرامة كما هـو المعهـود في الدنيا من حصول الكرامة، والزلفى لمن يخدم أعوان الملك وأقاربه وخاصته" [(2)].

الوجه الرابـع: إن كفار قريش وغيرهم من المشركين، لم يصرفوا العبادة لتلـك الأصنـام، وتلك المعبـ ـودات لذا ا، فهم يعلمـون أن لا تسمع ولا ترى ولا تبصر ولا تنطق، كما قال الله عن قـوم إبراهيـ ـم: ﴿ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴾ [الأنبياء: ٦٥].

وكما هو الحال في مشركـ ـي العرب الذين يختارون الحجر فيتخذونه معبوداً، فإذا وجدوا حجراً خيراً منه تركـ ـوه وأخـ ـذوا الحجر الأخر، كما جاء في وصف أبو رجاء العطاردي[(3)] رضي الله عنه لحال العرب في الجاهلية ، وكيفية اختيارهم لهـذه المعبودات، حيث قال: " كنا نعبد الحجر ، فإذا وجدنا حجراً هو أخير ألقيناه وأخـذنا الآخر، فإذا لم نجد حجراً جمعنا جثوه[(4)]من تراب ثم جئنا بالشاه فحلبناها عليه ثم طفنـا

---

(١) التسهيل لعلوم التنـزيل (١٩٠/٣).

(٢) تجريد التوحيد المفيد (٤٥).

(٣) **عمران بن ملحان** بكسر الميم وسكون اللام بعدها مهملة. ويقال ابن تميم أبو رجاء العطاردي مشهور بكنيه مخضرم ثقة معمر مات سنة خمس ومائة وله مائة وعشرون سنة. انظر:: التقريب (٥١٧١).

(٤) **جثوه من تراب**: بضم الجيم، وسكون المثلثة، هي القطعة من التراب تجمع فتصير كوماً، وجمعهـا الجـث. انظر: فتح الباري.

به" [1].

ومعلوم أنه لا يوجد عاقل يعتقد في هذا الصنم الذي اختاره أنه خالق رازق محي، بل ولا يستحق العبادة لذاته من الطواف وغيره، ولا يعقل أن يأتي عاقل وينحت الحجـر أو يجمع التراب، أو يجمع التمر إلى بعضه ثم إذا جاع أكله، ويعتقد أنه يستحق العبـادة لذاته، إنما كان اعتقادهم، في هذا الصنم أنه رمز لصاحب الصورة، ليتوسط له عند الله، وهذا معنى قول الله تعالى : ﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله :"لم يكن أحد من عباد الأصنام يعتقد أ ا خلقت السموات والأرض، وإنما كانوا يتخذو ا شفعاء ووسائط لأسباب: منهم من صورها على صـور الأنبيـاء والصالحين، ومنهم من جعلها تماثيل وطلاسم للكواكب والشمس والقمر، ومنهم مـن جعلها لأجل الجن، ومنهم من جعلها لأجل الملائكة" [2].

وحقيقة عبادة هؤلاء المشركين هي ليست عبادة لله تعالى، وعبادة للأنبياء والصالحين، إنما هي عبادة للشيطان؛ لأن الشياطين تعلم أن الناس لا يرضون أن يعبدوهم، لكنهم أتوا هؤلاء العباد من قبل هؤلاء وغيرهم ممن يحسنون الظن م، ولهذا يتبرأ الملائكة والأنبياء من عبادة المشركين يوم القيامة، قال الله تعالى ﴿ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ۝ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ أَكۡثَرُهُم بِهِم مُّؤۡمِنُونَ ﴾ [سبأ: ٤٠-٤١]، إذا فحقيقة الأصنام التي يصنعها المشركون ويعبدو ا هي رموز للملائكة، أو لرجال صالحين، أو لأي معبود من معبودا م، و ذا يتبين خطأ وضلال القبورية في قولهم أن مشركي العرب كانوا وثنين ملاحدة وأن شركهم في الربوبية .

الوجه الخامس : دل القرآن الكريم على أن الكفار عندهم إيمان وشرك كما في

---

(١) البخاري، كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة وحديث ثمامه بن أثال برقم ٤٣٧٦.
(٢) مجموع الفتاوى (٣٦١/١).

قول الله تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ فإيما م إقرارهم أن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت ، وشركهم صرف أنواع من العبادات لغير الله تعالى. (١)

الوجه السادس: دل القرآن الكريم على أن المشركين لا يعترضون على توحيد الربوبية بل يقرون أن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت ، ولكن اعتراضهم على إفـراد الله بالعبادة كمـ ـا في قوله تعالى : ﴿ أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص: ٥].

الوجه السابع : دل القرآن على أن المشركين يشركون في الرخاء ، وأمـا في الشدة فهم يخلصون لله تعالى كما قال الله عز وجـل: ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [العنكبوت:٦٥] ولو كان شركهم في الربوبية لأشركوا في الرخاء والشدة.

وحقيقة القول، أن الذي أثبت للمشركين توحيداً صحيحاً إنما هو من قـال، إن الإنسان إذا أقر بأن الله هو الخالق الرازق المحي المميت هو الموحد حتى لو صرف أنـواع العبادة لغير الله تعالى، كالاستغاثة بالأموات ودعائهم والذبح لهم والسجود لهم، لكن إ ا لا تعمى الأبصار، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور.

أما قول القبورية: إن المشركين الذين قالوا إن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت، بسبب إفحام الله لهم وبسبب إقامة الرسول الحجة عليهم، وإلا هم ملاحدة لا يعترفـون بوجود الله وربوبيته تعالى، أو قول الآخر بأن إخبار الله عنهم بأ م اتخذوا تلك المعبودات لتقر م إلى الله زلفى بأ م قالوا ذلك غير جادين فيه.

---

(1) انظر (١٧٣ ، ١٧٤).

المتأمل بهذا القول يجد أن إتباع الهوى، يعمي ويصم، ويجعل صاحبه يأتي بغرائب من الأقوال التي لم يسبقه أحد إليها من سلف الأمة من الصحابة والتابعين وأئمة التفسير ، فالله يحكي عن المشركين أمراً ويرتب عليه حكماً ، وهو عز وجل أصدق حديثاً، وأصدق قيلا، وقوله فصل ليس بالهزل ، ثم يأتي هذا المعترض ليرده بأبسط عبارة – بأن المشركين لم يكونوا جادين – وهذا الأمر لو سحب على نصوص الكتاب والسنة لم يبق منها نصاً محكماً، بل كل نص من نصوص الكتاب والسنة قد يرد بهذه الكلمة، بل يشتد خطر هذا القول إذا علمنا أن معناه أن الله تعالى ذكر عن الكفار شيئاً لم يعتقدوه، فيا سبحان الله !! أأنتم أعلم أم الله ، يحكي الله عن المشركين أمراً ويبني عليه حكماً ثم يرده القبورية ، بأنه إفحام ، أو أن المشركين غير جادين فيه ، تلاعب بكتاب الله تعالى ورد لدلالات نصوصه ؟؟ ، هذه الآيات الكثيرة من كتاب الله التي تثبت اعتراف المشركين بالربوبية ليس لها معنى عند هؤلاء القبورية ؟!، ومن رجع إلى كتاب الله عز وجل يجد أن المشركين يعترفون بالربوبية، بل ويعبدون الله بعبادات، ويعلمون أن الله خير من معبوداتهم، بل ويلجوؤن إلى الله تعالى إذا مسهم الضر ، قال الله عز وجل : ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٥]، هل هم في لجؤهم لله تعالى غير جادين، ولو كانوا ملاحدة لا يعرفون الله وأفحمهم النبي ، وأقام عليهم الحجج لقالوا : من هو هذا المعبود الذي تدعونا لعبادته، لكنهم قالوا الله خالقنا والله رازقنا والله هو المحيي والله هو المميت،فكيف يكونون ملاحدة لا يعرفون الله وهم يقرون به.

الوجه الثامن: كما سبق ذكره أنه لا أحد ينكر أن الله هو الخالق إلا مالا يعتد به، فإن المتأمل لهدى النبي في دعوته للناس يجد أن النبي لم يكن يدعو ملاحدة لا يعرفون الله، بل كانت دعوته لإفراد الله تعالى بالعبادة، ولما دعاهم إلى إفراد الله تعالى بالعبادة أنكروا ذلك فقالوا : ﴿ أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص: ٥].

وهذا الذي فهمه المشركون من دعوة النبي صلى الله عليه وسلم كما في حديث أبي سفيان الطويل عندما سأله هرقل[1] "ماذا يأمركم قلت : يقول أعبدوا الله وحده ولا

(١) **هرقل** : هو ملك الروم، وهرقل: اسمه، وهو بكسر الهاء وفتح الراء وسكون القاف، ولقبه قيصر، كما يلقب

تشركوا به شيئاً واتركوا ما يقول آباؤكم ... " [1]الحديث.

ومن خلال هذه الوجوه السابقة يتبين بطلان قول القبورية بأن مشركي العـرب مشركون بالربوبية ، وبأ م ملاحدة ، بل شركهم أتى من اتخاذ معبودا م وسائط عنـد الله، يصرفون لها أنواع من العبادة لتقر م إلى الله زلفى.

ثم **قرر القبورية هذه الشـبهة : وهي القـول بأن مشركي قـريش مـشركون بالربوبية** بما **يلـي:**

أولا: أن كفار قريش ملاحدة لا يعترفون بالله تعالى واستنتجوا ذلك من دعوة الله تعالى لهم بالتفكر في مخلوقاته. قال السقاف: "وهذا كذب صريح منهم لأ م ما كانوا يعتقدون بوجود الله تعالى الذي خلق السموات والأرض، بدليل أن الله أمرهم في القرآن أن يتفكروا في خلق السموات والأرض، ليعرفوا أن لها إلهاً خلقها وأوجدها فيؤمنون به، قال سبحانه وتعالى: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ﴾ [الغاشية: ١٧-٢٠]، وقال تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوۡمٍ يَعۡقِلُونَ ﴾ [البقرة: ١٦٣-١٦٤]، فكانوا يردون ما جاء في صدر الآيات الشريفة قائلين: ﴿ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص: ٥]. ولو كانوا مقرين بأن الله سبحانه هو خالق السموات والأرض وما فيهن لما ذكر الله لهم تلك الآيات الآمرة بالتفكر في الإبل كيف خلقت، وفي الجـبال كيف نصبت في الأرض كيف سطحت وفي السماء كيف

ملك الفرس : كسرى ونحو . انظر: فتح الباري (٣٣/١).

(١) رواه البخاري كتاب الوحي، باب بدء الوحي برقم٧، ورقم ٢٧٨٢، ورقم ٤٢٧٨، ومسلم برقم ١٧٧٣.

رفعت" [1].

الرد على هذه الشبه من وجوه.

الوجه الأول: يرد على هذه الشبهة بما سبق من الرد على أصل هذه الشبهة، وأما قولهم : بأن هؤلاء ملاحدة بدليل أمر الله تعالى لهم بالتفكر بالمخلوقات فليس في هذا دليل على أن هؤلاء ملاحدة لا يؤمنون بالله، بل الله جل وعلا أمر جميع الناس بالتفكر بمخلوقاته المسلم والكافر، فأما المسلم فيزداد إيماناً إلى إيمانه، وأما الكافر، فيؤدي به التفكير إلى إفراد الله بالعبادة.

ولذلك ورد عن السلف إنهم كانوا يخرجون للتفكر في الإبل والسماء والجبال والأرض، "وكان شريح القاضي يقول: أخرجوا بنا حتى ننظر إلى الإبل كيف خلقت، وإلى السماء كيف رفعت أي كيف رفعها الله عز وجل هذا الرفع العظيم ..." [2].

وليس معنى ذلك أن شريحاً رحمة الله يدعو ملاحدة ، بل يدعو مسلمين يحثهم على التفكر، بل الله تعالى أثنى على أهل الإيمان الذين يتفكرون في خلق السموات والأرض قائلاً سبحانه :

﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [آل عمران: ١٩١]، فالدعوة إلى التفكر هي دعوة للجميع، والتفكر قربة وعبادة يتقرب بها العبد لخالقه سبحانه، وليس أمر الله تعالى للناس في التفكر دليل على أنهم ملاحده لا يعرفون أن الله خالقهم ورازقهم.

وذكر أهل التفسير أن أمر الله تعالى للناس في التفكر في هذه الآيات ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ۝١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ۝١٨ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ

---

(١) مجموع رسائل السقاف (٥٩٧/٢).

(٢) تفسير ابن كثير (٥٠٤/٤).

نُصِبَتۡ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ﴾ [الغاشية: ١٧-٢٠]، إنه لما ذكر الجنة، وما فيها من نعيم، عجب من ذلك أهـل الكفر فذكر الله تعالى هذه الآيات. قال قتـادة : "لما نعت الله ما في الجنة عجب من ذلك أهل الضلالة ، فأنزل أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت" (1).

الوجه الثاني: قوله : أن المشركين لما أمرهم الله بالتفكر ، تفكروا ، ثم قـالوا "أجعل الآلهة إلهاً واحداً، إن هذا لشيء عجاب. " وهذه مجازفة أخرى من هذا المعترض، وقول من غير علم ؛ حيث أمرهم النبي عليه الصلاة والسلام بإفراد الله بالعبادة، وقـال لهم: قولوا لا إله إلا الله، فقـالوا : ﴿ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ﴾ [ص: ٥].

ولهذا ذكر كثير من المفسرين سبب نزول قول الله تعالى عن كفار قريش : أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ﴾ ما ورد عن ابن عباس قال : " لما مرض أبو طالب دخل عليه رهط من قريش، فيهم أبو جهل، فقالوا : إن ابن أخيك يشتم آلهتنـا ويفعل ويفعل، ويقول ويقول، فلو بعثت إليه فنهيته، فبعث إليه فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فدخل البيت، وبينهم وبين أبي طالب قدر مجلس ، فخشي أبو جهل أن جلس إلى أبي طالب أن يكون أرق عليه فوثب فجلس في ذلك المجلس، فلم يجـد رسـول الله صلى الله عليه وسلم مجلساً قرب عمه فجلس عند الباب، فقال: له أبو طالب أي ابـن أخي ما بال قومك يشكونك ؟ يزعمون أنك تشتم آلهتهم ، وتقول وتقـول ، قـال: وأكثروا عليه من القول ، وتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يـا عـم إني أريدهم على كلمة واحدة يقولونها تدين لهم بها العرب وتؤدي إليهم بها العجم الجزيـة، ففزعوا لكلمته ولقوله، فقال القوم: كلمة واحدة، نعم وأبيك عشرا، قالوا : فما هـي؟ قال: لا إله إلا الله ، فقاموا فزعين ينفضون ثيابهم ، وهم يقولون : أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب، فنـزل فـيهم : ﴿ صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي

(١) الدر المنثور (٤٩٤/٨)، وانظر: تفسير البغوي (٤٧٩/٤)، وانظر: تفسير أبي السعود (١٩١/٩).

عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ﴾ [1][ص : ١-٨] .

فالسبب ليس إنكارهم لوجود الله، بل السبب أنه دعاهم للا إله إلا الله فعلمـوا معناها، وهي التخلي عن تلك المعبودات من دون الله تعالى. وبذلك يتبين أنه لا حجة لهم ذه الآية على أن كفار قريش لا يقرون بربوبية الله تعالى .

ثانياً: ومن ضمن ما قرروا به هذه الشبهة وهي أن المشركين منكرون لوجود الله، أن كفار قريش كانوا يعبدون تلك الأصنام ويحجون إليها. قال الـسقاف: "إن أولئـك الكفار اشتهر عنهم إ م يعبدون تلك الأصنام ويحجون لها ويتقربون إليها ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [يـس: ٧٤]،﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾ [النجم: ١٩-٢٠] [2]

كما قرروا هذه الشبهة بأن كفار قريش كانوا ينكرون البعث والنشور ، قال السقاف: " بل واشتهر عنهم أ م كانوا يقولون : ما هي إلا أرحام تدفع ، وأرض تبلـع وما يهلكنا إلا الدهر . قال الله تعالى مخبراً لنا عنـهم : ﴿ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾[الجاثيـــة: ٢٤]، بل قال للنبي صلى الله عليه وسلم وآله وسلم أحـدهم : ﴿ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ [يس: ٧٨]، فهل يجوز لنا بعد هذا أن نصف من لا يقر بأن الله خالق ومحي بأنه موحد توحيد ربوبية، والله تعـالى يقـول: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ [الزمر: ٣].

والرد على هذه الشبهة من وجوه:

---

(١) الدر المنثور (١٤٢/٧)، وانظر: تفسير ابن كثير (٢٨/٤)، وانظر: تفسير البغوي (٤٨/٤) وغيرها من كتب التفاسير.

(٢) مجموع رسائل السقاف (٥٩٨/٢).

الوجه الأول: إن كفار قريش يعبدون الأصنام على سبيل القربة والشفاعة والواسطة بينهم وبين الله كما قال تعالى : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾، وكانوا يعبدون هذه الأصنام، ويعبدون الله ويتقربون إليها ويتقربون لله كما سبق ذكره، وكانوا يحجون لله تعالى ويحجون لأصنامهم كما ثبت في تلبيتهم من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنه " لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك" (1)، وهذا دليل على معرفتهم بالربوبية وإشراكهم بالألوهية، وعقيدة الكفار ومعرفتهم بربوبية الله وإشراكهم بالألوهية لا يجحدها إلا جاهل مركب الجهل، أو صاحب هوى تمكن الهوى من قلبه، وقد ثبت اعترافهم بذلك بآيات كثيرة، وأحاديث كثيرة وكتب التاريخ والسير التي تثبت اعترافهم بالله ولجؤهم إليه؛ كقصة كفار قريش مع أبرهة إلى غير ذلك. برهان بين ودليل قاطع على عدم إنكارهم لله تعالى.

الوجه الثاني: استدل بعض القبورية على أن كفار قريش ينكرون وجود الله تعالى بقوله تعالى : ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴾.

وقول الله عز وجل: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾[النجم: ١٩، ٢٠]، وهاتين الآيتين ليس فيهما دليل على إنكار ربوبية الله.

والآية الأولى وهي قول الله تعالى : ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [يس : ٧٤]. فالمشركون عبدوا تلك المعبودات يرجون منها النصر والمنعه من العذاب لما لها من المنزلة والمكانة عند الله في ظنهم، قال البغوي: " يعني لتمنعهم من عذاب الله ولا يكون ذلك قط " ﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ ﴾ [يس : ٧٥] قال ابن عباس: " لا تقدر الأصنام على نصرهم ومنعهم من العذاب" (2).

وهذا دليل على بطلان معبوداتهم التي عبدوها من دون الله .

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي : "هذا بيان لبطلان آلهة المشركين الذين اتخذوها مع الله تعالى ورجوا نصرها وشفعها أي شفاعتها ووساطتها بينهم وبين الله، فإ ا

(١) سبق ذكر تخريجه (١٨١).

(٢) تفسير البغوي (٢٠/٤).

في غاية العجز ﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ ﴾ [1]، وهذا كقول الله عز وجـل: ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴾ [مريم: ٨١]، فالمشركون اتخذوا هذه المعبودات بحثاً عن العزة والمكانة الدنيوية والأخروية، ظناً منهم أن هذه المعبودات لها المنـزلة والمكانـة عند الله. قال : الشنقيطي في تفسير هذه الآية " ذكر الله جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن الكفار المتقدم ذكرهم في قوله تعالى : ﴿ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مـريم : ٧٢] اتخذوا من دون الله آلهة أي معبودات من أصنام وغيرها يعبدو ا مـن دون الله، وأ ـم عبدوهم لأجل أن يكونوا لهم عزاً، أي أنصاراً وشفعاء ينقذو م من عـذاب الله؛ كمـا أوضح تعالى مرادهم ذلك في قولـه تعـالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزمر: ٣].

فتقريبهم إياهم إلى الله زلفى في زعمهم هو عزهم الذي أملوه م، وكقوله تعالى عنهم : ﴿ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ ﴾، فالشفاعة عند الله عز لهـم يزعمـون كذباً وافتراء على الله كما بينة بقولة تعالى: ﴿ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [يونس :١٨]" [2] ففهم النصوص مع بعضها هو الواجب على المسلم المنصف الباحث عن الحق، أما التعلق ببعض النـصوص وترك البعض الآخر، فهذا سرى إلى هذه الأمة من أهل الكتاب الذين يحرفون الكلم عن مواضعه، ويأخذون ببعض الكتاب ويتركون بعضه.

أما الاسـ ـتدلال بقـول الله تعـالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾ [النجم: ١٩، ٢٠]، على أن كفار قريش ينكـرون وجـود الله وخالقيتـه للمخلوقات، فهذا دليل عليه، لا له.

إذا أننا إذا رجعنا لكتاب الله تعالى نجد أن الله يقرعهم إذ أنـهم نسبوا الولد إليه

---

(١) تفسير السعدي (٦٩٩/١).

(٢) أضواء البيان (٥٠٩/٣).

تعالى، كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ٨٨ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ﴾ [مريم: ٨٨-٨٩]، ثم أ م جعلوا هذا الولد أنثى، كما في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنۡ عِبَادِهِۦ جُزۡءًاۚ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ مُّبِينٌ ١٥ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخۡلُقُ بَنَاتٖ وَأَصۡفَىٰكُم بِٱلۡبَنِينَ ﴾ [الزخرف: ١٥-١٦]، ويبين الله تعالى إن المشركين جعلوا الملائكة إناثاً: ﴿ وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًا ﴾ [الزخرف: ١٩].

ولهذا قال الله تعـالى: ﴿ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ٢٠ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ ٢١ تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ ﴾ [النجم: ١٩-٢١]، فهـم يعرفـون الله، ويجعلون له ولداً ويجعلون ولده أنثى. قال ابن كثير رحمة الله في تفسير هذه الآيـة: " أي تجعلون له الأنثى فلو اقتسمتم أنتم ومخلوق مثلكم هذه القسمة لكانت قسمة ضيزى" (1)

وللإنسان أن يتساءل : لماذا هؤلاء المشركون جعلوا لله ولداً، وجعلوا هذا الولـد أنثى، والسبب في ذلك : أ م جعلوا الملائكة بنات الله؛ لأن العرب يرون العقر عيـب ، فنـزهوا الله عن هذا العيب بظنهم ، وجعلوا له أبناء ، ولما كان الولد الذكر يشارك أباه في ملكه حتى قد يتغلب عليه ويأخذ منه الملك، قالوا: إن الملائكة إناث؛ لأ م كـانوا لا يورثون الأنثى وهى كلة على أبيها، فعبدوا هذه الأصنام التي هـي في الحقيقـة تماثيـل للملائكة بظنهم أ م إذا عبدوا ولد الله فكأنما عبدوا الله؛ لأن ولد الله له المنـزلة والمكانة عند الله تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً (2).

وهذا ما ذهب إليه بن جرير إذ يرى رحمه الله تعالى تعلق قول الله تعـالى ألكـم الذكر وله الأنثى بالآية التي قبلها فقال: " سمى المشركون أوثا م بأسماء الله تعالى ذكـره وتقدست أسماؤه، فقالوا من الله اللات، ومن العزيز العزى، وزعموا أ م بنات الله، تعالى

---

(١) تفسير ابن كثير (٢٥٥/٤).

(٢) انظر:: عقيدة العرب ووثنيتهم (١٦٤)، من ضمن مجموعة رسائل للمعلمي.

عما يقولون علوا كبيراً" [1]، و بهذا يتبين أن ما استدل به بعض القبورية في هذه الآية على أنها دليل على إنكار المشركين لوجود الله لا دليل فيها البتة، بل هو دليل عليهم لا لهم.

ثالثاً: قرر بعض القبورية أن كفار قريش ملاحدة منكرون لوجود الله تعالى واستدلوا بقوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُ ﴾ [الجاثية: ٢٤]، قال السقاف: بل اشتهر عنهم أنهم كانوا يقولون: ما هي إلا أرحام تدفع وأرض تبلع وما يهلكنا إلا الدهر قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [الجاثية: ٢٤]، بل قال لنبي الله عليه وآله وسلم أحدهم ﴿ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ [يس:٧٨] فهل يجوز لنا بعد هذا أن نصف من لا يقر بأن الله خالق ومحي بأنه موحد توحيد ربوبية والله تعالى يقول عنه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ﴾ [الزمر: ٣] [2].

والرد على هذه الشبهة من وجوه:

الوجه الأول: إن المنصف المريد للحق هو الذي يأخذ بنصوص الكتاب والسنة جميعاً، وليس من الإنصاف في شيء أن يأخذ بعض الكتاب ويترك بعضه،وهذه الآية حكت واقع فئة من الزنادقة ممن انتكست فطرهم، ونسبوا الحياة والموت للدهر، بينما غالب العرب يقرون بأن الخالق والرازق والمحي والمميت هو الله، كما استفاضت بذلك نصوص الكتاب والسنة، والمتأمل في حال العرب ومن قرأ سيرهم يجد قله قليلة لا يعتبر بها هي التي قالت ذلك. قال الشهرستاني : " فمعطلة العرب وهم أصناف: فصنف منهم أنكروا الخالق والبعث والإعادة وقالوا بالطبع المحي، والدهر المفني، وهم الذين أخبر القرآن المجيد عنهم ﴿ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [الجاثية: ٢٤] ، إلى أن قال : "وصنف منهم أقروا

(١) تفسير ابن جرير الطبري (٥٨/٢٧).

(٢) مجموع رسائل السقاف (٥٩٨/٢)، وانظر:: التوسل لابن مرزوق (٣٠).

بالخالق وابتداء الخلق، ونوع من الإعادة وأنكروا الرسل وعبدوا الأصنام وزعموا أ ـم شفعاؤهم عند الله في الآخرة وحجوا إليها، ونحروا لها الهدايا، وقربوا لها القرابين، وتقربوا إليها بالمناسك والمشاعر وحللوا، وحرموا وهم الدهماء من العرب" [1] ، فغالب العرب كانوا يقرون بأن الله هو خالقهم .

بل حتى من أنكر الله بلسانه أنكره جحوداً وعناداً، مع استيقانه بالله في قلبه كما هو حال أعتى الكفار، قوم فرعون إذ قال الله عنـهم : ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ [النمل :١٤].

الوجه الثاني: ما اسـتدل به بعض القبورية على إنكارهم للعبث والنشـور لا ينافي إقرارهم بأن الله هو الخالق المحي المميت، فغالب المـشركين ينكـرون البعـث والنشور، كما ذكر الله ذلك عنهم قال تعـالى: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن:٧]. وقوله تعالى ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾ [الإسراء: ٤٩].

وقول الله تعالى ﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ [الصافات:١٦].

فإنكارهم للبعث والنشور لا يعني إنكارهم لله تعالى وأنه الخالق الـرازق المحـي والمميت، فالله ذكر عنهم إنكارهم للبعث ، كما ذكرهم عنهم اعترافهم بأن الله هـو الخالق الرازق المحي المميت، فأثبت الله هذا وهذا، علما بأن غالب شبهات العرب الذين بعث إليهم النبي عليه الصلاة والسلام مقصورة على إنكار البعث والنشور وإنكار بعـث الرسل.

وبذلك يتبين أن إنكارهم للبعث والنشور لا يدل على إنكارهم لله تعالى.

الوجه الثالث: كون أهل السنة والجماعة يقولون أن المـشركين يقـرون في الربوبية، فليس معنى ذلك أ ـم يثبتون أن للكفار توحيد صحيح، بل المـشركون أتـوا

---

(١) الملل والنحل (٦٥١/٣، ٦٥٢، ٦٥٣).

بالدليل ولم يعملوا به، وأقروا بالربوبية، ولم يوحدوا بالألوهية، كما أن إبليس يعرف الله، ويقر به، ويقسم بالله عز وجل، وهو أكفر خلق الله تعالى، وكـذلك معرفـة اليهـود والنصارى بصدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لم تدخلهـم في الإسلام، بل ومعرفة أبي طالب بصدق محمد صلى الله عليه وسلم، وأن دينه أفضل الأديان وخيرها لا يعـني ذلك توحيد أبي طالب، بل الله عز وجل ذكر في كتابه الكريم ذلك؛ فأثبت لهم الإيمـان بالربوبية ونعى عليهم الشرك بالألوهية كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٦] ، وقد فسرها السلف بإقرارهم بأن الله هـو الخـالق الرازق المحي المميت ثم أشركوا بالعبادة[1]. فإثبات أهل السنة أن كفار قـريش مقـرون بالربوبية ليس معناه أ م موحدون، إنما هو إعمال لنصوص الكتاب والسنة الكثيرة المثبتة لإقرارهم بالربوبية، ولا يعتبر ذلك طعناً م، كما قال السقاف: "فهل يجوز لنا بعد هذا أن نصف مالا يقر بأن الله خالق ومحي بأنه موحد توحيد ربوبية" ، وقد سبق بيـان أن كفار قريش يعترفون بأن الله هو الخالق الرازق المحي المميت، وأن من ينكرون أن الله هو الخالق شرذمة قليلة، كما نقول أن من أقر بتوحيد الربوبية واعترف ا لا ينفعـه هـذا الإقرار حتى يأتي بلازمة من توحيد الألوهية وإفراد الله تعالى بالعبادة.

الوجه الرابع : استدل بعض القبورية على أن كفار قريش ملاحدة منكرون لله تعالى بقوله عز وجل: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴾ [الفرقان: ٦٠]، إذ قال السقاف بعد سياق هذه الآية "فهـل هـؤلاء يقولون بوجود الرحمن الرحيم" [2]،

(١) سبق نقول السلف.(١٧٣ ، ١٧٤).

(٢) مجموع رسائل السقاف (٥٩٨/٢).

والرد على ذلك:

هذا ليس فيه دليل على إنكار كفار قريش لله تعالى، بل هم ينكرون تسمية الله بالرحمن الرحيم كما أنكروا ذلك يوم الحديبية.

"فجاء سهيل فقال : هات اكتب بيننا وبينكم كتاباً، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال صلى الله عليه وسلم : بسم الله الرحمن الرحيم. قال سهيل: أما الرحمن فو الله ما أدري ما هو ، ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب"[1]. وقد ورد في بعض الروايات أنهم قالوا: " ما نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة"[2]. وهذا ما فسر به السلف هذه الآية كقتاده ومقاتل وابن جريج. [3]

وقد ذكر ابن الجوزي في سبب نزول قول الله تعالى : ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ ثلاثة أقوال إذ قال رحمه الله: "﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال:

أحدها: أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قال لكفار قريش : "اسجدوا للرحمن" قالوا : وما الرحمن ؟ . فنزلت هذه الآية، وقيل لهم إن الرحمن الذي أنكرتم هو ربي، هذا قول الضحاك عن ابن عباس.

والثاني : أنهم لما أرادوا كتابة الصلح يوم الحديبية كتب علي عليه السلام بسم الله الرحمن الرحيم، فقال : سهيل بن عمرو وما نعرف الرحمن إلا مسيلمة، فنزلت هذه الآية . قاله قتاده، وابن جريج، ومقاتل.

والثالث: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوماً في الحجر يدعو، وأبو جهل يستمع إليه، وهو يقول : يا رحمن ، فولى مدبراً إلى المشركين، فقال : إن

---

(١) رواه البخاري في كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب برقم (٢٧٣١).

(٢) الدر المنثور (٢٦٨/٦). وانظر: تفسير ابن كثير (٢٢/١).

(٣) انظر: تفسير البغوي (١٩/٣).

محمداً كان ينهانا عن عبادة الآلهة، وهو يدعو إلهين فنـزلت هذه الآية". [1]

وهذا مجمل تفسير السلف، لم يقل أحد منهم أن مشركي قريش ينكرون الله ، بل هم ينكرون تسمية الله تعالى بالرحمن.

علماً بأن إنكارهم لاسم الرحمن إنما هو من قبيل الجحود والعناد والتعنت، إذ وجد في أشعارهم في الجاهلية تسمية الله بالرحمن . قال ابن كثير: "والظاهر أن إنكارهم هذا إنما هو جحود وعناد وتعنت في كفرهم، فإنه قد وجد في أشعارهم في الجاهلية تسمية الله تعالى بالرحمن، قال ابن جرير: وقد أنشد بعض الجاهلية الجهال.

ألا ضربت تلك الفتاة هجينها ألا قضب الرحمن ربي يمينها. [2]

والعرب تعرف الرحمن قال ابن عباس: " الرحمن الفعلان من الرحمة وهو من كلام العرب"[3] ولهذا قال ابن جرير مؤكداً أن دافع العرب لإنكار اسم الرحمن إنما هو الجحود والعناد "وقد زعم بعض أهل الغباء أن العرب كانت لا تعرف الرحمن ولم يكن ذلك في لغتها" [4]

وبذلك يتبين أن العرب يعرفون الله تعالى ويقرون بربوبيته، بل ويعلمون أنه رحمن، بل لم يكونوا ينكروا رحمة الله تعالى، إنما دفعهم لإنكار اسم من أسمائه الجحود والعناد والتعنت.

خامساً: استدل بعض القبورية على أن مشركي العرب منكرون لله تعالى بقوله عز وجل: ﴿ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَـٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَـٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [المؤمنون: ٩١]، قال السقاف: "ولو كانوا يقرون أن الله هو الخالق لما قال الله

(١) زاد المسير (٣٢٩/٤).
(٢) تفسير ابن كثير (٢٢/١)، وانظر: تفسير ابن جرير الطبري (٥٧/١).
(٣) تفسير ابن جرير الطبري (٥٧/١).
(٤) انظر: المصدر السابق نفس الصفحة.

لهم" [1] ثم ساق الآية.

والرد على هذه الشبهة:

هذه الآية تدل على إقامة الله عليهم الحجة بما يعتقدونه، ويقرون به من أن الله هو الخالق، وهذا أمر يقر به المشركون، فلو كان هناك إله غير الله، لكان خالقاً، وكان خلقه ظاهراً، وهذا برهان أقامة الله على بطلان معبوداتـهم. قال ابن القيم رحمه الله تعـالى: بعد سياق هذه الآية " فتأمل هذا البرهان الباهـر ـذا اللفظ الوجيز البين، فإن الإله الحق لا بد أن يكون خالقاً فاعلاً يوصل إلى عابده النفع ويدفع عنه الضر، فلـو كـان معـه سبحانه إله لكان له خلق وفعل، وحينئذ فلا يرضي بشركة الإله الآخر معه، بل إن قدر على قهره، وتفرده بالإلهية دونه فعل، وإن لم يقدر على ذلك انفرد بخلقه وذهب به كما ينفرد ملوك الدنيا عن بعضهم بعضاً بمالكهم إذا لم يقدر المنفرد على قهر الآخر والعلـو عليه، فلا بد من أحد أمور ثلاثة ، إما أن يذهب كل إله بخلقه وسلطانه، وإما أن يعلـو بعضهم على بعض، وإما أن يكون كلهم تحت قهر إله واحد وملك واحد يتصرف فيهم ولا يتصرفون فيه ويمتنع من حكمهم عليه ولا يمتنعون من حكمه عليهم فيكون وحده هو الإله الحق وهم العبيد المربوبون". [2]

فهذه الآية دليل عليه لا دليل له، وهذه الآية دليل على إثبات توحيـد الألوهيـة بتوحيد الربوبية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " بل القرآن قرر فيه توحيد الإلهية المتضمن توحيد الربوبية، وقرره أكمل من ذلك ، واعتبر ذلك بقولـه تعـالى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا

---

(١) مجموع رسائل السقاف (٥٩٨/٢).

(٢) الصواعق المرسلة (٢/ ٤٦٣- ٤٦٤).

كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾ [سـ ـورة المؤمنون: ٩١]، فهذه الآية ذكر فيها برهانين يقينيين على امتناع أن يكون مع الله إلـ ـه آخر" (1) .

سادساً: مما استدل به القبورية على أن المشركين مشركون بالربوبية ، معتقـ ـدون لأصنامهم الضر والنفع من دون الله استقلالاً قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ ﴾ [الأنعام :١٠٨]؛ إذ قال المالكي بعد سياق هذه الآية : " فهي إذن تنهي المؤمنين ي تحريم شديد أن يقولوا كلمة نقص في الحجارة الـ ـتي كان يعبدها الوثنيون بمكة المشرفة ؛ لأن قول تلك الكلمة يتسبب عنه غـ ـضب أولئـ ـك الوثنيين غيره على تلك الحجارة التي كانوا يعتقدون من صميم قلو م أ ا آلهـ ـة تنفـ ـع وتضر" . (2)

والرد على هذه الشبهة من وجوه.

الوجه الأول: قد دل القرآن الكريم على أن المشركين يعلمون ويقرون أن الضر والنفع بيد الله تعالى، بل إذا مسهم الضر دعوا الله تعالى مخلصين له، عالمين أن هو الـ ـذي يكشف الضر، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ أَعۡرَضۡتُمۡۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ١٧].

وهم مقرون بأن الذي يكشف الضر الله، وأن من أراده الله بخير فلا راد لفضله، كما أ م يعترفون أن الله هو خالق السموات والأرض . قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ

---

(١) منهاج السنة النبوية (٣/٣١٣).

(٢) مفاهيم يجب أن تصحح. (٩٥) .

خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾[الزمر: ٣٨].

وقد بين الله تعالى أن مقصد المشركين من عباد م لتلك الأولياء لكي تقر م إلى الله زلفى، ليس لأ ا تخلق وترزق وتحي وتميت أو تستقل بالنفع والضر، إذ قال الله فيمـا حكاه عنهم : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزمر: ٣].

وهذا ما فهمه السلف ؛ قال قتادة: "﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾".

قال ما نعبد هذه الإلهة إلا ليشفعوا لنا[1] وقد ثبت ذلك عن غيره من السلف[2].

الوجه الثاني: إن المشركين يعتقدون في هذه التماثيل أ ا تماثيل للملائكة أو لرجال صالحين، وأن الملائكة هم بنات الله ومقربة منه، وكذلك الرجال الصالحين، وأن الله هو الذي جعلهم وسائط بينهم وبين الله جل وعلا، ولهذا لما دعاهم النبي صلى الله عليه الصلاة والسلام لإفراد الله بالعبادة كبر ذلك عندهم، واعتبروا أن هذا ديناً جديداً لم يسبقه إليه أحد، كما قال الله تعالى عنهم: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ۝ مَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَـٰقٌ ﴾ [ص: ٥- ٧]، فاعتبروا إن دعوة النبي عليه الصلاة والسلام لإفراد الله بالعبادة اختلاق من عنده عليه الصلاة والسلام، وتسفيهاً لأحلامهم، وسباً لآلهتهم.

إذاً فالمشركون لا ينكرون الله تعالى وخالقتيه، إنما ينكرون إفـراد الله بالعبـادة، وإبعاد تلك المعبودات ونفيها بقول لا إله إلا الله، وبالتالي إذا سمعوا سباً لتلـك الآلهـة

---

(١) الدر المنثور (٧/٢١٠).

(٢) سبق ذكر أقوال السلف في ذلك (١٨٢).

والمعبودات غضبوا عندها؛ لأ م يعتقدون أ ا وسيلة إلى الله تعالى، ولا يصدقون الـنبي عليه الصلاة والسلام بأن الله هو الذي أبعدها ونفاها؛ ولذلك كان سـبهم حميـةً لهـم وجهلاً بالله وبحقه من إفـراده بالعباد، ولهـذا قال الله تعـالى: ﴿ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٍ ﴾[الأنعام : ١٠٨]. وسبهم لله حمية جاهلية لتلك المعبودات، وحتى المـسلم قـد يغضب غضباً شديداً يحمله على التكلم بالكفر.

قال الألوسي رحمه الله : "وقيل أن سب الآلهة سب لهم ، كما يقال ضرب الدابة صفع لراكبها " إلى أن قال : " ومعنى سبهم لله عز وجل إفضاء كلامهم إليه، كشتمهم له صلى الله عليه وسلم ولمن يأمره. وقد فسر : ﴿ بِغَيۡرِ عِلۡمٍ ﴾ بذلك أي: فيسبوا الله تعالى بغير علم أنـهم يسبونه؛ وإلا فالقوم كانوا يقرون بالله تعالى وعظمته وأن آلهتـهم إنمـا عبدوها لتكون شفعاء لهم عنده سبحانه فكيف يسبونه.

ويحتمل أن يراد سبهم له عز اسمه صريحاً ، ولا إشكال بناءً علـى أن الغـضب والغيظ يحملهم على ذلك، ألا ترى أن المسلم قد تحمله شدة غيظه على التكلم بالكفر.

ومما شاهدناه أن بعض جهلة العوام أكثر الرافضة من سب الشيخين رضـي الله تعالى عنهما عنده، فغاظه ذلك جداً فسب علياً كرم الله وجهه، فسئل عن ذلك فقال: ما أردت إلا إغاظتهم، ولم أر شيئاً يغيظهم مثل ذلك، فاستتيب عن هذا الجهل العظيم" (1) وبذلك يتبين أن هذه الآية ليس فيها دليل على إنكارهم لوجود الله تعالى وخالقيته، وإنما هم يقرون بأن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت المستقل بالنفع.

سـابعاً: مما استدل به القبورية على أن المشركين يعتقدون في أصنامهم أ ا أعظم في نفوسهم من الله تعالى قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعۡمِهِمۡ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمۡ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمۡۗ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴾ [الأنعام :١٣٦] قال

---

(١) روح المعاني (٢٥١/٧).

المالكي- بعد سياق هذه الآية- : " فلولا أن الله تعالى أقل في نفوسهم من تلك الحجارة ما رجعوها عليه هذا الترجيح الذي تحكيه هذه الآية، واستحقوا عليه حكم الله عليها بقوله :﴿ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾. (1)

والرد على هذه الشبهة من وجوه:

الوجه الأول: يرد عليها بما سبق تقريره في الرد على الشبهة السابقة من اعترافهم بأن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت، وبما حكاه الله تعالى عنهم بأ م ما عبدوا تلـك المعبودات إلا لتقر م عند الله زلفى، إذ حكى الله ذلك عنهم ورتب عليه حكماً، وهـو سبحانه وتعالى أصدق قيلاً وأصدق حديثاً، وكلامه فصل ليس بالهزل.

كما أن هذه الآية لا تتضمن أ م ينكرون وجود الله وخالقيته سبحانه. فهـم في هذه الآية يعترفون بالله تعالى وبربوبيته، إلا أ م يشركون معه غيره، ولذلك سمـاهم الله مشركين، كما نصت عليه الآية.

الوجه الثاني: دلت الآية على اعترافهم بالله تعالى، كما دلت على تفـضيلهم الله عز وجل على معبودا م، فهم معترفون بالله، مقرون بأن ما ذهب لمعبـودا م ممـا قسموا لله لا يرد إلى قسم الله، وذلك لغنى الله تعالى عنهم وحاجة معبودا م وفقرها. قال ابن جرير رحمه الله : " وذلك أن أعداء الله كانوا إذا احترثوا حرثاً أو كانت لهـم ثمـرة جعلوا لله منها جزءا وللوثن جزءا ، فما كان من حرث أو ثمرة أو شيء مـن نـصيب الأوثان حفظوه وأحصوه ، فإن سقط منه شيء فيما سمى لله ردوه إلى ما جعلوا للـوثن، وإن سبقهم الماء إلى الذي جعلوه للوثن فسقى شيئاً جعلوه لله جعلوا ذلك للـوثن، وإن سقط شيء من الحرث والثمرة التي جعلوا لله فاختلط بالذي جعلوا للوثن، قالوا: هـذا فقير ولم يردوه إلى ما جعلوا لله". (2)

ولهذا قال الله عز وجل : ﴿ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ قال ابن كثير رحمه الله " أي ساء ما يقسمون فإ م أخطأوا أولاً في القسم؛ لأن الله تعالى هو رب كل شيء ومليكـه

---

(١) مفاهيم يجب أن تصحح (٩٦).

(٢) تفسير ابن جرير الطبري (٤١/٨).

وخالقه ، وله الملك وكل شيء له وفي تصرفه وتحت قدرته ومشيئته، لا إله غيره ولا رب سواه، ثم لما قسموا فيما زعموا القسمة الفاسدة لم يحفظوها، بل جاروا فيها كقوله جل وعلا ﴿ وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ ٱلۡبَنَٰتِ سُبۡحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشۡتَهُونَ ﴾ (1) [النحل:٥٧] .

وبالتالي فهذه الآية ليس فيها دليل على ما ذهب إليه القبورية من أن شرك المشركين شرك بالربوبية، إنما هي دليل على شركهم بالألوهية.

ثم إن أهل السنة والجماعة يقررون ما قرره الله تعالى من أن المشركين وإن أقروا بالربوبية فهي لا تنفعهم، ما داموا أتوا بناقضها وهو الشرك بالألوهية، إلا أن القبورية لووا أعناق النصوص، وفسروا الآيات بعيداً عن تفسير أئمة التفسير لتسويغ ما وقعوا فيه من الشرك أو وسائله.

بل وصل الأمر بطائفة من القبورية الوقوع بالشرك بالربوبية من اعتقاد تصرف الأولياء بالكون وعلم الغيب، وغير ذلك مما كان لا يعتقدوه مشركوا العرب.

وشبه القبورية في هذا الباب كثيرة فهي بكثرة الآيات التي تدل على اعتراف المشركين بربوبية الله تعالى.

المبحث السادس

شبهة المجاز العقلي

من شبة القبورية التي تشبثوا بها لتبرير أقوالهم الشركية عند القبور من الاستغاثة بالأموات وطلب العون منهم ودعائهم ، وطلب شفاء المرضى ، والنذر لهم بل لتبرير الأفعال المنكرة الشنيعة عند القبور من الذبح والنذر والطواف والسجود والعكوف على القبور، شبهة ظهرت في كلام المتأخرين، ألا وهي شبة المجاز العقلي ، فكل قول وفعل عند القبور منافٍ للتوحيد أو منافٍ لكماله ، إذا صدر ممن يقر ويعترف بأن الله هو الخالق، الرازق، المحي، المميت، المستقل بالتأثير فهو محمول على المجاز العقلي ، فالقبورية يرون التوحيد أفراد الله تعالى بالخلق، ويرون ما يضاده من الإشراك هو الإشراك مع الله

---

(١) تفسير ابن كثير (١٨٠/٢).

تعالى في الاختراع والتأثير، قال المالكي : " والأمر الجامع في ذلك أن من أشرك مـع الله جل جلالة غيره في الاختراع والتأثير فهو مشرك، سواء كان الملحوظ معه جماداً أو آدمياً، نبياً أو غيره ملكاً ، أو حياً ، أو عمل عمله ، ومن اعتقد السببية في شـيء مـن ذلـك اطردت أو لم تطرد ، فجعل الله تعالى لها سبباً لحصول مسببا ا ، وأن الفاعـل هـو الله وحده لا شريك له فهو مؤمن ولو أخطأ في ظنه ما ليس بسبب سـبباً لأن خطـأه في السبب لا في المسبب"[1] .

ولذلك رأي بعض القبورية أن الغلو بالأنبياء والصالحين مهما بلغ فهم ما دام أ م لم يعتقدوا فيهم الخلق الحقيقي التام العام فهو من قبيل الوجاهة لهم عند الله الجائزة عنـد القبورية ، وإما نسبته إلى غير الله من دعاء غير الله تعالى والاستغاثة والاستعاذة م فهـو من قبيل ا ـاز، قال الحداد: " وهؤلاء مهما عظموا الأنبياء والأولياء فإ م لا يعتقـدون فيهم ما يعتقدون في جناب الحق تبارك وتعالى، من الخلق الحقيقي التـام العـام، إنمـا يعتقدون الوجاهة لهم عند الله في أمر جزئي ، وينسبونـه لهم مجـازا ، ويعتقـدون أن الأصل والفعل لله تعالى "[2] .

وبالتالي فدعاء غير الله، وطلب قضاء الدين من الأموات إنما هو من قبيل ا ـاز، بل حمله على ا ـاز العقلي دين يدينون لله به قال المالكي : " فالقائل يا نبي الله اشـفني، واقضي ديني، لو فرض أن أحداً قال هذا فإنما يريد اشفع لي في الشفاء وأدع لي بقـضاء ديني ، وتوجه إلى الله في شأني ، فهم ما طلبوا منه إلا ما أقدرهم عليه، وملكهم إياه من الدعاء والتشفع، وهذا هو الذي نعتقده فيمن قال ذلك، وندين الله على هذا، فالإسـناد في كلام الناس من ا ـاز العقلي الذي لا خطر فيه على من نطق به "[3]

---

(١) مفاهيم يجب أن تصحح (٩٠).

(٢) مصباح الأنام (٥).

(٣) مفاهيم يجب أن تصحح (١٧٦).

بل قد ذهب المالكي إلى وجوب حمل كلام من أقر بخالقيه الله على الـاز العقلي إذ قال : " وإذا وجد في كلام المؤمنين إسناد شيء لغير الله تعالى يجب حمله على الـاز العقلي "[1].

ولذا نجد بعض دعاه القبورية اعتبر اتخاذ الأموات من الأنبياء والأولياء وسـائط ووسائل إلى الله تعالى أن ذلك دلالة على صحة العقيدة، إذ يورد الشطي هذه الحكايـة قائلاً : " ومره دخل جدي جامع بني أمية في الشام ، فسمع عجوزاً تقول : يا سـيدي يحيى عاف لي بنتي ، فوجد هذا اللفظ بظاهره مشكلاً وغير لائق بالأدب الإلهي ، فأمرها بالمعروف ، وقال لها : يا أختي قولي بجاه سيدي يحيى عاف لي بنتي ، فقالت: له أعـرف أعرف، ولكن هو أقرب مني إلى الله تعالى ، فأفصحت عن صحة عقيد ا من أن الفعـال هو الله تعالى ، وإنما صدر هذا القول منها على وجه التوسل والتوسط إلى الله تعالى "[2]

فهذه شبة الـاز العقلي عند القبورية التي تجيز لهم الشرك بالله تعالى ، ثم لا يـسع من سمع الشرك في نظرهم إلا أن يعتذر للمشرك ويقول أن سؤال غير الله تعالى إنما هـو من قبيل الـاز العقلي.

الرد على هذه الشبهة :

الوجه الأول: يرى القبورية أن حقيقة التوحيد هو اعتقاد أن الله هـو الخـالق الرازق المحي المميت ، والمستقل بالتأثير ، والشرك هو الإشراك في ذلك . فالتوحيد عندهم توحيد الربوبية ، والشرك هو الإشراك به .

ولذلك فدعاء غير الله والاستغاثة بغيره تعالى، وطلب شفاء المريض ورد الضالة، محمول على الـاز العقلي ، فمدام أن الإنسان يقر بأن الله هو الخالق الرازق ، فهو موحد، وما وقع منه محمول على الـاز العقلي .

---

(١) مفاهيم يجب أن تصحح (٩٤).

(٢) النقول الشرعية (١٠٢) نقلاً عن دعاوي المناوئين (١٩٦).

القبورية في هذه الشبهة أخرجوا الأقوال والأفعال من المكفرات ، وفي هذا رد لنصوص الكتاب والسنة التي تدل على أن الكفر يكون بالقول والفعل قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَـٰمِهِمْ ﴾ [التوبة : ٧٤] ، فحصل الكفر بكلمة؛ فكفروا بها بعد إسلامهم ، وكذلك من استهزأ بالله ورسوله وآياته؛ فإن هذا من نواقض الإسلام، وكل هذا من القول قال الله تعالى: ﴿ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴾ [التوبة : ٦٥، ٦٦] . قال ابن كثير: ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ ﴾، أي : بهذا المقال الذي استهزأتم به ﴿ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ ﴾ أي : لا يعف عن جميعكم، ولا بد من عذاب بعضكم ﴿ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴾ أي : مجرمين بهذه المقالة الفاجرة الخاطئة"(1).

فنصوص القرآن الكريم دلت على أن الكفر يكون بالقول كما يكون بالعمل ويكون بالاعتقاد، بينما عند القبورية لا يكون إلا بالاعتقاد، والاعتقاد المكفر عند القبورية أن يدعو غير الله معتقداً أنه هو الخالق الرازق المحيي المميت، وهذا الشرط لا ينطبق على كفار قريش الذين قاتلهم النبي عليه الصلاة والسلام واستباح دماءهم وأموالهم، إذا أنهم يعتقدون أن الله هو الخالق الرازق المحي المميت .

ثم إن هذا القول يقتضي سد أبواب الشرائع، ومحو أبواب الردة التي ذكرها الفقهاء ، فلا نجد كتاباً من كتب الفقه المعتمدة في المذاهب الأربعة إلا وذكروا أبواب الردة ، ولا نجد كتاباً من هذه الكتب إلا وضرب أمثلة للردة عن الإسلام التي تحصل بالقول ، ولازم قول هؤلاء أن أئمة المذاهب وفقهاء الأمة أجرموا في حق الأمة، إذ جعلوا من النواقض ما ليس بناقض ، والحقيقة أن أصحاب المجاز العقلي أتوا ببدع من القول وزوراً .

الوجه الثاني : ذهب بعض القبورية إلى أن استغاثة المستغيثين ودعاء الداعين للأموات والمقبورين أنما يحمل على المجاز العقلي ، وسبب حملة على المجاز العقلي أن

---

(١) تفسير ابن كثير (٣٦٨/٢) انظر: جلاء العينين (٥١٥) .

هؤلاء الداعين المستغيثين بغير الله تعالى إنما أخطئوا وتوهموا أن قبور المدعوين سبباً وهـي ليست بسبب فعلى ، ونقول له: وكذلك المشركون توهموا بتلك الأصنام والمعبودات أ ا أسباب تقرب إلى الله زلفى ؛ إذ قال الله تعالى عنـهم : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزمر : ٣] ، فكفرهم الله بذلك؛ إذ قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴾.

ولذلك كانت عبارة الشطي واضحة بينه ظاهرة أظهرت حقيقـة اعتقـادهم في الأولياء، فتواطأ اعتقاد القلب على قول اللسان؛ إذا قال -عن جدة- عندما نصح تلك المتضرعة السائلة لقبر يحيى عليه السلام – في المسجد الأموي[1] " يا سـيدي عـاف لي بنتي، فوجد أن هذا اللفظ بظاهرة مشكلاً وغير لائق بالأدب الإلهي ، وقال يا أختي قولي بجاه سيدي يحيى عاف لي ابنتي ، فقالت له : أعرف أعرف ، ولكن هو أقرب منى إلى الله تعالى، فأفصحت عن صحة عقيد ا من أن الفعال هو الله تعالى ، وإنما صدر هذا القـول منها على وجه التوسل والتوسيط إلى الله تعالى ، لحصول مطلو ا "[2].

فلننظر إلى هذا القول الذي يبين عقيدة بعض القبورية في قبور الأنبياء والأوليـاء والصالحين ، إذ يرى من المعروف الذي يؤمر به أنـها تدعو بجاه النبي عليه السلام وهذا من التوسل الممنوع[3] .

ثم أثنى عليها بصحة عقيد ا بأ ا رأت أن يحيى عليه السلام له جاه، وهو أقرب لله منها، وبالتالي سألت يحيى أن يشفي ابنتها، ثم ختمها بطامة أخرى بأ ا علـى عقيـدة

---

(١) قال الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله تعالى:" مع أن الثابت من تاريخ يحيى عليه السلام أنه كان علـى عهـد المسيح عليه السلام ، وأن الأمبراطور الروماني أمر بقتله، ولم يعلم مصيره ، فهو قتل في الأردن، قبل عمـارة المسجد الأموي بنحو ستمائة سنة، فمن أين وصل الرأس إلى المغارة التي في موضع المسجد الأموي" . انظـر: الجامع الأموي في دمشق (٣٨).

(٢) سبق ذكره (٢٠٦).

(٣) وسيأتي بيانه (٢٢٥-٢٢٨).

صحيحة، وإنما صدر منها هذا الدعاء على سبيل التوسل والتوسط " فأثنى عليها وهـي على عقيدة المشركين الذين اتخذوا تلك الأصنام وسائط بينهم وبين الله، بل قرر عقيـدة المشركين، وبين أن هذه هي العقيدة الصحيحة ، فمتى أصبح دعاء غـير الله ، واتخـاذ الوسائط عقيدة صحيحة .

الوجه الثالث: لازم هذا القول أن من اعتقد بربوبية الله وأنه هو الخالق الرازق المحي المميت، فكل قول من أقواله صحيح مستساغ، وإن بدى في ظاهرة خطـأ، فإنـه يحمل على المجاز العقلي ، وبالتالي فجميع أقوال الأمم المعتقدة بربوبية الله هـي أقـوال صحيحة في نظر القبورية بناء على هذا القول ، وبالتالي فكل من ادعى الإسلام فأقوالـه موافقة لشرع الله ، والسبب في ذلك أنها وإن كان ظاهرها خطأ وجرماً فإنـها تحمـل على المجاز العقلي .

وهذا القول من أعظم الباطل ، وأفسد الأقوال " وادعاء أن ذلك كله من الـدين باطل ضرورة ، وعادة وشرعاً وعقلاً، فإنه لا العقل ولا الشرع ولا العادة تقبل أن يكون هناك كتاب من الكتب سماوياً كان أو أرضياً يأتي بأحكام وقوانين وشـرع في جميـع شؤون الدين والدنيا وتؤمن بذلك الكتاب أمم كثيرة مختلفة الأغراض والبيئات والأفهـام والاستعداد فتظل تلك الأمم الكثيرة موافقة أعمالها وأعمال أفرادها اعتقاديـة وقوليـة وعملية لذلك الكتاب الذي آمنت به موافقة تامة ، بحيث لا يخالف عقيدة فرد من أفراد تلك الأمم في فهم من إفهامها لذلك الكتاب، وبحيث يجيء كل عمل وكل عقيدة وكل رأى يراه كل فرد من أفراد تلك الأمم مطابقاً للكتاب الذي آمنت به بلا خـلاف ولا خلل "(1)

وعلى قوله أن كل كلام يطرأ على بال من ادعى الإسلام ، ولو كان كفراً صريحاً

---

(١) الصراع بين الإسلام والوثنية (٥٨).

يحمل على المجاز العقلي، بل قالوا يجب أن يحمل على المجاز العقلي ، والوجوب حكم شرعي يحتاج إلى دليل من كتاب الله تعالى أو سنة نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وأنى لهم ذلك .

الوجه الرابع : الأصل في كلام المكلفين أنه يحمل على ظاهره فالمكلف محاسب على كلامه فيما يتعلق بحقوق الخالق أو بحقوق الخلق، فقد نهى النبي عليه الصلاة والسلام عن الحلف بغير الله تعالى؛ إذا قال عليه الصلاة والسلام : " من حلف بغير الله فقد أشرك "[1] ، " ومن حلف بالأمانة فليس منا"[2] والأدلة على ذلك كثيرة .

وكذلك المكلف مؤاخذ بكلامه فيما يتعلق بحقوق الخلق؛ فمن قذف مسلماً فهو مؤاخذ على ذلك .

بل نجد أن النبي عليه الصلاة والسلام ، وهو الرحمة المهداة صلى الله عليه وسلم لما قال بعض حديثي العهد بالإسلام : أجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ، ما قال يحمل كلامهم على المجاز العقلي، بل أنكر عليهم ، وبين أن هذا القول كقول اليهود الذين قالوا لموسى : (اجعل لنا إلها كما لهم آلهة)، فقد ورد حديث أبي واقد الليثي: " أن رسول الله لما خرج إلى حنين مر بشجرة للمشركين يقال ذات أنواط يعلقون عليها أسلحتهم ، فقالوا : يا رسول الله ! اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال النبي عليه الصلاة والسلام :" سبحان الله ! هذا كما قال قوم موسى

(١) رواه أبو داود برقم (٣٢٥١)، قال الشيخ الألباني حديث صحيح انظر: صحيح سنن أبي دوادو (٢٢٣/٣).
(٢) رواه أبو داود برقم (٣٢٥٢)، قال الشيخ الألباني حديث صحيح انظر: صحيح سنن أبي داود (٢٢٣/٣).

أجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ، والذي نفسي بيده لتركبن سنة من كان قبلكم "[1] فلـم يقل لهم عليه الصلاة والسلام أ م معذورون للمجاز العقلي، وهم غزاه في سبيل الله، بل أنكر عليهم أشد الإنكار، وحذرهم من إتباع سنه اليهود والنصارى ، وإنكار النبي على من قال شركاً أو زوراً أو باطلاً كثير في سنته عليه الصلاة والسلام ، بل لم نجد في سنته أنه ترك من قال الزور والباطل والشرك بحجة المجاز العقلي ، وبالتالي فلا يجـوز تخـريج الكلام الذي ظاهرة شرك وكفر من مقر بالوحدانية لله تعالى بحجة المجاز العقلي، وهـذا مجمع عليه عند علماء الشريعة والفقهاء والمحدثين[2]

الوجه الخامس : هذا الاعتذار من بعض متأخرة مشايخ القبورية لو كان اعتذار لشخص بعينه ، وقع ـذا القول ، فلما نصح قال: ما أردت إلا الله ولم أرد دعاء فـلان، لنهي عن ذلك ، وحذر من هذا الفعل، وكان أقل ما يقال عنه أنه ذريعة للشرك ، لكن هذا الدفاع المستميت من بعض دعاة القبورية ما هو إلا تبرير لتلك الأفعـال الـشركية المشينة عند قبور الأولياء والصالحين، وكأنـهم هؤلاء الدعاة شـقوا صـدور أولئـك المستعينين المتضرعين اللاهجين بأسماء الأولياء والصالحين ، فعلموا منهم إنما أردوا المجـاز العقلي ولم يريدوا حقيقة الاستغاثة والدعاء والتضرع لأولئك المقبورين .

والحقيقة أن المتأمل بأحوال المتضرعين المستغيثين بالمقبورين يجد أن كثيراً منهم لم يتطرق إلى نفسه المجاز العقلي ، بل أراد حقيقة التضرع لأولئك المقبورين فطلب منـهم الغوث والعون وشفاء المريض ، وإنقاذ الغريق ، وقضاء الدين وهداية القلب ، بل اعتقد

---

(١) رواه الترمذي برقم ٢١٨٠ ، وقال: حديث حسن صحيح ، قال الألباني: حديث صـحيح انظـر: جـامع الترمذي (٤٧٥/٤).

(٢) انظر: هذه مفاهيمنا (١١٦).

أن لهم علم الغيب وتصرف بالكون. قال المالكي : " فإنه حي الدارين ، ودائم العنايـة بأمته، متصرف بإذن الله في شؤونـها خبير بأحوالها "(1)

هذه هي حقيقة اعتقاد القبورية بالأنبياء والصالحين، فهم يهرعون إليهم بالملمات يرجون منهم كشف الكربات حقيقة لا مجازاً .

الوجه السادس : وأما قول بعض القبورية تسويغاً للتوسـع في المـجاز ، أنـه مستعمل بالكتاب والسنة. قال المالكي: " ولا شك أن المجاز العقلي مستعمل بالكتـاب والسنة "(2)

وعلى فرض استعمال المجاز في الكتاب والسنة فإن الأصل في كلام الناس حقيقته، والإنسان مؤاخذ على كلامه ، ولا يجوز بحال من الأحوال تبرير الكفر والشرك بحجة أن المجاز مستعمل وموجود ، فمن دعا الأموات، واستغاث بهم وسألهم الشفاء ما الذي حمله على ذلك ، فدعاء الأموات والتوجه لهم عند الملمات إنما حدث منه بـسبب ، وهـذا السبب وجود مقتضي في قلبه حمله على ذلك ، وهو تعظيم الأموات وظنه أنهم يـشفون المرضى، ويجلبون الخير ، ويدفعون الضر ، بل إذا حملت أقوال دعاة القبور علـى المجـاز فماذا تصنع بأفعالهم من نذر النذور وذبح الذبائح عندها، فإذا كنت تنحر لله فلماذا تأتي بها عند القبور، وإذا مرضت فلماذا تعكف عند القبر وتجاوره ، وإن ملايين البشر الـذين يدعون القبور ، ويهرعون إليها لم يدور في خواطرهم شبة المجاز العقلي .

وعلى فرض وجود المجاز العقلي ، فليس كل قول يحمل عليه ، قال القـزويني : "وأعلم أنه ليس كل شيء يصلح؛ لأن تتعاطى فيه المجاز العقلي بسهولة . بل تجـدك في كثير من الأمر تحتاج إلى أن تهيئ الشيء وتصلحه له "(3) .

بل ذهب بعض المحققين إلى عدم وقوع المجاز في اللغة أصلاً ، فنفى جماعـة مـن

---

(1) مفاهيم يجب أن تصحح (172).

(2) المصدر السابق (85).

(3) الإيضاح في علوم البلاغة (34).

محققي العلماء وقوعه في اللغة منهم : أبو إسحاق الاسفرايني ، وأبو على الفارسي قائلاً : " إنه لا مجاز في اللغة أصلاً ، ونصر هذا القول شيخ الإسلام ابن تيمية، والعلامة شمس الدين ابن القيم في الصواعق "[1] .

وذهب جمع من العلماء على منع وقوع المجاز في الكتاب والسنة، قال الشنقيطي رحمه الله :" ثم إن القائلين بالمجاز في اللغة العربية اختلفوا في جواز إطلاقه في القرآن ، فقال قوم : " لا يجوز أن يقال في القرآن مجاز منهم : مندو من المالكية وابن القاص من الشافعية ، والظاهرية ، وبالغ في إيضاح منع المجاز في القرآن الشيخ أبو العباس بن تيمية ، وتلميذه ابن القيم رحمه الله تعالى ، بل أوضحاً منعه في اللغة أصلاً ، والذي ندين الله به ويلزم قبوله كل منصف محقق أنه لا يجوز إطلاق المجاز في القرآن مطلقاً على كلا القولين"[2].

فهذا قول كثير من المحققين في استعمال المجاز، فكيف بفتح الباب على مصراعيه لعبدة القبور المستغيثين بها، العاكفين عليها، المسافرين إليها ، فإذا وصلوا إليها تفاءلوا بقضاء الحاجات ، وكشف الملمات ، فيتضرعون ويخشعون عند تلك القبور والمزارات مالا يخشوعونه في الصلوات ، ورغم ذلك يقول قائل: ما أرادوا إلا الله، ولم يريدوا تلك القبور ، ثم يجب عليكم وجوباً أن تحملوا أفعال وأقوال قبورية العالم على المجاز العقلي، أي تلبيس وأي تضليل للناس كهذا .

الوجه السابع : ثم أن هؤلاء الداعين للمقبورين إذ أتوا إلى قبورهم أو حتى في حال البعد عنهم ، فإنهم لا يخبرون هذا المدعو بأسمائهم ، مما يدل على أنهم يعتقدون أنه يعلم جميع الأسماء ، ولا يأتون بمترجمين إذا كانت لغاتهم تخالف لغات المدعو، مما يدل

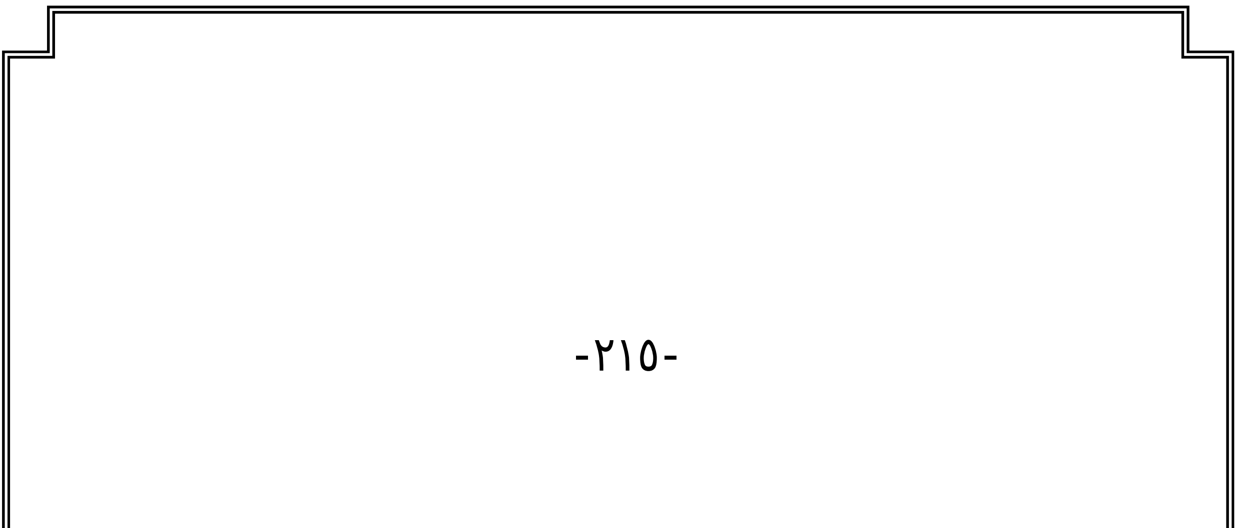
---

(١) هذه مفاهيمنا (١٢٧) .

(٢) منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز (٧) ، الصراع بين الإسلام والوثنية (٥٨) ، وصيانة الإنسان في عدة مواضع (١٦٢ ، ٢١٤ ، ٢٢١ ، ٢٣٨).

على أ م يعتقدون أنه يعلم جميع اللغات ، ويتكلمون في آن واحد مع كثر م معتقـدين بأنه لا يختلف عليه الأصوات، ويكونون في خضوع وسكون وسكينه، مما يدل علـى أن قلو م قد ذلت للمدعوين وخشعت ، ورجت الخير من قبله ، وهذه الصورة تدل علـى شركهم بالربوبية والإلوهية معاً ، فإن الذي لا تختلف عليه اللغـات، ويـسمع جميـع الأصوات هو الله ، وهذه بعض صفات الله تعالى، واعتقاد أ ا لغير الله شرك في المعرفـة والإثبات .

والتوجه إلى المدعو بالقلب محبة وخضوعاً وخشوعاً فهـذا شـرك في توحيـد الإلوهية، بل هو شرك في أعظم الأعمال وهي أعمال القلوب، ثم اللهج في الذكر والثناء والدعاء من عبادات اللسان، ثم الركوع والسجود عند القبور والنذر لها هذا من أعمـال الجوارح ، ولو أجيز هذا الشرك الواقع في أعمال التوحيد ، فمتى يعبد العبد ربه أصـلاً ؛ لأنه يرى أن صاحب الجاه والمكانة دعوته أفضل من دعوة الله ، وعلى هـذا فـالقبوري يبقي دائماً متعلقاً عابداً للمقبور ، ولا يحتاج إلى عبادة الله بزعمه وتسويغ هذا الـشرك بالتلبيس على الناس في العبارات الموهمة تلبيس على العامة ، وترك حكم الكتاب والسنة ، وما أجمع عليه سلف الأمة، بل ما هو إلا بعث للوثنية من جديد.



الفصل الثاني

شبهات القبورية في التوسل بالأموات

وفيه مباحث:

المبحث الأول : التوسل عند السلف.

المبحث الثاني :التوسل عند القبورية.

المبحث الثالث : شبهات القبورية في التوسل والرد عليها.

المبحث الأول

مفهوم [illegible] السلف

أولاً : تعريف التوسل لغة : من مادة وسل، والتوسل ما يتقرب به إلى الغير،

ويتوصل به إليه ، والوسيلة، والوسائل، والتوسيل ، والتوسل واحد.

قال: ابن منظور: " الوسيلة ما يتقرب به إلى الغير ، والجمع الوسل والوسـائل والتوسيل والتوسل واحد، وفي حديث الأذان : اللهم آت محمدا الوسيلة، هي في الأصل ما يتوصل به إلى الشيء، ويتقرب به " (1)

والوسيلة هي : المنـزلة والدرجة والقربة. قال ابن منظور: "وسل الوسيلة المنزلة عند الملك، و الوسيلة الدرجة والوسيلة القربة، وسل فلان إلى الله وسيلة، إذا عمل عملاً تقرب به إليه، و الواسل الراغب إلى الله. قال لبيد(2) :

أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم بلى كل ذي رأي إلى الله واسل

و توسل إليه بوسيلة إذا تقرب إليه بعمل و توسل إليه"(3).

والوسيلة : الوصلة والقربى والتسبب إليه بسبب. قال الأزهري : "وسـل قـال الليث، وسل فلان إلى ربه وسيلة، إذا عمل عملاً تقرب به إليه . قال لبيد "بلى كل ذي رأي إلى الله واسل "، والوسيلة الوصلة والقربة، وجمعها الوسـائـل، قال الله تعالى : ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ ﴾ [الإسـراء: ٥٧]، ويقال توسل فلان على فلان بوسيلة، أي تسبب إليه بسبب، وتقرب إليه" (4).

ومعنى التوسل والوسيلة يكاد يتفق عليه جميع علماء اللغة،حيث يدور حول مـا يتقرب به إلى الغير، ويتوصل به إلية ، ويتقرب إلى مطلوبه برغبة ، ويتسبب إليه بـسبب

---

(1) لسان العرب (٧٢٥/١١)، وانظر مختار الصحاح (٣٠٠/١).

(2) **لبيد بن ربيعة بن مالك** بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر ، كان فارساً شجاعاً عذب المنطق ، وكان مسلماً رجل صدق ، بالغ عمر في إكرامه، وعمر عمراً طـويلاً ، وكـان في الجاهلية خير شاعر لقومه . انظر البداية والنهاية (٢٢٠/٢) ، طبقات فحول الشعراء (١/ ١٢٣ ، ١٣٥).

(3) المصدر السابق (٧٢٤/١١).

(4) تهذيب اللغة (٤٨/١٣).

إلى غير ذلك .

ثانيا : التوسل شرعاً : هو التقرب إلى الله عز وجل بما يرضيه من الأعمال الصالحة.

قال ابن جرير : " وابتغوا إليه الوسيلة، يقول: واطلبوا القربة إليه بالعمل بما يرضيه.

وقال الكلبي :"وابتغوا إليه الوسيلة أي: ما يتوسل به ويتقرب به إليه، من الأعمال الصالحة والدعاء وغير ذلك"[1].

وقد ذكر أئمة التفسير عن غير واحد من السلف أن الوسيلة بمعنى القربى إلى الله تعالى، والتقرب إليه جل وعلا بما يرضيه ، وهذا المعنى لا خلاف فيه بين المفسرين. قال ابن كثير رحمه الله تعالى: "وابتغوا إليه الوسيلة. قال سفيان الثوري : عن طلحة عن عطاء عن أبن عباس أي القربة، وكذا قال: مجاهد وأبو وائل والحسن وقتادة وعبد الله بن كثير والسدي وابن زيد وغير واحد، وقال قتادة : أي تقربوا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه، وقرأ ابن زيد أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ر م الوسيلة، وهذا الذي قاله هؤلاء الأئمة لا خلاف بين المفسرين فيه"[2]

فالوسيلة عند السلف هي التقرب إلى الله تعالى، وطلب الحظوة عنده، والتحبب إليه تعالى.

---

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (١٧٦/١).

(١) تفسير ابن كثير (٥٣/٢).

قال ابن سعدي رحمة الله تعالى: " وابتغوا إليه الوسـيلة؛ أي : القـرب منـه، والحظوة لديه، والحب له، وذلك بأداء فرائضه القلبية، كالحب له وفيه، والخوف والرجاء والإنابة والتوكل، والبدنية كالزكاة والحج، والمركبة من ذلك كالصلاة ونحوها من أنواع القراءة والذكر، ومن أنواع الإحسان إلى الخلق : بالمال، والعلم، والجاه، والبدن، والنصح لعباد الله؛ فكل هذه الأعمال تقرب إلى الله"[1]

كما يطلق التوسل على معنى أخص من التقرب إلى الله بالطاعات، وهو أن يقدم الداعي بين يدي دعائه ومسألته ما يكون سبباً في إجابة دعائه.

وعلى هذا فالتوسل الشرعي واللغوي بمعنى واحد، إلا أن المعنى الشرعي أخـص من المعنى اللغوي. فالتوسل الشرعي تقرب إلى الله تعالى بعمل صالح مستوفٍ لشروطه من الإخلاص لله تعالى ومتابعة رسوله عليه الصلاة والسلام، وهذا ما عليه علمـاء الـسلف رحمهم الله تعالى قال الشنقيطي رحمه الله تعالى : " اعلم أن جمهور العلماء على أن المراد بالوسيلة هنا هي القربة إلى الله تعالى بامتثال أوامره واجتناب نواهيه على وفق ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، بإخلاص في ذلك لله تعالى؛ لأن هذا وحده هـو الطريـق الموصلة إلى رضى الله تعالى، ونيل ما عنده من خيري الدنيا والآخرة"[2].

فهذا هو معنى التوسل الشرعي .

ثالثاً : أنـواع التوسـل المشروع :

المقصود بالتوسل المشروع ما سبق بيانه، من التقرب إلى الله تعالى بالطاعـات ، وتقديم المتوسل بين يدي مسألته ما يكون سبباً في إجابة دعوته، على وفق ما ورد عـن النبي عليه الصلاة والسلام، وسلف الأمة يقسمون التوسل إلى أنواع بناء على ما دلـت

---

(٢) تفسير الكريم المنان (٢٣٠/١).

(٣) أضواء لبيان (٤٠٢/١).

عليه نصوص الكتاب والسنة .

وأنـواع التـوسل الشرعي ثلاثة هي :

النـوع الأول: التـوسل إلى الله تـعالى بـأسمائه وصفاتـه :

وهو أن يقدم الداعي بين يدي دعائه من أسماء الله، وصفاته، ما يناسب مسألته، فيكون هذا التقديم لما يناسب من أسماء الله وصفاته سبباً في إجابة الدعاء ، مثل أن يقول: يا غفور اغفر لي، ويا رحيم ارحمني .

والتوسل إلى الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى يدل عليه نصوص كثيرة من كتـاب الله وسـنة نبيه عليه الصلاة والسلام، وسأذكر بعض الأدلة على سـبيل المثال لا الحصر ، ومن هذه الأدلة قول الله عـز وجـل:﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف : ١٨٠] . والمعنى : ادعوا الله تعالى متوسلين إليه بأسمائه الحسنى ، ولاشك أن الصفات داخلة في هذا الأمر ؛ لأن كل اسم من أسماء الله تعالى متضمن لصفة ، وأسمـاء الله تعالى أوصاف وأعلام .

ومن الأدلة على هذا النوع من التوسل ما دل عليه قول الله تعالى في سورة الفاتحة ﴿ الْحمد للّهِ رب الْعالَمِين الرحمـن الرحِيمِ﴾ [الفاتحة : ٢-٣].

ففي هذه الآيات توسل لله تعالى بحمده والثناء عليه، وتمجيده وهذا تقديم للوسيلة قبل طلب الحاجة، ثم بعد ذلك يسأل المسلم ربه الهداية قال الكلبي : " قدم الحمد والثناء على الدعاء؛ لأن تلك السنة في الدعاء، وشأن الطلب أن يأتي بعد المدح، وذلك أقـرب للإجابة"[1].

النـوع الثانـي : التوسل إلى الله بـالأعمال الصالحة :

وهو أن يقدم بين يدي دعائه ومسألته ذكر عمل صالح تقرب بـه إلى الله عـز

(1) التسهيل لعلوم التنـزيل (١/٣٣).

وجل، كالتوسل بالعبادة ، والإيمان ، وإتباع الرسول ، وبر الوالدين وحفظ الأمانات وترك المحرمات ، إلى غير ذلك من الأعمال الصالحة .

فتكون هذه الأعمال وسيلة يتوسل بها العبد إلى ربه تعالى لإجابة المسألة ، والأدلة على ذلك كثيرة من الكتاب والسنة منها قول الله تعالى: ﴿إِياك نعبد وإِياك نستعِين﴾ .[الفاتحة:٥].

قال الكلبي رحمه الله: " وكذلك قدم إياك نعبد على إياك نستعين؛ لأن تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة "(1)

ومنها قول الله تعالى : ﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [آل عمران : ٥٣] . وهذا فيه توسل بالإيمان وبأتباع الرسول .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " فجماع الوسيلة التي أمر الله الخلق بابتغائهاَ هو التوسل إليه بإتباع ما جاء به الرسول ، ولا وسيلة لأحد إلى الله إلا ذلك "(2)

ومنها: ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ﴾ [آل عمران : ١٩٣].

ومنها دعاء يونس عليه السلام : ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٧] فتضمن بالإضافة إلى التوسل إلى الله بكمال إلوهيته وتنزيهه، التوسل إلى الله بالاعتراف بالظلم والتقصير ، فقد تضمنت التوسل إلى الله بأسمائه وصفاته، والتوسل إليه بالأعمال الصالحة قال ابن القيم رحمه الله : "وأما دعوة ذي النون فإن فيها من كمال التوحيد والتنزيه للرب تعالى، واعتراف العبد بظلمه وذنبه ما هو من أبلغ أدوية الكرب والهم والغم، وأبلغ الوسائل إلى الله سبحانه في

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٣٣/١).

(٢) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (٨٠).

قضاء حوائجه "[1].

ومن أدلة التوسل إلى الله تعالى بالأعمال الصالحة حديث الثلاثة الـذين أووا إلى غار للمبيت فيه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار ، فتوسلوا إلى الله تعـالى بصالح أعمالهم ، حتى فرج الله عنهم ، كما ورد في حديث عبد الله بن عمر رضـي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم، حتى أووا المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فـسدت علـيهم الغار، فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم، فقـال: رجل منهم اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما أهـلاً ولا مـالاً، فنأى بي في طلب شيء يوماً فلم أرح عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غبوقهما فوجد ما نائمين، وكرهت أن أغبق قبلهما أهلاً أو مالاً، فلبثت والقـدح علـى يـدي أنتظـر استيقاظهما حتى برق الفجر، فاستيقظا فشربا غبوقهما، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخـروج. قال النبي صلى الله عليه وسلم: وقال الآخر: اللهم كانت لي بنت عم كانت أحب الناس إلي، فأرد ا عن نفسها فامتنعت مني، حتى ألمت ا سنة من السنين، فجاءتني فأعطيتـها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلت، حتى إذا قدرت عليها قالت: لا أحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه، فتحرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها، وهي أحب الناس إلي، وتركت الذهب الذي أعطيتها، اللهم إن كنت فعلـت ذلـك ابتغـاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة، غير أ م لا يستطيعون الخروج منـها، قال النبي صلى الله عليه وسلم : وقال الثالث: اللهم إني استأجرت أجـراء فأعطيتـهم أجرهم غير رجل واحد، ترك الذي له وذهب، فثمرت أجره حتى كثرت منه الأمـوال، فجاءني بعد حين، فقال: يا عبد الله أد إلي أجري، فقلت له: كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق، فقال: يا عبد الله لا تستهزئ بي ، فقلت: إني لا أسـتهزئ بك، فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئاً، اللهم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهـك

---

(١) الطب النبوي (١٦٢).

فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون" [1]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " ومن السؤال بالأعمال الصالحة سـؤال الثلاثـة الذين أووا إلى غار ؛ فسأل كل واحد منهم بعمل عظيم أخلص فيه لله تعالى؛ لأن ذلك العمل مما يحبه الله ويرضاه محبة تقتضي إجابة صاحبه، هذا سأل ببره للوالدين، وهذا سأل بعفته التامة، وهذا سأل بأمانته وإحسانه "[2] . والأدلة على التوسل بالأعمال الـصالحة أكثر من أن تحصر والسبب في التوسل إلى الله تعالى بالأعمال الصالحة هـو أن الله عـز وجل جعل الأعمال الصالحة سبباً لإجابة الدعاء . قال تعالى: ﴿ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَـٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ [الشورى :٢٦].

النوع الثالث: التوسل إلى الله تعالى بدعاء الرجل الصالح :

وهو أن يطلب الدعاء من الرجل الصالح حال حياته وحضرته، فهو توسل إلى الله تعالى بدعاء الرجل الصالح، والأدلة على ذلك كثيرة:

ومنها قول الله عز وجل : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾[النساء : ٦٤].

ومنها قول الله تعالى عن أبناء يعقوب أخوة يوسف عليه الـسلام: ﴿ قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَـٰطِـِٔينَ ﴾ [يوسف : ٩٧] فقد طلبوا من أبيهم يعقوب عليه السلام وهو حي حاضر أن يستغفر لهم، فتوسلوا بدعاء يعقوب عليه السلام إلى الله تعالى ليغفر لهم .

ومنها طلب الصحابة من النبي عليه الصلاة والسلام أن يستسقي لهم ، فتوسـلوا

(١) رواه البخاري ، كتاب الإجارة ، باب من استأجر أجيراً فترك الأجير أجـره ، بـرقم (٢٢٧٢ ، ٢٢١٥)، ومسلم برقم (٢٧٤٣) .

(٢) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (٩٨).

بدعاء النبي عليه الصلاة والسلام إلى الله عز وجل ليسقيهم ، ويدفع ما م وبماشيتهم من ضرٍ ؛ كما في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: " أن رجلا دخل يوم الجمعة مـن باب كان وجاه المنبر، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب، فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قائماً، فقال: يا رسول الله هلكت المواشي وانقطعت السبل فـادع الله يغيثنا، قال: فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه، فقال: اللهم اسـقنا، اللـهم اسقنا، اللهم اسقنا، قال أنس: ولا والله ما نرى في السماء من سحاب، ولا قزعـة[1] ، ولا شيئاً، وما بيننا وبين سلع من بيت، ولا دار، قال: فطلعت من ورائه سـحابة مثـل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت، ثم أمطرت، قال والله ما رأينا الشمس سـتاً، ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة، ورسول الله صلى الله عليه وسـلم قـائم يخطب، فاستقبله قائماً، فقال: يا رسول الله هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله يمسكها، قال: فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه، ثم قال: اللـهم حوالينـا ولا علينا، اللهم على الآكام[2] والجبال والآجام[3] والظراب[4] والأودية ومنابت الـشجر، قال: فانقطعت، وخرجنا نمشي في الشمس. قال شريك: فسألت أنساً أهو الرجل الأول قال: لا أدري "[5]

ومنها ما جاء في طلب عكاشة[6] من النبي عليه الصلاة والسلام أن يدعوا الله له ليكون من السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة من غير حساب ولا عذاب، فعن حـصين قال: كنت عند سعيد بن جبير فقال: حدثني بن عباس قال : قال النبي صلى الله عليـه وسلم : "عرضت علي الأمم فأجد النبي يمر معه الأمة، والنبي يمر معه النفر، والنبي يمر معه العشرة، والنبي يمر معه الخمسة، والنبي يمر وحده، فنظرت فإذا سـواد كـثير، قلـت:

---

(١) **قزعـة** : قطعة من الغيم . انظر النهاية (٥٩/٤).

(٢) **الآكام** : جمع أكمة وهي دون الجبل وأعلى من الرابية . انظر شرح النووي على صحيح مسلم (١٩٣/٦)

(٣) **الآجام** : الأشجار والحوائط . انظر الفتح (٩٩/١٠).

(٤) **الظراب** : هي الروابي الصغار . انظر انظر شرح النووي على صحيح مسلم (١٩٣/٦).

(٥) رواة البخاري ، كتاب الجمعة ، باب الاستسقاء برقم ١٠١٣ ، ومسلم برقم (٨٩٧).

(٦) **عكاشة بن محصن بن حرثان الأسدي** من السابقين الأولين ، شهد بدراً ، قيل استشهد في قتال أهل الردة ، انظر الإصابة (٥٣٣/٤) ، برقم (٥٦٣٦).

يا جبريل هؤلاء أمتي، قال: لا ولكن انظر إلى الأفق، فنظرت فإذا سواد كثير، قال: هؤلاء أمتك، وهؤلاء سبعون ألفاً قدامهم لا حساب عليهم ولا عذاب قلـت : ولمَ ؟ قـال: كانوا لا يكتوون، ولا يسترقون، ولا يتطيـرون، وعلى ربهم يتوكلـون، فقـام إليـه عكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. قال: اللهم اجعله منهم، ثم قـام إليـه رجل آخر، قال: ادع الله أن يجعلني منهم، قال: سبقك بها عكاشة"[1]

والأدلة على طلب الدعاء من المسلم الحاضر الصالح ثابتة بالكتاب والسنة ، وقد درج عليه سلف الأمة من الصحابة ومن بعدهم ؛ ولذلك فإن الصحابة لما مات النبي عليه الصلاة والسلام لم يذهبوا إلى قبره، ولم يتوسلوا بجاهه، بل توسلوا بدعاء صالحيهم. فقد ورد في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن عمر بن الخطـاب كـان إذا قحطـوا استسقي بالعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، فقال : "اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا : فيسقون" [2]

فلو جاز التوسل بالنبي عليه الصلاة والسلام بعد وفاته لتوسلوا به، ولكنـه قـد استقر عند أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بأنه لا يجوز التوسل بالأموات ، فتوسـلوا بدعاء صالحيهم ، قال : الألوسي رحمه الله : " وحاشاهم أن يعدلوا عن التوسل بـسيد الناس إلى التوسل بعمه العباس وهم يجدون أدنى مساغ .

فعدولهم مع أنهم السابقون الأولون ، وهم أعلم منا بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وبحقوق الله تعالى، ورسوله صلى عليه الصلاة والسلام ، وما يشرع مـن الدعاء ، وما لا يشرع ، وهم في وقت ضرورة ومخمصة يطلبون تفريج الكربات وتيسير العسير وإنزال الغيـث بكل طريق : دليل واضح على أن المشروع ما سـلكوه دون

(1) رواه البخاري، كتاب الطب، باب من اكتوى أو كوى غيره برقم (٥٧٠٥ و ٥٧٥٢ و٦٤٧٢)، ومـسلم برقم (٢١٦).

(٢) رواه البخاري، كتاب الاستسقاء، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا بـرقم (١٠١٠)، وبـرقم (٣٧١٠).

غيره "[1] وعلى هذا فالتوسل يكون بدعاء الحي الحاضر ، وهذا ما استقر عند الصحابة الأبرار رضي الله عنهم ، ومن سار على نهجهم من سلف الأمة.

المبحث الثاني

التوسل عند القبورية

أولاً : الخلط في مفهوم التوسل عند القبورية:

من سمات أهل الابتداع من القبورية وغيرهم التناقض والاضطراب وخلط المفاهيم، لتمرير ما يذهبون إليه، ويعتقدونه من الباطل.

ومما اضطرب فيه القبورية مفهوم التوسل، إذ توسعوا في مفهومه، وأجملوا فيه، بل جعلوا التوسل أمراً مقصوداً بكل شيء وفي كل شيء " فلا مجال إذن ولا حيلة لإنكار التوسل أو الوسيلة، فإن التوسل أو الوسيلة، بكل شيء ، وفي كل شيء أمر جائز ، بل ومندوب العمل به، في أي وقت دعت إليه ضرورة الحياة "[2] ، فعلى هذا يجوز التوسل عند القبورية بالأحياء والأموات، وفي كل شيء كما قالوا .

فالوسيلة عند القبورية مفهوم واسع مجمل، يجوز عندهم أن يتخذ المتوسل وسيلة، إذا غلب على ظنه أن له جاهاً ومنزلة ومكانة عند الله قال محمد علوي مالكي "الوسيلة: كل ما جعله الله سبباً في الزلفى عنده، ووصله إلى قضاء الحوائج منه، والمدار فيها على أن يكون للوسيلة قدر وحرمه عند المتوسل إليه ، ولفظ الوسيلة عام في الآية كما ترى فهو شامل للتوسل بالذوات الفاضلة من الأنبياء والصالحين في الحياة وبعد الممات "[3]

فالتوسل مفهوم واسع عند القبورية توسل بالذوات الفاضلة في الحياة وبعد الممات، بل لم يقفوا عند هذا الحد؛ إذ جعلوا التوسل بالذات هو حقيقة التوسل بالأعمال، قال محمد علوي مالكي: " فمن قال إني أتوسل إليك بنبيك، هو ومن قال :

---

(١) روح المعاني (١١٣/٦) .

(٢) حقيقة التوسل والوسيلة (٢٢) .

(٣) مفاهيم يجب أن تصحح (١١٨).

اللهم إني أتوسل إليك بمحبتي لنبيك سواء "[1] ، وقد سبقه في هذا التقرير الـدجوي؛ إذ قال: " لماذا لا تجعلون التوسل بالولي أو النبي توسلاً بعمله الصالح ، فإنك تتوسل بـالولي من حيث هو ولي مقرب إلى الله ، وما تقرب إليه بما أحبه من صالح الأعمال ، وسـؤال الله بالأعمال الصالحة مجمع على جوازه منا ومنكم"[2] وشتان بين التوسلين، فهذا توسل بالذات، وهذا توسل بالعمل، والتوسل بالعمل دلّ عليه الشرع، والتوسل بالذات لم يدل عليه الدليل.

ومن توسل بالذات فقد تبادر إلى ذهنه منـزلة هذه الذات ومكانتـها فاتخـذها واسطة بينه وبين الله، بخلاف من توسل بالعمل الذي شرعة الله فهو قد جعل طاعته لربه وخالقه وسيلة إليه [3].

ثانياً: أنواع التوسل عند القبورية:

حقيقة التوسل التي تدل عليها اللغة وتدل عليها الأدلة من الكتاب والـسنة هـو التقرب إلى الله تعالى بوسيلة ، ولما كان التوسل عبادة شرعها الله تعالى، فلا بد فيها مـن الإخلاص لله تعالى ، والمتابعة للرسول صلى الله عليه وسلم ، إلا أن القبوريـة توسـعوا بمفهوم التوسل ، وعابوا على أهل السنة قصر التوسل على الأنواع المشروعة التي سـبق بيا ا .

وتوسلوا إلى الله تعالى بوسائل بدعيةلم يشرعها الله، بل لم يقتصروا علـى اتخـاذ الوسائل البدعية، بل أدخلوا مع التوسل بمفهومه الواسع عند القبورية ما ليس من التوسل أصلاً ، فلفظ التوسل أصبح عند القبورية لفظاً مشتركاً يطلق على التوسل الشرعي كما يطلق على التوسل البدعي والتوسل الشركي . قال المالكي : " إن التوسـل بالـذوات الفاضلة على ثلاثة أنواع : ١- أن يسأل الله تعالى مستشفعاً م كأن يقول المتوسل اللهم إني أسألك بنبيك محمد أو بحقه عليك أو أتوجه به إليك في كذا. ٢- أن يطلـب مـن المتوسل به أن يدعو الله له في حوائجه كأن يقول: يا رسـول الله ادعـو الله تعـالى أن

---

(١)مفاهيم يجب أن تصحح (١١٨).

(٢) مجلة نور الإسلام ، (م٢) ، مقال التوسل وجهله الوهابيين (١١٤ ، ١١٥) .

(3) سيأتي الرد على الخلط بين مفهوم التوسل والإستغاثة (٢٧٤-٢٧٧)

يسقينا. ٣- أن يطلب نفس الحاجة منه ومراده أن يتسبب في قضاءها له من الله بشفاعته ودعاءه فهو راجع إلى النوع الثاني. " [1] .

وعلى ذلك فالتوسل عند القبورية على أنواع :

النوع الأول : **التوسل عند القبورية** بمعنى **الاستغاثة والاستعانة والتبرك** ، وهذه عبادات غير التوسل ، وسيتم مناقشة شبه القبورية والرد عليه في الفصول التالية؛ لأن هذه العبادات غير التوسل والمسميات لا تغير الحقائق .

النوع الثاني : **التوسل** إلى الله **تعالى بذات النبي ، أو الولي ، أو الرجل الصالح، أو** بجاهه؛ إذ يرى القبورية أن هؤلاء الأنبياء أو الأولياء أو الصالحين لهم مكانة ومنزلة وجاه عند الله تعالى. وهذا أمر لا خلاف فيه، لكنهم اتخذوهم وسائل، يسألون الله بحقهم وبجاههم لكشف الكربات وإجابة الدعوات سواءً كانوا أحياءً أو أمواتاً ، حاضرين أم غائبين. ومثاله أن يقول أتوسل إليك بحق النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، أو أسألك بحق محمد لما غفرت لي وقضيت حاجتي، وكشفت كربتي ، أو أسألك بجاه فلان لما قضيت حاجتي[2] .

وهذا النوع من التوسل لا دليل عليه، ولا قاله أحد من الصحابة والتابعين ولم ينقل عن السلف إلا ما يناقض ذلك [3] .

النوع الثالث: طلب الوسيلة من الميت لقضاء الحاجة:

أن يطلب من الميت أن يتوسل له عند الله تعالى كأن يقول: " يا فلان أدعوا الله أن يقضي إليّ حاجتي؛ لأنه إذا جاز طلب الدعاء من الحي والتوسل إلى الله تعالى بدعائه ، جاز منه إذا كان ميتاً . قال ابن عفالق : " فإن كنتم تنكرون التوسل والتشفع به صلى الله عليه وسلم مطلقاً ، فالكلام ساقط معكم، والكلام مستد بيننا وبينكم، وإن كنتم تقولون يجوز ذلك في حياته، وفي عرصات يوم القيامة، إظهارا لعظيم شأنه وتنويها برفيع

---

(١) الأجوبة الغالية في عقيدة الفرقة الناجية (٦١).

(٢) انظر: كرامات الأولياء، تحقيق ودراسة سعيد عبد الفتاح (٤٩-٥١) .

(3) انظر: فصل المقال (٧٥).

مقامه، وتقولون بعدم ذلك بعد وفاته، فأي دليل قام لكم على ذلك"[1] .

المبحث الثالث

شبهات القبورية في التوسل والرد عليها

تمهيد : المتأمل في شبهات القبورية من خلال ما سطروه في كتبهم ، يجد أن شبها م تدور حول شبهتين:

١- الشبهة الأولى : اعتقاد أن الأنبياء أحياء في قبورهم كالحياة المعهودة في الدنيا

٢- الشبهة الثانية : التوسل إلى الله بجاه الأنبياء والأولياء الأموات لقر م من الله ولما لهم من المنزلة، والجاه عند الله ومن قصدهم لا يخيب.

وأما بقية الشبه التي أوردها القبورية وساقوا عليها أدلة من القرآن الكريم أومن صحيح السنة المطهرة ، بعدما لووا أعناقها أو استدلوا بأحاديث ضعيفة واهية أو موضوعة، أو حكايات ليس لها خطام ولا زمام فقد ساقوها لتقوية هاتين الشبهتين .

الشبهة الأولي: اعتقاد أن الأنبياء أحياء في قبورهم كالحياة المعهودة في الدنيا القبورية يتوسلون بالأنبياء والأولياء لاعتقادهم أ م أحياء الحياة المعهودة ، قال الشيخ تقي الدين السبكى [2]: " حياة الأنبياء والشهداء في القبر كحيا م في الدنيا "[3] ؛ ولذلك أجازوا للإنسان أن يتوسل م ويطلبهم كما يتوسل م ، ويطلب منهم في الدنيا؛ إذ أنهم يعلمون أسئلة السائلين قال : دحلان : "فعلم منه أنه صلى الله عليه وسلم حي في قبره يعلم سؤال من يسأله "[4] ، فالتوسل بالأموات عند القبورية جائز؛

(1) رسالة ابن عفالق لابن معمر، ق(٤٣) نقلاً عن دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (٢٤٢).

(٢) **علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي** الفقيه المحدث الحافظ المفسر الأصولي المتكلم النحوي ، قاضي القضاه شافعي الزمان، ولد سنة٦٨٣،ت ٧٥٦هـ ، ، رد على شيخ الإسلام في الزيارة والطلاق . كما رد عليه ابن عبدالهادي في كتابه الصارم المنكي . انظر طبقات الشافعية الكبرى (١٠/ ١٣٩- ٢٢٠).

(٣) انظر الحاوي (٢/ ٣٣٤) .

(٤) الدرر السنية في الرد على الوهابية (١٩) .

لأ م أحياء في القبور قادرين على التسبب لمن يطلب منهم. قال دحلان : " فعلم منه أنه صلى الله عليه وسلم يطلب منه الدعاء بحصول الحاجات كما يطلب منه في حياته لعلمه بسؤال من يسأله مع قدرته على التسبب في حصول ما سئل منه بسؤاله ودعائه وشفاعته عند ربه "[(1)] ، بل أفصح بعض القبورية عن حقيقة اعتقادهم في حياة الأموات: " أما الأنبياء فلأ م أحياء في قبورهم يأكلون ويشربون ويصلون ويحجون ، بل ينكحون، كما ورد بذلك الأخبار ، وتكون الاستغاثة معجزة منهم ، والشهداء أيضاً أحياء عند ر م ، شوهدوا اراً جهاراً يقاتلون الكفار"[(2)] ، كما طاش م الخيال ، حتى قالوا : إن الأنبياء والأولياء ربما خرجوا من القبور ، وقضوا الحاجات ، وعلموا الناس المعارف واعتبروا ذلك من الكرامات" إن من كرامة الولي أن يرى النبي ويجتمع به في اليقظة، ويأخذ عنه ما قسم له من معارف ومواهب "[(3)]

ووصل الأمر ببعض أصحاب الهوى إ م لا يستطيعون أن يقولون مات النبي عليه الصلاة والسلام، حيث قال السقاف: " أنه من الغريب جداً أن ينكر بعض من يدعي العلم وبخاصة علم الحديث الشريف (في هذه الأعصار) التوسل برسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وسلم سواء كان قبل وفاته أو بعد وفاته .... " ثم قال في الحاشية: "ولا حظ أني لم أقل سواء كان حياً أو ميتاً ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم حي"[(4)]

الرد على هذه الشبهة من وجوه :

الوجه الأول : القبورية معظمة القبور يجعلون كتاب الله وراء ظهورهم يخالفون نصه، كما يخالفون حكمه، ولذا نجد هذا الورع البارد ممن يشي على نفسه، ويبين أنه لايستطيع أن يقول: مات النبي عليه الصلاة والسلام يقول: " ولا حظ أنني لم أقل حياً

---

(١) الدرر السنية في الرد على الوهابية (١٩).

(٢) مصباح الأنام (٢٦) . انظر : صورة سؤال للشيخ محمد الشوبري (٨٤) من ضمن مجموعة رسائل . طباعة مكتبة الحقيقة تركياً .

(٣) الحاوى (٣٤٩/٢) .

(٤) رسائل السقاف (٣٢٨/١) .

أو ميتاً؛ لأنه صلى الله عليه وسلم حي"(1)، ومن أعظم الخذلان أن يعرض الإنسان عن كتاب الله تعالى في نصه وحكمه، إذ قال الله تعالى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر : ٣٠] فالنبي عليه الصلاة والسلام والأنبياء من قبله جرت عليهم سنه الله في خلقه كبقية البشر ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَـٰلِدُونَ ﴾ [الأنبياء : ٣٤] ولم يفهم أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام من موته ما فهمه هؤلاء، بل أقروا بموته واعترفوا به، واستدلوا على موته بكتاب الله عز وجل. فعن ابن العباس رضي الله عنهما : " أن أبا بكر رضي الله عنه خرج وعمر رضي الله عنه يكلم الناس، فقال: أجلس فأبى، فقال :أجلس فأبى، فتشهد أبو بكر رضي الله فمال إليه الناس وتركوا عمر، فقال: أما بعد: فمن كان منكم يعبد محمداً صلى الله عليه وسلم فإن محمداً صلى الله عليه وسلم قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت قال الله تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران١٤٤] والله لكأن الناس لم يكونوا يعلمون أن الله أنزلها حتى تلاها أبو بكر رضي الله تعالى عنه فتلقاها منه الناس فما يسمع بشر ا إلا يتلوها "(2)

هكذا فهم الصحابة جميعاً أن النبي عليه الصلاة والسلام مات وانتقل من هذه الدنيا إلى حياة أخرى صلى الله عليه وسلم ، وعم الحزن أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام على موته قال أنس : "ما رأيت يوماً قط كان أحسن ولا أضوء من يوم دخل علينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما رأيت يوماً كان أقبح ولا أظلم من يوم مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم "(3) .

---

(١) سبق ذكره (٢٢٩).

(٢) رواه البخاري ،كتاب الجنائز، باب الدخول على الميت إذا أدرج في كفنه، برقم (١٢٤١ ، ١٢٤٢). وانظر: (٣٦٦٧، ٣٦٧٠، ٣٦٦٩).

(٣) رواه الدارمي، باب وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، برقم (٨٨)، وأحمد برقم (١٤٠٩٥)، قال شعيب الأرنوؤط: إسناد صحيح على شرط مسلم ، وفي مصنف بن أبي شيبه باب ما أعطى الله تعالى محمداً صلى الله عليه وسلم برقم (٣١٨١٢) ، قال الشيخ الألباني حديث صحيح انظر مشكاة المصابيح برقم (٥٩٦٢) .

هكذا فهم الصحابة موت النبي عليه الصلاة والسلام، وأنه صلى الله عليه وسلم قد غاب عن الدنيا وأهلها وأفضى إلى ربه تعالى. قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن : " إن النبي صلى الله عليه وسلم في حال نزول الموت به قال: "اللهم الرفيق الأعلى"[1] ومن كان في الرفيق الأعلى فقد غاب عن الدنيا ، كما قال تعالى في حق المسيح ابن مريم : ﴿ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴾ [المائدة :١١٧] . فأخبر عليه السلام أنه لما كان بين أظهرهم كان شهيداً عليهم، فلما غاب عنهم كان الشهيد عليهم هو الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات والأرض، فكيف ينـزل الغائب منـزلة من لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء"[2] وأصبح النبي عليه الصلاة والسلام في حياة برزخية تختلف عن الحياة المعروفة. قال الشيخ سليمان بن سحمان: " ومن المعلوم أنه لم يكن حياً في قبره كالحياة الدنيوية المعهودة، التي تقوم فيها الروح بالبدن، وتدبره وتصرفه ويحتاج معها إلى الطعام والشراب واللباس والنكاح وغير ذلك، بل حياته حياه برزخية، روحه في الرفيق الأعلى، وكذلك أرواح الأنبيـاء "[3] ، فحياة الأنبياء والشـهداء في البرزخ حياة لا نشعر ا قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ بَلۡ أَحۡيَآءٞ وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ ﴾ [البقرة : ١٥٤] .

و اتصال الروح بالجسد وردها إليه وإعاد ا إليه في الحياة البرزخية لا يزيل عـن الميت اسم الموت[4] .

ثم أن الله تعالى فرق بين الأحياء والأموات كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَسۡتَوِي

---

(1) جزء من حديث عند البخاري كتاب المناقب ، باب آخر ماتكلم به النبي برقم (٣٦٧٠، ٤٤٣٦، ٤٤٣٧، ٤٤٣٨)، ومسلم برقم (٢٤٤٤).

(2) القول الفصل النفيس (٨٧).

(٣) الصواعق المرسلة الشهابية (٨٢) .

(٤) انظر: شرح قيصدة ابن القيم (١٧٠/٢) .

ٱلۡأَحۡيَآءُ وَلَا ٱلۡأَمۡوَٰتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسۡمِعُ مَن يَشَآءُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ ﴾ [فاطر:٢٢]

وكون النبي عليه الصلاة والسلام في حياة برزخية أكمل من حياة الدنيا لا يعني هذا أنه يعلم أمور أهل الدنيا، بل إنه انقطع بموته عن الدنيا لقوله عليه الصلاة والسلام كما في حديث أبي هريرة " إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له "(1) ويدل على ذلك ما ورد في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:" يا أيها الناس إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلاً، ثم قال : ﴿ كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ إلى آخر الآية ثم قال : ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم ألا وإنه يجاء برجال من أمتي فيؤخذ م ذات الشمال فأقول: يا رب أصيحابي فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعـ ـ ـدك، فأقـول كما قال العبد الصالح : ﴿ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴾ فيقال إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقا م منذ فارقتهم" (2) (3) ثم يقول هؤلاء القبورية أنه يعلم سؤال من يسأله.

والحقيقة أن القبورية ناقضوا المنقول والمعقول إذ قالوا: إن الأمـوات أحيـاء كالحياة المعهودة ، حتى قالوا : " أحياء عند ر م حتى شوهدوا اراً جهـاراً يقـاتلون الكفار "(4) فكيف يكون هذا ! أحياء عند الله ثم شوهدوا جهاراً اراً يقاتلون الكفـار،

والله عز وجل يقول : ﴿ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴾ فحيا م ليست في هذه الدنيا إنما حيا م عند الله ، وأرواحهم في حواصل طير، ومع ذلك أرادوا لو تـرد أرواحهـم إلى

---

(1) صحيح مسلم برقم (١٦٣١).

(2) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء ، قول الله واتخذ الله إبراهيم خليلا، برقم (٤٣٤٩، ٣٤٤٧، ٤٦٢٥، ٤٧٤٠، ٦٥٢٦)، ومسلم برقم (٢٨٦٠).

(3) انظر: مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى (٣٨٧/٢).

(٤) سبق ذكره. انظر (٢٢٩).

أجسادهم حتى يقاتلوا في سبيل الله فيقتلوا فيه مرةً أخرى[1]

ثم يقول هؤلاء إ م شوهدوا جهاراً اراً في الدنيا يقاتلون الكفـار، إي ضـلال هذا، وأي محادة لله ورسوله، ومخالفة لنصوص الكتاب والسنة، ومخالفة للمعقول أيـضاً، فكل عاقل يعلم أن الأموات يختلفون عن الأحياء .

بل ذهب بعض القبورية إلى أن الأنبياء والأولياء أحياء حياةً حقيقة في قبـورهم يأكلون ويشربون ويجامعون ، ومعلوم أن هذه المقولة ا من المفاسد مالا يخفى على من به أدنى مسكة من عقل . وقد قرر ابن القيم شبهة القبورية في نونيته:

فـإن أحتججـتم بالـشهيد بأنـه حـي كمـا قـد جـاء في القـرآن

والرسـل أكمـل حالـة منـه بـلا شـك وهـذا ظـاهر التبيـان

فلـذلك كـانوا بالحيـاة أحـق مـن شـهدائنا بالعقـل والبرهـان

وبـأن عقـد نكاحـه لم ينفـسخ فنـساؤه في عـصمة وصـيان

ولأجـل هـذا لم يحـل لغـيره منـهن واحـدة مـدى الأزمـان

أفلـيس في هـذا دليـل أنـه حـي لمـن كانـت لـه أذنـان

ثم رد عليها رحمه الله تعالى :

فيقـال أصـل دلـيلكم في ذاك حجتنـا علـيكم وهـي ذات بيـان

إن الـشهيد حياتـه منـصوصة لا بالقيـاس القـائم الأركـان

هـذا مـع النـهي المؤكـد أننـا نـدعوه ميتـاً ذاك في القـرآن

ونـساؤه حـل لنـا مـن بعـده والمـال مقـسوم علـى الـسهمان

هـذا وإن الأرض تأكـل لحمـه وسـباعه مـع امـة الديـدان

لكنـة مـع ذاك حـي فـارح مستبـشر بكرامـة الـرحمن

(١) إشارة إلى ما أخرجه مسلم في صحيحه برقم (١٨٨٧) .

فالرسـل أولى بالحيـاة لديـة مـع مـوت الجسوم وهـذه الأبـدان
وهي الطريـة في التـراب وأكلـها فهـذا الحـرام عليـه بالبرهـان
ولبعض أتباع الرسـول يكـون ذا أيضاً وقـد وجـدوه رأى عيـان
فـانظر إلى قلـب الـدليل عليهم حرفـاً بحـرفٍ ظـاهر التبيـان

أما دليل بعض القبورية على أن النبي صلى الله عليه وسـلم حـي؛ لأن نكـاح زوجاته لم ينفسخ، فهذه مسألة واضحة دل عليها الدليل، وخاصية ومنقبة لزوجاته فهن أمهات المؤمنين محرمات بعده صلى الله عليه وسلم ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ ﴾ [الأحزاب : ٦] وقد خيرهن الله سبحانه بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين سواه، فاخترن رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكر الله لهـن هـذا الاختيار، فقصر الله رسوله عليهن بقولـه تعـالى : ﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ ﴾ [الأحزاب: ٥٢] (1). وقد حرم الله نكاحهن من بعده كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

فيا سبحان الله كيف يقولون إن الأنبياء أحياء كحياتهم المعهودة ، والموت غـير الحياة، والحياة البرزخية غير الحياة الدنيوية.

ثم لا أحد من السلف استفتى النبي عليه الصلاة والسلام وهو في قبره، ولم يخـرج من قبره ليعلم الناس ويوجههم، بل إن الصحابة أفضل الخلق وأحبهم إليه، مرت عليهم من الفتن العظيمة ولم يذهبوا إلى قبره يسألوه، أو يتوسلوا بجاهه، أو يطلبوا منه الدعاء.

قال الشيخ محمود شكري الألوسي:"لم نعلم وقوع مثله في الصدر الأول، وقـد وقع اختلاف بين الصحابة رضي الله عنهم في مسائل دينية وأمور دنيوية، وفيهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم.... إلى أن قال:... ولم يبلغنا أن أحدا منهم ادعى أنه رأى في اليقظة الرسول صلى الله عليه وسلم وأخذ عنه ما أخذ، وكذا لم يبلغنا أنـه

---

(١) انظر : النونية مع شرحها (١٦٠/٢- ١٦٣) .

صلى الله عليه وسلم ظهر لمتحـير في أمر من أولئك الصحابة الكرام فأرشـده وأزال تحيره "[1].

وبذلك دم شبهة حياة الأموات، وعلمهم بالأحياء [2].

الوجه الثاني : إن الله عز وجل أمر بتقواه ، وابتغاء الوسيلة إليه تعـالى أمـر شرعي، وقربة يتقرب ا العبد إلى خالقه ، فلا بد فيها من الإخلاص والمتابعة، والتوسل بالأموات لو كان من الوسائل الشرعية إلى الله تعالى لأطبقت الأمة على نقله ، ولكـان أولى الناس به أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وتابعيهم وتابع التابعين من أهل القرون المفضلة ، ولكن التوسل بالأموات لم ينقل عن الصحابة والتابعين والأئمة المهدين. قـال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى " وأما الميت من الأنبياء والصالحين وغيرهم ، فلم يشرع لنا أن نقول أدع لنا ، ولا اسأل لنا ربك ولا نحو ذلك ، لم يفعل أحد من الصحابة والتابعين ولا أمر به أحد من الأئمة ، ولا ورد في ذلك حديث "[3].

بل إن التوسل بالأموات كما أجمع السلف على عدم وروده عـن أحـد مـن الصحابة، فهو متردد بين مفسدة محضة وبين مفسدة راجحة .

قال شيخ الإسلام : " وأما سؤال الميت فلـيس بمـشروع، ولا واجـب، ولا مستحب، بل ولا مباح ، ولم يفعل هذا قط أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولا أستحب ذلك أحد من سلف الأمة ؛ لأن ذلك فيه مفسده راجحة، وليس فيه مـصلحة راجحة ، بل إما أن يكون مفسدة محضةُ أو مفسدة راجحة وكلاهما غير مشروع "[4].

وما كان أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام ليتركون التوسل به بعد موته لـولا أنه استقر عندهم أنه أمر منهي عنه، رغم ما مر م من أنواع البلاء بعد موته، مـن ردة

---

(1) غاية الأماني (١/٢٩٦،٢٩٧).

(2) انظر : حياة الأنبياء بعد وفا م للبيهقي، تحقيق وتعليق د/أحمد بن عطية الغامدي .

(٣) اللمعه في الأجوبة السبعة (٣٦ ، ٣٧) .

(٤) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (٧١ ، ٧٢) .

المرتدين ، ونقص الأرزاق، وما وقع بينهم رضي الله عنهم من فتنه .

ولهذا أجمع أئمة المذاهب الأربعة على منع التوسل بالأموات. ولم يأت نقل منهم يستحب أن يسأل النبي عليه الصلاة والسلام عند قبـره. قال شيخ الإسلام ابن تيميـة رحمه الله تعالى: " ولا استحب ذلك أحد من أئمة المسلمين ، ولا الأئمـة الأربعـة ولا غيرهم ، ولا ذكر أحد من الأئمة في مناسك الحج ولا غيرها أنه يستحب لأحد أن يسأل النبي صلى الله عليه وسلم عند قبره أن يشفع له، أو يدعوا لأمته أو يشكوا إليه ما نـزل بأمته من مصائب الدنيا والدين "[1] .

ولهذا ورد عن كثير من أئمة المذاهب تحريم السؤال بحق الأموات. قـال شـيخ الإسلام: " قال : أبو حنيفة وأصحابه أنه لا يجوز، و وا عنه ، حيث قالوا : لا يـسأل بمخلوق، ولا يقول أحد أسألك بحق أنبيائك "[2] .

وكذلك الإمام مالك كره ما هو أقل من ذلك أن يقـول لله تعـالى، ياسـيدي ياسيدي. قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " بل المعروف عن مالك أنه كـره للـداعي أن يقول يا سيدي سيدي، وقال : قل كما قالت الأنبياء يا رب يا كريم "[3].

فإذا التوسل بالأموات لم يرد عن أحد من الـصحابة ولا التـابعين ولا الأئمـة الأربعة، ولو كان التوسل بالأموات وارداً ومشروعاً لامتلأت به كتب العلم من التفسير والحديث والفقه والآداب، كما امتلأت هذه الكتب بدعاء الله تعالى وغيره من العبادات.

الوجه الثالث : المتأمل بأدلة القبورية على التوسل بالأموات يجدها على أقسام

فالقسم الأول لا يدل على التوسل بالأموات أصلاً .

---

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (٢٧) .

(٢) المصدر السابق (٨٢) .

(٣) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (١١٧).

كاستدلالهم بقوله الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَـٰهِدُوا۟ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة : ٣٥] .

قال المالكي: " ولفظ الوسيلة عام في الآية كما ترى، فهو شامل للتوسل بالذوات الفاضلة من الأنبياء والصالحين في الحياة وبعد الممات "[1].

وعلى هذا العموم أجاز القبورية التوسل بكل شيء " فلا مجـال إذن ولا حيلـة لإنكار التوسل أو الوسيلة ، فإن التوسل أو الوسيلة ، بكل شيء وفي كل شيء أمر جائز، بل ومندوب العمل به"[2].

لكن الله عز وجل لم يجعل ذوات الأنبياء والصالحين وسيلة إليه، بل ذهب جمهور العلماء إلى أن المقصود بالوسيلة بهذه الآية القربة، وهذا قول جمهور العلماء. قال الإمـام الشنقيطي رحمه الله : " اعلم أن جمهور العلماء على أن المراد بالوسيلة هنا القربة إلى الله تعالى بامتثال أوامره واجتناب نواهيه على وفق ما جاء به محمد صلى الله عليـه وسـلم بإخلاص في ذلك لله تعالى؛ لأن هذا وحده هو الطريق الموصلة إلى الله تعالى ونيـل مـا عنده من خير الدنيا والآخرة "[3]، ثم إن الواجب على المنصف المتحري للحق ، أن يفهم نصوص الكتاب والسنة مع بعضها، فلا يستدل بالعام على عمومه بوجود ما يقيده مـن النصوص[4] ، وبوجود إجماع الصحابة على أن التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم توسل بدعائه في حياته، وتوسل بطاعته وإتباعه .

وكذلك استدلوا بقول الله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء : ٦٤]. قال المالكي: " فإن

(1) مفاهيم يجب أن تصحح (١١٨)، وانظر: حقيقة التوسل والوسيلة (٢٧)، وانظر: مقالات الكوثري (٣٧٨)، وانظر : البراهين (٣٨٠ ، ٣٨١)، رسائل السقاف (٣٢٩/١).
(٢) حقيقة التوسل والوسيلة (٢٢) .
(٣) أضواء البيان (٤٠٢/١) .
(٤) انظر: في الرد على هذه الشبة هذه مفاهيمنا (١١ ، ١٢ ، ١٣) .

الآية عامة في حياته صلى الله عليه وسلم الدنيوية وبعد وفاته صلى الله عليه وسلم "[1]

وهذه الآية استدلوا بها على التوسل بالنبي بعد وفاته، واستدلوا بها على زيارة قبره، وليس فيها دليل على ذلك لأمور .

أولاً : قولهم إن هذه الآية عامة غير مسلم به ، فإن الآية وردت بالمنافقين الذين إذا دعوا إلى حكم الله وحكم رسوله صدوا صدوداً، فدعاهم الله إلى التوبة من ذنوبهم العظيمة واستغفار الله عن هذا الذنب، فلو أنهم سألوا الله أن يصفح لهم عن ذنبهم بتغطيته عليهم، وسأل لهم رسول صلى الله عليه وسلم مثل ذلك ، ولو كانوا فعلوا ذلك لوجدوا الله تواباً رحيماً[2].

ثم ليس هناك لفظ يدل على العموم حتى يقول العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، بل الألفاظ الدالة على الآية كلها ضمائر والضمائر لا عموم لها .

ثم أنه جعل المجيء إليه الوارد في الآية شاملاً للمجيء في حياته وللمجيء إلى قبره بعد موته، وهذا من غرائب الأقوال، فاللفظ العام لا يتناول إلا ما كان من أفراده ، والمجيء إلى قبر الرجل ليس من أفراد المجيء إلى الرجل لا لغة ولا شرعاً ولا عرفاً ، فإن المجيء إلى الرجل ليس معناه إلا المجيء إلى عين الرجل ، ويلزم من هذا القول الفاسد أن المجيء إلى الرجل يطلق على المجيء على داره وبيته وأولاده وأصحابه وعشيرته وبساتينه، ثم أن المجيء للنبي صلى الله عليه وسلم في حياته يحصل فيه السماع منه ومشاهدته، ومخاطبته وسؤاله، ويحصل فيه فضل الصحبة، ولا يحصل ذلك لمن شاهد جدار الحجرة التي دفن بها، والحقيقة أن هذا القول من غرائب الأقوال لم يقله أحد من الصحابة والتابعين ولا علماء أهل السنة، وكان أول من قاله الإخنائي المالكي ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله- " فهذا قياس ما علمت أن أحداً من علماء المسلمين قاسه ، ولا علمت أن أحداً منهم احتج في زيارة قبره صلى الله عليه وسلم بالقياس على زيارة

---

(١) الأجوبة الغالية في عقيدة الفرقة الناجية (٥٦) ، وانظر: مقالات الكوثري (٣٤٧) ، وانظر (٣٣٤) ، وانظر: حقيقة التوسل والوسيلة (٢٣).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٥٦/٥) .

الحي المحبوب في الله، وهذا من أفسد القياس، فإنه من المعلوم أنه من زار الحي حصل له بمشاهدته وسماع كلامه ومخاطبته وسؤاله وجوابه وغير ذلك ما لا يحصل لمن لم يشاهده ولم يسمع كلامه، وليس رؤية قبره أو رؤية ظاهر الجدار الذي بني على بيته بمنزلة رؤيته ومشاهدته ومجالسته وسماع كلامه، ولو كان هذا مثل هذا كان كل من زار قبره مثل واحد من أصحابه، ومعلوم أن هذا من أبطل الباطل "[1] .

والكلام على هذه الشبهة الباطلة يطول وقد نقضها علماء السنة وردوا عليها وأتوا عليها من القواعد[2] .

كذلك هناك إيرادات كثيرة للقبورية أوردها على التوسل بالأموات لا تدل عليه من قريب ولا بعيد ومنها قول الله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [3][البقرة :٨٩]، فأي دليل في هذه على التوسل بالأموات؛ فاليهود كانت تقول للمشركين سوف يبعث رسول في آخر الزمان نقاتلكم معه ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " فكانت اليهود تقول للمشركين : سوف يبعث هذا النبي ونقاتلكم معه فنقتلكم، لم يكونوا يقسمون على الله بذاته، ولا يسألون به، بل يقولون : اللهم أبعث هذا النبي الأمي لنتبعه ونقتل هؤلاء معه ، هذا هو النقل الثابت عند أهل التفسير ، وعليه يدل القرآن، فإنه قال تعالى: ﴿ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ ﴾ والاستفتاح الاستنصار ، وهو طلب الفتح والنصر ، فطلب الفتح والنصر به هو أن يبعث فيقاتلوهم معه فبهذا ينصرون ، ليس هو بأقسامهم به وسؤالهم به "[4] فأي دلالة في هذه الآية على التوسل بالأموات[5] . فهذه أمثلة من استدلالات القبورية على التوسل

---

(١) الإخنائية (١٤٢) .

(٢) وانظر: في الرد على هذه الشبهة ، الصارم المنكي في الرد على السبكي (٣١٤-٣٢٠)، وصيانة الإنسان من وسوسة الشيخ دحلان (٢٣- ٤١) ، والبروق النجدية (٣٦- ٣٨) .

(٣) انظر: مفاهيم يجب أن تصحح (١٢٦) .

(٤) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (٢٢٤) ، وانظر الفتاوى(٢٩٦/١) .

(٥) انظر: هذه مفاهيمنا (٣٤، ٣٥) ، وانظر: البروق النجدية (٢٨ ، ٢٩) .

بالأموات بآيات لا تدل على التوسل بالأموات من قريب ولا بعيد.

ثانياً : القبورية يستدلون على التوسل بالأموات بأحاديث واهية وآثار موضوعة وحكايات باطلة ، ومن هذه الآثار الاستدلال بقصة عثمان بن حنيف[1] ؛ إذ قال المالكي بعد أن ساق حديث عثمان بن حنيف: " وليس هذا خاصاً بحياته صلى الله عليه وسلم، بل قد استعمل بعض الصحابة هذه الصيغة من التوسل بعد وفاته، فقد روى الطبراني هذا الحديث وذكر قصة رجل كان يختلف إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه في حاجة له، وكان عثمان رضي الله عنه لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته، فلقي عثمان بن حنيف فشكا ذلك إليه، فقال له عثمان بن حنيف: ائت الميضأه فتوضأ ثم ائت المسجد فصل فيه ركعتين، ثم قل اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي فيقضي حاجتي وتذكر حاجتك ، فانطلق الرجل فصنع كل ما قال له ، ثم أتي باب عثمان فجاء البواب حتى آخذه بيده فأدخله على عثمان فأجلسه معه على الطنفسة[2] وقال ما حاجتك ، فذكر حاجته فقضاها له ...... "[3] القصة .

استدلوا بهذه القصة على جواز التوسل بالأموات ، وهذه القصة من ناحية الإسناد ضعيفة منكرة، لا تصلح للاحتجاج ، قال الشيخ الألباني :" أن هذه القصة ضعيفة منكرة لأمور ثلاثة: ضعف حفظ المتفرد بها ، والاختلاف عليه فيها ، ومخالفته للثقات الذين لم يذكروها في الحديث ، وأمر واحد من هذه الأمور كاف لإسقاط هذه القصة فكيف بها مجتمعه "[4] .

وأما من ناحية المتن فهي شاذة، فهل يمكن أن يتردد مثل هذا على عثمان رضي الله عنه، ولا يأبه به، بل ولا يلتفت إليه ولا يقضي حاجته ، ثم لو كان التوسل بالنبي

---

(١) حديث عثمان بن حنيف سيأتي الكلام عنه . (٢٤٨، ٢٤٩).

(٢) **الطنفسة** : البساط الذي له حمل رقيق . انظر النهاية (١٤٠/٣).

(٣) المعجم الكبير برقم ٨٣١١، ذكرها المالكي في مفاهيم يجب أن تصحح (١٢٧ ، ١٢٨).

(٤) التوسل أنواعه وأحكامة (٨٦) ، وانظر : قاعدة جليلة لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٩٠- ١٩٦) .

صلى الله عليه وسلم بعد موته شائعا ذائعا لما اختص به عثمان بن حنيف وحده من دون الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين. [1]

ومنها قصة العتبي قال : كنت جالساً عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فجـاء أعرابي فقال السلام عليك يا رسول الله، سمعت الله يقول: ﴿ ولَو أنهم إِذ ظلَموآ أنفُسهم جآؤوك فَاستغفَروآ اللّه واستغفَر لَهم الرسولُ لَوجدوآ اللّه تواباً رحِيماً  وقـد جئتـك مستغفراً لذنبي مستشفعاً بك إلى ربي ثم أنشد يقول :

يا خير مـن دفنـت بالقـاع أعظمـه فطاب من طيبهن القـاع والاكـم

نفـس الفـداء لقـبر أنـت سـاكنه فيه العفاف وفيـه الجـود والكـرم

ثم انصرفت فغلبتني عيني فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال : " ألحق الأعرابي فبشره أن الله قد غفر له"[2].

وهذه القصة كقصص القبورية، ظلمات بعضها فوق بعض ،قال ابن عبد الهادي: "وفي الجملة : ليست هذه الحكاية المنكورة عن الأعرابي مما يقوم به حجة وإسنادها مظلم مختلف ولفظها مختلف أيضاً ، ولو كانت ثابتة ما قامت فيها حجة على مطلوب المعترض، ولا يصلح الاحتجاج بمثل هذه الحكاية ، ولا الاعتماد على مثلها عند أهل العلم وبـالله التوفيق "[3] . بل إن بعض من ساقها من القبورية يعلم ضعفها[4]،وبعضهم يعلـم أ ـا رؤية منامية لا تقوم عليها حجة، ورغـم ذلـك يـذكرو ا ويـستدلون ـا علـى ما يعارض نصوص الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة .

---

(1) انظر: الكشف المبدي (٢٦٧)، هذه مفاهيمنا (٤٠،٣٩،٣٨).

(٢) انظر : مفاهيم يجب أن تصحح(١٥٢).

(٣) الصارم المنكي (٢٥٢ ، ٢٥٣)، وانظر: هذه مفاهيمنا (٧٥-٧٨)، وانظر: فصل المقـال (١١٣)، وانظـر: صيانة الإنسان (٢٤٨،٢٤٧).

(4) انظر: مفاهيم يجب أن تصحح (١٥٣).

ومنها التوسل بقبر النبي عليه الصـلاة والسلام في خلافة عمر، فعـن مالـك أصاب الناس قحـط في زمن عمـر بن الخطاب فجـاء رجـل إلى قبر النبـي فقال: يا رسول استسق الله لأمتك فإ م قد هلكوا، فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسـلم في المنام فقال : " ائت عمر فأقرئه مني السلام وأخبرهم أ م مسقون، وقل له عليك بالكيس الكيس "[1] .

وهذه القصة ضعيفة من حيث الإسناد ، فلا تقوم ا حجة ، ورغـم اعتـراف الدجوى بأن في القصة مجهول، إلا أنه قال: إلا أنه ليس فيها مخالفة لأصول الدين[2].

والملاحظ أن المالكي أتى بقريب من هذه العبارة بعـد سـياق قـصة العـتبي فقال:"وسواء أكانت صحيحة أم ضعيفة من ناحية السند الذي يعتمد عليه المحـدثون في الحكم على أي خبر ، فأننا نتساءل ونقول : هل نقل هؤلاء الكفر والضلال ؟ أو نقلوا ما يدعو إلى الوثنية وعبادة القبور ..."[3].

فمادام أن التوسل من الدين ومن العبادات التي يتقرب ا إلى رب العالمين، فإن المرجع في ذلك إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فالنجاة فيهما، ثم إن هـذه القصة وغيرها مخالفة لإجماع الصحابة الذين يرون التوسل بالنبي عليه الصلاة والـسلام طلب الدعاء في حياته وطاعته ومحبته ومتابعته بعد وفاته[4]، وطلب الدعاء من الأمـوات بدعة عظيمة وذريعة إلى الشرك، فكيف يقال أ ا لا تخالف أصول الدين، وما ضل مـن ضل إلا بسبب ترك الأدلة وتقديم الحكايات والقصص عليها.

ومنها حديث أبي الجوزاء أوس بن عبد الله قال : قحط أهل المدينة قحطاً شديداً فشكوا إلى عائشة ، فقالت: " انظروا قبر النبي صلى الله عليه وسلم فاجعلوا منه كوى إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف ، قال : ففعلوا ، فمطرنا مطراً نبت العشب

---

(١) مفاهيم يجب أن تصحح (١٤٦) ، شـفاء السقام (١٨٥)، البصائر لمنكري التوسل بالمقابر (٩٤) .

(2) البصائر لمنكري التوسل بالمقابر (٩٤).

(3) مفاهيم يجب أن تصحح (١٥٣).

(٤) انظر: البصائر للمتوسلين بالمقابر (٨٤) ، وانظر: هذه مفاهيمنا (٦٠ -٦٣) .

وسمنت الإبل (تفتقت من الشحم فسمي عام الفتق)، ومعني كوا أي نافذة"[1] .

وهـذا الأثـر مـردود لأمـور :

الأمر الأول: أثر ضعيف لا يحتج به. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " أن هذا محمد ابن زبالة ضعيف لا يحتج به "[2] .

الأمر الثاني: هذه القصة مخالفة للثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم والـصحابة رضوان الله عليهم في صفة الاستسقاء ، فالثابت أ م كانوا إذا استسقوا دعوا الله تعالى في المسجد أو الصحراء، وهذا هو الاستسقاء المشروع باتفاق أهل العلم . قـال شـيخ الإسلام: " وهذا العلم العام المتفق عليه لا يعارض بما يرويه ابن زباله وأمثاله "[3] وصدق رحمه الله.

الأمر الثالث: مما يبين كذب هذه القصة أن قبر النبي لم يكن مـسقوفاً كلـه في حياة عائشة رضي الله عنها، إذ كان بعضه مسقوف والبعض الآخر مكـشوف، فـإذاً لا فائدة من جعل الكوا؛ لأن الكوا موجودة، ولم يسقف قبر النبي كـاملاً إلا في عهـد الوليد بن عبد الملك .

هذه بعض استدلالات القبورية على التوسل بالأموات إما دليل صحيح، لكـن لا يدل على ما ذهبوا إليه، وإما أثر ضعيف أو موضوع أو قصة واهية لا تقوم ا حجة.

---

(١) مفاهيم يجب أن تصحح (١٤٤)، شفاء السقام (١٨٣) ، البصائر لنكري التوسل بالمقابر (٩١) .

(٢) الإستغاثة في الرد على البكري (١٤٥/١) .

(٣) الإستغاثة في الرد على البكري (١٤٥/١) ، انظر هذه مفاهيمنا (٧٣) البصائر للمتوسـلين بالمقـابر (٦٤) وفصل المقال (١٠٢) .

الشبهة الثانية : توسل القبورية بالأموات، توسل بجاههم ومكانتهم وحقهم عند الله :

القبورية يرون أن توسلهم بالأموات توسل بجاههم ومكانتهم عند الله تعالى، فهم يتوجهون ـذه الذوات الفاضلة عند الله لتحقيق مرادهم، سواءً كان ذلك قبل وجودهم أو في حيا ـم أو بعد وفا ـم .

وصفة هذا التوسل أن يتوسل إلى الله بفلان أو بجاهه ، أو ببركته. قال تقي الدين السبكي: " بمعنى أن طالب الحاجة يسأل الله تعالى به، أو بجاهه، أو ببركتـه "[1] قـال المالكي في صفة التوسل بالأنبياء والصالحين: " أن يسأل الله تعالى مستشفعاً ـم ، كـأن يقول المتوسل: اللهم إني أسـألك بنبيك محمد، أو بحقه عليك، أو أتوجـه به إليـك في كذا "[2].

والسبب في التوسل بالأولياء والصالحين، قال السبكي : " والمقصود جـواز أن يسأل العبد الله تعالى بمن يقطع أن له عند الله قدراً ومرتبة ، ولا شك أن النبي صلى الله عليه وسلم له عند الله قدر علي ومرتبة رفيعة وجاه عظيم "[3] استدلوا على التوسل بجاه الأموات بأحاديث موضوعة وقصص واهية ،كما استدلوا بأحاديث صحيحة؛ لكنـهم صرفوها عن معناها الصحيح إلى معنى يوافق أهواءهم ، سأستعرض هذه الأدلة بالمناقشة والرد ، والرد على هذه الشبهة من وجوه .

الوجه الأول: هل يجوز التوسل بجاه الأنبياء أحياء أو أمواتاً.

فأقول : إن أهل السنة والجماعة عندما ينفون التوسل بجـاه الأنبيـاء والأوليـاء والصالحين ، ليس معنى ذلك أ ـم ينفون ما لهم من الجاه والقدر والمنـزلة والمكانة عنـد الله تعالى ، وعندما ينفون التوسل بالنبي عليه الصلاة والسلام لا يعني ذلك أ ـم ينكـرون منـزلته وقدره فهو خاتم الأنبياء وسيد المرسلين ، وأفضلهم وهو صاحب اللواء المحمود ،

---

(١) شفاء السقام (١٧٢) .

(٢) الأجوبة الغالية للفرقة الناجية (٦١) .

(٣) شفاء السقام (١٧٤) .

والحوض المورود ، والشفاعة العظمى، وهو من أرسله الله رحمه للعالمين وحجـةً علـى الخلق أجمعين. قال شيخ الإسلام ابن تيمية : "وهو شفيع الخلائق، صاحب المقام المحمود، الذي يغبطه به الأولون والآخرون ، فهو أعظـم الشـفعاء قدراً ، وأعلاهم جاهـاً عند الله تعالى، قال الله تعالى عن المسيح عليه السلام : ﴿ وجِيهاً فِي الدنيا والآخِرةِ ومِن المقَرِبين ﴾ [آل عمران:٤٥]، ومحمد صلى الله عليه وسلم أعظم جاهاً من جميع الأنبياء والمرسلين "[1] ولكن أهل السنة والجماعة لا يتقدمون لا بقول ولا فعل ولا اعتقاد بـين يدي الله ورسوله صلى الله عليه وسلم قـال تعـالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الحجرات: ١].

ولذلك فتعظيم النبي صلى الله عليه وسلم ، وحفظ منـزلته ومكانته وجاهه إنما تكون في محبة ما يحب وكراهية ما يكره. قال ابن عبد الهادي : " إن تعظيمه هو موافقته في محبة ما يحب، وكراهية ما يكره ، والرضا بما يرضى به ، وفعل ما أمر به، وترك ما نهى عنه، والمبادرة إلى ما رغب فيه، والبعد عما حذر منـه، وأن لا يتقـدم بـين يديـه ولا يقـدم على قوله قول أحد سواه "[2].

والتوسل بجاه النبي عليه الصلاة والسلام لم يكن معروفاً عنـد الـصحابة، لا في حياته ولا بعد مماته ، ولم يفهم أصحاب النبي التوسل بالرسول عليه الصلاة والسلام إلا التوسل بدعائه في حياته، والإيمان به وإتباعه عليه الصلاة والسلام. قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " والتوسل بمعنى الإقسام على الله بذاته والسؤال بذاته ، فهذا هو الذي لم تكـن الصحابة يفعلونه لا في الاستسقاء ونحوه، لا في حياته ولا بعد مماتـه، ولا عنـد قـبره ولا غير قبره، ولا يعرف هذا في شيء من الأدعية المشهورة بينهم، وإنما ينقل شيء مـن ذلك في أحاديث ضعيفة مرفوعة أو موقوفة أو عن من ليس قوله حجة "[3].

---

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (٤)، وانظر : التوسل أنواعة وأحكامة (٧٦- ٨٠) .

(٢) الصارم المنكي (٣٣١) .

(٣) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (٨٢) .

فالتوسل بالذات والجاه، والحق لم يكن معروفاً عند أهل القرون المفضلة، ولم يرد دليل عليه، ولم يرد ذكر من الأذكار أو دعاء من الأدعية فيها التوسل بجاهه حياً، فكيف بجاهه وهو ميت علية الصلاة والسلام .

الوجه الثاني: الأدلة التي وردت في التوسل بجاهه بعد موته إما ضعيفة وإما لا تدل على التوسل بالجاه أصلاً ، بل تدل على معنى آخر، وهذه بعض أمثلة القبورية التي استدلوا ا على التوسل بجاهه بعد موته وهي أحاديث ضعيفة لا تقوم ا حجة منها .

١- حديث توسل آدم بالنبي عليه الصلاة والسلام عن عمر رضي الله عنه قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لما أقترف آدم الخطيئة قال : يا رب ! أسألك بحق محمد لما غفرت لي ، فقال الله : يا آدم وكيف عرفت محمداً ولم أخلقه، قال : يارب لما خلقتني بيدك، ونفخت فيّ من روحك، رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك ، فقال الله: صدقت يا آدم ، أنه لأحب الخلق إليّ ، ادعني بحقه فقد غفرت لك ، ولولا محمد ما خلقتك" . استدل به تقي الدين السبكي وغيره[1] على جواز التوجه إلى الله تعالى بجاه محمد عليه الصلاة والسلام قبل وجوده وخلقه، فإذا كان هذا قبل وجوده فهو جائز من باب أولى في حياته وبعد وفاته .

والرد على هذا الاستدلال بما يلي :

فهذا الحديث ضعيف ضعفه جمع كبير من أهل العلم.[2]

فقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: " حديث لا أصل له "[3].

وقال رحمه الله عن هذا الحديث: " ومثل هذا لا يجوز أن تبنى عليه الشريعة

---

(١) انظر: شفاء السقام (١٧٢)، الدر السنية (٨ ، ٩) ، مفاهيم يجب أن تصحح (١١٩)،كرامات الأولياء (٥٠).

(٢) انظر: حاشية فصل المقال (٨٧) ، وهذه مفاهيمنا (٢٠-٢٨) ، وانظر: الفتاوى (٢٥٤/١)، وانظر النكت على ابن الصلاح (٣١٨/١- ٣١٩) .

(٣) الاستغاثة في الرد على البكري (٤٠٠/١) .

ولا يحتج به في الدين باتفـاق المسـلمين "[1]، وتكلـم في هذا الحديث وأطال ابـن عبد الهادي وقال عنه: "حديث غير صحيح ولا ثابت ، بل هو ضعيف الإسناد جداً "[2] وبين بعد ذلك أن الحاكم تناقض في تصحيحه تناقضاً فاحشـاً[3] فهو حديث ضعيف، لا تقوم به حجة .

وأما الشذوذ في متنه ما ورد فيه: " ولو لا محمد ما خلقتك " . فهذه اللفظة مناقضة لنصوص الكتاب والسنة، هذه النصوص التي تبين أن الله تعالى خلق الخلق لعبادته، وأن الأنبياء والمرسلين أرسلهم الله تعالى لدعوة الخلق إلى هذه العبـاد، إذ قال سبحانه: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ [الذاريات :٥٦ - ٥٨].

وقال تعـالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء : ٢٥]. فما خلق آدم والأنبياء والمرسلين لأجل أحد من خلقه، بل خلق الله الخلق لعبادته، وأرسل الرسل من نوح عليه السلام إلى محمد صـلى الله عليـه وسلم لدعوة الخلق لهذه العبادة ، وبذلك يتبين أنه هذا الحديث ليس بحجة على التوسـل بالأموات وذلك لشذوذ متنه ، وعلة سنده.

ثانياً : ومما استدل به القبورية على جواز التوسل بالأموات لما لهـم مـن الحـق والجاه، ما جاء في مناقب فاطمة بنت أسد أم علي بن أبي طالب، أنـها لما ماتت حفـر رسول الله صلى الله عليه وسلم لحدها بيده، وأخرج ترابه بيده، فلما فرغ دخل رسـول الله صلى الله عليه وسـلم فاضطجـع فيه، فقال : " الله الذي يحي ويميـت وهو حـي لا يموت، أغفر لأمي فاطمة بنت أسد، ولقنها حجتها، ووسع عليها مدخلها، بحق نبيك

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (١٧٥).
(٢) الصارم المنكي (٤٣).
(٣) نفس المصدر (٤٣- ٤٥).

والأنبياء الذين من قبلي، فإنك ارحم الراحمين، وكبر عليها أربعاً، وأدخلوها اللحد هـو والعباس وأبو بكر الصديق رضي الله عنهم .... " [1].

قال المالكي : " ونلاحظ هنا أيضاً أن الأنبياء الذين توسل النبي صلى الله عليه وسلم بحقهم على الله في هذا الحديث وغيره قد ماتوا، فثبت جواز التوسل إلى الله بالحق وبأهل الحق أحياء وأموات"[2] .

وهذا حديث ضعيف ضعفه جمع من أهل العلم ، فليس به حجة إلى ما ذهبوا إليه[3] .

ومنها حديث عثمان بن حنيف : أن رجلا ضريراً أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: أدع الله أن يعافيني، قال: إن شئت أخرت ذلك وهو خير، وإن شئت دعوت، قال أبو موسى : فادعه، وقالا فأمره أن يتوضأ قال : بندار فيحسن، وقالا : ويصلي ركعتين ويدعوا بهذا الدعاء، اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد، نبي الرحمة، يا محمد إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه فتقضى لي، اللهم شفعه في، زاد أبو موسى وشفعني فيه، قال ثم كأنه شك بعد في وشفعني فيه"[4] . قال المالكي بعد ما ساق هذا الحديث "وليس هذا خاصاً بحياته صلى الله عليه وسلم ، بل قد استعمل بعض الصحابة هذه الصيغة من التوسل بعد وفاته"[5] ، ثم ساق القصة وقد سبق الرد عليها .

أما حديث عثمان بن حنيف فقد صححه بعض أهل العلم[6]، وضعفه

---

(١) معجم الطبراني برقم (٨٧١).

(٢) مفاهيم يجب أن تصحح (١٤٢)، وانظر الدر السنية (٧)، وانظر: كرامات الأولياء (٥١).

(٣) انظر: صيانة الإنسان (١٢٣ ، ١٢٤) ، هذه مفاهيمنا (٥٦ ، ٥٧، ٥٨ ، ٥٩)، والبروق النجدية (٦٢ ، ٦٣).

(4) سنن الترمذي برقم ٣٥٨٧. قال الشيخ الألباني: وعلى هذا فالإسناد جيد لاشبهة فيه ، انظر التوسل أحكامه وأنواعه (٦٩) .

(5) مفاهيم يجب أن تصحح (١٢٧).

(6) انظر التوسل أحكامه وأنواعه (٦٩).

بعضهم[1] وعلى فرض صحته فليس فيه دليل على التوسل بالنبي بعد وفاته، وليس فيه دليل على التوسل بجاه النبي عليه الصلاة والسلام في حياته، بل هو دليل على التوسل بدعائه، وذلك لأمور :

أولاً : الأعرابي جاء إلى النبي طالباً منه الدعاء "ادع الله أن يعافيني"، ولم يقل بجاه محمد عافني ، ولو قصد الجاه لم يلزمه المجيء إلى النبي عليه الصلاة والسلام، بل يكفيه أن يسأل الله بجاه النبي، ولو كان بعيداً، لكنه استقر عند الصحابة أن التوسل بمعنى طلب الدعاء من النبي حال حياته .

ثانياً: وعده النبي بالدعاء بقوله: "إن شئت دعوت "، وأرشده إلى الأفضل، وهو الصبر، فالنبي عليه الصلاة والسلام تسبب له بما يستطيع عليه وهو الدعاء .

ثالثاً : دعا النبي صلى الله عليه وسلم له، وأرشده إلى عمل نافع وهو التوسل إلى الله بالعمل الصالح، إذ أمره بالوضوء، وصلاة ركعتين والدعاء لنفسه.

رابعاً: علمه النبي صلى الله عليه وسلم دعاء : " فشفعه في " ، وهذه الكلمة يستحيل حملها على الجاه أو الحق ، بل ليس لها تفسير إلا اللهم اقبل دعاءه في .

خامساً : لفظة "وشفعني فيه " ، أي : اقبل دعائي في أن تقبل دعاءه لي، وهذه اللفظة لم يوردها كثير من القبورية؛ لأنها تأتي على بنيانهم من القواعد.

سادساً: ولو كان في هذا الحديث دليل على التوسل بالذات في الحياة وبعد الممات كيف خفي هذا الدعاء على مكفوفي الصحابة ومن بعدهم، والناس حريصون على جوارحهم وحواسهم.[2]

هذه أبرز شبهات القبورية التي استدلوا بها على جواز التوسل بالأموات وهذا الرد عليها الذين بين زيفها وتلبيسها، ومخالفتها للكتاب والسنة، وأقوال سلف الأمة .

---

(1) انظر : هذه مفاهيمنا (٣٦ ، ٣٧).

(2) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم (٣٠٢/٢- ٣٢٣) ، فصل المقال (٩٦-٩٩) ، التوسل أنواعه وأحكامه (٦٨- ٧٣)، هذه مفاهيمنا (٣٦ ، ٣٧).

الفصل الثالث

مفهوم الاستغاثة وشبهات القبورية

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : الاستغاثة عند السلف.

المبحث الثاني : الاستغاثة عند القبورية.

المبحث الثالث : شبهات القبورية في الاستغاثة والرد عليها.

المبحث الأول

مفهوم الاستغاثة عند السلف

أولاً : معنى الاستغاثة :

طلب الغوث والتخليص من الشدة والعون على الفكاك.

قال الزبيدي : " قالوا : الاستغاثة طلب الغوث، وهو التخليص من الشدة والنقمة والعون والفكاك من الشدائد".[1]

فالاستغاثة هي طلب كشف الشدة، فهي تلتقي مع الاستعانة في الطلب؛ لكنها تختلف بأ ا طلب لكشف الشدة، ولهذا تأتي معاني لها تدور حول كشف الشدة والكرب.

ومن معانيها : الصراخ والاستصراخ والصياح.

قال الزبيدي:" الصراخ الصياح، ثم تجوز به عن الاستغاثة، إذ لا يخلو منه غالباً"،[2] وقال : " الاستصراخ الاستغاثة ".[3] ومنها غوث الرجل قال ابن منظور : "غوث الرجل: استغاث صاح واغوثاه ".[4]

ولفظ الاستغاثة في الكتاب والسنة يدل على ما تدل عليه اللغة، فالمعنى واحد. قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " والاستغاثة طلب الغوث، وهو إزالة الشدة كالاستنصار طلب النصر والاستعانة طلب العون ".[5]

قال الشوكاني: " فأما الاستغاثة – بالمعجمة والمثلثة- فهي طلب الغوث، وهو إزالة الشدة كالاستنصار وهو طلب النصر ".[6]

---

(١) تاج العروس (٣١٤/٥).
(٢) انظر : المصدر السابق (٧/ ١٩١).
(٣) انظر : المصدر السابق (٧/ ١٩٢).
(٤) لسان العرب (١٧٤/٢).
(٥) الفتاوى (١٠٣/١).
(٦) الدر النضيد (٩).

ثانياً : أقسام الاستغاثة عند السلف:

السلف يقسمون الاستغاثة إلى قسمين : استغاثة مشروعة ، واستغاثة ممنوعة.

الأول : الاستغاثة بالخالق :

وهذه من المسائل المعلومة من الدين بالضرورة، فالاستغاثة بـالله تعـالى طاعـة عظيمة، وعبادة جليلة، يظهر ا العبد فاقته وحاجته لربه تعالى، والله عـز وجـل هـو كاشف الضر ومجيب المضطر، وهو مغيث المستغيثين سبحانه وتعالى، استغاث به أهل بدر يشكون قلةً وضعفاً، فأغاثهم ونصرهم على عدوهم. قال تعـالى : ﴿ إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ﴾ [الأنفال :٩] ، فكـم مـن مضطر ضاقت به السبل وتقطعت به الأسباب، فلجأ إلى ربه تعالى فأزال ضره، وكشف همه وغمه، قال تعـالى : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل:٦٢].

والاستغاثة والدعاء بينهما خصوص وعموم ، إذ الاستغاثة لا تكون إلا في وقت الشدة، وأما الدعاء فيكون في الشدة وغيرها.

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن : " فبينهما عموم وخصوص مطلق، يجتمعـان في مادة وينفرد الدعاء عنها في مادة، فكل استغاثة دعاء وليس كل دعاء اسـتغاثة ".(1)

وعلى هذا فجميع الأدلة الدالة على الاستغاثة وعلى الدعاء هي أدلة على الاستغاثة ؛ لأن الاستغاثة من الدعاء ، وبالتالي فهي عبادة من أجل العبادات وطاعة من أعظم الطاعـات كيف لا ؟ والنبي عليه الصلاة والسلام جعل الدعاء هو العبادة ، ففي حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: " الدعاء هو العبادة ثم قـرأ : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ .(2)

(١) فتح اليد (١٩٣).

(٢) سنن أبي داود، باب الدعاء، رقم (١٤٧٩)، وسنن الترمذي، باب ومن سورة البقرة ، رقم (٢٩٦٩) ، وسنن ابن ماجة، باب فضل الدعاء ، رقم (٣٨٢٨). قال الشيخ الألباني : حديث صحيح. انظر: سنن ابن ماجة (١٢٥٨/٢)، وجامع الترمذي (٢١١/٥).

فالاستغاثة عبادة وقربة عظيمة فيها رغبة ورهبة وخوف وطمع، قال الشيخ حمد آل معمر : " والسائل راغب راهب، وكل سائل راغب راهب فهو عابـد للمـسئول، وكل عابد فهو أيضاً راغب وراهب يرجو رحمته ويخاف عذابه، وكل عابد سائل ، وكل سائل فهو عابد لله ، قال تعـالى : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾ [الأنبياء : ٩٠].

ولا يتصور أن يخلو داع لله دعاء عبادة أو دعاء مسألة مـن الرغـب والرهـب والخوف والطمع ".(1)

فهذه منـزلة الاستغاثة بالله تعالى عبادة ودعاء، ولجوء وتضرع، ورغبة ورهبـة وخوف وطمع، فلابد من صرفها لله تعالى وإخلاصها له جل وعلا، والضابط لذلك أن كل أمر شرعه الله لعباده وأمرهم به ففعله عباده لا يجوز صرفه إلا لله تعالى، ومن صرف منه شيئاً لغير الله فقد أشرك(2).

ثانياً : الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه :

من الاستغاثة المشروعة الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه، فيطلب من المخلـوق ويستغاث به فيما يقدر عليه؛ كالنصرة على العدو ودفع الصائل، وإطفاء الحريق وغـير ذلك مما يستطيع عليه المخلوق. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : " والمخلوق يطلب منه من هذه الأمور ما يقدر عليه منها كما قـال تعـالى : ﴿ فَٱسْتَغَـٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ ﴾ [القصص: ١٥]، وكما قال تعـالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة : ٢].(3) والاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه لا خـلاف في جوازها، دل على جوازها الكتاب والسنة. قال الشوكاني رحمه الله : " ولا خلاف أنـه يجوز أن يستغاث بالمخلوق فيما يقدر على الغوث فيه من الأمور، ولا يحتاج مثل ذلـك

---

(١) النبذة الشريفة النفيسة ، حمد بن ناصر آل معمر (٢٥).

(٢) انظر : فتح المجيد (١٩٥).

(٣) الفتاوى (١٠٣/١ ، ١٠٤).

إلى استدلال فهو في غاية الوضوح، وما أظنه يوجد فيه خلاف " [1] ثم ساق الأدلة على جوازها.

وهنا مسألة لابد من ملاحظتها عند الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه، وهي أن يعتقد المستغيث أن المُستغاث به سبب للإغاثة، وأنه لا تأثير له بذاته في إزالـة الـشدة . قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين : " وإذا طلبت من أحد الغوث وهو قادر عليه، فإنه يجب عليك تصحيحاً لتوحيدك أن تعتقد أنه مجرد سبب، وأنه لا تأثير له بذاته في إزالـة الشدة؛ لأنك ربما تعتمد عليه وتنسى خالق السبب، وهذا قادح في كمال التوحيد ".[2]

النوع الثاني : الاستغاثة الممنوعة ، وتنقسم إلى أقسام :

أولاً : الاستغاثة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، كالاسـتغاثة بـه في مغفرة الذنب وسعة الرزق وهداية القلب وقبول التوبة ، فهذه استغاثة ولجوء إلى المخلوق في شيء لا يقدر عليه ، بل لا يقدر عليه إلا الله تعالى، وهذا شرك؛ لأنه صـرف لهـذه العبادة لمن لا يستحقها ؛ لأن الاستغاثة في هذه الأمور من وظائف الألوهية، فـالله هـو الذي يكشف الضر، ويجيب المضطر، وعلى ذلك فلا يليق طلبها ممن يتصف بالعبوديـة. قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " وأما ما لا يقدر عليه إلا الله فلا يطلب إلا من الله ، ولهذا كان المسلمون لا يستغيثون بالنبي صلى الله عليه وسلم ".[3]

وقال الشوكاني رحمه الله : " وأما ما لا يقدر عليه إلا الله فلا يستغاث فيه إلا به كغفـران الذنوب، وهداية القلوب، وإنزال المطر، والرزق ونحو ذلك كما قال تعـالى : ﴿ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران : ١٣٥]، وقال تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص : ٥٦] ، وقال تعـالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [فاطر:٣]".[4]

---

(١) الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد (٩).

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد (٣٣٥/١).

(٣) الفتاوى (١٠٤/١).

(٤) الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد (١٠).

فالاستغاثة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله مناقضة للعقل والنقل، فأما العقل فإن المستغيث يرجو الفكاك من الشدة والنجاة من الضر، فمن استغاث بعبد مثله لا يملك ذلك ، فقد جاء بما يناقض العقل ، وأما النصوص فهي متواترة من الكتاب والسنة بأن الذي يكشف الضر ويجيب المضطر هو الله تعالى، وهو الذي يجيب سؤال السائلين واستغاثة المستغيثين القائل : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٦].

وهو القائل عز وجل : ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ﴾ [الأنعام : ١٧].

فغرض من يلجأ إلى غير الله، ويستغيث بغير الله تعالى، إنما هو كشف الضر ، ولقد أبطل الله تعالى ذلك بقاعدة عامة ، حيث قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ ﴾ يعني : إذا مسك الله بضر فمن يكشف الضر ؟؟ والجواب يكشفه من قدره ومن قضاه.(1) فكيف يستغاث بمن لم يقدر شيئاً ولا يقدر على كشف الضر ولا تحويله، ولهذا فمن استغاث بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله فقد بلغ في الظلم غايته وفي الضلال منتهاه . قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " فكل من غلا في نبي أو رجل صالح، وجعل فيه نوعاً من الإلهية مثل أن يقول يا سيدي فلان انصرني ، أو أغثني، أو ارزقني ، وأنا في حسبك ونحو هذه الأقوال . فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فإن تاب وإلا قتل".(2)

ثالثاً : الاستغاثة بالغائب أو الميت :

فإن من أنواع الاستغاثة الممنوعة : الاستغاثة بالغائب الذي لا يسمعك ولا يراك، والميت الذي انقطع عن هذه الدنيا وانتقل إلى حياة البرزخ، وأصبح رهينة عمله، لا

---

(١) انظر: التمهيد شرح كتاب التوحيد بتصرف يسير (١٨٣).

(٢) فتح المجيد (١٩٥) وأصله في الفتاوى (٣٩٥/٣) بتصرف يسير.

يسمع دعاء الداعين ولا استغاثة المستغيثين ، ولا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ، فكيف بغيره، فالذي يدعو من لا يستجيب له هو من أضل الناس . قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ﴾ [الأحقاف: ٥]. فالله عز وجل وصف من يدعو من دون الله من لا يستجيب له في غاية الضلال ومنتهى الغواية، والمقصود في هذه الآية من يدعو الأموات، ولم يرد الأصنام والأحجار بدلالة قوله تعالى : ﴿ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ فجعل غاية المنع إلى يوم القيامة، وهذه في الأموات ؛ لأن الميت إذا كان يوم القيامة نشر وصار يسمع ، وربما شفع ؛ لأنه في ذلك المقام حياً ".[1]

ومما علم من دين الإسلام بالضرورة أن الاستغاثة بالأموات والغائبين لا تجوز، وقد أجمع أئمة المسلمين على أن الاستغاثة بالأموات والغائبين من أعظم المنكرات، مع أن الاستغاثة بالميت والغائب مما لا يعلم بين أئمة المسلمين نزاع في أن ذلك من أعظم المنكرات، ومن كان عالماً بآثار السلف علم أن أحداً منهم لم يفعل هذا.[2]

ولهذا اعتبر أئمة الإسلام أن أعظم ما منيت به الأمة من المصائب الاستغاثة بالأموات والغائبين ، حتى وصل بهم الحال إلى دعاء الميت والاستغاثة به بخضوع وتخشع عند قبره لم يفعلوه لله في بيوت العبادة . قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " وربما كان ما يفعلونه بالأموات أعظم؛ لأنهم إنما يقصدون الميت في ضرورة نزلت بهم فيدعونه دعاء المضطر راجين قضاء حاجتهم بدعائه والدعاء به أو الدعاء عند قبره بخلاف عبادتهم لله تعالى ودعائهم إياه ، فإنهم يفعلونه في كثير من الأوقات على وجه العادة والتكلف ".[3]

وعلى هذا فالاستغاثة بالأموات والغائبين شرك أكبر يخرج من الملة يجب على المسلم التوبة إلى الله تعالى والحذر منه أشد الحذر، فإن الله تعالى يغفر الذنوب ويقبل التوبة

(١) انظر: التمهيد شرح كتاب التوحيد (١٨٥).
(٢) انظر : تلخيص كتاب الاستغاثة (٢٥٨/١).
(٣) المصدر السابق (٧٣٢/٢).

عن عباده إلا من جاء مشركاً ، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء : ٤٨].

فالاستغاثة بالأموات مناقضة لما جاء به الرسل من إفراد الله تعالى بالعبادة.

المبحث الثاني

الاستغاثة عند القبورية

الاستغاثة هي: طلب الغوث والفكاك من الشدة والكرب، وهي أحد أفراد الدعاء ، والدعاء عبادة وقربة ، أمر الله تعالى به في آيات كثيرة كما في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر : ٦٠]. فالدعاء عباده ، ووعد الله عز وجل الداعين بالإجابة، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٦]. ومما أجمع عليه السلف وهو من المعلوم من دين الله بالضرورة صرف الدعاء لله تعالى سواء كان دعاء عبادة أو دعاء مسألة، ولهذا فإن القرآن امتلأ بدعاء الأنبياء وتضرعاتهم إلى الله تعالى ، وكذلك امتلأت سنة النبي عليه الصلاة والسلام بدعاء النبي وتضرعاته لله تعالى ، وتعليمه لأصحابه اللجوء إلى الله وسؤاله سبحانه وتعالى الهدى والتقى والعفاف والغنى، والثبات على دينه، والنصر على عدوه، ولم يرد نص يدل على الاستغاثة بأحد من الخلق في شيء لا يقدر عليه إلا الله ، إلا أن فئام من الأمة المحمدية غلت في دينها ، ووقعت فيما وقع فيه الأمم التي قبلها ، فأوقعهم هذا الغلو باعتقادٍ يناقض أصل التوحيد ، وهو الاستغاثة بالأموات إذ عقدوا على الأموات من الأنبياء والصالحين وغيرهم أمالهم، فأجازوا الاستغاثة بالأموات في كل ما يستغاث به الله تعالى ، فلهجوا بأسمائهم، ونادوهم في شدائدهم وكرباتهم ، فسألوا منهم هداية القلوب ، وكشف الكروب ، ودخول الجنة ، والنجاة من النار، وسعة الرزق ، وقمع العدو ، واحتجوا لذلك بشبهات باطلة وحجج واهية .

وهذه بعض النقول من كتبهم فيما يتعلق بالاستغاثة بالأموات :

يرى القبورية جواز الاستغاثة بالأموات ، ويعتبرون ذلك من الأمور الحسنة ، يقول السبكي : " اعلم أنه يجوز، ويحسن التوسل والاستغاثة والتشفع بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى ربه سبحانه وتعالى، وجواز ذلك وحسنه من الأمور المعلومة لكل ذي دين ، المعروفة من فعل الأنبياء والمرسلين ، وسير السلف الصالحين والعلماء والعوام من المسلمين، ولم ينكر ذلك أحد من أهل الأديان ، ولا سمع به في زمن من الأزمان حتى جاء ابن تيمية فتكلم في ذلك بكلام يلبس فيه على الضعفاء الأغمار ".[1]

كما يرون الاستغاثة بالأموات سبيل لقضاء الحوائج ، فإن من استغاث بالنبي والأنبياء في طلب حوائجه، فإنه لا يرد ولا يخيب. قال ابن الحاج في زيارة قبور الأنبياء : " ثم يتوسل إلى الله تعالى في قضاء مآربه ومغفرة ذنوبه، ويستغيث بهم ويطلب حوائجه منهم، ويجزم بالإجابة ببركتهم ويقوي حسن ظنه في ذلك ، فإنهم باب الله المفتوح ، وجرت سنته سبحانه وتعالى في قضاء الحوائج على أيديهم وبسببهم، ومن عجز عن الوصول إليهم فليرسل بالسلام عليهم، وذكر ما يحتاج إليه من حوائجه ومغفرة ذنوبه وستر عيوبه إلى غير ذلك، فإنهم السادة الكرام ، والكرام لا يردون من سألهم، ولا من توسل بهم ولا من قصدهم، ولا من لجأ إليهم هذا الكلام في زيارة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام عموماً ".[2]

ثم قال عن النبي صلى الله عليه وسلم : "ولا يخيب من قصده، ولا من نزل بساحته، ولا من استعان أو استغاث به، إذ أنه عليه الصلاة والسلام قطب دائرة الكمال، وعروس المملكة[3]. قال الله تعالى في كتابه العزيز : ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾ [النجم : ١٨].... إلى أن قال : " فمن توسل به أو استغاث به أو طلب حوائجه منه فلا يرد ولا يخيب ".[4]

---

(١) شفاء السقام (١٧١).

(٢) المدخل (٢٥٢/١).

(٣) غلو القبورية في النبي أنساهم حسن الأدب مع النبي عليه الصلاة والسلام.

(٤) المصدر السابق (٢٥٢/١ ، ٢٥٣).

وهكذا يتبين من هذه النصوص أنه يطلب من أصحاب القبور الحوائج ومغفـرة الذنوب، وستر العيوب، ويؤكدون هذا ويؤيدونه بأن من استغاث م لا يخيب ، وهـم الكرام الذي لا يردون من سألهم – فسبحان الله ماذا أبقوا لله تعالى -.

كما قرروا أن الاستغاثة بالأموات سبب لحصول الشفاء للأسقام التي يعجز عنها الأطباء . قال القسطلاني : " ولقد كان حصل لي داء أعيا دواؤه الأطباء، وأقمـت بـه سنين، فاستغثت به صلى الله عليه وسلم ليلة الثامن والعشرين من جمـادى الأولى سـنة ثلاث وتسعين وثمانمائة بمكة زادها الله شرفاً، ومن علي بالعود في عافية بلا محنة ، فبينا أنا نائم إذ جاء رجل معه قرطاس يكتب فيه هذا دواء لداء أحمد بن القسطلاني من الحجـرة الشريفة بعد الإذن الشريف النبوي ، ثم استيقظت فلم أجد بي – والله – شيئاً مما كنت أجده ، وحصل الشفاء ببركة النبي صلى الله عليه وسلم ".(1)

كما قرروا الاستغاثة بأصحاب القبور وطلبوا منهم المدد ضد الأعداء الذين خربوا البلاد وشتتوا أهلها، فاستغاثوا م استغاثة ما استغاثوها بالله رب العالمين. قال الـشيخ محمد المعصومي يحكي استغاثة أحد دعاة القبورية وهو يستغيث بالشيخ عبـد القـادر الجيلاني، فبعد ما وصف الشيخ عبد القادر بأنه سلطان السلاطين وملك الملوك، وخفـر الأقطاب، و غوث الأغواث، وطلب منه المدد، وشكى إليه الحال، وبـين لـه ضـعفه وتضرعه له قال : " اسمع يا ملك عريضة هذا المسكين الطائح ، الذي زال عقله عن رأسه مدهوشاً ، الذي قام عندك متظلماً، ومن كمال خجله وضع رأسه تحـت رجلـك في الأرض، يا أيها الملك أفعل لديك مراضي، وأبين قصة بلادي التي خر ا الأعداء، أعرض إليك حسرة المفارقة عن أحبابي وأولادي، فيا سيد عبد القادر الجيلاني اظهر لي إرشادك وكرامتك ، يا أيها الغوث الأعظم قم من مرقدك، قد احترق العالم وأخذ ممالك التوران (ما وراء النهر) عساكر اللاديني ، يا حبيب الله الخالق، الذي يسمع دعاء الداعين، اسمع عرض الغرباء لحظة ، يا ملك كل الخلق في مملكة العراق والحجاز سهل المشكلات الـتي

(١) المواهب اللدنية (٤١٩/٣).

عرضت للمؤمنين ... إلى أن قال : " يعني نصرخ مائة صرخة من ظلم هؤلاء الظالمين إليك ، يا سلطان أهل اليقين أنت الذي تدبر أمورنا، وتخلصنا من الأهوال في الدنيا والدين ".(1)

ولقد صدق شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى إذ صور أحوال القبورية عندما غزاهم التتار كيف استغاثوا بالقبور، إذ قال رحمه الله تعالى : " حتى إن العدو الخارج عن شريعة الإسلام لما قدم دمشق خرجوا يستغيثون بالموتى عند القبور التي يرجون عندها كشف ضرهم ، وقال بعض الشعراء :

يا خائفين من التتر لوذوا بقبر أبي عمر(2)

أو قال :

عوذوا بقبر أبي عمر ينجيكم من الضرر ".(3)

بل جعل القبورية قبر النبي منجي الطريد، وملاذ كل معتصم ، وهو من تمد إليه الأيد الفقيرة المعدمة، وهو الملجأ من الذنوب والمعاصي، وقد ساق المالكي قصيدة طويلة في الغلو بالنبي الكريم صلى الله عليه وسلم منها :

فالآن ليس سوى قبر حللت به منجي الطريد وملجأ كل معتصم

وقد حططنا لديه الرحل همتنا على الصدى له من مورد الكرم

نقبل الترب إجلالاً لساكنه فكل موطئ أقدام مقر فم

هذا عطاؤك فاعمرنا بمدخله فقد مددنا أكف الفقر والعدم

وإن رمتنا الخطايا وسط مهلكة فأنت ملجأ خلق الله كلهم(4)

---

(١) حكم الله الواحد الصمد في حكم الطالب من الميت المدد (٣١٠ – ٣١٢) من ضمن نقض القبورية .

(٢) لعله : أبو عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة، ولد سنة (٥٢٨)، ت (٦٠٧هـ)، قال ابن كثير تربة الشيخ أبي عمر بالسفح، وقد نسج الناسجون له خرافات حتى جعلوه قطباً، وهو أخو الموفق صاحب المغني. انظر البداية والنهاية لابن كثير(١٠/٣٠) و (١٣/ ٥٨، ٥٩).

(٣) الاستغاثة في الرد على البكري (٦٣١/٢).

(٤) شفاء الفؤاد (١١٤) نسبها إلى التعريف بتاريخ المدينة للمطري ، ص ٢١.

وقد ساق القبورية استغاثات بالنبي عليه الصلاة والسلام، وبأصحاب القبور كثيرة أذكر بعضاً منها مع ما سبق ذكره، منها :

استغاثة بالنبي عليه الصلاة والسلام من الدهر الخائن المتقلب، وطلب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يقل عثرة عبده، ويرجو النبي صلى الله عليه وسلم ويسأله أن لايخيبه ، وأن يكتب له ولوالديه البراءة من حر نار جهنم ، إلى غير ذلك من الاستغاثات والأدعية التي لا تطلب إلا من الله رب العالمين.

ساق المالكي قصيدة مطلعها :

يا صاحب القبر المنير بيثرب   يا منتهى أملي و غاية مطلبي

يا من به في النائبات توسلي   وإليه من كل الحوادث مهربي

وسأختار بعض الأبيات التي فيها من الاستغاثات التي لا تجوز إلا بالله تعالى، علماً بأن القصيدة من أولها إلى آخرها ظلمات بعضها فوق بعض من شرك بالألوهية والربوبية وتوسل بدعي وغلو بلغ منتهاه، وهذه بعض الأبيات التي أخذ ا منها :

يا غوث من في الخافقين وغيثهم   وربيعهم في كل عام مجدب

يا رحمة الدنيا وعصمة أهلها   وأمان كل مشرق ومغرب

إلى أن قال :

يا سيدي إني رجوتك ناصرا   من جور دهر خائن متقلب

فأقل عثار عبيدك الداعي الذي   يرجوك إذ راجيك غير مخيب

واكتب له ولوالديه براءة   من حر نار جهنم الملتهب(1)

فهذا يستغيث بالنبي عليه الصلاة والسلام ، وذاك يلهج بالبدوي ، وآخر بالعيدروس ، وآخر بالجيلاني .

وقال آخر مستغيثاً بأحمد البدوي :

بالسيد البدوي أحمد ذخرنا   غوث الورى وهو ا لير من العطب

---

(١) شفاء الفؤاد (٢١٢ ، ٢١٣) قصيدة لعبد الرحمن البرعي.

يا كعبة الأسرار أنت غياثنا   يا كاشف الكربات يا شيخ العرب[1]

فالقبورية يستغيثون بالأموات في كل أمر يستغيثون به بالله رب العـالمين. حـتى وصل م الأمر أن يستغيثون بالأموات في الشدة أكثر من الاستغاثة م في الرخاء، وهذا أمر لم يجرؤ عليه المشركون، الذين كانوا يخلصون في الشدة ويشركون بالرخاء ، قـال تعالى : ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [لقمـان :٣٢]. إلا إن القبورية إذا دهمتهم الشدائد استغاثوا بالأموات. قال الشوكاني: " ولقد أخبرني بعض من ركب البحر للحج أنه اضطرب اضطراباً شديداً فسمع من أهل السفينة من الملاحـين ، وغالب الراكبين معهم ينادون الأموات، ويستغيثون م ولم يسمعهم يذكرون الله قـط قال: "ولقد خشيت في تلك الحال الغرق لما شهدته من الشرك بالله ".[2]

والمتأمل بأحوال الأمة الإسلامية وفي كثير من بلدا ا يشعر بالألم والحسرة لما آل إليه حال كثير من الناس بسبـب إعراضهم عن ر م ، واستغاثتـهم بالأمـوات الذين لا يملكون نفعاً ولا ضراً ولا يملكـون موتاً ولا حياة ولا نشوراً، وقد صـ ـ ـدق الله تعالى : ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [يونس : ١٠٦].

إن كشف الضر وإجابة المضطر لا يملكها الحي فكيف بالميت الذي تحت الثرى ، قال تعالى : ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ [الرعد : ١٤].

ورغم مواعظ القرآن وجوامع السنة التي تتعالى لدعوة الناس إلى التوحيد وإفـراد الله تعالى بالعبادة وتحقيق التوحيد في الدعاء بنوعيه لله تعالى، إلا إن دعـاة القبوريـة في باطلهم ماضون وفي غيهم يعمهون، رضوا بالحياة الدنيا، وقنعوا بتقبيل الأيدي والأرجل والخضوع والخشوع لهم ، بالإضافة إلى ما ينالونه من العطايا التي تعطى لأصحاب القبور فبالغوا بغيهم ، ونصروا عقيد م فضلوا وأضلوا ، فلم يكتف القبوريـة بتقريـر جـواز الاستغاثة بالأموات ، وأنه أمر جائز ، بل تجاوزا الأمر إلى الترغيـب في ذلـك . قـال

(١) القول الجلي (٣٩).

(٢) الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد (١١٢ ، ١١٣).

القضاعي : " إن زيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيره من الأنبياء والصالحين ، ونداءهم ، والاستغاثة م ، والتوسل م إلى الله عز وجل، وما يتعلق م كالتوسل والتبرك بآثارهم وقبورهم ومجالسهم ونحوها - من أقوى الأسباب التي وضعها الحكيم العليم لاجتلاب البركات ، واستنزال الرحمات، واستجابة الدعوات، وسرعة قضاء الحاجات".[1]

بل ساقوا الإجماع على أن الاستغاثة بالمقربين من الأنبياء والصالحين من أعظم مفاتيح الفرج ، قال المالكي بعدما ذكر استغاثة الأنبياء في يوم القيامة : " فهذا إجماع من الأنبياء والمرسلين وسائر المؤمنين وتقرير من رب العالمين بأن الاستغاثة عند الشدائد بأكابر المقربين من أعظم مفاتيح الفرج ... ".[2]

جرأة على الله وعلى رسوله ما بعدها جرأة، إن المسلم ليتحرج أن يفتري على أحد من الخلق ، فكيف بمن يفتري على الله وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف : ٣٣].

ثم تواصوا في أمر آخر ، وهو إظهار الاستغاثات بالأموات ليتمسك ا العامة ولا يحيدون عنها. يقول علوي حداد : " وينبغي اليوم في هذا الوقت من الحوادث التي حدثت في العلم في الدين باعتقاد العامة قول بدعي أن الاستغاثة شرك، فالعالم والمقتدى به ينبغي له أن يظهر الاستغاثة ليقتدى به ".[3]

ثم ذهب بعض القبورية في شن جام غضبهم على أهل العقيدة الصحيحة ووصفوهم بأقبح الألفاظ تنفيراً للعامة منهم . قال تقي الدين أبو بكر الحصني في رده على شيخ الإسلام ابن تيمية في إنكاره للاستغاثة بالأموات من الأنبياء والصالحين:"هذا -يقصد إنكار طلب الاستغاثة من النبي - شيء تقشعر منه الأبدان، ولم نسمع أحداً فاه به،

---

(١) البراهين (٣٨٧).

(٢) مفاهيم يجب أن تصحح (١٣٠).

(٣) مصباح الأنام (٦٠).

ولا رمز إليه في زمن من الأزمان ولا بلد من البلدان قبل زنديق حران، قاتله الله عز وجل وقد فعل ". [1] ثم وصفه بخبث الطوية والازدراء بسيد الأولين والآخرين ، واعتبر ذلك كفراً وزندقة محققة.[2]

هكذا دعاة القبورية أصبحوا مغاليق للخير مفاتيح للشر، يوصدون أبواب التوحيد عن العامة ويفتحون أبواب الشرك لهم، ويستميتون في إقناع الناس بذلك، ونشره بينهم.

المبحث الثالث

شبهات القبورية في الاستغاثة والرد عليها:

رد إجمالي على الاستغاثة بالأموات :

الاستغاثة بالحي الحاضر فيما يستطيع عليه جائزة لا خلاف فيها، وقد ضبطها بعض أهل العلم بأن الاستغاثة التي تجوز بالحي الحاضر تكون في الأسباب الظاهرة العادية من الأمور الحسية " والاستغاثة تجوز في الأسباب الظاهرة العادية من الأمور الحسية في قتال أو إدراك عدو أو سبع ونحوه ، كقولهم : يالزيد يا لقوتي ! يا للمسلمين ! كما ذكروا ذلك في كتب النحو بحسب الأسباب الظاهرة بالفعل".[3]

وأما الاستغاثة بالخلق لدفع الخوف، والضيق، وطلب مغفرة الذنوب وستر العيوب فهذه من خصائص الله التي لا تطلب إلا منه، وكتاب الله عز وجل مليء بالأدلة على ذلك﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [يونس : ٣١]، ﴿ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران : ١٣٥]، ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ [الأعراف : ٢٣]، وقال يونس عليه السلام : ﴿ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٧]، والذي يدخل الجنة، وينجي من النار هو الله ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [آل عمران : ١٩٢]. والآيات كثيرة جداً في تقرير هذه المسائل، ودواوين الإسلام مملوءة في أن المغيث هو الله وحده الذي يجيب المضطر ويكشف الضر ، ولقد مر

---

(١) دفع شبه من شبه وتمرد (٦٨).

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) سيف الله على من كذب على أولياء الله (٤٠).

على النبي صلى الله عليه وسلم من الشدائد العظيمة ، فما استغاث بأحد من خلقه عليه الصلاة والسلام ، وكذلك الصحابة ما استغاثوا بالنبي عليه الصلاة والسلام فيما لا يقدر عليه إلا الله . وهذه المسائل التي هي مما اختص به الله تعالى كهداية القلب، وكشف الضر، وشفاء المرض، ومغفرة الذنب، وطلب الجنة، والنجاة من النار، لا تطلب من الأحياء فكيف تسأل وتطلب من الأموات؟ والاستغاثة بالميت أشنع وأبدع من القول بالاستغاثة بالحي ؛ لأن الميت انقطع هذه الحياة بموته ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر : ٣٠]، وقال تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ [المدثر : ٣٨]، فالميت انقطع بموته عن الدنيا وعن الحركة، وهو عاجز عن حركة نفسه ونفعها ، فكيف يتصرف لغيره ، ويغيث غيره ؟ ".[1]

فالذي يدعى ويستغاث به هو الذي يملك الضر والنفع، قادر على رفع الضر وإيصال الخير، والميت لا يقدر على شيء من ذلك ، قال تعالى : ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [المائدة : ٧٦] .

قال القرطبي رحمه الله تعالى : " زيادة في البيان وإقامة الحجة عليهم، أي: أنتم مقرون أن عيسى كان جنيناً في بطن أمه لا يملك لأحد ضراً ولا نفعاً ، وإذا أقررتم أن عيسى كان في حال من الأحوال لا يسمع، ولا يبصر، ولا يعلم، ولا ينفع، ولا يضر ، فكيف اتخذتموه إلهاً ﴿ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ أي :لم يزل سميعاً يملك الضر، والنفع ، ومن كانت هذه صفته فهو الإله على الحقيقة ".[2]

إن الذي يستغاث به هو الخالق هو القوي هو العزيز ، أما سائر المعبودات ضعيفة، لا تستطيع أن تدفع عن نفسها الضر، ولهذا ضرب الله مثلاً للناس جميعاً مقيماً الحجة عليهم مبيناً ضعف سائر المخلوقات، وحاجتها إليه قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟

(١) انظر سيف الله على من كذب على أولياء الله (٣٢) .
(٢) تفسير القرطبي (٢٥١/٦).

لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج : ٧٣].

فمن لا يستطيع الخلق ولا يملك الضر والنفع وهو ضعيف في نفسه، كيف يغيث المستغيثين . قال ابن جرير : " إن جميع ما تعبدون من دون الله من الآلهة والأصنام لـو جمعت لم يخلقوا ذباباً في صغره وقلته؛ لأ ا لا تقدر على ذلك ولا تطيقه ولـو اجتمـع لخلقه جميعها ". (1)

بل بين الله عز وجل وأقام الحجة على كل من دعا أو استغاث بغير الله تعالى، وبين أن المدعوين عباد أمثال الداعـين، فإذا دعو م هل يستجيبون لكم ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ [الأعراف : ١٩٤].

وأقام الله عز وجل حجته البالغة ، وبراهينه الواضحة ، وبين أن المدعو يريد من معبوده أن يحصل له النفع أو يدفع عنه الضر، وهذا لا يكون إلا ممن له الملك ، أو شريكاً لمن له الملك ، أو معيناً وظهيراً لذلك المالك ، أو كان شفيعاً عنده ، فنفى الله عز وجل هذه المراتب، قال سبحانه : ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾ [سبأ : ٢٢، ٢٣]. بل قال الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسـلام ﴿ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴾[الجن:٢٢].

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : " فالمشرك إنما يتخذ معبوده لما يعتقد أنه يحصل له به النفع ، والنفع لا يكون إلا ممن فيه خصلة من هذه الأربع : إما مالك لما يريده عابـده منه ، فإن لم يكن مالكاً كان شريكاً للمالك، فإن لم يكن شريكاً له كـان معينـاً لـه وظهيراً، فإن لم يكن معيناً ولا ظهيراً كان شفيعاً عنده، فنفى سبحانه المراتب الأربع نفياً مرتباً متنقلاً من الأعلى إلى ما دونه فنفى : الملك، والشركة، والمظاهرة، والشفاعة الـتي يظنها المشرك، وأثبت شفاعة لا نصيب فيها لمشرك ، وهي الشفاعة بإذنه ، فكفى ـذه

(١) تفسير الطبري (٢٠٢/١٧).

الآية نوراً وبرهاناً ونجاة وتجريداً للتوحيد وقطعاً لأصول الشرك ومواده لمن عقلها ".[1]

والآيات التي تدل على هذا المعنى كثيرة، ولذلك حذر أئمة السلف من الانزلاق بهذا الوادي السحيق من الاستغاثة بالأموات الذين لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً ، فكيف يغيثون الأحياء، وينجو بهم من الشدائد والمآزق، إن الاستغاثة بالأموات من أقبح القبائح وأعظم الموبقات وأخطر البدع، وهو انحراف عن جادة التوحيد ونوره إلى طريق الشرك وظلمته، قال صنعة الله -منكراً هذا الباطل العظيم-: " وأما قولهم: ويستغاث بهم في الشدائد والبليات، و بهممهم تنكشف المهمات، فهذا أقبح مما قبله وأبدع، وأفظع في الأسماع وأشنع لمصادرته قوله جل ذكره: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ﴾ [النمل : ٦٢] ، ﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ﴾ [الأنعـــام : ٦٣، ٦٤]، ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴾ [النحل : ٥٣]، ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلاً ﴾ [الإسراء : ٥٦] إلى أن قال: ... وما هو نحو ذلك من الآيات ، فإنه جل ذكره قرر أنه الكاشف للضر لا غيره ، وأنه المتعين لكشف الشدائد والكرب، وأنه المتفرد لإجابة دعاء المضطرين لا غيره، وأنه المستغاث لذلك كله، وأنه القادر على إيصال الخير، فهو المتفرد بذلك ، فإذا تعين جل ذكره خرج غيره من ملك ونبي وولي غيره ".[2]

وهذه النعم والمنن التي أمتنها الله على الأنبياء والمرسلين والأولياء من النبوة والرسالة والولاية لا تنقلهم من الاستغاثة بالله إلى إغاثة الخلق، ولا من دعاء الله تعالى إلى أن يدعوهم الخلق ، بل هذه النعم جعلتهم أكثر طاعةً وتضرعاً وخشوعاً لله تعالى ومسابقة إلى الخير، قال تعالى : ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ

(١) مدارج السالكين (٣٤٣/١).

(٢) سيف الله على من كذب على أولياء الله (٢٧ ، ٢٨).

ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلاً ﴿٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [الإسراء:٥٦، ٥٧]

. قال الشنقيطي رحمه الله : " بين الله عز وجل في هذه الآية الكريمة أن المعبودين من دون الله الذين زعم الكفار أ م يقربو م إلى الله زلفى ويشفعون لهم عنده، لا يملكون كشف الضر عن عابديهم، أي إزالة المكروه عنهم ولا تحويلاً، أي تحويله من إنسان إلى آخر، أو تحويل المرض إلى الصحة، والفقر إلى الغنى، والقحط والجدب ونحو ذلك ، ثم بين فيها أيضاً أن المعبودين الذين عبدهم الكفار من دون الله يتقربون إلى الله بطاعته ويبتغون الوسيلة إليه أي الطريق إلى رضاه ونيل ما عنده من الثواب بطاعته ، فكان الواجب عليكم أن تكونوا مثلهم ".[1]

ولهذا فاستغاثة القبورية بالأموات ودعائهم في الملمات شرك بالله تعـالى وبليـة عظيمة ورزية كبيرة منيت ا الأمة. قال الشوكاني رحمه الله تعالى : " وإذا علمت هـذا فاعلم أن الرزية كل الرزية والبلية كل البلية ، أمر غير ما ذكرناه مـن التوسـل الـرد والتشفع بمن له الشفاعة، وذلك ما صار يعتقده كثير من العوام، وبعض الخواص في أهل القبور، وفي المعروفين بالصلاح من الأحياء ، من أ م يقدرون على ما لا يقدر عليـه إلا الله جل جلاله ، ويفعلون ما لا يفعله إلا الله عز وجل ، حتى نطقت ألسنتهم بما انطوت عليه قلو م ، فصاروا يدعو م تارةً مع الله، وتـارة اسـتقلالاً ويـصرخون بأسمـائهم ويعظمو م تعظيم من يملك الضر والنفع، ويخضعون لهم خضوعاً زائداً على خـضوعهم عند وقوفهم بين يدي ر م في الصلاة والدعاء، وهذا إذا لم يكن شركاً فلا تدري ما هو الشرك ، وإذا لم يكن كفراً فليس في الدنيا كفر "[2].

ولذلك فالمستغيثون بالأموات زادوا على شرك الأولين ، إذ المشركون الأولون يشركون بالرخاء ويخلصون بالشدة ، كما قال الله تعالى : ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ

---

(١) أضواء البيان (١٦٢/٣).

(٢) الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد (٢٨).

ﭐللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٥] ، ﴿ بَلۡ إِيَّاهُ تَدۡعُونَ فَيَكۡشِفُ مَا تَدۡعُونَ إِلَيۡهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوۡنَ مَا تُشۡرِكُونَ ﴾ [الأنعام: ٤١]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ أَعۡرَضۡتُمۡۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴾ [الإسراء : ٦٧] .

قال الإمام المجدد : " فاعلم أن شرك الأولين أخف من شرك أهل زماننا بأمرين أحدهما : أن الأولين لا يشركون، ولا يدعون الملائكة والأولياء والأوثان مع الله إلا في الرخاء، وأما في الشدة فيخلصون لله الدعاء – ثم ساق الأدلة على ذلك – إلى أن قال: ... إن الأولين يدعون مع الله أناساً مقربين عند الله إما أنبياء وإما أولياء، وإما ملائكة، أو يدعون أشجاراً وأحجاراً مطيعة لله ليست عاصية، وأهل زماننا يدعون مع الله أناساً من أفسق الناس ... ".(1)

إذا تقرر هذا علم ضلال القبورية ومصادمتهم الصريحة لنصوص الكتاب والسنة، كما يعلم شر القبورية وضلالها، ومساهمتها في بث الشرك في صفوف الأمة المحمدية.

الشبهة الأولى : اعتقاد القبورية أن الأولياء يتصرفون في قبورهم ويغيثون المستغيثين .

القبورية يستغيثون بالأموات معتقدين أن الأموات يعلمون بمن يستغيث بهم ، وأنهم قادرون على إغاثتهم لقدرتهم على التصرف. قال النبهاني: " وممن صرح بذلك قطب الإرشاد سيدي عبدالله بن علوي الحداد، فإنه قال رضي الله تعالى عنه : " الولي يكون اعتناؤه بقرابته واللائذين به بعد موته أكثر من اعتنائه بهم في حياته ؛ لأن في حياته كان مشغولاً بالتكليف وبعد موته طرح عنه الأعباء وتجرد ".(2) وقال المالكي : " نعم الميت ينفع الحي ، فقد ثبت أنهم يدعون للأحياء ويشفعون لهم . قال الإمام عبد الله بن علوي الحداد رضي الله عنه ، ونفعنا به : " إن الأموات أكثر نفعاً للأحياء منهم لهم ،

(١) كشف الشبهات (٦٦ - ٦٩) من ضمن مجموع نقض القبورية .

(٢) شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق (١٥٠).

لأن الأحياء مشغولون عنهم بالرزق ، والأموات تجردوا عنده ولا لهم هم إلا فيما قدموه من الأعمال الصالحة لا تعلق لهم إلا بذلك كالملائكة ". [1]

فالقبورية يرون تصرف الولي إذا أصبح تحت أطباق الثرى أكثر تـصرفاً منـه في حياته، فهو يغيث المستغيثين، ويغفر الذنوب ويستر العيوب. قال الكوثري : " إن الولي في الدنيا كالسيف في الغمد، فإذا مات تجرد، فيكون أقوى بالتصرف ".[2]

ولهذا تكلم بعض القبورية عن أرواح الأنبياء والشهداء وكيف أن لها التـصريف التام لأهل الدنيا " أرواح الشهداء تكون في حواصل طير خضر في الجنة، ويكـن لهـا التصريف التام في الدنيا بالنفع ... إلى أن قال : ... أما الصديقون والنبيون فهم أعلـى من الشهداء درجة، فيجوز كذلك طلب الخير منهم إذ أن حيا م كاملة وتصريفهم تام ، وتكون زيار م للاستمداد والاستغاثة ".[3]

وعلى هذا فالقبورية اتفقوا على أن الأموات يتصرفون وهم في قبورهم للأحيـاء يغيثون الملهوف، ويجيبون الدعاء، ويتصرفون وهم أموات أشد وأعظم من تـصرفهم في حيا م ، قال المالكي: " ولاشك أن الأرواح لها من الانطلاق والحرية ما يمكنها مـن أن تجيب من يناديها وتغيث من يستغيث ا، كالأحياء سواء بسواء، بل أشد وأعظم"[4] ، بل وصل الحد ببعضهم إلى أن جعلوا الولي أسرع إجابة من الله - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً. قال محمود شكري الألوسي:"حيث إنني سمعت عن بعضهم أنه قال : الـولي أسرع إجابة من الله عز وجل ".[5]

---

(١) الأجوبة الغالية في عقيدة الفرقة الناجية (٧٢).

(٢) إرغام المريد (٢٨).

(٣) كرامات الأولياء (٥٣).

(4) مفاهيم يجب أن تصحح (١٧٤)

(٥) روح المعاني (١١/٢٤).

الرد على هذه الشبهة :

إن الافتراء على الله تعالى، والقول على الله عز وجل من غير علم أكبر كبائر الذنوب، قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف : ٣٣] ، فجعل الله القول عليه من غير علم أعظم الذنوب وأخطرها. فهل الله عز وجل أعطى نبيه والأنبياء من قبله والأولياء والصالحين القدرة على التصرف ، فهل عندكم من برهان وبينة على ما تقولون ؟ قال تعالى : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴾ [فاطر:٤٠] . فالأنبياء والأولياء لم يخلقوا شيئاً، ولم يجعل لهم الله شراكه في السموات، ولم يعطهم كتاباً منه بأن لهم التصرف في الكون، بل القول بتصرف الأولياء بالكون مبني على أقيسة فاسدة، وعقائد دخيلة. قال الشيخ عبد اللطيف: "وهذه الدعوى- وهي الطلب من الأموات ما يطلب منهم في الحياة – دعوى كبيرة غليظة – ليست كغيرها من الدعاوي فيحتاج مدعيها إلى ما يثبتها من الأدلة الشرعية، والقوانين المرضية والسيرة السلفية، وأما المقاييس الفاسدة فلا تفيد هنا، وقد قال بعض السلف: ما عبدت الشمس والقمر إلا بالمقاييس، وهذا كتاب الله من أوله إلى آخره، وهذه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسيرة الخلفاء الراشدين المهديين، وأهل القرون المفضلة، أي آية وأية سنة، وأي عالم من أهل القرون المفضلة، قال ذا، أو ذهب إليه ".[(1)] بل هذه الدعوى أن الأموات لهم تصرفات في الحياة وبعد الممات يردها قول الله عز وجل : ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ [الأعراف : ٥٤] ، وقـول الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾ [آل عمران: ١٠٩]، وقوله

(١) مصباح الظلام (٢٥٢ ، ٢٥٣).

سبحانه وتعالى: ﴿ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [البقرة : ١٠٧]، يردها قول الله تعالى الذي نفى الخلق لغيره ، ونفى الملك عن غيره ، قال تعالى : ﴿ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ [فاطر : ٤٠] ، وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ﴾ [فاطر : ١٣] يردها قـــول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ [الأعراف : ١٩٤]، ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ﴾ [الأعراف : ١٩٧] يردها ما قرره الله تعالى من أن الأنبياء والمرسلين لا يملكون خزائن الله ولا يعلمون الغيب ، بل يتبعون ما أنزل الله عليهم، قال الله تعالى : ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام : ٥٠]. يردها ما ذكر الله عن الأنبياء والمرسلين ، وأ م يتوبون إلى الله ويستغفرونه وينـزهونه، وإ م يبلغون شرع الله تعالى، وأن شهاد م على الناس عندما كانوا أحياء فلما ماتوا انقطعوا عن الدنيا وأهلها ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ١١٦ مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴾ [المائدة : ١١٦ ، ١١٧]، بل إن الله تعالى أمر نبيه أن يخبر الناس أنه لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ولا يعلم الغيب . قال تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ ﴾ [الأعراف : ١٨٨] ، وقـال تعالى: ﴿ أَفَمَنۡ حَقَّ عَلَيۡهِ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ ﴾ [الزمر : ١٩]. ولهذا

بين النبي عليه الصلاة والسلام أنه لا يملك من الأمر من شيء، ولا ينقذ من حق عليه العذاب، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قام فينا النبي صلى الله عليه وسلم فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره ، فقال : " لا ألفين أحدكم يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء، وعلى رقبته فرس لها حمحمة، يقول يا رسول الله أغثني ، فأقول : " لا أملك لك شيئاً قد بلغت ... ".(1)

وقوله لأقربائه: لا أغني عنكم من الله شيئاً. ففي حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل الله : ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٤] قال : " يا معشر قريش أو كلمة نحوها – اشتروا أنفسكم... لا أغني عنكم من الله شيئاً يا بني عبد مناف : لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب : لا أغني عنكم من الله شيئاً ، ويا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئا ".(2)

فأين هؤلاء القبورية المستغيثون بالأموات الذين يدعون أن لهم التصرف في الحياة والممات من هذه الأحاديث أين القبوريون الذين سودوا كتبهم وطبقا م نثراً وشعراً من اللجوء إلى الأنبياء والأولياء، أين هؤلاء القبورية الذي حفظوا الأتباع قصيدة البردة، ورددوها في مناسبتهم وموالدهم، وفيها من الاستغاثة برسول الله عليه الصلاة والسلام، وهو يقول : يا فاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئاً. وهو الذي يقول الله له : ﴿ لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ ﴾ [آل عمران : ١٣٨] ، فكيف بمن هو دونه من الأموات، بل إن النبي عليه الصلاة والسلام سأل ربه أشياء فأجابه بعضها ومنعه بعضها،

---

(١) رواه البخاري كتاب الجهاد والسير ، باب الغلول، برقم (٣٠٧٣) ، ومسلم برقم (١٨٣١).
(٢) رواه البخاري، كتاب الوصايا ، باب هل يدخل النساء والولد في الأقارب برقم (٢٧٥٣، ٣٥٢٧، ٤٧٧١) ومسلم برقم (٢٠٦).

فقد ورد في حديث عامر بن سعد عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل ذات يوم من العالية حتى مر بمسجد بني معاوية دخل فركع ركعتين ، وصلينا معه ودعا ربه طويلاً، ثم انصرف إلينا، فقال صلى الله عليه وسلم: "سألت ربي ثلاثاً فأعطاني ثنتين، ومنعني واحدة، سألت ربي أن لا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها، وسألته أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها"[1] فكيف يقول القبورية أن الأموات يتصرفون في قبورهم.

الشبهة الثانية : أن التوسل والاستغاثة بمعنى واحد :

القبورية يخلطون بين مفهوم التوسل والاستغاثة وغيرها فيلبسون على الناس، والذي تولى كبر هذه الشبهة هو تقي الدين السبكي فبوب باباً بعنوان (التوسل والاستغاثة والتشفع بالنبي صلى الله عليه وسلم)،[2] ثم قرر أنها بمعنى واحد ، إذا قال: " ولا فرق في هذا المعنى بين أن يعبر عنه بلفظ التوسل ، أو الاستغاثة ، أو التشفع ، أو التجوه[3] ".[4]

وقال : " فصار لفظ الاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم له معنيان :

أحدهما : أن يكون مستغاثاً.

والثاني : أن يكون مستغاثاً به ، والباء للاستغاثة فقد ظهر جواز إطلاق الاستغاثة والتوسل جميعاً ".[5]

ثم تبع السبكي بقية ركب القبورية في هذا التقرير.

---

(١) رواه مسلم برقم (٢٨٩٠).
(٢) شفاء السقام (١٧١).
(٣) قول القائل بجاه النبي ، انظرشفاء السقام (١٧٣).
(٤) شفاء السقام (١٧٣).
(٥) المصدر السابق (١٨٨١).

قال القسطلاني : " واعلم أن الاستغاثة هي طلب الغوث ، فالمستغيث يطلب من المستغاث به أن يحصل له الغوث منه، فلا فرق بين أن يعبر بلفظ الاستغاثة أو التوسل أو التشفع أو التجوه أو التوجه، لأ ما من الجاه والوجاهة ".(1)

الرد على هذه الشبهة :

أولاً : مادام أن هناك من الناس من يستغيث بالأموات كما يستغيث بالله تعالى فالواجب على الناصح العالم ، أن يفصل ولا يجمل، ويبين ولا يخلط ، وهذا من الأمور المعلومة في الشريعة ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ [البقرة : ١٠٤]. قال القرطبي رحمه الله تعالى : " في هذه الآية دليلان : أحدهما على تجنب الألفاظ المحتملة، والدليل الثاني : التمسك بسد الذرائع وحمايتها ".(2)

فعلى هذا فالألفاظ المحتملة يجب أن ترد إلى الألفاظ المحكمة، فكيف إذا كان التوسل له معنى ، والاستغاثة لها معنى ، فالتوسل سؤال الله تعالى متوسلاً إليه باسم من أسمائه أو صفة من صفاته أو عمل صالح أو بدعاء رجل صالح فالتوسل سؤال لله تعالى، أما الاستغاثة فهي طلب الغوث من المستغاث به، ولذلك لم يسم أحد من الأمم التوسل استغاثة. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " ولم يسم أحد من الأمم هذا – أي التوسل استغاثة - فإن الاستغاثة به طلب منه لا طلب به ".(3)

إن مادة التوسل من ناحية التركيب اللغوي لا تتعدى إلا بالحرف كقولك: توسلت بفلان إلى فلان، ومثله تشفعت به وتوجهت به.

وأما مادة الاستغاثة فإنها تتعدى بنفسها وبالحرف وكلاهما واحد فنقول : استغاثة، واستغاث به وكلا المعنيين طلب الغوث من المستغاث به، فظهر الفرق بين

---

(١) المواهب اللدنية (٤١٧/٣) ، وانظر الدرر السنية (١٤).

(٢) تفسير القرطبي (٥٧/٢) بتصرف .

(٣) الاستغاثة في الرد على البكري (٣٦٦/١).

التوسل والاستغاثة ،[1] هذا من ناحية اللغة .

وأما من ناحية واقع الناس، فإن الناس يفرقون بين التوسل والاستغاثة حتى عـوام الناس، فالذي يقول أتوسل بالنبي أو الولي أو الرجل الصالح يعلم علم اليقين أن التوسـل غير الاستغاثة. قال الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب في التفريق بـين التوسـل والاستغاثة : " فالعامة الذين يتوسلون في أدعيتهم بالأنبياء والصالحين كقول أحـدهم : أتوسل إليك بنبيك أو بملائكتك أو بالصالحين أو بحق فلان وغير ذلك مـا يقولونـه في أدعيتهم، يعلمون أ م لا يستغيثون ذه الأمور ولا يسألو ا ولا ينادو ا ، فإن المستغيث بالشيء طالب منه سائل له، والمتوسل به لا يدعوه ولا يطلب منه ، ولا يـسأله وإنمـا يطلب به، وكل أحد يفرق بين المدعو به وبين المدعو والمستغاث، ولا يعرف في لغة أحد من بني آدم أن من قال: أتوسل إليك برسولك أو أتوجه إليك برسولك، فقد استغاث به حقيقة، فإ م يعلمون أن المستغاث به مسئول مدعو فيفرقون بين المسئول وبين المـسئول به، سواء استغاث بالخالق أو المخلوق ".[2]

ثم إن الاستغاثة إذا كانت بنداء للمستغاث به لا تكون إلا طلباً منه، ولا تكـون توسلاً. قال الألوسـي رحمه الله : " فإن من يقول صار لي ضيق فاستغثت بـصاحب القبر فحصـل الفرج يدل دلالـة جلية على أنه طلب الغوث منه، ولم يفد كلامه أنـه توسل به".[3]

وأما من ناحية الحكم ؛ فالتوسل بالأموات يختلف عن الاستغاثة م، فمن توسل بالأموات فقد سأل الله بجاه الأموات أو بحقهم؛ فهو يقول : أسألك بجاه محمد صلى الله عليه وسلم أو بحقه أو بحق أوليائه. وأما المستغيث فهو يستغيث ويطلب الغوث فيقول : يا محمد أغثني، اغفر ذنبي ، واشف مريضي ، واهدي قلبي ، وعلى هذا فالمتوسل مبتدع ووقع ببدعة عظيمة، وأما المستغيث فقد وقع بالشرك الناقل عن الملة، نسأل الله العافية .

---

(١) انظر: الكشف المبدي في الرد على السبكي (٢٦٠).

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل (٧٠/١).

(٣) غاية الأماني (٣٢٩/١).

قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب : " واعلم أن التوسل بذات المخلوق أو بجاهه غير سؤاله ودعائه ، فالتوسل بذاته أو بجاهه أن يقول : اللهم اغفر لي ، وارحمني، وأدخلني الجنة بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم ، أو بجاه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك ، فهذا بدعة ليس شركاً وسؤاله ودعاؤه هو أن يقول : يا رسول الله أسألك الشفاعة ، وأنا في كرب شديد ، فرج عني ، واستجرت بك من فلان فأجرني ونحو ذلك، فهذا كفر وشرك أكبر ينقل صاحبه من الملة ؛ لأنه صرف حق الله لغيره؛ لأن الدعاء عبادة لا يصلح إلا لله ، فمن دعاه فقد عبده، ومن عبد غير الله فقد أشرك، والأدلة على هذا أكثر من أن تحصر، وكثير من الناس لا يميز ولا يفرق بين التوسل بالمخلوق أو بجاهه، وبين دعائه وسؤاله فافهم ذلك ". (1)

وبذلك يعلم الفرق الكبير بين الاستغاثة والتوسل من ناحية اللغة والتركيب ، ومن ناحية الحكم، فالبون شاسع والفرق كبير، ومن تأمل في أحوال القبورية ونظر في كتبهم وما سموه توسلاً وجده استغاثة بالأموات ولجوءاً إليهم .

الشبهة الثالثة: جواز الاستغاثة بالأموات؛ لأن الاستغاثة نداء والنداء جائز للحي والميت.

ثم قرروا هذه الشبهة بما ورد من النداء للنبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته من الصحابة وغيرهم ، ولم ينكر أحد على أحد، واستدلوا على هذه الشبهة بما يلي :

١- أن بلال بن الحارث رضي الله عنه ذبح شاه عام القحط المسمى عام الرمادة، فوجدها هزيلة ، فصار يقول : وامحمداه .(2)

٢- أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لما قاتلوا مسيلمة الكذاب كان شعارهم وامحمداه ، وامحمداه .(3)

---

(١) الدرر السنية (٥٣/١٢).

(٢) الدرر السنية (٣٧)، وشواهد الحق (١٧٥).

(٣) الدرر السنية (٣٧) ، وشواهد الحق (١٧٣)، مفاهيم يجب أن تصحح (١٤٧).

٣- آثار خدر الرجل، حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، خدرت رجله مره فقيل له اذكر أحب الناس إليك قال : محمد ، فذهب ضرره،[1] وكذلك ما ورد عن ابن عباس أنه قال لرجل خدرت رجله : أذكر أحب الناس إليك قال : محمد ، فـذهب ضرره.

٤- قول أبي بكر : " اذكرنا يا محمد عند ربك ولنكن مـن بالـك ".[2] وفي رواية الإمام أحمد فقبل جبهته ثم قال : وانبياه ثم قبلها ثانياً ، وقال : واصفياه ثم قبلـها ثالثاً ، وقال : واخليلاه.

٥- مرثية صفية رضي الله عنها :

ألا يا رسول الله كنت رجاءنا وكنت بنا براً ولم تكن جافيا.[3] [4]

الرد على هذه الشبهة يتضمن أمرين :

الأمر الأول : إطلاق القبورية على أن النداء جائز على إطلاقه ، وبما أن النـداء للأموات والجمادات جائز فالاستغاثة بهم جائزة، وهذا تلبيس عظيم من القبورية، أرادوا منه تنفير الناس عن الحق ودعاته، وتهوين الشرك بالله تعالى، وتسويغ الاستغاثة بغـير الله تعالى، بدعوى أن الاستغاثة نداء، والنداء جائز، وأي شرك فيه وأن كل ما في الأمر أنـه نداء لا يتضمن أي معنى من معاني العبادة، ، قال بعض القبورية : " وأما شبهتهم في المنع من النداء- أي نداء الأموات – فقالوا أن النداء والخطابـات للجمـادات والغـائبين ، والأموات من الشرك الذي يباح به الدم والمال، ولا حجة لهم في ذلك ".[5]

والسلف الصالح لا يحرمون نداء الأحياء بعضهم لبعض ، ولا يحرمون الاستغاثة بالحي الذي يقدر على الإغاثة، ولا يحرمون طلب الدعاء من الأحياء، فهذا كله مما ليس في محل النـزاع إنما الذي يحرمه سلف الأمة ويعتبرونه شركاً هو النـداء الـذي بمعـنى

---

(١) الدر السنية (٣٥) ، مفاهيم يجب أن تصحح (١٤٧).
(٢) الدر السنية (٣٦) ، وشواهد الحق (١٧٤).
(٣) الدر السنية (٢٩) ، وشواهد الحق (١٧٤).
(٤) وانظر أطروحة شبهات المبتدعة في توحيد العبادة (٣٥٠ ، ٣٥١).
(٥) حقيقة التوسل والوسيلة (١٢٤).

الاستغاثة وطلب الغوث من المخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله ، كالاستغاثة بـالأموات ونداؤهم طلباً للغوث، ثم أن ما توهمه القبورية في بعض الأحاديث أنه نداء للأموات هو أصلاً ليس من النداء في شيء كقول فاطمة رضي الله عنها : " يا أبتاه أجاب رباً دعاه ، يا أبتاه من جنة الفردوس مأواه يا أبتاه إلى جبريل ننعاه ".[1] وكـذلك مـا ورد عن أبي بكر الصديق : " بأبي أنت يا نبي الله ... ".[2] وكذلك قول النبي عليـه الـصلاة والسلام في وفاة ابنه : " وإنا على فراقك يا إبراهيم لمحزونون " فهذا ليس بنداء أصلا إنما هو ندب للميت وعلى فرض أن الياء هنا للنداء، فالنداء قد يراد به غير المنـادى . قـال الحافظ رحمه الله : " وفيه وقوع الخطاب للغير وإرادة غيره ".[3] فليس في هذا اسـتغاثة بالأموات، وحاشا النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وآل بيته الأطهـار أن يـستغيثوا بالأموات، وبذلك يتبين أن (ياء) النداء تختلف عن ياء الندب في هذه الأحاديث، وحتى لو كانت ياء نداء فالنداء قد يقصد به خطاب الغير كقـول النبي صلى الله عليه وسلم : " يا أرض ربي وربك الله ".[4]

وكذلك قول المصلي في صلاته: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاتـه ، ليس في هذا استغاثة بالنبي عليه الصلاة والسلام، وإنما هو إتباع للنبي صلى الله عليه وسلم في هديه في الصلاة ، ثم إن الإنسان يخاطب من يتصوره في نفسه ولو لم يكن حاضـراً ، وليس في ذلك معنى من معاني الاسـتغاثة، قال شـيخ الإسـلام ابن تيمية رحمه الله: "والمسلمون يقولون السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، ولـيس هـو حاضـر عندهم، ولكنه حاضر في قلوبهم ".[5]

أما قول السلف بأن الدعاء هو النداء وأن معناهما واحد فهذا مقتـضي دلالـة

---

(١) أخرجه البخاري ، كتاب المغازي، باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ، برقم (٤٤٦٢) من حديث أنس ابن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري ، باب الدخول على الميت برقم (١١٨٤).

(٣) فتح الباري (١٧٤/٣).

(٤) جزء من حديث عند ابن خزيمة ، من حديث عبد الله بن عمر ، باب صفة الدعاء بالليل بالأسفار، برقم (٢٥٧٢) قال ابن خزيمة حديث صحيح.

(٥) منهاج السنة النبوية (٣٦٨/٣).

نصوص القرآن الكريم ، كقول الله تعالى : ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة:١٧١] ، وكذلك ما دل عليه قول الله تعالى : ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ ﴾ [الأنبياء: ٧٦]. وفي الآية الأخرى ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴾ [القمر:١٠] ، فسمى الله تعالى النداء دعاء.(1)

وكذلك في قول الله عن زكريا عليه السلام : ﴿ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴾ [مريم:٣] ، فالنداء والدعاء بمعنى واحد وهما مترادفان، لكن السلف لا يمنعون من نداء الأحياء بعضهم لبعض ، ولا الاستغاثة بالحي فيما يقدر عليه، فهذا سواء سمي نداءً أو استغاثة فهو جائز، أما قول القبورية أن نداء الأموات جائز؛ لأن النداء غير الدعاء، "إن هذا الطلب والسؤال الذي يصرف لغير الله ليس دعاءً بل هو نداء ".(2) وهذا قول سامج لا قيمة له ولا يستحق الرد لولا ترويج القبورية له وتلبيسهم على العوام .

ثانياً : الرد على الاستدلال بهذه الآثار :

أولاً : ما روي عن بلال بن الحارث رضي الله عنه أنه لما ذبح شاه عام القحط المسمى عام الرمادة، فوجدها هزيلة، فصار يقول: وامحمداه وامحمداه.(3) وللأسف أن أحمد زيني دحلان لما استدل بهذه القصة قال : " وصح عن بلال بن الحارث" ، فكيف يكون صحيحاً وهو من رواية سيف بن عمر ، وسيف بن عمر أجمع المحدثون على تضعيفه، ولكنه من تلبيس القبورية. (4)

---

(١) انظر: القول الفصل والنفيس (٢٩ ، ٣٠).
(٢) المصدر السابق قول ابن جرجيس (٢٩).
(٣) تاريخ الطبري (٢/ ٥٩).
(٤) انظر: هذه مفاهيمنا (٦٤ ، ٦٥).

ثانياً : إن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لما قاتلوا مسيلمة كـان شـعارهم وامحمداه ، وامحمداه ".[1]

وكذلك هذه القصة مظلمة السند، وهي من رواية سيف بن عمر الذي أجمـع المحدثون على تضعيفه؛ إذ يروى عن خلق كثير من المهولين، فهو دليل ساقط.[2]

ثالثاً : آثار خدر الرجل ، عن الهيثم بن خنيس قال : " كنا عند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فخدرت رجله فقال له رجل : اذكر أحب الناس إليك، فقـال : يـا محمد، فكأنما نشط من عقال. وهذا الحديث نقله المالكي من أحمد زيني دحلان بـالمعنى. وهذا الحديث حديث ضعيف لا تقوم به حجة .[3]

وأما حديث ابن عباس رضي الله عنهما في خدر الرجل فقد ذكره ابن السني في عمل اليوم والليلة ، وهو حديث موضوع .[4]

رابعاً : قول أبي بكر رضي الله عنه : " اذكرنا يا محمد عند ربك ولـنكن مـن بالك". هذا اللفظ لم يثبت عن النبي عليه الصلاة والسلام ، ولم أجده في كتب الحديث، وقد قال السهسواني رحمه الله : " وظاهرة – أي اللفظ – مشكل، فإن فيه نـداء مـع الطلب من الميت وهو غير جائز عندنا، والجـواب هو الكلام في ثبوت هذا اللفظ، فإني

---

(١) البداية والنهاية (٣٢٤/٦) ، وتاريخ الطبري (٢٨١/٢).

(٢) هذه مفاهيمنا (٦٥).

(٣) انظر: الكلم الطيب بتخريج الألباني (١٧٣).

(٤) انظر: المصدر السابق (١٧٤) ، وانظر: في تخريج الحديث والحكم عليهما أطروحة شبهات المبتدعة في توحيد العبادة (٣٤٦ – ٣٤٩).

لا أعلم أحداً رواه بسند صحيح أو حسن خال من العلة ، إنما ذكره صاحب المواهـب بلا سند إلى أن قال رحمه الله : ... بل هناك قرينة تدل على أنه ليس من كلام الصديق ، وهي أن الله تعالى حرم على الأمة نداءه باسمه ، قال تعـالى : ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ ﴾ [النور : ٦٣] أي لا تجعلوا دعاءه وتـسميته كنـداء بعضكم بعضاً باسمه ورفع الصوت به والنداء له من وراء الحجرات، ولكن قولـوا : يـا رسول الله ، يا نبي الله مع التوقير والتواضع وخفض الصوت، فكيف يقول أفضل الأمـة بعد الرسول يا محمد "[1].

ومن علامات وضع هذه اللفظة أن دخول أبي بكر على الـنبي عليـه الـصلاة والسلام عليه رواه جم غفير من الناس ، ولم يذكروا هذه اللفظة، ومن علامات وضعها انه قال : " اللهم فأبلغه عنا " ، فإذا سأل أبو بكر ربه أن يبلغ نبيه ، فكيف يقول بعدها: " اذكرنا يا محمد عند ربك " . وهل هذا إلا عكس ما قبله وعلامات الوضع في هـذه اللفظة كثيرها من ناحية المتن، فكيف إذا عرفنا أ ا من رواية سيف بن عمر من أجمـع المحدثون على تضعيفه .[2]

خامساً : مرثية صفية رضي الله عنها :

آلا يا رسول الله كنت رجاءنا وكنت بنا براً ولم تكن جافياً[3]

وهذه الرواية - رواية منقطعة مرسلة، فعروة ولد بعد وفاة الرسول بتسعة عـشر عاماً، فإنه ولد عام ٢٩هـ كما في التهذيب ،[٤] فإذا كانت روايته عن أبيـه مرسـلة فكيف روايته عن أم أبيه في قصة وفـاة الرسول صلى الله عليه وسلم التي ولد بعدها

(١) صيانة الإنسان (٣٨٩، ٣٩٠).
(٢) انظر: مصباح الظلام (٢١٢- ٢١٤).
(٣) المعجم الكبير (٣٢٠/٢٤).
(4) ذيب الكمال (٢٢/٢٠).

بتسع عشرة سنة ؟ فهي رواية منقطعة مرسلة .

ثم إن هذا البيت ليس من الاستغاثة في شيء مع الضعف والانقطاع ففيها :

ألا يا رسول الله كنت رجاؤنا وكنت بنا براً ولم تكن جافياً

أي إننا كنا نرجو بركتك ورحمتك وشفقتك عندما كنت حياً يدل عليها قولها : "وكان بنا براً رحيماً نبينا " ، فليس فيها معنى الاستغاثة ولا معنى النداء.[1]

الشبهة الرابعة : الاستدلال بالحكايات على جواز الاستغاثة بالأموات :

استدل القبورية على جواز الاستغاثة بالأموات بحكايات كثيرة، سودت ا كتب تراجمهم وطبقا م، إذ امتلأت كتب تراجم الصوفية[2] بعدد كبير من الحكايات التي تدل على إجابة الأموات لاستغاثات المستغيثين. وقد بوب النبهاني باباً للاستدلال بالحكايات على جواز الاستغاثة بالأموات في كتابه (شواهد الحق).[3]

الرد على هذه الشبهة :

أعيت نصوص الكتاب والسنة القبورية من تقرير ما ذهبوا إليـه مـن جـواز الاستغاثة بالأموات، فهبوا إلى الحكايات التي ليس لها خطام ولا زمام، فخالفوا ا ما هو معلوم من الدين بالضرورة، وهذه الحكايات أرى أن سقوطها يغني عن إسقاطها وبطلا ا يكفي عن إبطالها، وإذ كنا لا نرضى بالآثار المنسوبة للنبي صلى الله عليه وسلم في مسائل العقيدة والعبادات ومسائل الشرع عموماً إلا بعد التثبت منها، فكيف بمن هو دون النبي عليه الصلاة والسلام، ثم إن الحكاية تعرض على نصوص الكتاب والسنة، فإن خالفتـها وصادمتـها رفضـت رفضاً قاطـعاً، ورفض كل من يروج لها ، يقول شيخ الإسـلام ابن تيمية : " ولهذا قال الأئمة لو رأيتم الرجل يطير في الهواء ، أو يمشي على المـاء فـلا

---

(١) انظر : صيانة الإنسان (٢٨١ ، ٢٨٦).

(٢) انظر : طبقات الصوفية للشعراني ، الجامع لكرامات الأولياء ، النبهاني وطبقات الصوفية للمناوي.

(٣) انظر : شواهد الحق (من ٢٩٩ – ٣٣٣).

تغتروا به حتى تنظروا وقوفه عند الأمر والنهي " .[1]

ثم إن هذه الحكايات التي يروج لها القبورية، كشف الله زيفها على أيدي علماء النصوص - نصوص الكتاب والسنة-. يقول ابن الجوزي : " وقد لبس إبليس على قوم من المتأخرين فوضعوا حكايات في كرامات الأوليـاء ليشيدوا بزعمهم أمر القوم، والحق لا يحتاج إلى تشييد بباطل فكشف الله تعالى أمرهم بعلماء النقل ".[2]

وسرد الحكايات والقصص يقدر عليها كل أحد حتى اليهود والنصارى والزنادقة الذين يريدون أن يضعوا في دين الإسلام ما ليس منه فالحكايات لا تفيد شـيئاً؛ لأن الله تعالى لم يتعبدنا بها، وهذه الحكايات صارت طريقاً لإضلال عباد الله تعالى . قال شـيخ الإسلام: " وعند المشركين عباد الأوثان ومن ضاهاهم من النصارى ومبتدعة هذه الأمة في ذلك من الحكايات ما يطول وصفه، فإنه ما من أحد يعتاد دعاء الميت والاستغاثة بـه نبياً كان أو غير نبي ، إلا وقد بلغه من ذلك ما كان من أسباب ضلالة".[3]

وخلاصة الأمر : أن أصحاب هذه الحكايات بحكايـاتهم هـذه قـصدوا أو لم يقصدوا إنما رجحوا الأدعية البدعية والاستغاثات الشركية على أدعية المؤمنين واستغاثات المخلصين الذين يستغيثون برب العالمين. حتى وصل الأمر ببعضهم بجعل دعاء الأمـوات أفضل من دعاء الله . قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى : " والذين يجعلون دعاء المـوتى والأنبياء والأئمة والشيوخ أفضل من دعائهم الله تعالى أنواع متعددة؛ منهم مـن يقـدم دعاءهم، ومنهم من يحكي أنواعاً من الحكايات ، مثل حكاية أن بعض المريدين استغاث بالله فلم يغثه، فاستغاث بشيخه فأغاثه، وحكاية أن بعض المأسورين في بلاد العدو دعـا الله تعالى فلم يخرجه، فدعا بعض المشايخ الموتى فجاءه فأخرجـه إلى بـلاد الإسـلام، وحكاية أن بعض الشيوخ قال لمريده : إذا كانت لك حاجة فتعال إلى قـبري ، وآخـر قال: فتوسل بي، وآخر قال : قبر فلان ترياق مجرب. فهؤلاء وأشباههم يرجحون هـذه

---

(١) الفتاوى (٨٣/١) .

(٢) تلبيس إبليس (٤٦٢/١).

(٣) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (٣٠).

الأدعية الشركية على أدعية المخلصين مضاهاة لسائر المشركين ، وهؤلاء تتمثل لكـثير منهم صورة شيخه الذي يدعوه، فيظنه إياه، أو ملكاً على صورته، وإنما هو شيطان أغواه كما قد بسط في موضعه. ومنهـم من إذا نزلت به شدة لا يدعو إلا شيخه، ولا يذكر إلا اسمه قد لهج به كما يلهج الصبي بذكر أمه ، فيتعسر أحدهم فيقول : يا فلان . وقـد قال الله تعالى للموحـدين : ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾ [البقرة : ٢٠٠]" [1]، فهذه أحوال أصحاب الحكايـات في ضـلالهم وإضلالهم للإتباع وإضلال الشياطين لهم.

(1) الاستغاثة (٢/ ٦٧٧).

الفصل الرابع

مفهوم الشفاعة وشبهات القبورية فيها

ويتضمن ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : الشفاعة عند السلف.

المبحث الثاني : الشفاعة عند القبورية.

المبحث الثالث : شبهات القبورية في الشفاعة والرد عليها.

المبحث الأول

الشفاعة عند السلف

أولاً : معنى الشفاعة : تأتي بمعنى الطلب :

قال ابن منظور : "شفع لي ، يشفع شفاعة، وتشفع : طلب"(1)

وتأتي بمعنى الدعاء ، وتأتي بمعنى التوسط في قضاء حاجة المحتاج لدى من هي عنده قال الأزهري: "الشفاعة الدعاء، وتأتي كلام الشفيع للملك في حاجة يسألها لغيره، وشفع إليه في معنى طلب إليه، والشافع الطالب لغيره يشفع به إلى المطلوب، يقال تشفعت بفلان إلى فلان فشفعني"(2) .

وسميت الشفاعة بذلك؛ لأن طالب الحاجة كان منفرداً في الأول، ثم لما أنظم إليه الشافع شفعه.

قال ابن منظور: "الشفع ضد الوتر، وهو الزوج، تقول وتراً فشفعه شفعاً"(3).

والشفاعة تدور في اللغة حول الطلب والدعاء والتوسط في قضاء الحوائج بين المشفع والمستشفع.

وكذلك هي في الشرع كما دل عليه قول الله تعالى : ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ ﴾.[النساء:٨٥].

فالذي يشفع عند أرباب الحاجات للمحتاجين يعتبر عمله طيباً ويؤجر عليه كما قال عليه الصلاة والسلام: "اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله علي لسان رسوله ما شاء"(4).

---

(١) لسان العرب (١٨٤/٨).

(٢) ذيب اللغة (٢٧٨/١).

(٣) لسان العرب (١٨٣/٨). وانظر: مختار الصحاح (١٤٤).

(٤) رواه البخاري، كتاب الزكاة ، باب التحريض على الصدقة برقم (١٤٣٢، ٦٠٢٧، ٦٠٢٨، ٧٤٧٦) ومسلم برقم (٢٦٢٧).

قال النووي: رحمه الله تعالى : " فيه استحباب الشفاعة لأصحاب الحوائج المباحة ، سواء كانت الشفاعة إلى سلطان ووال ونحوهما، أو إلى واحد من الناس، سواء كانت الشفاعة إلى سلطان في كف ظلمٍ، أو إسقاط تعزيز ، أو في تخليص عطاء إلى محتـاج ، أو نحـو ذلك"[1].

ومن هذا ما ورد عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم : "ما من ميت يصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يشفعون له إلا شفعوا فيه"[2] .

قال ابن الأثير : " قد تكرر ذكر الشفاعة فيما يتعلق بأمور الدنيا والآخرة، وهي السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم بينهم ، يقال شفع يشفع شفاعة فهـو شـافع، شفيع، والمشفّع الذي يقبل الشفاعة والمشفع الذي تقبل شفاعته"[3] وبـذلك يتـبين أن الشفاعة في اللغة والشرع بمعنى واحد .

ثانياً : أقسام الشفاعة عند السلف :

مما سبق يتبين أن الشفاعة في هذه الدنيا تنقسم إلى شفاعة حسنة وشفاعة سـيئة، فالشفاعة الحسنة هي الشفاعة لأصحاب الحوائج، سواء كانت هذه الحوائج مباحـة أو مستحبه، أو كان في هذه الحاجة رفع لظلم أو إيصال حق إلى صاحبة، وشفاعة سيئة إذا كانت في أمر محرم كالذي يشفع عند السلطان في تعطيل الحدود، أو نشر المنكـرات إلى غير ذلك، وعلى ذلك فيجوز للمسلم طلب الشفاعة الحسنة ممن يستطيع عليها في الحياة الدنيا سواء كانت الشفاعة بمعنى التوسط أو بمعنى الدعاء؛ لأن الناس في دار التكليـف، ويقدرون على الإجابة، وقد أذن الله تعالى لهم بالشفاعة، ولهذا فإن الصحابة طلبوا مـن النبي عليه الصلاة والسلام في حياته أن يشفع لهم بمعنى أن يدعوا له.

---

(١) شرح النووي لمسلم (١٦/ ١٧٧، ١٧٨).

(٢) مسلم برقم ٩٤٧

(٣) النهاية (٤٨٥/٢). وانظر: لسان العرب (١٨٤/٨).

كما أمر النبي عليه الصلاة والسلام بالشفاعة بمعنى التوسط لقضاء الحوائج بقوله "اشفعوا تؤجروا .... " [1].

وهذا فيما يتعلق بالشفاعة في الدنيا.

أما الشفاعة في الآخرة، فقد قسمها السلف الصالح رضوان الله تعالى إلى قسمين شفاعة منفية ، وشفاعة مثبتة ، بحسب دلالات نصوص الكتاب والسنة.

أولاً: الشفاعة المنفية:

هي الشفاعة التي نفاها الله تعالى عن أهل الإشراك، وقد دلّ على هذه الشفاعة آيات كثيرة من كتاب الله تعالى قال الله عز وجل :

﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴾ [البقرة : ٤٨] ، وقول الله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٣] ، وقوله تعالى : ﴿ مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٥٤].

وهذه الشفاعة المنفية هي التي نفاها الله تعالى عن أهل الإشراك والكفر كما في قوله تعالى: ﴿ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ ﴾ [غافر : ١٨]، قال ابن كثير رحمه الله " ، أي : ليس للذين ظلموا أنفسهم بالشرك بالله من قريب منهم ينفعهم، ولا شفيع يشفع فيهم، بل تقطعت م الأسباب من كل خير"[2] .

إن الشفاعة منفية حتى عن المؤمنين إلا بشروط، كما في قوله تعالى : ﴿ وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ٥١]، والشفاعة التي نفاها الله تعالى في هذه الآية عن جميع الخلائق بما فيهم

(1) سبق تخريجه. (٢٨٧).

(٢) تفسير ابن كثير (٧٦/٤).

الذين يخافون أن يحشروا إلى ر م، وهم أهل الإيمان وأهل التوحيد، فحتى أهل الإيمان نفيت عنهم هذه الشفاعة إلا بشروطها، وذلك لكي لا يتطرق إلى أذهان الخلق أن أحداً من خلقه يملك الشفاعة المطلقة، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ، وذلك لأن الشفاعة ملك لله وحده، قال تعالى: ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَـٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [الزمر : ٤٤].

فالشفاعة المنفية هي الشفاعة من غير إذنه تعالى ، قال سـبحانه: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ ﴾ [البقرة : ٢٥٥].

وعلى ذلك فالشفاعة لا تطلب في الكافر؛ لأ ا لا تنفعه قـال تعـالى : ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَـٰعَةُ ٱلشَّـٰفِعِينَ ﴾ [المدثر :٤٨] ، ولا تطلب من الأصنام ولا الأموات، كمـا قال تعالى : ﴿ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴾[الزمر: ٤٣].

قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب : "أيشفعون ولو كانوا على هذه الصفة كما تشاهدو م جمادات لا تقدر أو أموات كذلك حتى ولا يملكـون الشفاعة"(1).

والشفاعة لا تطلب من الأموات، ولا يقال يا محمد اشفع لي، ولا يا فلان اشفع، إنما تطلب الشفاعة من الله تعالى : "يا ربي شفع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيّ" لأن الشفاعة دعاء، والأموات لا يطلب منهم الدعاء؛ لأ م غابوا عن دار التكليف، والتوجه للأموات وسؤالهم الدعاء شرك أكبر(2).

ولما كان سبب شرك المشركين التعلق بالشفاعة، وأن الشفاعة لمن لـه المنـزلة والجاه عند الله، وأ م يقربون إلى الله تعالى ، قطع الله تعالى أطماع المشركين منها، ونفى ملكها عن أحد من خلقه، وبين تعالى أن هذه الشفاعة لا ينالها مـشرك، قـال الـشيخ

(١) تيسير العزيز الحميد (٢٧٨).

(٢) انظر: التمهيد شرح كتاب التوحيد (٢١٣).

سليمان بن عبد الله بن عبد الوهاب: " قطع الله أطماع المشركين منها وأخبر أنه شرك، ونزه نفسه عن ذلك ، ونفى أن يكون للخلق من دونه ولي أو شـفيع كما قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ (1) [السجدة : ٤].

فقطع الله تعالى مادة الشرك، وأقام الحجج، على أن الشفاعة المطلقة منفية عـن أحد من خلقه تعالى، وأ ا ملك له عز وجل لكي لا تتعلق القلوب إلا به تعالى ولا تتوجه إلا إليه.

ثانياً : الشفاعة المثبتة :

هي الشفاعة التي أثبتها الله تعالى بشروطها ، ويشترط لها شرطان.

الشرط الأول : إذن الله للشافع.

الشرط الثاني : رضى الله تعالى عن المشفوع.

وقد دل على هذين الشرطين أدلة كثيرة من كتاب الله تعالى ، فدل على الشرط الأول قول الله تعالى : ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ﴾ [يونس : ٣].

ودل على الشرط الثاني : ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢٨].

ودل على هذين الشرطين قول الله تعالى : ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَـٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾ [النجم : ٢٦]، وقول الله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلاً ﴾ [طه: ١٠٩] ، والأدلة على هذه الشفاعة كثيرة ، فإذا اختل أحد هذين الشرطين لم تقبل الشفاعة، سواء كانت الشفاعة من ملك مقرب أو نبي مرسل ، ولذلك فالنبي عليه الصلاة والسلام

---

(١) تيسير العزيز الحميد (٢٧٤).

على جلالة قدره وعظيم منـزلتـه عند الله عز وجل لم يقبل اسـتغفاره للمنافقـين. قال تعالى : ﴿ ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة :٨٠]، فالله هو الذي له الخلق والأمر ، وهو عز وجل الذي له الشفاعة جميعاً.

وعلى هذا فالذي يريد أن يسعد بالشفاعة يوم القيامة فعليه أن يـسلك الـسبل الشرعية التي من سلكها فاز وسعد بالشفاعة ، وأعظم هذه السبل وأساسها هو إفراد الله تعالى بالتوحيد والبراءة من الشرك، فقد ورد في حديث أبي هريرة أنه قال: قيل: يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك، لما رأيت من حرصك على الحديث أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه، أو نفسه "(1) ، وهذا ما دل عليه قول الله تعـالى : ﴿ لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدًا ﴾ [مريم : ٨٧]، فالعهد هو شهادة أن لا إله إلا الله. قال ابن العبـاس : "العهد شهادة أن لا إله إلا الله ويتبرأ إلى الله من الحول والقـوة ولا يرجـو إلا الله"(2) فالذين يسعدون بالشفاعة هم أهل التوحيد الذين وحدوا الله عز وجـل . قـال شـيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "والشفاعة سبب من الأسباب التي يرحم الله ا مـن يرحم من عباده ، وأحق الناس برحمته أهل التوحيد والإخلاص له ، فكل من كان أكمل في تحقيق إخلاص " لا إله إلا الله " علماً وعقيدة وعملاً وبراءة وموالاه ومعاداة، كـان أحق بالرحمة"(3).

ومن السـبل الشرعية للفوز بالشفاعة سؤال الوسيلة للنبي عليه الصلاة والسلام،

---

(١) رواه البخاري، كتاب العلم ، باب الحرص على الحديث برقم (٩٩) وبرقم (٦٥٧٠).

(٢) تفسير ابن جرير (١٢٨/١٦).

(٣) الفتاوي (٤١٤/١٤).

كمـا في حديث جابـر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه ، أن رسـول الله صـلى الله عليه وسلم : " من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمـة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وأبعثه مقاماً محموداً الذي وعدته حلت له شـفاعتي يـوم القيامة"[1].

وبالمقابل فمن أشرك بالله تعالى ، فقد حبط عمله وسخط الله تعالى عليه وحـرم الشفاعة، نسأل الله تعالى العفو والعافية ، ومن الشرك بالله تعالى سؤال الأموات وطلـب الشفاعة منهم، ولذلك فمن سأل الشفاعة من الأموات فقد فوت على نفسه الشفاعة قال الله تعـالى : ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴾ . [سبأ:٢٢].

فمن أشرك بالله تعالى وطلب الشفاعة ممن لا يملكها من الأموات وغيرهم فقـد فوت على نفسه الشفاعة .

ثالثاً :- أنواع الشفاعة المثبتة[2] :

الشفاعة المثبتة أنواع[3] :

النوع الأول : الشفاعة العظمى :

وهي المقام المحمود، وهي شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لأهل الموقف، وهـذه الشفاعة يتأخر عنها الأنبياء، وتنتهي إلى النبي صلى عليه الصلاة والسـلام فيقـول :

---

(١) رواه البخاري، باب الدعاء عند النداء برقم (٥٨٩، وبرقم ٤٤٤٢).

(٢) انظر إعانة المستفيد (١/ ٢٣٨، ٢٣٩)، والدر النضيد (١٤٤، ١٤٥) ، تسير العزيز الحميد (٢٩٤).

(٣) ومنهم من قال: إن أنواع الشفاعـة المثبتة ثمانية، انظر شرح العقيدة الواسطية لليشخ صالح بن الفوزان حفظة الله.

" أنا لها ، أنا لها" ثم يخر ساجداً بين يدي ربه تعالى ويفتح الله عليه من محامده فلا يزال ساجداً حتى يقال له : " يا محمد أرفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع"(1).

وفي هذه الشفاعة أن الرسول لا يشفع ابتداء ، بل لا يشفع حتى يأذن الله له تعالى، ثم يشفع في أهل الموقف، فيحاسبون ، ثم ينصرفون فريق بالجنة، وفريق في السعير، ودلّ على ذلك أن هذا هو المقام المحمود ما ورد في الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : إن الناس يصيرون يوم القيامة جثاً(2) ، كل أمة تتبع نبيها.

يقولون : "يا فلان اشفع ، يا فلان اشفع ، يا فلان اشفع ، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود"(3).

النوع الثاني : شفاعته لأهل الجنة أن يدخلوا الجنة :

فقد ورد من حديث أنس قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : " آتي الجنة يوم القيامة ، فأستفتح، فيقول الخازن : من أنت ؟ فأقول : محمد : فيقول : بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك"(4).

النوع الثالث: شفاعته في عمه أبي طالب :

فقد ورد من حديث العباس بن عبد المطلب قال : يا رسول الله : هل نفعت أبا طالب بشيءٍ فقد كان يحوطك ويغضب لك ، قال : " نعم ، هو في ضحضاح من نار ، لولا أنا ، لكان في الدرك الأسفل من النار"(5) .

---

(١) إشارة إلى حديث الشفاعة الطويل الذي رواه البخاري من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه في كتاب التوحيد باب قول تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾ برقم (٧٤٤٠، ٧٥١٠)، ومسلم برقم (١٩٣).

(٢) **جثا** : هو من يجلس على ركبتيه . انظر مختار الصحاح (٤٠)

(٣) رواه البخاري ، كتاب التفسير، باب قوله تعالى : ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ برقم (٤٧١٨ ، ٧٤٤٠).

(٤) رواه مسلم برقم (١٩٦).

(٥) البخاري ، كتاب مناقب الأنصار، باب قصة أبي طالب برقم (٣٨٨٣، ٦٢٠٨، ٦٥٧٢)، ومسلم برقم

النوع الرابع : شفاعته صلى الله عليه وسلم في رفع درجات المؤمنين:

كما ورد في حديث أم سلمة رضي الله عنها، قالت : " دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي سلمة وقد شق بصره فأغمضه ثم قال : إن الروح إذا قبض تبعه البصر ، فضج ناس من أهله فقال : لا تدعو على أنفسكم إلا بخير فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون ، اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين ."[1]

النوع الخامس : شفاعته صلى الله عليه وسلم للعصاة من أهل التوحيد:

ممن استوجبوا النار أن لا يدخلوها، وشفاعته فيمن دخل النار من أهل التوحيد أن يخرج منها ، والأحاديث على هذا النوع من الشفاعة متواترة ، وقد أجمع عليها الصحابة وأهل السنة قاطبة، ويدل على ذلك ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي "[2] .

وهذه الشفاعة الأخيرة ليست خاصة بالنبي عليه الصلاة والسلام، بل هي عامة في الأنبياء والأولياء والصالحين والأفراط، فالأولياء يشفعون والصالحون والأفراط، وهم الأولاد الصغار - يشفعون لآبائهم ، وأمر الشفاعة أمر عظيم زلت فيه أقدام ، وتاهت فيه إفهام فظن القبورية أ ا ملك للأنبياء والأولياء، وأ م يشفعون ابتداءً ؛ لأن الله ملكهم إياها، فطلبوها منهم وخضعوا لهم ، وشكوا ضعفهم وقلة حيلتهم لغير ر م ف ضلوا وأضلوا، وحرموا الشفاعة ، لأن من أشرك بالشفاعة حرمها .

---

(٢٠٩).

(١) رواه مسلم برقم (٩٢٠).

(٢) رواه أبو داود كتاب السنة ، باب الشفاعة برقم (٤٧٣٩) ، والترمذي باب صفة القيامة والرقائق والورع برقم (٢٤٣٥).

المبحث الثاني

الشفاعة عند القبورية

يجيد القبورية، التلبيس والتضليل على الناس، وخلط المفاهيم ليلتبس الحق بالباطل، ومن وسائل تضليل الناس قولهم : أن أهل الحق يمنعون الاستشفاع بالنبي عليه الصلاة والسلام قال: دحلان: " ومما يعتقده هؤلاء المنكرون للزيارة والتوسل منع طلب الشفاعة من النبي صلى الله عليه وسلم ، ويقولون إن الله تعالى قال في كتابه العزيز : ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]" . وقال تعالى : ﴿ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ ﴾ [الأنبياء : ٢٨][1] ، فرأى هذا أن الاستدلال بنصوص الكتاب العزيز على أن الشفاعة مشروطة بشروطها منعاً لطلب الشفاعة من النبي عليه الصلاة والسلام ، وهو يعلم أن أهل السنة يثبتون الشفاعة يوم القيامة بشروطها للنبي عليه الصلاة والسلام ولغيره من الأنبياء والملائكة والأولياء والصالحين والأفراط، لكن القبورية يريدون معنى آخر .

ثم يأتي ملبس آخر فيقول إن بعضهم يزعم أن الشفاعة لا تطلب من النبي في الدنيا قال محمد علوي مالكي: "زعم بعضهم أنه لا يجوز أن تطلب الشفاعة من النبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا، بل ذهب البعض الآخر من المتعنتين إلى أن ذلك شرك وضلال، ويستدلون على ذلك بقوله تعالى : ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ﴾ [2] .

وهو لم يقصد بقوله هذا أن السلف يمنعون طلب الشفاعة من النبي في حياته بمعنى دعائه واستغفاره للناس ، وإنما قصد سلف الأمة الذين يمنعون طلب الشفاعة من النبي عليه الصلاة والسلام بعد موته .

وذلك أن القبورية يرون أن الشفاعة ملك مطلق للنبي صلى الله عليه وسلم، ملكه الله إياها. قال المالكي في معرض كلامه عن الشفاعة : " وأي حرج في أن يطلب الإنسان

---

(١) الدرر السنية (٣٣).

(٢) مفاهيم يجب ان تصحح (١٥٩).

من المالك بعض ما يملكه، لاسيما إذا كان المسئول كريماً والسائل في أشد الحاجة إلى ما سـألهـ"[1] .

جزم بعض القبورية على أن طلب الشفاعة من النبي صـلى الله عليـه وسـلم ، لاتحتاج إلى أذن الله ؛ وذلك لأ م إذا شفعوا قبل الله شفاعتهم. يقول ابن داود الهمداني : "إن الله تعالى أذن لنا أن نطلب منهم – أي الأنبياء والأولياء – الشفاعة، ولـ يعلم أولاً : أن طلب الشفاعة منهم لا يحتاج إلى ورود إذن من الله في ذلك، فإنا بعد أن علمنا أن لهم جاهاً وجيهاً عنده تعالى ، بحيث إذا شفعوا قبلت شفاعتهم"[2] .

والسبب في أ م يطلبون من الأولياء والأنبياء الشفاعة ، واعتقادهم أن الأنبيـاء والأولياء يتوسطون للناس عند الله كما يتوسط الوجهاء عند السلطان : قال ابـن داود: "ونقول لهم أشفعوا لنا عند الله في قضاء حوائجنا ، فإن لكم عند الله جاهـاً وجيهـاً ، وشفاعة مقبولة، كما يسوغ لأحدنا أن يقول لأخر توسط لي عند السلطان ، وأشفع لي لدى فلان"[3]

فالنبي عليه الصلاة والسلام في نظر القبورية بمنـزلة الوزير عند الملك لا يصل إلى أحد شيء من الله إلا بواسطته قال أحدهم : "وأن النبي صلى الله عليه وسلم يكـون في الجنة بمنـزلة الوزير من الملك بغير تمثيل لا يصل إلى أحد شيء إلا بواسطته صـلى الله عليه وسلم "[4] .

إن المتأمل في كتب القبورية ليصاب بالذهول بسبب اعتقادهم سواء في مـسائل، التوسل أو الاستغاثة أو الشفاعة. أ م يتخذون الأنبياء والأولياء وسائط بينهم وبـين الله جل وعلا في قضاء الحوائج، وافقوا بذلك أولئك المشركين الذين قال الله تعالى عنهـم : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ [الزمر: ٣].

(١) مفاهيم يجب أن تصحح (١٦٠).
(٢) إزهاق الباطل (ق ٣٥) نقلاً من دعاوى المناوئين (٢٧٩).
(٣) المرجع السابق نفسه .
(٤) حقيقة التوسل والوسيلة (٤٦١).

إذ يرى القبورية أن الوسائط لا بد منها يقول محمد علوي مالكي : "فالواسطة لا بد منها وهي ليست شركاً وليس كل من أتخذ بينه وبين الله واسطة يعتبر مشركاً"(1) .

ويقول النبهاني : "وهو سبحانه قد اتخذهم ولا سيما المرسلين منهم وسائط بينه وبين خلقه في تبليغ دينه وشرائعه ، فاتخذهم خلقه الـيبون لدعو م المـصدقون بنبـو م وصفو م وسائط إليه في غفران زلا م وقضاء حاجا م لعلمهم بأن المناسبة بينهم وبينه تعالى أقوي بكثير من المناسبة بين غيرهم وبينه عز وجل"(2) .

وعلى هذا تبين مفهوم الشفاعة عند القبورية ، أن الشفاعة ملك مطلق للنبي صلى الله عليه وسلم، فلا يحتاج في طلب الشفاعة من النبي عليه الصلاة والسلام على أذن فيها فتطلب منه الشفاعة بعد موته. ويقول القائل : يا رسول الله اشفع عند الله ، وأن الأنبياء والأولياء وسائط بين الله وبين خلقه في الشفاعة، فهم كالوزراء عند الملك، وكـ المقربين عند أرباب الحاجات .

المبحث الثالث

شبهات القبورية في الشفاعة والرد عليها

لقد سبق مناقشة شبهات القبورية في الفصلين السابقين فيما يتعلـق بالتوسـل والاستغاثة، ولما كان القبورية يخلطون المفاهيم، ويلبسون علـى النـاس ويقولـون: أن الشفاعة والتوسل والاستغاثة بمعنى واحد .

فشبها م في التوسل والاستغاثة والشفاعة متداخلة، ولذلك سـأكتفي في هـذا المبحث في الرد على الشبهات التي لم يسبق الرد عليها فيما سبق وبالله التوفيق .

الشبهة الأولى : اعتقاد القبورية أن الأنبياء والأولياء وسائط بينهم وبـين الله يقضون الحاجات، عند الله لمن تشفع م، فهم بمنـزلة الوزراء عند الملك .

(١) مفاهيم يجب أن تصحح (٩٦، ٩٧).

(٢) شواهد الحق (١٤٢) .

هذه شبهة عقليه استدل ا القبورية على جواز طلب الشفاعة مـن الأمـوات، قادهم إليها الفهم السقيم لنصوص الكتاب والسنة، يساند ذلك غلو مقيت بالأموات، مع تمكن الهوى من قلوب بعضهم، إذ قالوا إن الأنبياء لهم جاه ومنـزلة عند الله تعالى فنحن نتشفع م عند الله، ولوا كانوا غائبين أو موتى، فإن الملك يقبل شفاعة وزرائه ومقربيـه حتى لو كانوا غائبين. قال السبكي : " والمقصود بجواز أن يسأل العبد الله تعالى بمن يقطع أن له عند الله قدراً ومرتبة، ولا شك أن النبي صلى الله عليه وسلم له عند الله قدر علـي ومرتبة رفيعة وجاه عظيم، وفي العادة أن من كان له عند الشخص قدر بحيث أنه إذا شفع عنده قبل شفاعته، فإذا انتسب إليه الشخص في غيبته وتوسل بذلك وتشفع به، فإن ذلك الشخص يجيب السائل إكراماً لمن انتسب إليه وتشفع بـه، وإن لم يكـن حاضـراً ولا شافعاً"[1]، وقد سبق ذكر بعض أقوالهم في تقرير الشفاعة عند القبورية.

والرد على هذا الاستدلال العقلي من وجوه:

الوجه الأول : إن هؤلاء القبورية أردوا تعظيم النبي عليه الصلاة والسلام بأمر لم يأت به الشرع، فوقعوا بمعصية الله تعالى، وبمعصية رسوله عليه الصلاة والسلام، فشبهوا الخالق سبحانه وتعالى بخلقه ، وغلو في نبيه عليه الصلاة والسلام ، فهم كمن فـر مـن التمثيل فوقع في التمثيل والتعطيل ، ولقد صدق التابعي الجليل حسان بن عطية المحاربي[2] رحمه الله تعالى حيث قال : " ما ابتدع قوم بدعة في دينهم إلا نزع الله من سنتهم مثلها ، ثم لا يعيدها إليهم إلى يوم القيامة "[3]

وفي قولهم هذا خلل وظلم ، كما أن فيه جهل بالخالق العظيم إذ شبهوا الخـالق بالمخلوق، إذ تبادر إلى أذهان هؤلاء القبورية أن العبد إذا عبد الله وأخلص له العبـادة ،

---

(١) شفاء السقام (١٧٤).

(٢) **حسان بن عطية المحاربي** مولاهم أبو بكر الدمشقي؛ ثقة فقيه عابد ، من الرابعة ، مات بعد العشرين ومائة . انظر التقريب برقم (١٢٠٤).

(٣) رواه الدارمي برقم، باب اتباع السنة ، برقم (٩٨)، قال الشيخ الألباني: إسناده صحيح . انظر: التوسل (٤٦).

أصبح له حق على الله تعالى بسبب هذه الطاعة والقربى من الله عز وجل، مثل الوزراء الناصحين وخدام الملوك يصبح لهم حق على الملك من قبول الشفاعة ونفع الآخرين ممن ينتسب إلى ذلك الوزير أو الخادم، حتى لو كان ذلك الوزير غائباً أو ميتاً ؛ لأنه يبقى أحدهم يتقاضى العوض والمجازاة على نصحه وخدمته، وهذا القول من أفسد الأقوال ومن أشر الأقيسة، وذلك بسبب؛ أولاً : هذه المقدمة الفاسدة التي فيها مساواة الخالق بالمخلوق في هذا الأمر . قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " وذلك أن النفوس الجاهلية تتخيل أن الإنسان بعبادته وعلمه يصير له على الله حق من جنس ما يصير للمخلوق على المخلوق، كالذين يخدمون ملوكهم وملاكهم فيجلبون لهم منفعة ويدفعون عنهم مضرة، ويبقى أحدهم يتقاضى العوض والمجازاة على ذلك، ويقول له عند جفاء أو إعراض يراه منه ألم أفعل كذا ! يمن عليه بما يفعله معه، وإن لم يقله بلسانه كان ذلك في نفسه"[1] . وبهذا القياس الفاسد، عبدت الأصنام وانتشر الشرك، قال ابن القيم رحمه الله تعالى: " وبهذا القياس الفاسد عبدت الأصنام، واتخذ المشركون من دون الله الشفيع والولي"[2].

ثانياً : تخيل مثل هذا في حق الله تعالى من جهل الإنسان وظلمة، وذلك لأن عمل الإنسان وطاعته لله تعالى يعود نفعها عليه، بخلاف ملوك الدنيا فإن إحسان الوزراء والعمال يعود عليهم وعلى الملك، قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: " وتخيل مثل هذا في حق الله تعالى من جهل الإنسان وظلمه، ولهذا بين سبحانه أن عمل الإنسان يعود نفعه عليه وأن الله غني عن الخلق قال تعالى: ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾ [الإسراء :٧] [3] .

ثالثاً : وزراء الملوك لهم منة على الملوك في حسن الخدمة ، لكن الله عز وجل هو الذي يمن على عباده أن وفقهم للعلم النافع والعمل الصالح، قال تعالى:

---

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (١٠٣) .

(2) إغاثة اللهفان (٢٢١).

(٣) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (١٠٣) .

﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [الحجرات: ١٧]. ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ ﴾ [1] [الحجرات: ٧].

رابعاً : من لوازم فساد هذا القول أن يظن المستشفع إن كان يريد رحمة أو خيراً دينياً أو دنيوياً أن الله لا يستجيب له إلا بهذه الوسيلة وهذا من التنقص لله تعالى ، فالله سبحانه وتعالى خزائنه ملأى ورحمته وسعت كل شيء .

خامساً : إن ملوك الدنيا يقبلون شفاعة الشافع لجهلهم بحال المشفوع، وعدم إحاطتهم بأحوال الرعية، لكن الله عز وجل أحاط بكل شيء علماً وأحصى كل شيء عدداً ، وهذه اللوازم تنقص في حق العبودية لله تعالى وتنقص لله في ربوبيته، وهذا الفهم الخاطئ والضلال المبين دفع كثيراً من القبورية إلى تعظيم المقبورين والخضوع لهم لاعتقادهم أن الحوائج لا تقضى إلا على أيديهم، وهذا هو أصل شرك المشركين. قال السهسواني رحمه الله تعالى : "فالمشرك إما أن يظن أن الله سبحانه يحتاج إلى من يدير أمر العالم معه من وزير أو ظهير أو عوين ، وهذا من أعظم التنقص لمن هو غني عن كل ما سواه بذاته، وكل ما سواه فقير إليه بذاته، وإما أنه يظن أنه لا يعلم حتى يعلمه الواسطة، ولا يرحم حتى يجعله الواسطة يرحم، ولا يكفي وحده أو لا يفعل ما يريد العبد حتى يشفع عنده الواسطة كما يشفع المخلوق، فيحتاج أن يقبل شفاعته لحاجته إلى الشافع وانتفاعه به وتكثره به من القلة وتعززه به من الذلة أو لا يجيب دعاءه حتى يسألوا الواسطة أن يرفع تلك الحاجة إليه كما هو حال ملوك الدنيا، وهذا أصل شرك الخلق، أو يظن انه لا يسمع دعاءه لبعده عنهم حتى يرفع الوسائط إليه ذلك، أو يظن أنه للمخلوق عليه حقاً فهو يقسم عليه بحق ذلك المخلوق عليه، ويتوسل إليه بذلك المخلوق كما يتوسل الناس إلى الأكابر والملوك بمن يعز عليهم أو لا يمكنهم مخالفته، وكل ذلك تنقص

(١) المصدر السابق (١٠٤- ١٠٧).

للربوبية وهضم لحقها ولو لم يكن فيه إلا نقص محبة الله وخوفه ورجائه والتوكل عليه والإنابة إليه ... "[1] . وبذلك يتبين سوء فهم القبورية للشفاعة وبطلان هذه الشبهة العقلية.

الشبهة الثانية: القبورية يرون جواز طلب الشفاعة من الأموات بدليل عدم الدليل على المنع.

يرى القبورية جواز طلب الشفاعة من الأموات من الأنبياء والصالحين، ودليلهم على ذلك: عدم وجود الدليل على المنع. يقول المالكي :

"زعم بعضهم أنه لا يجوز أن تطلب الشفاعة من النبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا، بل ذهب البعض من المتعنتين إلى أن ذلك شرك وضلال ويستدلون على ذلك بقوله: " قل لله الشفاعة جميعاً " ، وهذا الاستدلال باطل يدل على فهمهم الفاسد، وذلك لوجهين :

أولاً : أنه لم يرد نص في الكتاب ولا في السنة ينهى عن طلب الشفاعة من النبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا ..."[2].

الرد على هذه الشبهة :

المتأمل في كلام المالكي يجد فيه تلبيس كبير كعادة القبورية لا يصلون إلى مبتغاهم إلا بأساليب التلبيس ، ومزج الحق بالباطل لتقرير ما أرادوه من الباطل، ودليل تلبيسه الكبير فيما يتعلق بالشفاعة قوله : " في الدنيا " : ليوهم السامع أن أهل السنة والجماعة ينكرون طلب الشفاعة من النبي حال حياته، وإلا هو يقصد طلبها من الرسول صلى الله عليه وسلم بعد موته، ولذلك هو أفصح عن عقيدته بوضوح في جواز طلب الشفاعة من الأموات؛ إذ قال: " وإذا صح طلب الشفاعة منه في الدنيا في حياته فإننا نقول : لا بأس

---

(١) صيانة الإنسان (١٧٧).

(٢) مفاهيم يجب أن تصحح (١٥٩) .

بطلبها منه أيضاً بعد موته "[1] .

وهذا الحكم الذي قرروه استدل عليه بعدم وجود الدليل الذي يمنع ذلك، والحقيقة أن هذا الاستدلال من عجائب الأدلة؛ لأن من يقرر حكماً شرعياً هو الذي يجب عليه أن يأتي بالدليل عليه، قال الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الحجرات : ١]. قال ابن القيم رحمه الله : " أي لا تقولوا حتى يقول ولا تأمروا حتى يأمر"[2] ، فالمسلم إذا عبد الله من غير دليل وقع بالبدعة التي يأثم صاحبها ويكون محدثاً في دين الله تعالى ؛ كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد "[3] ، فمن قرر حكماً شرعياً هو الذي يجب عليه أن يستدل له بالأدلة الصريحة .

بل إن الأدلة الشرعية تضافرت على منع الشفاعة الشركية التي تطلب من الأموات؛ لأن الأموات لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً ، فكيف يطلب منهم الشفاعة، الشفاعة تطلب من مالكها " ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَـٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [الزمر:٤٤].

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : " فأخبر أن الشفاعة لمن له ملك السموات والأرض، وهو الله وحده، فهو الذي يشفع بنفسه إلى نفسه، ليرحم عبده فيأذن هو لمن يشاء أن يشفع فيه، فصارت الشفاعة في الحقيقة إنما هي له، والذي يشفع عنده إنما يشفع بإذنه له وأمره، بعد شفاعته سبحانه إلى نفسه وهي إرادته من نفسه أن يرحم عبده ، وهذا ضد الشفاعة الشركية التي أثبتها المشركون ومن وافقهم، وهي التي أبطلها الله سبحانه في كتابه ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا

---

(١) مفاهيم يجب أن تصحح (١٦٢).

(٢) إعلام الموقعين (٥١/١).

(٣) البخاري ، كتاب الصلح، باب: إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، برقم (٢٦٩٧) ، ومسلم برقم (١٧١٨).

تَنفَعُهَا شَفَـٰعَةٌ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴾ [البقرة : ١٢٣][(1)]. وطلب الشفاعة مـن الأمـوات مردود بقول الله تعالى : ﴿ وَأَنَّ ٱلۡمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجـن : ١٨]، فطلب الشفاعة دعاء والدعاء لا يطلب إلا من الله تعالى .

لم يرد استشفاع الأنبياء بأحد من الأموات، ولم يرد أن رسول الله عليه الصلاة والسلام طلب الشفاعة من الأموات، من الأنبياء الذين سبقوه، ولم يعلـم أحـداً مـن صحابته رضوان الله عليهم أجمعين استشفاع به بعد موته أو استشفاع بالأنبياء من قبله، وهو الذي علم أمته كل شيء حتى آداب الخلاء.

إن طلب الشفاعة من الأموات من الأمور المتفق عليها عند أهل السنة والجماعة أ ا شرك ، فقد ورد في بيان ما اتفق عليه علماء مكة ونجد قولهم : "ونعتقد أن عبادة غير الله شرك أكبر ، وأن دعاء غير الله من الأموات والغائبين وحبه كحـب الله ، وخوفـه ورجائه، ونحو ذلك شرك أكبر ، وسواء دعاه ، دعاء عبادة ، أو دعاء استعانة في شدة أو رخاء ، فإن الدعاء مخ العبادة ، وسواء دعاه لجلب النفع أو دفع الضر ، أو دعاه لطلب الشفاعة ، أو ليقربه إلى الله ، أو دعاه تقليداً لآبائه أو أسلافه أو لغيرهم؛ والأدلـة علـى ذلك في كتاب الله كثيرة جداً منها ، قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَـٰفِرُونَ ﴾ [(2)][المؤمنون : ١١٧].

و ذا تبين أن الدليل قائم على تحريم طلب الشفاعة من الأموات، وأن ذلك مـن الشرك بالله ، فهو مالك الشفاعة ، وهو الذي يأذن للشافع ا ، ومن أراد الشفاعة فعليه أن يلتمسها من الطريق الموصل لها، الثابت بالكتاب والسنة ومن رام الوصول بغير ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم حرم الوصول.

بل ورد الدليل على أن حقيقة شرك المشركين باتخاذ المعبودات وسائط بينه وبين الله ليشفعوا لهم عند الله قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا

---

(١) إغاثة اللهفان (٢٢٠/١).

(٢) البيان المفيد فيما اتفق عليه علماء مكة ونجد من عقائد التوحيد (١٠).

لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ ؛[الزمر:٣]، وقـال تعـالى ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس:١٨] ، فهذا حقيقـة شرك المشركين أ م اتخذوا تلك المعبودات تقر م إلى الله زلفى . لكن القبورية يقولون إن المشركين يتخذون الأصـنام لتقر م إلى الله زلفى ، ونحن نوسـط عبـادة الـصالحين الطائعين له.

فالجواب القاطع أن يقال لهم إن الكفار في زمانه منهم من يتقرب إلى الأصـنام، ومنهم من يعتقد في قبر رجل صالح مثل اللات، ومنهم من يعتقد في الـصالحين، وهـم الذين ذكر في قوله تعالى:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾ (1)؛[الإسراء : ٥٧]، وبذلك تـدحض هـذه الشبهة.

الشبهة الثالثة: طلب القبورية الشفاعة من النبي صلى الله عليه وسلم لاعتقـادهم أن الشفاعة ملك مطلق للنبي عليه الصلاة والسلام .

القبورية يرون أن الشفاعة ملك مطلق للنبي عليه الصلاة والسلام ، وبالتالي فهـم يطلبو ا من النبي صلى الله عليه وسلم من غير إذن الله تعالى. قال المالكي : "وأي حرج في أن يطلب الإنسان من المالك بعض ما يملكه لاسيما إذا كان المسؤول كريماً والـسائل في أشد الحاجة إلى ما سأله"(2) . يقول ابن داود : "وليعلم أولاً أن طلب الشفاعة منـهم لا يحتاج إلى ورود إذن من الله في ذلك"(3).

وما دام أن الشفاعة ملك النبي صلى الله عليه وسلم جاز عند القبورية أن يطلبو ا من النبي صلى الله عليه وسلم ، أو يطلبو ا من الله أن يشفع فيهم النبي عليـه الـصلاة والسلام . قال ابن داود "وإذا ثبت أن لهم – محمد صلى الله عليـه وسـلم وعترتـه – الشفاعة المقبولة ، وأ م مؤذنون في الشفاعة، ونحن مأمورون بطلبها كان لنا الخيـار في

---

(١) مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب (١٤٦/١).

(٢) مفاهيم يجب أن تصحح (١٥٩، ١٦٠) . وانظر: الدرر السنية في الرد على الوهابية (٣٣، ٣٤).

(٣) إزهاق الباطل، ق (٣٥) نقلاً عن دعاوي المناوئين (٢٧٩).

الدعاء، فإن شئنا طلبناها، وقلنا اللهم شفعهم فينا، أولا تحرمنا شفاعتهم ، أو تقبل شفاعته فينا، وإن شئنا طلبناها منهم وقلنا يا أولياء الله اشفعوا لنا عند الله، واستغفروا ذنوبنا إلى غير ذلك"[1].

الرد على هذه الشبهة :

إن الخطأ قد يرد والزلل قد يقع ، ولكن بعض الأخطاء ليس له ما يسوغه لمصادمته للمنقول والمعقول ، وهذا ما وقع فيه القبورية بقولهم : إن الشفاعة ملك للنبي عليه الصلاة والسلام، فهي مصادمة لكتاب الله تعالى: ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَـٰعَةُ جَمِيعًا ﴾، فالشفاعة ملك الله تعالى بنص كتابه ، فكيف يأتي أحد من عباد الله ممن تعبدهم الله بالكتاب والسنة، ويقول : لا ؛ الشفاعة ملك للنبي عليه الصلاة والسلام ، كبرت كلمة تخرج من أفواههم أن يقولون إلا كذباً، إن من طلب الشفاعة من النبي صلى الله عليه وسلم في الدنيالم يقل له النبي عليه الصلاة والسلام اذهب مغفوراً لك، إنما يسأل الله له ويدعو الله سبحانه، وقد يستجيب الله لنبيه، وقد يمنعه ما طلب؛ لأن الأمر كله لله، وفي شفاعته العظمى يوم القيامة لم يشفع ابتداء ، ولم يقل عليه الصلاة والسلام : اذهبوا قد وقع الفصل بين العباد فريق في الجنة وفريق في السعير، إنما يأتي فيستأذن على ربه ، فيؤذن له ، فإذا رأى ربه سجد لله رب العالمين، فيدعوا الله ما شاء الله أن يدعوه ، ثم يقول الله تعالى: يا محمد ارفع راسك ، وقل تسمع واشفع تشفع ، فيثني على ربه بثناء وتحميد يعلمه الله إياه، ثم يشفع عليه الصلاة والسلام. ثم بعد هذا القول يقول القبورية الشفاعة ملك مطلق للنبي عليه الصلاة والسلام : ﴿ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾.[البقرة:١١١].

فلا أحد يملك الشفاعة إلا الله تعالى؛ لأن المالك لشيء ملكاً مطلقاً هو الذي يتصرف به كيف يشاء ، والنبي عليه الصلاة والسلام أعطاه الله الشفاعة مقيدة بشرطين: إذنه له ، ورضاه عن المشفوع ، فلا يقال أنه يملك الشفاعة مطلقاً .

(١) إزهاق الباطل، ق (٥٣) نقلاً عن دعاوى المناوئين (٢٨٠).

وأما قول القبورية : أن الشفاعة تطلب من النبي عليه الصلاة والسلام من غير إذن الله تعالى فهذا بنوه على المقدمة الفاسدة السابقة؛ أن الشفاعة ملك مطلق للنبي عليه الصلاة والسلام ، فهذا قول باطل لأنه مبني على باطل ، كما تبطلها نصوص الشفاعة التي تدل على أنه لا أحد يشفع؛ لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل، إلا بعد إذن الله تعالى: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَـٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴾. [النجم : ٢٦].

فتبين مما سبق أن الشفاعة ليست ملكاً مطلقاً للرسول عليه الصلاة والسلام، وأ ا لا يجوز أن تطلب من النبي عليه الصلاة والسلام بعد وفاته بنص قول الله تعالى : ﴿ وَأَنَّ ٱلۡمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن : ١٨]. وأن النبي عليه الصلاة والسلام يشفع شفاعات خاصة يوم القيامة بعد رضا الله عز وجل عن المشفوع وإذن الله له ، كما أن هناك شفاعات لغير الأنبياء يوم القيامة كالملائكة والصالحين والشهداء ، فلماذا لم يجوز القبورية الاستغاثة بأصحاب تلك الشفاعات.

و ذا يتبين بطلان قول القبورية بطلب الشفاعة من الأموات.

الفصل الخامس

مفهوم التبرك وشبهات القبورية فيه

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : التبرك عند السلف.

المبحث الثاني : التبرك عند القبورية.

المبحث الثالث : المبحث الثاني : شبهات القبورية في التبرك والرد عليها.

المبحث الأول

التبرك عند السلف

أولاً : معنى التبرك في اللغة، أصله من مادة برك وهو يأتي بمعنى الثبوت والإقامة، ومنه: برك الجمل، أي : استناخ . فبروك الجمل يدل على ملازمته وثبوته في المكان. قال ابن منظور : "وهو من برك البعير إذا أناخ في موضع فلزمه". كما قال : "والبرك جماعة الإبل الباركة، وقيل إبل الحواء" وقال كذلك: "البرك يطلق على جميع ما برك من جميع الجمال النوق على الماء أو الفلاة من حر الشمس أو الشبع والواحد بارك والأنثى باركة" . فكل شيء ثبت وأقام ولزم مكانه فقد برك. ومنها (بركه): وهي مجمع الماء تدل على كثرة الماء في هذا الموضع ، وعلى لزومه وثباته "والبركة كالحوض والجمع البرك يقال سميت بذلك لإقامة الماء فيها"[(1)]

ومن مادة برك، البركة تطلق على النماء والزيادة.

قال الرازي : "البركة النماء والزيادة"[(2)]

ومنه التبريك : هو الدعاء للإنسان بالبركة قال الرازي: "والتبريك الدعاء بالبركة، ويقال: بارك الله لك وفيك وعليك"[(3)] ، ومنه برك عليه، أي: دعا له بالبركة. "وبرك عليه ، أي : دعا له بالبركة، ويقال بارك الله لك وفيك وعليك"[(4)] . قال ابن الأثير : "فحنكه وبرك عليه أي دعا له بالبركة"[(5)]

---

(١) لسان العرب (٣٩٦/١٠، ٣٩٧، ٣٩٩) وانظر : مختار الصحاح (٢٠).

(٢) مختار الصحاح (٢٠) . وانظر : لسان العرب (٣٩٥/١٠).

(٣) مختار الصحاح (٢٠).

(٤) لسان العرب (٣٩٦/١٠).

(٥) النهاية (١٢٠/١).

ومنه البركات : أي السعادة، قاله في لسان العرب[1] .

ومنه تبارك : أي بارك مثل: قاتل وتقاتل[2] .

وعلى ذلك فإننا نجد مادة برك تدل على معانٍ منها: الثبوت، واللزوم والإقامة ، كما تدل على الزيادة والنماء، وتدل على السعادة، وعلى الدعاء بالبركة.

والتبرك : تفعل من البركة ، وهو طلب البركة، والتبرك بالشيء هو طلب البركة بواسطة، والتبرك به التيمن به[3] قال الرازي: "تبرك به تيمن به " ، واليمن هو البركة.

قال ابن الأثير : "وقد تكرر ذكر اليمن في الحديث وهو البركة وضده الشؤم"[4] .

ولو رجعنا إلى معاني التبرك في الكتاب والسنة لوجدناها تدل على ما دلت عليه اللغة؛ فالبركة من الله تعالى. والذي يبارك هو الله عز وجل. قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ ﴾ [الفرقان: ١]، أي تفاعل من البركة[5] ، وتكاثرت الخيرات من قبله ، ودامت، وثبتت، قال أبو السعود[6]: "البركة النماء والزيادة حسية كانت أو معنوية وكثرة الخير ودوامة"[7].

---

(١) لسان العرب (٣٩٦/١٠).

(٢) انظر : مختار الصحاح (٢٠) ولسان العرب (٣٩٦/١٠).

(٣) مختار الصحاح (٢٠).

(٤) النهاية (٣٠١/٥).

(٥) تفسير الطبري (١٧٩/١٨).

(٦) **أبو السعود العمادي** بن الشيخ محمد بن مصطفى العماد، ولد ٨٩٦، وصنف إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن العظيم في التفسير، وقد صنف حاشية على تفسير الكشاف ت ٩٨٢هـ. انظر : طبقات المفسرين (٣٩٨) .

(٧) تفسير ابي السعود (٢٠٠/٦).

وقد وردت لفظه البركة وما تصرف منها في القرآن الكريم أربعاً وثلاثين مرة، تدور معانيها حول ثبوت الخير ودوامه ، وكثرة الخير وزيادته[1].

قال ابن القيم رحمه الله تعالى "وحقيقة اللفظة : أن البركة كثرة الخير ودوامه، ولا أحد أحق بذلك وصفاً وفعلاً منه تبارك وتعالى ، وتفسير السلف يدور على هذين المعنيين، وهما متلازمان"[2] .

فالتبرك في الشرع واللغة بمعنى واحد ، وهو : طلب البركة وكثر ـا وزياد ا وثبو ا، والذي يبارك البركة المطلقة ويبقيها ويزيدها هو الله تعالى ، ولذلك لا تطلب البركة إلا من الله تعالى ، ولا يتوصل إليها إلا بالطريق الذي شرعه الله تعالى.

ثانيا : أقسام التبرك ينقسم التبرك إلى قسمين تبرك مشروع وتبرك ممنوع:

القسم الأول : التبرك المشروع :

قد دلت نصوص الكتاب والسنة على أن الأشياء التي أحل الله تعالى ـا البركة قد تكون أمكنه أو أزمنه، وقد تكون ذوات وأشخاص، وقد تكون أقوالاً وأفعالاً، وقد تكون من قبيل المطعومات.

أولاً : الأمكنة المباركة: فقد بارك الله عز وجل في بعض الأماكن كالمساجد، ويكون التماس البركة فيها بما أمر الله عز وجل به كالصلاة، وحضور مجالس العلم، والاعتكاف فيها وغير ذلك مما شرعه الله تعالى .

وهناك من المساجد ما خصه الله تعالى بمزيد من البركة لمضاعفة الأجر والثواب فيه كالمسجد الحرام، والمسجد النبوي ، والمسجد الأقصى .

(١) انظر : التبرك وأنواعه وأحكامه (٣١، ٣٢).

(٢) بدائع الفوائد (٢ /٤١١).

ومن الأمكنة المباركة : مكة والمدينة وبلاد الشام، فتلتمس البركة في هذه الأمكنة بالعمل الصالح فيها، فإذا عمل المسلم عملاً صالحاً في هذه الأماكن المباركة عظم الأجر عند ربه تعالى، ولهذا لما كتب أبو الدرداء لسلمان الفارسي "أن هلم إلى الأرض المقدسة وكان أبو الدرداء يلي القضاء بالشام فكتب إليه سلمان، الأرض لا تقدس أحداً إنما يقدس المرء عمله"[(1)] ولهذا فلا تلتمس بركة الأمكنة بالتمسح بتربتها أو جدرانها، أو أخذ شيئاً من ترابها لأن بركة هذه الأمكنة معنوية ليست حسية .

ثانياً : الأزمنة المباركة: ومن هذه الأزمنة المباركة: شهر رمضان، وليلة القدر ، وعشر من ذي الحجة، ويوم عرفة ، ويوم عاشوراء. والبركة تلتمس في هذه الأيام بالعمل الصالح، فإن من رام العمل الصالح في هذه الأزمنة فإنه ينال فيها من الخير ما لا يناله في غيرها .

ثالثاً : بالأقوال والأفعال والهيئات : فمن الأقوال: قراءة القرآن، وذكر الله تعالى، فمن التمس البركة والخير في هذه الأقوال الشرعية نال ما أرد بشرط أن يأتي بالتعبد بها على وفق السنة .

ومن الأفعال : طلب العلم، فمن طلب العلم علم الكتاب والسنة مخلصاً لله تعالى حصل له البركة والخير الكثير في الدنيا والآخرة .

ومن الهيئات المباركة : الاجتماع على الطعام والأكل من جوانب القصعة، ولعق الأصابع وغيرها مما ورد في الشرع، فمن فعل هذه الهيئات على وفق السنة محتسباً للآجر نال فيها خيراً كثيراً.

رابعاً : التبرك في الأطعمة والأشربة: كالتبرك بأكل زيت الزيتون والإدهان به، وشرب ماء زمزم، والحبة السوداء وغيرها، مما ورد به الشرع

---

(١) اعتقاد أهل السنة برقم (١٧١٨)، قال الشيخ الألباني الحديث صحيح انظر : السلسلة الصحيحة برقم (٢٢٤٦).

فالتبرك ا على حسب ما ورد به الدليل .

فما ورد الدليل للأكل إلا وطلب البركة بأكله ، وما كان للشرب فطلب البركة بشربه، وما كان للعلاج والشفاء فطلب البركة بالاستشفاء به وهكذا . فيلتزم بالنص في التبرك ؛ لأن التبرك طلب البركة، والبركة لا تكون إلا وفق ما شرع الله تعالى .

خامساً : التبرك بالأشخاص : وهي البركة التي جعلها الله تعالى في المؤمنين من الناس ، وسادة المؤمنين الأنبياء والرسل، فبركة الأنبياء والرسل بركة ذاتية من حيث أن أجسامهم مباركة ، فالله عز وجل هو الذي جعل هذه الخاصية بأجسامهم فتلتمس البركة بأجسامهم، إما بالتمسح م، أو الأخذ شيئاً من فضل وضوئهم، أو بأخذ شيئاً من عرقهم أو أشعارهم؛ لأن بركتهم بركة حسية، وأعظم الأنبياء بركة محمد صلى الله عليه وسلم، ولهذا ورد تبرك الصحابة بمس جسده، والتبرك بشعره، وبفضل وضوئه، فبركة الأنبياء بركة حسية ينتقل أثرها إلى غيرهم، وهذا خاص بالأنبياء ؛ وبالإضافة إلى هذه البركة الحسية، فبركتهم بركة معنوية، وبركتهم المعنوية هي الأصل ؛ إذ يحصل الخير الكثير والأجر العظيم بالإقتداء م والسير على جهم، بل ينال الإنسان بالإقتداء بالرسل محبة الله عز وجل، ولذلك فشرط قبول أي عمل من الأعمال أن يكون على هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلا يكون العمل صالحاً مقبولاً إلا إذا كان خالصاً لله صواباً على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يحب الله العبد إلا إذا أتبع الرسول عليه الصلاة والسلام ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [آل عمران:٣١] ، فالخير الكثير والبركة العظيمة بإتباع النبي عليه الصلاة والسلام .

أما غير الأنبياء والرسل فبركتهم بركة معنوية، أي: بركة راجعة إلى الإيمان والعلم والعمل والدعوة؛ ولهذا فلا تلتمس البركة منهم بالتمسح م، أو أخذ شيء من شعرهم، أو فضل وضوئهم أو غير ذلك، ولم يرد دليل على أن

أصحاب النبي رضوان الله عليهم تبركوا بأبي بكر وعمر وعثمان، بل فقد جاء بالتواتر القطعي أن الصحابة والتابعين لم يكونوا يتبركون بأبي بكر وعمر وعثمان وعلي كما يتبركون بشعر النبي عليه الصلاة والسلام، أو بوضوئه، أو بشيء منه، أو بدمه، أو بعرقه وشعره وملابسه، فعلمنا بهذا بالتواتر القطعي أن بركة الصالحين بركة معنوية لا حسية[1].

القسم الثاني: التبرك الممنوع:

لن أطيل في هذا النوع من التبرك،؛ لأن من عرف التبرك المشروع عرف ما يناقضه، فمن تبرك بشيء لم يجعل الله به بركه فقد وقع في التبرك الممنوع، ومن تبرك بشيء فيه بركة لكنه تبرك بصفة مبتدعة فقد وقع في التبرك الممنوع كذلك.

ومن ذلك من تبرك بتقبيل أبواب المساجد، أو التمسح بأعتابها، أو التمسح بجدران الكعبة، أو من تمسح بالصالحين وأخذ من فضل وضوئهم، أو عرقهم، أو من طلب البركة في مكان صلى به النبي عليه الصلاة والسلام اتفاقاً ولم يقصد تخصيصه للصلاة، أو أماكن ارتبطت بحوادث نبوية كغار حراء أو غار ثور، أو مكان شجرة الرضوان، أو طريق الهجرة، أو غير ذلك، فإن هذا من التبرك الممنوع.

أو من قصد التبرك بقبور الأنبياء والأولياء يقوم بتقبيلها، أو التمسح بها، والعكوف عليها، والدعاء والصلاة عندها، فإن كل ذلك من التبرك الممنوع الذي أتى الشرع بالنهي عنه، وهذا الذي يخص موضوعنا وهو التبرك عند القبورية.

---

(١) انظر: البترك المشروع والتبرك الممنوع، التبرك وأنواعه وأحكامه، والقول المفيد شرح كتاب التوحيد (٢٤٥/١-٢٥٢)، التمهيد شرح كتاب التوحيد (١٢١- ١٣١).

المبحث الثاني

التبرك عند القبورية

القبورية فتنوا بتعظيم الأموات، فأصبح الأموات محط أنظارهم، وغاية آمالهم، فإذا حزبهم أمر هرعوا إلى أصحاب القبور يطلبون منهم ثبوت الخير، ولزومه، وبقاء البركة وزيادتها، فالاستغاثة والتشفع والتوسل كل ذلك بحثاً عن البركة: يقول دحلان: "فالتوسل والتشفع والاستغاثة كلها بمعنى واحد، وليس لها في قلوب المؤمنين معنى إلا التبرك بذكر أحباء الله تعالى، لما ثبت أن الله يرحم العباد بسببهم سواء كانوا أحياء أو أمواتاً"[1] .

ولذلك يرى بعض القبورية أن الميت بمجرد موته تعظم بركته، ولذلك وجد في بعض البلاد إذا مات الميت قبل دفنه يأتيه الناس يتبركون به[2] .

فإذا دفن الميت ووضع في قبره أصبحت هذه البقعة التي دفن فيها الميت بقعة مباركة على حسب اعتقاد القبورية بالمدفون فيها، فالبقعة التي دفن بها النبي عليه الصلاة والسلام عند القبورية خير من السموات والأرض، والأملاك، والأفلاك، وأفضل من العرش، ومن جنات عدن، ومن الفردوس الأعلى. أورد المالكي قصيدة فيها :

وبقعته التي ضمته حقا	رياض من جنان تستطيل
كذا اللحد الذي ضم الطوايا	تشرف حين حل به النزيل
وأفضل من سموات وأرض	وأملاك بأفلاك تجول
ومن عرش ومن جنات عدن	وفردوس لها خير جزيل[3]

---

(١) الدرر السنية في الرد على الوهابية (١٤).

(٢) انظر : مجموع فتاوى سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز (٧٨٥/٢).

(٣) الذخائر المحمدية (٤٣-٤٥) القصيدة نسبها لابن حجر الهيتمي .

فالقبور إذا دفن ا العبد الصالح حلت ا البركة عند القبوريـة، ولهـذا تجـد القبورية يلتمسون الدفن عند ضرائح الصالحين ، كمـا يتوسـلون بالـصالحين رجـاء بركتهم قال ابن الحاج : "فإن كان الميت المزار ممـن ترجـى بركتـه فيتوسـل إلى الله تعالى به"[1] .

ويرى القبورية إنه إذ دعي عند هذه القبور فإنه يجزم بالإجابـة لمـا لهـم مـن البركة . قال ابن الحاج : " ثم يتوسل إلى الله تعالى ـم في قـضاء مآربـه ومغفـرة ذنوبه ويستغيث م ويطلب حوائجه منهم ويجزم بالإجابة ببركتهم"[2].

وبناء على هذه البركة المزعومة صدرت من هـؤلاء القبوريـة أفعـال شـنيعة من الاستغاثة والتشفع والدعاء والتوسل التماساً للبركـة، ومـن الـسجود والـصلاة إلى القبور والطواف ا وتقبيلها إما التماساً لبركتـها، أو ظنـاً منـهم أ ـا أمـاكن مباركة تشرع العبادة فيها لله تعالى ، ويضاعف ا الآجر .

المبحث الثالث

شبهات القبورية في التبرك والرد عليها

الشبه الأولى: الاستدلال بتقبيل أبي بكر رضي الله عنه للـنبي عليـه الـصلاة والسلام بجواز تقبيل الميت للتبرك .

استدل بعض القبورية على تقبيل الأمـوات للتـبرك بتقبيـل أبي بكـر للـنبي عليه الصلاة والسلام بعد موته .

قال: الكردي: " فصل ولا بأس بتقبيل وجـه الميـت الـصالح للتـبرك"[3]، ثم أشار إلى حديث عائشة رضي الله عنها في وفاة النبي عليه الصلاة والسلام .

---

(١) المدخل (٢٤٩/١).

(٢) المصدر السابق (٢٥٢/١).

(٣) تبرك الصحابة بآثار رسول الله صلى الله عليه وسلم (٧٤).

الرد على هذه الشبهة:

إن مما أختص الله تعالى به نبيه عليه الصلاة والسلام أنه مبارك بركة حسية ومعنوية ، فيحصل لمن تبرك به بإتباعه والسير على هديه مع الإخلاص سعادتي الدنيا والآخرة . وقد كان الصحابة يتبركون بمس جسده أو بأخذ شيء من فضل وضوئه، كما كانوا يتبركون بعرقه وغيره. وقد ثبت بالأحاديث الصحيحة تبرك الصحابة ببعض ما انفصل من جسده الشريف بعد موته بالتبرك بشعرات للنبي عليه الصلاة والسلام والاستشفاء به، وهذا التبرك خاص بالنبي عليه الصلاة والسلام ؛ ولهذا لم يرد عن أحد من الصحابة تبرك بأفضل الصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ؛ لا في حياتهم ولا بعد مماتهم. قال الشاطبي[(1)] رحمه الله : " الصحابة رضي الله عنهم بعد موته عليه الصلاة والسلام لم يقع من أحد منهم شيء من ذلك بالنسبة إلى من خلفه، إذا لم يترك النبي عليه الصلاة والسلام بعده في الأمة أفضل من أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فهو كان خليفة ولم يفعل به شيء من ذلك، ولا عمر رضي الله عنه، وهو كان أفضل الأمة بعده ، ثم كذلك عثمان ثم علي ثم سائر الصحابة الذين لا أحد أفضل منهم في الأمة، ثم لم يثبت لواحد منهم من طريق صحيح معروف أن متبركاً تبرك به على أحد تلك الوجوه[(2)] ، بل اقتصروا بالأفعال والأقوال والسير التي أتبعوا فيها النبي صلى الله عليه وسلم، فهو إذا إجماع منهم على ترك تلك الأشياء"[(3)] .

وعلى هذا الإجماع على عدم جواز التبرك، بمعنى طلب البركة الحسية بأحد من الصالحين في حياته، فكيف بعد وفاته.

---

(١) **إبراهيم بن موسي بن محمد اللخمي** أبو إسحاق الغرناطي الأصولي المشهور بالشاطبي من مؤلفاته الموافقات، والإعتصام ت٧٩٠ ، انظر : فهرس الفهارس والأثبات(١٩١/١) .

(٢) يقصد التبرك بالشعر والثياب وفضل الوضوء.

(٣) الإعتصام للشاطبي (٩/٢).

وأما استدلال بعض القبورية أن أبا بكر قبل النبي عليه الصلاة والسلام للتبرك، فلو فعل هذا لأجل التبرك لجاز، وهو خاص للنبي عليه والصلاة والسلام، ولكن سياق الحديث وتقبيل أبي بكر للنبي عليه الصلاة والسلام، وقوله : ما أطيبك حياً وميتاً يا رسول الله. وخروجه إلى الناس وخطابه لهم لا يدل على أنه فعل ذلك تبركاً .

وليس معني أن كل من قبل ميتاً تبرك به، بل الأمر يدل على جواز تقبيل الميت ، وقد قبل النبي عليه الصلاة والسلام ابنه إبراهيم كما عند البخاري "فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم إبراهيم فقبله وشمه ..... "[1] وليس معنى ذلك أن النبي عليه السلام تبرك بإبراهيم، لكن القبورية لما تملك عقولهم وقلوبهم التعلق بالأموات فسروا كل فعل تجاه الميت بأنه إما تبرك وإما استغاثة، وأما توسل وإما تشفع .

ولقد سئل الشيخ عبد العزيز باز رحمه الله عن أهل بلد إذا مات الميت تأتي النساء إليه بعد تكفينه يتبركن به فأجاب رحمه الله بقوله : "هذا العمل لا يجوز بل هو منكر؛ لأنه لا يجوز لأحد أن يتبرك بالأموات أو قبورهم، ولا أن يدعوهم من دون الله أو يسألهم قضاء حاجة، أو شفاء مريض أو نحو ذلك؛ لأن العبادة حق لله وحده ومنه تطلب البركة، وهو سبحانه الموصوف بالتبارك كما في سورة الفرقان : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان : ١] ... "[2] .

فإذا كان الحي لا يجوز التبرك بذاته وآثاره غير النبي عليه الصلاة والسلام، ولا يجوز التبرك بجسد الرجل الصالح بعد وفاته فكيف يجوز التبرك بقبره ؟

(١) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب قول النبي : "وأنا بك لمحزونون" برقم (١٣٠٣).
(٢) مجموع فتاوي سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز (٧٨٥/٢).

الشبهة الثانية : استدل القبورية على جـواز التمـاس طلـب البركـة من قبور الصالحين طلب عمر بن الخطاب أن يدفن مع صـاحبيه الـنبي عليـه الصلاة والسلام وأبي بكر رضي الله عنهما .

استدل القبورية بجواز التبرك بقبر النبي عليه الـصلاة الـسلام بطلـب عمـر من عائشة رضي الله تعالى عنها أن يدفن مع صاحبيه[1] ،

إذ عنون المالكي عنواناً : "التبرك بقبره الشريف"[2]

الرد على هذه الشبهة :

إن استئذان عمر بن الخطاب من عائشة رضي الله تعالى عنـهما لـيس فيهـا معنى من معاني التبرك لا من بعيد ولا من قريب، فعمر رضـي الله عنـه أرسـل ابنـه عبد الله بن عمر إلى عائشة وأمره أن يقول : "وقل ليـستأذن عمـر بـن الخطـاب أن يدفن مع صاحبيه" ، فلم يدل السياق على أدنى معنى من معاني التبرك .

بل كل ما في الأمر أن عمـر رضـي الله عنـه أراد أن يـدفن مـع رفيقيـه، فطالما كان معهما في الدنيا، ومن عادة أهل المودة والـصحبة في حيـاة النـاس أ ـم يرغبون بالدفن بجانب بعضهم، وليس في ذلك توسل ولا تـبرك ولا غـير ذلـك ممـا يذهب إليه القبورية .

لو كان المقصود التبرك بقـبر الـنبي عليـه الـصلاة والـسلام ، وأن التـبرك بالقبر فيه نجاة وفيه رفعة ودرجات لما آثرت عائشة رضـي الله عنـها أحـداً عليهـا؛ لأننا نعرف حرص الصحابة رضوان الله تعالى عليهم على العمـل الـصالح والتـسابق في الخير، ولكنه أمر دنيوي ومكان دفن لا أكثـر ولا أقـل، ولهـذا قالـت عائـشة رضي الله عنها: "كنت أريده لنفسي فلأوثرنـه اليـوم علـى نفـسي" ، وكـذلك

(١) انظر : صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما جاء في قبر النبي رقم (١٣٩٢)، ورقم (٣٧٠٠)، ورقم (٧٣٢٨) .

(٢) مفاهيم يجب أن تصحح (٢٣٢).

عمر رضي الله عنه قال: " فإذا أنا قبضت فاحملوني، ثم سلم فقل يستأذن عمر بن الخطاب، فإذا أذنت لك فأدخلوني وإن ردتني فردوني إلى مقابر المسلمين" ولم يقل وإن لم تأذن أمسحوا جسدي بالقبر المكرم، أو خذوا معي من تراب القبر، ولم يرد عن آلاف مؤلفه من صحابه رسول الله رضوان الله عليهم أنهم أخذوا من تراب قبره أو تمسحوا بقبره ، وبذلك يعلم أن استئذان عمر رضي الله عنه للدفن مع صاحبيه ليس فيه تبرك رضي الله تعالى عنه[1].

ثم أن القبورية يرون أن قبر النبي خير من السموات والأرض والأملاك والأفلاك والكعبة والعرش وغير ذلك، بسبب أن النبي عليه الصلاة والسلام دفن فيه .

ومما هو معلوم أن فضل مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام ثابت بنص الحديث قبل أن يدفن النبي عليه الصلاة والسلام في حجرة عائشة رضي الله عنها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : "بل نفس مسجده له فضيلة لكونه مسجده، ومن اعتقد أنه قبل القبر لم تكن له فضيلة؛ إذ كان النبي عليه الصلاة والسلام يصلي فيه والمهاجرون والأنصار، وإنما حدثت هذه الفضيلة في خلافة الوليد بن عبد الملك لما أدخل الحجرة في مسجده، فهذا لا يقوله إلا جاهل مفرط في الجهل أو كافر فهو مكذب لما جاء به مستحق للقتل"[2] .

ففضيلة المسجد معروفة وأجر الصلاة فيه ثابت قبل موته صلى الله عليه وسلم، وقبل أن تدخل حجرة عائشة إلى المسجد.

وأما تفضيل قبر النبي صلى الله عليه وسلم على العرش وعلى المساجد فلا دليل على ذلك، ولا يمكن أن تكون بيوت المخلوقين أفضل من بيوت الخالق

(١) وانظر : التبرك أنواعه وأحكامه (٣٤٠).
(٢) الفتاوى (٤٠٢/٠٢٧).

سبحانه وتعالى. قال شيخ الإسلام ابن تيمية عندما سئل عن رجلين تجادلاً فقال: أحدهما أن تربة محمد صلى الله عليه وسلم أفضل من السموات والأرض، وقال الآخر الكعبة أفضل فمع من الصواب. فأجاب: "الحمد لله ؛ أما نفس محمد صلى الله عليه وسلم فما خلق الله خلقاً أكرم عليه منه، وأما نفس التراب فليس هو أفضل من الكعبة والبيت الحرام، بل الكعبة أفضل منه ولا يعرف أحد من العلماء فضل تراب القبر على الكعبة إلا القاضي عياض، ولم يسبقه أحد إليه ولا وافقه أحد عليه والله أعلم"(1) .

الشبهة الثالثة : الاستدلال على جواز تقبيل القبر للتبرك به بقصة تقبيل فاطمة رضي الله تعالى عنها لقبر النبي عليه الصلاة والسلام .

استدل القليوبي على جواز تقبيل قبر النبي وغيره من قبور الصالحين بقصة تقبيل فاطمة لقبر النبي عليه الصلاة والسلام فقال : " ثم إنا قدمنا لك بأن تقبيل قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقبور الصالحين جائز لا شيء فيه ... إلى أن قال: ولذا جاءت الزهراء رضي الله تعالى عنها زائره لقبر أبيها اللهم صلى وسلم وبارك عليه وآله، وقبضت قبضة من التراب الذي على القبر الشريف ثم قالت

وماذا على من شم تربة أحمد ... أن لا يشم مدى الزمان غواليا

صبت على مصائب لو أنها ... صبت على الأيام عدن لياليا

ثم قبلت التراب ووضعته، ولم تطئطي أمام الناس ولم ينكر عليها أحد من الصحابة"(2) .

(١) الفتاوى (٣٨/٢٧).

(٢) فيض الوهاب (١٤٥/٤، ١٤٦) . وانظر : شواهد الحق للنبهاني (١١٦).

الرد على هذه الشبهة .

إن هذه الرواية لا تصح. قال الذهبي بعدما أورد البيتين: "وما ينسب إلى فاطمة ولا يصح:

وماذا على من شم تربه أحمد | أن لا يشم مدى الزمان غواليا

.... | ....[1]

واستشهد كثير من الفقهاء بهذه الأبيات، كما استشهدوا ببعض روايات القصة، ولم يذهبوا إلى ما ذهب القبورية إليه بأن فعل فاطمة رضي الله عنها تبرك، بل استدلوا على جواز رثاء الميت إذا لم يكن فيه تبرم واجتماع في فعله أو إكثار منه أو على ما يجدد الحزن[2] .

فهذه لم تثبت عن فاطمة رضي الله عنها ، وإذا ثبتت فليس فيها ما يريده القبورية من التبرك في القبور .

الشبهة الرابعة: استدلوا على جواز التبرك بالقبور بتمرغ بلال على قبر النبي عليه الصلاة والسلام .

قال القليوني : "وها هو سيدنا بلال لما جاء للشام لزيارة معاوية ومكث عنده اثنى عشر يوماً، فرأى رسول الله صلى اله عليه وسلم يقول له : أوحشتنا يا بلال، فقام من نومه عازماً على السفر، وحاول الخليفة تأخيره إلى الصباح فلم يستطيع، وجاء إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وجعل يمرغ خديه على قبر النبي صلى الله عليه وسلم"[3] .

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٣٤/٢).

(٢) انظر : مغني المحتاج (٣٥٦/١) ، وأسنى المطالب (٢٩٨/١).

(٣) فيض الوهاب (١٤٦/٤) ، وانظر : الرد على شبهة من شبه وتمرد (١٠٣).

والرد على هذه الشبهة .

وكما ترى سياق القليوبي لهذه القصة؛ إذ أوردها باللهجة العامية "أوحشتنا". وقد ذكرت هذه القصة أن بلال رأى النبي عليه الصلاة والسلام وهو يقول : "ما هذه الجفوة بلال .... "[1] القصة وذكر القصة الذهبي في تاريخ الإسلام ولم يذكر تمريغ الوجه على القبر .

وذكرها الذهبي في السير ثم قال رحمه الله: "إسناده لين وهو منكر"[2].

قال الكناني : " من طريق إبراهيم بن محمد بن سليمان بن بلال ابن أبي الدرداء قال الذهبي في الميزان : فيه جهاله، وقال ابن حجر : هذه قصة بينه الوضع"[3] .

وهذا أثر ليس بصحيح عن بلال قال ابن عبد الهادي : "هذا الأثر المذكور عن بلال ليس بصحيح عنه، ولو كان صحيحاً عنه لم يكن فيه دليل على محل النزاع .... إلى أن قال : "وهو أثر غريب منكر وإسناده مجهول وفيه انقطاع ... إلى أن قال: " أن مثل هذا الإسناد لا يصلح الاعتماد عليه ولا يرجع عند التنازع إليه عند أحد من أئمة هذا الشأن"[4] .

وبذلك يتبين بطلان هذه الحجة وزيفها .

المبحث الرابع

(١) انظر : تاريخ مدينة دمشق (١٣٧/٧) ، وانظر : التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة (٢٢/١).

(٢) سير أعلام النبلاء (٣٥٨/١).

(٣) تنزيه الشريعة (١١٨/٢).

(٤) الصارم المنكي في الرد على السبكي (٢٣٥، ٢٤١).

مظاهر التبرك عند القبورية

القبورية ظنوا في قبور الأنبياء والأولياء والصالحين أنها مباركة تلتمس عندها البركات ، ويرجى في التقرب عندها ومنها الخيرات. ومن بعض مظاهر تبرك القبورية بالقبور ما يلي :

المظهر الأول : تقبيل القبور:

مر معنا استدلال القبورية على جواز تقبيل القبور للبركة، بل ذهب بعضهم إلى جواز تقبيل القبور للبركة قياساً على تقبيل الحجر الأسود. قال القلبوبي : "ولعلهم أخذوه - أي تقبيل القبر – من بيانه الشريف صلى الله تعالى عليه وسلم من تقبيله الحجر الأسعد"[1] .

وكما لا يخفي أن العبادات لا تنشأ قياساً على عبادة أخرى، بل هذا هو حقيقة الابتداع في الدين ومن المستحدثات .

ومما هو معلوم أنه لا يقبل شيء على سبيل العبادة إلا الحجر الأسود، كما ورد في حديث عمر أنه جاء إلى الحجر الأسود فقبله فقال : "إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولو لا أني رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك"[2] ، وسبب تقبيلنا للحجر الأسود إتباع لسنة النبي عليه الصلاة والسلام لا تبركاً بنفس الحجر، وإنما رجاء الخير والبركة بإتباع هدى النبي عليه الصلاة والسلام، وعدم تقبيل شيء من الجمادات على سبيل العبادة غير الحجر الأسود محل اتفاق عند العلماء .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : "واتفق العلماء على أن من زار

---

(١) فيض الوهاب (١٤٥/٤).

(٢) رواه البخاري ، كتاب الحج ، باب ما ذكر في الحجر الأسود برقم (١٥٧٩ ، ١٦٠٥)، ومسلم برقم (١٧٢٠).

قبر النبي صلى الله عليه وسلم أو قبر غيره من الأنبياء والصالحين والصحابة وأهل البيت وغيرهم أنه لا يتمسح به ولا يقبله، بل ليس في الدنيا من الجمادات ما يشرع تقبيله إلا الحجر الأسود"[1] .

ولهذا رأى العلماء عدم جواز تقبيل القبر ولا التمسح به ولا إلصاق البطن إلى الجدار، وأمروا بعدم الاغترار بفعل العوام وإن كثروا وبينوا أن من يقدم على ذلك فإنما يدل على جهله وغفلته قال النووي رحمه الله: " قال أبو عبيد الله الحليمي وغيره قالوا : ويكره مسحه باليد وتقبيله، بل الأدب أن يبعد منه كما يبعد منه لو حضرة في حياته " ، ثم قال النووي مقراً له في ذلك : "هذا هو الصواب الذي قاله العلماء وأطبقوا عليه، ولا يغتر بمخالفة كثيرين من العوام وفعلهم ذلك ، فإن الاقتداء والعمل إنما يكون بالأحاديث الصحيحة وأقوال العلماء، ولا يلتفت إلى محدثات العوام وغيرهم وجهالاتهم" ، ثم قال: " ومن خطر بباله أن المسح باليد ونحوه أبلغ بالبركة فهو من جهالته وغفلته وكيف ينبغي الفضل في مخالفة الصواب"[2] .

فهذا كلام أهل العلم عن هذا المظهر الخطير الذي أقبل عليه القبورية من متمرغ على القبر ، ومن مقبل له ومن تمسح بأسواره، والبركة لا تنال إلا بدليل شرعي صحيح وأنى لهم ذلك .

المظهر الثاني : الطواف بالأضرحة :

يرى بعض القبورية جواز الطواف بالأضرحة، إذ الأضرحة في اعتقاد بعضهم أماكن مباركة تلتمس حولها البركة، ولذلك نص بعضهم على الطواف فيها وقاس ذلك على الطواف بالكعبة قال القليوبي : " أما الطواف حول القبر فلا شيء فيه، لأنه سنة الله في خلقه، وقد أخذ قياساً من الطواف حول الكعبة "

---

(١) زيارة القبور (٣١).

(٢) المجموع (٢٠٣/٨) ، وانظر : حاشية الجمل على شرح المنهاج (٢٠٣/٨).

ثم قال : " فالطواف حول ضريح الصالح لا شيء فيه؛ لأنه وما حوله مغمور بالرحمة والبركة على الدوام"(1) .

والحقيقة أن القبورية غلو غلواً كبيراً فجعلوا لقبور الأولياء نصيب من كل عبادة من العبادات سواء كانت قلبية أو قولية أو فعلية ، بل شرعوا للقبور مناسك وأعمال كأعمال الحج، وقد سبق ذكرها(2) من الاغتسال والتطيب والخضوع والخشوع و التقبيل ومن الطواف ا ومن وداعها إلى غير ذلك .

علماً بأن الطواف عبادة لله تعالى لا تكون هذه العبادة إلا بالطواف ببيته العتيق ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ [البقرة : ١٢٥] .

أمر الله عبادة بالطواف ببيته العتيق قال تعالى : ﴿ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾ [الحج : ٢٩] فلا يطاف إلا ببيت الله تعالى ، فوأسفا على أحوال بعض المنتسبين للعلم كيف يجوزون الطواف على الأضرحة والقبور قياساً على الكعبة، فيشبهون بيت المخلوق ببيت الخالق، ويدعون للتبرك بقبور الأموات بدلاً من طلب البركة من مسديها ومالكها والمتصرف ا وهو الله رب العالمين، فالطواف لا يكون إلا بالبيت العتيق، و الطواف على غير البيت العتيق من مظاهر الشرك الأكبر أو من وسائله. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا تقوم الساعة حتى تضطرب إليات نساء دوس حول ذي الخلصة "(3)

قال الدهلوي : "وقد دل هذا الحديث على حرمة الطواف حول كل

---

(١) فيض الوهاب (١٤٨/٤، ١٤٩).

(٢) طرق الصوفية في نشر القبورية. (١١١ – ١٢٤).

(٣) رواه البخاري ، كتاب الفتن ، باب تغيير الزمان حتى تعبد الأوثان ، برقم (٧١١٦)، ومسلم (٢٩٠٦).

بيت إلا حول البيت العتيق الذي هو بيت الله"[1] .

بل الإجماع على حرمة الطواف بغير بيت الله تعالى : " فإن الطواف بالبيت العتيق مما أمر الله به رسوله وأما الطواف بالأنبياء والصالحين فحرام بإجماع المسلمين، ومن اعتقد ذلك ديناً فهو كافر سواء طاف ببدنه أو بقبره"[2]

المظهر الثالث : العكوف على قبور الأولياء والصالحين:

الاعتكاف هو الإقامة على الشيء ولزومه، والقبورية يلازمون قبور الأولياء والصالحين التماساً للبركة، فيأتيها الصحيح والمريض وصاحب الحاجة ويجاورها ملتمساً لبركة المقبورين المزعومة. قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب : "ومن نوع هذا الشرك الاعتكاف على قبور المشهورين بالنبوة أو الصحبة أو الولاية، وشد الرحال إلى زيارتها؛ لأن الناس يعرفون الرجل الصالح وبركته ودعاءه فيعكفون على قبره"[3] .

بل وصل الحال ببعض القبورية بتفضيل القبور على المساجد فيعتقدون أن العبادة والعكوف فيها أفضل من العبادة والعكوف في المساجد[4].

ومما هو معلوم أن بداية شرك العالم هو العكوف على قبور الصالحين، فإن قوم نوح عكفوا على قبور الصالحين، ثم صوروا التماثيل، ثم قصدوهم بالعبادة، ثم أن العكوف على القبور التماساً للبركة شرع لم يأذن به الله تعالى، إنما هو فعل المشركين من اليهود والنصارى ومشركي العرب، فقد ورد في حديث أبي واقد الليثي قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها

(١) رسالة التوحيد (١١٧).

(٢) الفتاوي (٣٠٨/١).

(٣) الدرر السنية (٩/٢).

(٤) تيسير العزيز الحميد (٣٣٧).

أسلحتهم يقال لها ذات أنواط، فقلنا يا رسول الله أجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم : "الله أكبر إ ـا السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: أجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة . قال : إنكم قوم تجهلون، لتركبن سنن من كان قبلكم"[(1)] ، فالمشركون كان يعكفون عند هذه السدرة تبركاً ا، وينوطون ـا أسلحتهم : أي يعلقو ـا عليها للبركة[(2)] فلما طلبوا النبي عليه الصلاة والسلام أن يجعل لهم سدرة يتبركون ا كأولئك المشركين بين عليه الصلاة والسلام. إن الذي طلبوه منه وهو اتخاذ شجرة للعكوف عندها وتعليق الأسلحة عليها للتبرك هو الذي طلبه بنو إسرائيل من موسى عليه السلام. فالتبرك بشيء لم يشرعه الله تعالى إنما هو من فعل المشركين ومن فعل اليهود والنصارى، فالتماس البركة من المقبورين شرع لم يأذن به الله تعالى وإن سماه القبورية محبة وتعظيماً وطلباً للبركة. قال الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ : " وفيها أن الاعتبار في الأحكام بالمعاني لا بالأسماء، ولهذا جعل النبي صلى الله عليه وسلم طلبتهم كطلبة بني إسرائيل، ولم يلتفت إلى كو م سموها ذات أنواط، فالمشرك وإن سمى شركه ما سماه كمن يسمى دعاء الأموات والذبح لهم والنذر ونحو ذلك تعظيماً ومحبة، فإن ذلك هو الشرك وإن سماه ما سماه"[(3)] فالعبرة بالحقائق وإن اختلفت المسميات .

وكما لا يخفي أن العكوف عبادة محضة لله تعالى، فالاعتكاف يكون في المساجد ومن اعتكف في غير المساجد فقد ابتدع عبادة لم يأذن ـا الله تعالى قال شيخ الإسلام رحمه الله : "فأما العكوف والمجاورة عند قبر نبي ، أو غير نبي، أو مقام نبي أو غير نبي فليس هذا من دين المسلمين، بل هو من جنس دين

(١) رواه الترمذي، باب لتركبن سنن من كان قبلكم ، برقم (٢١٨٠)، وأحمد برقم (٢١٩٤٧، ٢١٩٥٠)، قال الشيخ الألباني: حديث صحيح ، انظر : جامع الترمذي تخريج الألباني (٤٧٥/٤).

(٢) انظر : تيسير العزيز الحميد (١٨١).

(٣) تيسير العزيز الحميد (١٨٤، ١٨٥).

المشركين"[1].

ولهذا وقع كثير من المسلمين فريسة للشرك والوثنية والأخلاق الفاسدة والرذائل بسبب العكوف على قبور الأولياء والصالحين. قال الدهلوي: " وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن المسلمين الذين يصبحون فريسة الشرك والوثنية عند دنو الساعة وفي آخر الزمان يكون شركهم من نوع العكوف على أشياء تنسب إلى السابقين فيعتقدون في هذه الأشياء النفع والضر ويغلون في تقديسها وتعظيمها"[2] .

وهذا هو حال كثير من قبورية زماننا والله المستعان .

وخلاصة القول : أن التبرك بالقبور أمره خطير ، بل تعظيم البقاع التي لم يأت الشرع بتعظيمها أشر من تعظيم الأزمنة التي لم يأت الشرع بتعظيمها؛ لأن تعظيم الأجسام بالعبادة عندها أقرب لعبادة الأوثان. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : "فهذه البقاع التي يعتقد لها خاصية – كائنة ما كانت – فإن تعظيم مكان لم يعظمه الشرع شر من تعظيم زمان لم يعظمه، فإن تعظيم الأجسام بالعبادة عندها أقرب إلى عبادة الأوثان من تعظيم الزمان"[3] .

ولهذا فمن التبرك بالقبور تبرك بدعي ، ومنه تبرك شركي مخرج من الملة، فمن عبد الله عند قبر رجلٍ صالح ظناً منه أن هذه البقعة لها فضل في العبادة وكانت عبادته لله فقد فعل بدعة محدثة وهي وسيلة للشرك، ومن تبرك بالمقبور يرجو خيره وبركته فهذا شرك ناقل عن الملة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :" فأما إذا قصد الرجل الصلاة عند بعض

---

(١) اقتضاء السراط المستقيم (٢/ ٣٥٦).

(٢) رسالة التوحيد (١١١).

(٣) اقتضاء السراط المستقيم (١٦٤/٢، ١٦٥).

قبور الأنبياء أو بعض الصالحين متبركاً بالصلاة في تلك البقعة فهذا عين المحادة لله ورسوله، والمخالفة لدينه وابتداع دين لم يأذن به الله ، فإن المسلمين قد أجمعوا على ما علموه بالاضطرار من دين رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن الصلاة عند القبر - أي قبر كان- لا فضل فيها لذلك، ولا للصلاة في تلك البقعة مزية خير أصلاً بل مزية شر"(1) .

وقد بينت اللجنة الدائمة هذه المسألة حيث ذكرت: " أما من استغاث بالله، وسأله سبحانه وحده متوسلاً بجاههم أو طاف حول قبورهم، دون أن يعتقد فيهم تأثيراً، وإنما رجاء أن تكون منزلتهم عند الله سبباً في استجابة الله له ، فهو مبتدع آثم مرتكب لوسيلة من وسائل الشرك ، ويخشى عليه أن يكون ذلك منه ذريعة إلى وقوعه في الشرك"(2) .

هذا قليل من كثير من مظاهر تبرك القبورية بالقبور وتعظيم أهلها ، ولو أرادوا الحق وصدقوا مع الله وفهموا نصوص الوحيين لسلموا من الشرك وذرائعه.

---

(١)اقتضاء السراط المستقيم (١٦٤/٢، ١٦٥).

(٢) فتاوي اللجنة الدائمة (١٠٥/١، ١٠٦) فتوى رقم (٤١٥٤) .

الفصل السادس

الزيارة وشد الرحل وشبهات القبورية في ذلك

ويتضمن أربعة مباحث:

المبحث الأول: الزيارة وشد الرحل عند السلف.

المبحث الثاني: الزيارة وشد الرحل عند القبورية.

المبحث الثالث: مفاسد الزيارة عند القبورية.

المبحث الرابع: شبهات القبورية في الزيارة وشد الرحل والرد عليها.

الزيارة وشد الرحل عند السلف

دين الإسلام دين التوحيد وإفراد الله تعالى بالعبادة. ولما كان أصل شرك العـالم تعظيم القبور ى النبي صلى الله عليه وسلم عن زيارة القبور ، كما ورد في حديث بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يتكم عن زيارة القبور، فزوروها؛ فإ ا تذكركم الآخرة" [1]، والقصد من يه عليه الصلاة والسلام في بداية الأمر أن الناس كانوا حديثي عهد بإسلام، وكانوا في الجاهلية يعظمـون القبـور ويعكفـون عليهـا، ويستغيثون بأهلها، ويجعلو ا وسائط بينهم وبين الله، فلما تمكن التوحيد من قلوب الناس أذن عليه الصلاة والسلام في الزيارة ؛ لما في زيارة الأموات من العظة والعـبرة وزيـادة الإيمان، والدعاء والاستغفار للميت، فالمقصد من زيارة الأموات تحقيق المصلحة الشرعية التي أرادها الله سبحانه وتعالى، وبينها رسوله عليه الصلاة والسلام . فزيـارة الأمـوات عبادة وقربة لها مقاصد شرعية ومصالح مرعية، فلكي يؤجر المسلم على زيارته فعليـه أن يسلك الطريق الذي شرعه الله تعالى، وبينه رسوله عليه الصلاة والسلام .[2]

مقاصد الزيارة الشرعية :

أولاً : احتساب الأجر في زيارة المقابر ؛ فإنـها من سنة النبـي صلى الله عليه وسلم:

فقد ورد في حديث بريدة عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسـلم : " يتكم عن زيارة القبور فزوروها "[3] وهذا الحديث يدل على المنع عن الزيارة ثم الإذن ا . قال النووي : " هذا من الأحاديث التي تجمع الناسخ والمنسوخ، وهـو صـريح في نسخ ي الرجال عن زيار ا، وأجمعوا على أن زيار ا سنة لهم "[4] .

---

(١) سيأتي ص (٣٥٣).

(٢) انظر : الباب الثالث الإذن بعد النهي (٣٥٣ ، ٣٥٤).

(٣) رواه مسلم ، برقم (٩٧٧) .

(٤) شرح النووي لصحيح مسلم (٤٧/٧) .

وقد كان النبي عليه الصلاة والسلام يزور المقابر، ويعلم أصحابه عليـه الـصلاة والسلام آدا ا. فزيارة المقابر الزيارة الشرعية في حد ذا ا سنة وقربة .

ثانياً : زيارة المقابر تزهد في الدنيا، وتذكر بالآخرة وترغب فيها:

فقد ورد في حديث ابن مسعود في زيارة النبي لقبر أمه أنه قـال: " وإني كنـت يتكم عن زيارة القبور، فزوروها ؛ فإ ا تزهد في الدنيا، وترغب في الآخرة "[1] . وفي زيادة عند الحاكم : " فإن فيها عبـرة "[2] . وكذلك في زيادة أخرى عند الحاكـم: " وليزدكم زيار ا خيرًا "[3] .

إذن فالمقصد من زيارة القبور الزهد في الدنيا، والرغبة في الآخرة، والاستعداد لها.

ثالثاً : السلام على الأموات، والدعاء والاستغفار لهم:

من المقاصد العظيمة في زيارة قبور المسلمين منفعة الأموات بالدعاء والاسـتغفار لهم والسلام عليهم. فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليـه وسـلم أتـى المقبرة فقال : " السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون"[4]. فكان النبي عليه الصلاة والسلام يسلم على أهل المقابر، وقد ورد في حـديث عائـشة الطويل كيفية الزيارة الشرعية للمقابر؛ إذ قال جبريل للنبي : " إن ربك يأمرك أن تـأتي أهل البقيع فتستغفر لهم "، قالت : قلت : كيف أقول لهم يا رسول الله ؟ قال : " قولي : السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون "[5].

---

(١) صحيح ابن حبان ، باب ذكر ما يستـحب للمرء أن يترك الاسـتغفار لقرابة المشـركين أصلاً ، برقم (٩٨١) . صححه ابن حبان . قال شعيب الأرناؤوط : إسناده حسن .

(٢) المستدرك على الصحيحين ، كتاب الجنائز ، برقم (١٣٨٦) وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه .

(٣) المستدرك ، كتاب الجنائز ، برقم (١٣٩١)، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه .

(٤) رواه مسلم برقم (٢٤٩) .

(٥) رواه مسلم برقم (٩٧٤) .

فتضمن هذا الحديث الاستغفار للأموات والترحم عليهم، وتعليم لعائشة، وهـو تعليم للأمة ماذا يقولون إذا زاروا المقابر، فيا ليت معظمة القبور يرجعـون إلى الـسنن والآثار فيسلموا من ضلال أنفسهم وإضلال أتباعهم .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " وأما زيارة القبور المـشروعة فهـو أن يسلم على الميت، ويدعو له، بمنـزلة الصلاة على جنازته "[1] .

رابعًا : إتباع الشرع في هذه الزيارة، وسلامتها من المحدثات:

كما علم النبي عليه الصلاة والسلام المسلم ماذا يقول إذا زار المقابر، فإنه نهى عن السوء وقول الهجر . فقد ورد في حديث بريدة عن أبيه أنه كان في مجلس فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " .... و نهيتكم عن زيارة القبـور، فمن أراد أن يزور فليزر، ولا تقولوا هجرًا "[2] . وهو قول الشرك، فقـد ورد في الحـديث الـذي رواه مصعب بن سعد،[3] عن أبيه قال : حلفت باللات والعزى، فقال أصحابي : قلت هجرًا، فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم، فقلت: يا رسول الله : إن العهد كان قريبًا، وحلفـت باللات والعزى، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " قل لا إله إلا الله وحده ثلاثًا، ثم اتفل عن يسارك ثلاثًا، وتعوذ بالله من الشيطان الرجيم "[4] .

فالهجر قول الشرك، والتكلم بالباطل . قال ابن جرير : " والقائل هو مـشرك أو هو يهودي أو نصراني إن لم يفعل كذا، أو إن فعل كذا من غيره على كفر أو يهودية أو نصرانية، جميعهم قائلون هجرًا من القول، وذميمًا من المنطق "[5] .

(١) زيارة القبور (١٥، ١٦) .

(٢) جزء من حديث عن النسائي ، باب زيارة القبور ، برقم (٢٠٣٣) ، والمستدرك برقم (١٣٩٣).

(٣) **مصعب بن سعد بن ابي وقاص الزهري** : أبو زارة المدني : ثقة من الثلاثة. انظر : التقريب (٦٦٨٨).

(٤) صحيـح ابن حبان ، باب ذكر الأمر بالشهادة مع التفل عن يساره ، برقم (٤٣٦٤) . قال شعيب الأرناؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم .

(٥) تفسير ابن جرير الطبري (٤١٣/٢).

ومن أعظم الهجر الذي نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم الزيارة الشركية والبدعية للقبور، وما يصاحبها من توسلات واستغاثات وتمسح وعكوف وغير ذلك .

خامسًا : أن لا يكون في الزيارة شد للرحل، وسفر إلى القبور:

أمر النبي عليه الصلاة والسلام بزيارة القبور، ونهى عن شد الرحل إليها، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد : المسجد الحرام، ومسجد الرسول، ومسجد الأقصى "[1] .

والمقصود بشد الرحل السفر ؛ فالرحل هو كسرج للفرس، وكنى بشد الرحل عن السفر ؛ لأنه لازمه، فالسفر لا يكون لبقعة من البقاع إلا لهذه الثلاثة . قال الحافظ ابن حجر : " قوله : لا تشد الرحال، بضم أوله بلفظ النفي، والمراد النهي عن السفر إلى غيرها . قال الطيبي هو أبلغ من صريح النهي، كأنه قال : لا يستقيم أن يقصد بالزيارة إلى هذه البقاع ؛ لاختصاصها بما اختصت به "[2] .

وخلاصة القول : أن الزيارة الشرعية ما كانت خالصة لوجه الله، وقصد فيها تذكر الآخرة، والدعاء للأموات، ولم يكن فيها شد للرحال وسفر للقبور، ولم يقل كلامًا شركيا أو بدعيا، ولم يفعل شيئًا من ذلك، فهذه الزيارة الشرعية .

قال الشيخ حافظ الحكمي في نظمه عن أقسام الزيارة الشرعية :

ثم الزيارة على أقسام ... ثلاثة يا أمة الإسلام
فإن نوى الزائر فيما أضمره ... في نفسه تذكرة الآخرة
ثم الدعا له وللأموات ... بالعفو والصفح عن الزلات

---

(١) رواه البخاري ، كتاب فضل الصلاة في مكة والمدينة ، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة ، برقم (١١٨٩) ، ومسلم برقم (١٣٩٧) .
(٢) فتح الباري (٦٤/٣) .

ولم يكن شد الرحال نحوها ولم يقل هجرًا كقول السفها[1]

فالزيارة الشرعية التي تتضمن معاني عظيمة من معاني العبودية لله تعالى من إخلاص العمل لله تعالى، وتذكر الآخرة، والإقبال على الله تعالى، كما أن فيها عدم نسيان للأموات الذين انقطعوا عن الدنيا، وهم بأمس الحاجة إلى دعاء الأحياء، فيدعو الله عز وجل لهم، ويستغفره لهم .

المبحث الثاني

الزيارة وشد الرحل عند القبورية

سبق ذكر ضوابط الزيارة الشرعية حسب ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة . والزيارة عند القبورية ما كانت على خلاف الهدي النبوي في زيارة أهل القبور .

فالزيارة عند القبورية لها مظاهر ومقاصد، منها :

أولاً : من مظاهر الزيارة عند القبورية شد الرحل إلى القبور المعظمة، واعتقاد أن ذلك من القربات العظيمة[2] .

ثانيًا : قصد صاحب القبر في الزيارة ؛ لقضاء الحاجات .

الزيارة عند السلف: يقصد بها وجه الله، والدار الآخرة ؛ ففيها يتذكر المسلم الموت والقبر والحساب، فيزهد في الدنيا، ويقبل على الآخرة، فينفع نفسه بذلك، وينفع المزور بالدعاء والاستغفار له .

أما الزيارة عند القبورية: فيقصد بها طلب الحاجات، وكشف الكربات، والتوسل بالأموات، والتشفع بهم، والاستغاثة بهم، إما بطلب ذلك منهم ابتداءً، أو بجعلهم وسائط بينهم وبين الله . يقول القسطلاني : " وينبغي للزائر أي زائر قبر النبي أن يكثر من

---

(١) معارج القبول (٥١٥/٢) .

(٢) سيأتي الحديث عنه في الرد على شبهات القبورية (٣٤٠-٣٤٦).

الدعاء والتضرع والاستغاثة والتشفع والتوسل به صلى الله عليه وسلم، فجدير بمن استشفع به أن يشفع الله تعالى فيه "[1] .

كما قال ابن الحاج : " فإن كان الميت المزار ممن ترجى بركته، فيتوسل إلى الله تعالى به، وكذلك يتوسل الزائر بمن يراه الميت ممن ترجى بركته إلى النبي صلى الله عليه وسلم ... " إلى أن قال : " ... ثم يتوسل بأهل تلك المقابر في قضاء حوائجه، ومغفرة ذنوبه " إلى أن قال : " ... فمن أراد حاجة فليذهب إليهم ويتوسل بهم ؛ فإنهم الواسطة بين الله تعالى وخلقه ... " إلى أن قال : " ثم يتوسل إلى الله تعالى بهم أي الأنبياء في قضاء مآربه، ومغفرة ذنوبه، ويستغيث بهم، ويطلب حوائجه منهم، ويجزم بالإجابة ببركتهم، ويقوي حسن ظنه في ذلك ؛ فإنهم باب الله المفتوح "[2] .

ثالثًا : شرعوا آدابًا ومناسك لزيارة القبورلم يشرعها الله تعالى، ولم ترد في سنة الرسول عليه الصلاة والسلام ؛ فعلى الزائر عند القبورية أن يغتسل ويتنظف ويترجل. قال القسطلاني : " وينبغي لمن أراد الزيارة أي زيارة قبر النبي عليه الصلاة والسلام، أن يكثر من الصلاة والتسليم عليه في طريقه، فإذا وقع بصره على معالم المدينة الشريفة وما تعرف به، فليردد الصلاة والتسليم، وليسأل الله أن ينفعه بزيارته، ويسعده بها في الدارين، وليغتسل ويلبس النظيف من ثيابه، وليترجل ماشيًا باكيًا " ، إلى أن قال : " وينبغي للزائر أن يتقدم إلى القبر الشريف من جهة القبلة، وإن جاء من جهة رجلي الصاحبين فهو أبلغ في الأدب من الإتيان من جهة رأسه المكرم "[3] .

ومن آداب القبورية في زيارة القبور : الخضوع، والخشوع، والفاقة، والذل، وإظهار الفقر والحاجة، إلى غير ذلك مما ابتدعوه في دين الله.

قال ابن الحاج : " فإذا جاء إليهم يقصد قبور الأنبياء فليتصف بالذل، والانكسار

---

(١) المواهب اللدنية (٤١٧/٣) .

(٢) المدخل (٢٤٩/١-٢٥٢).

(٣) المواهب (٤٠٨/٣ – ٤٠٩) .

والمسكنة، والفقر، والفاقة، والحاجة والاضطرار، والخضوع، ويحضر قلبه وخاطره إليهم، وإلى مشاهدهم بعين قلبه، لا بعين بصره "[1] .

رابعًا: فرح القبورية وسعادتهم عندما يرون معالم القبور المعظمة:

ورد في السنة المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام أن المقصود من زيارة القبور تذكرة الآخرة، ورقة القلب، والزهد في الدنيا، وتذكر الموت .

إلا أن القبورية إذا رأوا القبور المعظمة طارت قلوبهم فرحًا وشوقًا إليها . قال القسطلاني : " ولما وقع بصري على القبر الشريف والمسجد المنيف فاضت من الفرح سوابق العبرات، حتى أصابت بعض الثرى والجدرات، وقلت :

أيها المغرم المشوق هنيئًا ... ما أنالوك من لذيذ التلاقي
قل لعينيك تهملان سرورًا ... طالما أسعداك يوم الفراق
واجمع الوجد والسرور ابتهاجًا ... وجميع الأشجان والأشواق
ومر العين أن تفيض انهمالاً ... وتوالي بدمعها المهراق
هذه دارهم، وأنت محب ... ما بقاء الدموع بالآماق "[2]

خامسًا : من مظاهر زيارة القبورية أنواع كثيرة من الأعمال التي فيها تعظيم للقبور:

من مقاصد القبورية في زيارة القبور المعظمة: تقبيل القبور، والتمرغ عليها، والبكاء عندها خضوعًا وشوقًا، وتقبيل سياجاتها، وتطييبها وإسراجها، وتقديم أنفس الهدايا إليها، ووضع الأموال في صناديقها .

يقول البوصيري :

لا طِيب يعدل تربًا ضم أعظمه ... طوبى لمنتشق منه وملتثم[3]

---

(١) المدخل (٢٥٢/١) .

(٢) المواهب اللدنية (٤٠٨/١ ، ٤٠٩) .

(٣) ديوان البوصيري (٢٤٢) .

المبحث الثالث

مفاسد الزيارة عند القبورية

والمتأمل في زيارة القبورية يجد فيها الكثير من المفاسد العظيمة ومناقضة الشرع المطهر. فالشرع أتى بالنهي عن شد الرحال إلى المقابر، والصلاة إليها، واتخاذها مساجد، والبناء عليها وتجصيصها والكتابة عليها، لكن القبورية يناقضون كل ذلك ويخالفونه .

ومن مفاسد زيارة القبورية: أنهم جعلوا القبور لها من الأعمال والمناسك كأعمال الحج ومناسكه، بل وصل الحال ببعضهم إلى تقديم زيارة القبر على الحج لبيت الله الحرام. يقول ابن القيم رحمه الله : " ثم إذا رجعوا يسألهم بعض الغلاة أن يبيع أحدهم ثواب حجة القبر بحجة البيت الحرام، فيقول : لا ولو بحجك كل عام "[1] .

ومن مفاسد الزيارة القبورية: الافتتان بالقبور، فإن الفتنة بقبر الرجل الصالح أعظم من الافتتان بالأشجار والأحجار، خاصةً إذا علمنا أن أصل شرك العالم كان بسبب تعظيم المقبورين، وهذا ما حصل للقبورية من دعاء الأموات والاستغاثة بهم والتوسل والتشفع بهم، واعتقادهم أن الميت يكشف البلاء وينصر على الأعداء، ويقضي الحوائج، ولا شك أن هذا إشراك بالخالق تعالى .

ومن مفاسد الزيارة القبورية: مشابهة النصارى والمشركين ؛ فإن تقبيل الأضرحة من أفعال النصارى، والعكوف على القبور وتعليق الستور عليها، واتخاذ السدنة لها من أفعال المشركين .

ومن مفاسد الزيارة القبورية: إيذاء أصحابها بما يفعله القبورية عندها من الدعاء والنذر والاستغاثة وغيرها ؛ فإن المقبورين يكرهون ذلك أشد الكراهة كما كره المسيح عليه السلام ما يفعله النصارى عند قبره، وكما نهى النبي عليه الصلاة والسلام عن ذلك .

ومن مفاسد الزيارة : الدخول في لعنة الله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام،

---

(١) إغاثة اللهفان (١٩٤/١) .

باتخاذها مساجد، واتخاذها عيدًا .

ومن مفاسد الزيارة القبورية: السفر إليها، والتعب في الوصول إليها، وهم بذلك يعتقدون أ م تقربوا بأعظم القربات، وهم قد وقعوا ببدعة من البدع التي حذر النبي عليه الصلاة والسلام منها، وبين أن شر الأمور المحدثات، بل إن جمهور العلماء على النهي عن شد الرحل لأجل القبور .[1]

المبحث الرابع

شبهات القبورية في الزيارة وشد الرحل

قد سبق بيان عقيدة القبورية في التوسل والاستغاثة والشفاعة والتبرك، وفي هـذا المبحث سأستعرض بعض شبهات القبورية في زيار م البدعية والشركية، التي لم يـسبق الإشارة إليها في الفصول السابقة .

الشبهة الأولى : يرى القبورية جواز شد الرحل إلى القبور المعظمة، ويـستدلون على ذلك بأحاديث الزيارة .

فنجد أن أكثر من قرر هذا الأمر هو السبكي، إذ ابتدأ كتابـه شـفاء الـسقام بأحاديث الزيارة، ثم تدرج بعد ذلك حتى جعل السفر وشد الرحل قربة. فقد اسـتدل السبكي على فضل زيارة قبر النبي عليه الصلاة والسلام بخمسة عشر حديثًا[2] . سأذكر بعضها على سبيل المثال؛ منها حديث : " من زار قبري وجبـت لـه شـفاعتي "[3] . و"من حج فزار قبري بعد وفاتي، فكأنما زارني في حياتي "[4]، و"من حج ولم يزرني فقد

---

(١) انظر : إغاثة اللهفان (١٩٤/١ – ٢٠١) ، وانظر : زيارة القبور الشرعية والشركية ، للبركوي .

(٢) انظر : شفاء السقام (١ – ٤٠) ، وانظر : المواهب اللدنية (٤٠٣/٣-٤٠٦) ، وانظر : الدرر السنية (٥ ٦)، وانظر : دفع شبهة من شبه وتمرد (٩٦ وما بعدها).

(٣) سنن الدارقطني ، باب المواقيت ، برقم (١٩٤) . قال الألباني : حديث منكر . انظر : إرواء الغليل ، برقم (١١٢٨) .

(٤) سنن البيهقي الكبرى ، باب زيارة قبر النبي ، برقم (١٠٠٥٤) والدارقطني برقم (١٩٢) . وقال ابن حجر :

جفاني "[1] . ومنها : " من حج حجة الإسلام، وزار قبري، وغزا غزوة، وصلى علي في بيت المقدس، لم يسأله الله عز وجل فيما افترض عليه "[2] .

والرد على هذه الشبهة من وجوه :

الوجه الأول : أن هذه الأحاديث ضعيفة، لا تقوم ا حجة. قال شيخ الإسـلام ابن تيمية رحمه الله : " وكذلك كل حديث يروى في زيارة قبر النبي صـلى الله عليـه وسلم، فإنه ضعيف، بل موضوع، ولم يورده أهل الصحاح والمسانيد كمسند أحمد وغيره من ذلك شيئًا "[3] .

الوجه الثاني : هذه الأدلة على الرغم من ضعفها فهي ليست في محل النـزاع؛ إذ لا خلاف بين العلماء على مشروعية زيارة القبور، بل ذهب جمـاهير العلمـاء مـن السلف والخلف إلى أن الزيارة مستحبة ؛ لما فيها من المصلحة للزائر والمزور[4]، ولما دل عليه فعل النبي عليه الصلاة والسلام وأمره .

الوجه الثالث : لم يرد عن الصحابة وأهل القرون المفضلة شد الرحـل لزيـارة القبور . قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " ولهذا لم يكن الصحابة يسافرون إلى شيء مـن مشاهد الأنبياء، لا مشهد إبراهيم الخليل عليه السلام ولا غيره "[5]، بل إن الذي عليـه الأئمة الأربعة وأكثر علماء الإسلام أن السفر إلى قبر النبي غير مشروع، فكيف بما هـو

ضعيف . انظر : : تلخيص الحبير (٢٧٥/٢ ، ٢٧٦) ، قال الشيخ الألباني : " حديث منكر ". انظر : إرواء الغليل برقم (١١٢٨).

(١) لم أجده في كتب الحديث المعروفة ، وعزاه السبكي إلى الكامل ، لابن عدي ، وهو موضوع . انظر : لسان الميزان (١٦٧/٦) في ترجمة النعمان بن شبل ، برقم (٥٨٥) .

(٢) قال الحافظ ابن حجر في ترجمة بدر بن عبد الله ، أبي سهل المصيصي ، عن الحسن بن عثمان الزيادي : يخبر بباطل ، وعنه النعمان بن هارون ، ثم قال : والخبر المذكور أخرجه أبو الفتح الأزدي في الثامن من فوائده ، ثم ساق الخبر . انظر : لسان الميزان (٤/٢) .

(٣) الفتاوى (١٦/٢٧ ، ٢٩) ، وانظر : الإخنائية (٢٨ ، ٢٩) .

(٤) انظر : الجواب الباهر (٢٧) ، والمجموع شرح المهذب (٢٧٧/٥) .

(٥) الفتاوى (٢٧/٩) .

دونه . قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " فالذي عليه الأئمة وأكثر العلماء أن هذا غير مشروع "(1) .

إن النبي عليه الصلاة والسلام دفن في حجرته، وكانت عائشة ساكنة في حجرتها، ولم يكن أحد في حياتها يدخل إلى القبر، ولما توفيت رضي الله عنها لم يكن أحد يدخل إلى الحجرة، ثم لما أدخلت الحجرة في المسجد لم يستطع أحد زيارة قبره عليه الصلاة والسلام كالزيارة المعروفة لسائر القبور، ولهذا لم يكن السلف يطلقون على سلامهم عليه، أو وصولهم إلى الجدار البراني زيارة . قال ابن عبد الهادي : "ولم يكن السلف يطلقون على هذا زيارة لقبره، ولا يعرف عن أحد من الصحابة لفظ زيارة قبره البتة، ولم يتكلموا بذلك، وكذلك عامة التابعين لا يعرف هذا في كلامهم، فإن هذا الكلام ممتنع عندهم، فلا يعبر عن وجوده "(2) . فرحم الله سلف الأمة ؛ لم يعبروا عن الوصول إلى السياج والسلام بالزيارة، وهدى الله الخلف الذين أرادوا أن يجعلوا قبره عيدًا، ولكن الله حفظه .

الوجه الرابع : استدل السلف على منع شد الرحل لزيارة القبور بحديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام، ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، ومسجد الأقصى"(3) .

الشبهة الثانية : قال القبورية : إن حديث لا تشد الرحال ليس فيه دليل على منع السفر إلى القبور المعظمة، إنما هذا خاص بالمساجد .

ذهب القبورية إلى أن المنع من شد الرحال إنما هو خاص بالمساجد، إنما شد الرحال إلى القبور المعظمة لا يدخل في ذلك، قال الغزالي : " والحديث ورد في المساجد

---

(1) المصدر السابق (٢٧/٢٦) .
(٢) الصارم المنكي (٢٧٧) .
(٣) سبق تخريجه (٣٣٥).

وليس في معناها المشاهد "[1] .

والرد على هذه الشبهة من وجوه :

الوجه الأول : لم يرد دليل على السفر وشد الرحل لزيارة القبور، والعبادات مرجعها الأدلة من الكتاب، وصحيح السنة، وشد الرحل إلى قبر النبي عليه الصلاة والسلام مما تتوافر الهمم إلى نقله والعمل به، لكنه لم يرد نص صحيح بذلك، ولم يرد عن أحد من أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام شد الرحل إلى قبره المكرم، أو أحد من قبور الأنبياء .

الوجه الثاني : إذا كان النهي عن شد الرحل إلى بيوت الله غير المساجد الثلاثة، فمن باب أولى أن يكون النهي عن المشاهد والقبور . قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " أنه إذا كان السفر إلى بيت من بيوت الله غير الثلاثة لا يجوز، مع أن قصد المسجد لأهل مصره يجب تارة ويستحب تارة أخرى، وقد جاء في قصد المساجد من الفضل ما لا يحصى، فالسفر إلى بيوت الموتى من عباد الله أولى أن لا يجوز "[2] .

الوجه الثالث : فهم أصحاب النبي يه عليه الصلاة والسلام عن شد الرحل إلا إلى ثلاثة مساجد أنه شامل لجميع البقاع يقصد التعبد، كما ورد في حديث أبي هريرة الطويل، عندما خرج إلى الطور فلقيه بصرة بن أبي بصرة الغفاري، فقال : من أين أقبلت ؟ فقلت: من الطور، فقال : لو أدركتك قبل أن تخرج إليه ما خرجت إليه؛ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " لا تعمل المطي إلا إلى ثلاثة مساجد إلى المسجد الحرام وإلى مسجدي هذا، وإلى مسجد إيليا، أو إلى مسجد بيت المقدس، شك أيهما . . . "[3] الحديث.

---

(١) إحياء علوم الدين (٢٤٤/١) ، انظر : شفاء السقام (١٢٦ – ١٣٣) ، وانظر : شفاء الفؤاد (١٠ – ١٢) وغيرها كالمدخل والمواهب ، والدرر السنية .

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (١٨٣/٢) .

(٣) صحيح ابن حبان ، باب ذكر البيان بأن في الجمعة ساعة فيها دعاء كل داعي ، برقم (٢٧٧٢) ، وسنن النسائي ، باب ذكر الساعة التي يستجاب فيها الدعاء يوم الجمعة برقم (١٤٣٠)، صححه ابن حبان ، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط : إسناده قوي . قال الشيخ الألباني : صحيح ، انظر : سنن النسائي (١١٣/٣) .

الشبهة الثالثة : مما استدل به القبورية على جواز شد الرحل لزيارة القبور المعظمة أن الزيارة قربة يتقرب بها العبد إلى ربه وأن وسيلة القربة قربة .

وقد قرر هذه الشبهة السبكي بعد كلام طويل، وذكر أدلة سبق الرد عليها، انتهى إلى قوله : " فإذا كانت كل زيارة قربة كان كل سفر إليها قربة "[1] . وقال ابن الحاج : " والحاصل من أقوالهم أنها قربة مطلوبة لنفسها الزيارة ، لا تعلق لها بغيرها، فتنفرد بالقصد وشد الرحال إليها، ومن خرج قاصدًا إليها دون غيرها فهو في أجل الطاعات"[2].

والرد على هذه الشبهة :

مما لا شك فيه أن زيارة القبور قربة فهي تذكر الآخرة، وترقق القلب، وتزهد في الدنيا، فالزيارة قربة، لكن شد الرحل ليس بقربة، بل هو معصية لله تعالى، ووسيلة القربى تكون قربة إذا كانت الوسيلة مشروعة، أما إذا كانت الوسيلة ليست مشروعة فلا تكون قربة، والزيارة الشرعية للقبور ممكنة للمسلم في كل بلد؛ لأنه لا يوجد بلدة إلا وفيها قبور فالفائدة تحصل بالزيارة الشرعية من تذكر الآخرة، ورقة القلب والدعاء للأموات من غير الحاجة إلى شد الرحل؛ أي من غير الحاجة إلى هذه الوسيلة الممنوعة، بل قول : إن كل سفر إلى القربة يعتبر قربة؛ ليس بصحيح، ولا يسلم لهم بذلك، فإذا كانت الغاية شرعية، فلا بد من الوسيلة الشرعية، فالصلاة قربة، ورغم ذلك لا يجوز السفر إليها إلا إلى المساجد الثلاثة[3].

الشبهة الرابعة : أن زيارة قبور الأنبياء والصالحين تعظيم لهم ودليل على حبهم:

فجعل القبورية شد الرحل إلى قبور الأنبياء والصالحين تعظيمًا لهم؛ إذ قال

(١) شفاء السقام (١٠٨) .

(٢) المدخل (٢٥١/١).

(٣) انظر : الكشف المبدي (١٧٤ ، ١٧٥) .

السبكي : " لو ثبت خلاف في زيارة قبر غير النبي صلى الله عليه وسلم لم يلزم من ذلك إثبات خلاف في زيارته ؛ لأن زيارة القبر تعظيم، وتعظيم النبي واجب "[1] .

كما قال القليوبي : " أكبر دليل على حب آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وودهم الزيارة لهم أحياءً وأمواتًا "[2] .

الرد على هذه الشبهة من وجوه :

الوجه الأول : اضطرب القبورية في حكم شد الرحل لزيارة قبر النبي ولم يستطيعوا أن يقولوا بوجوبها على الرغم من الأدلة التي ساقوها؛ إذ أن الأدلة التي ساقوها تدل على الوجوب لا محالة، ولكنهم لم يقتنعوا بصحة هذه الأدلة. فالسبكي يقول : "زيارة قبر النبي تعظيم، وتعظيم النبي واجب" . والقسطلاني يقول : " اعلم أن زيارة قبره الشريف من أعظم القربات، وأرجى الطاعات، والسبيل إلى أعلى الدرجات، ومن اتخذ غير هذا فقد انخلع من ربقة الإسلام، وخالف الله ورسوله وجماعة العلماء الأعلام"[3] . فعندما يقرأ الإنسان مثل هذا الكلام يظنها من أركان الدين، ثم يذكر كلامًا لأحد علماء المالكية في حكمها، ثم نقل كلام القاضي عياض فقال : " وقال القاضي عياض : إنها سنة من سنن المسلمين مجمع عليها وفضيلة مرغب فيها "[4]، فانظر إلى كلام القاضي عياض في زيارة قبر النبي بأنها سنة ومرغب عليها، وهذا لا خلاف فيه عند أهل السنة بدون شد رحل أنها مستحبة .

ثم ذكر القسطلاني أحاديث الزيارة، ومنها : "من حج ولم يزرني فقد جفاني " وذكر أنه لا يصح . ثم قال : " وعلى تقدير ثبوته فيتأمل قوله : " فقد جفاني " . فإنه ظاهر في حرمة ترك الزيارة؛ لأن الجفاء أذى، والأذى حرام بالإجماع فتجب الزيارة، إذ

---

(١) شفاء السقام (٨٩) ، وانظر : المواهب اللدنية (٣/٤٠٥) .

(٢) فيض الوهاب الوهاب (٤/ ١٥٠) .

(٣) المواهب (٣/٤٠٤).

(٤) المصدر السابق نفس الصفحة.

إزالة الجفاء واجب حينئذ، فمن تمكن من زيارته ولم يزره فقد جفاه، وليس من حقه علينا ذلك"[1].

فانظر التناقض؛ يذكر قول القاضي عياض بأنها سنة، ثم يورد حديثًا يقول عنه لايصح، ثم يبني حكمًا عليه، ولكن بناه بناءً على مقدمات جفاء النبي حرام، فالزيارة واجبة، والسبكي يقول: تعظيم النبي واجب، فالزيارة واجبة . وهذا من تناقض القبورية واضطرابهم وعدم ثقتهم بما استدلوا به من أدلة .

الوجه الثاني : إذا أخذنا بإطلاق هذه المقدمات نتج عنها أن شد الرحل إلى قبر النبي واجب؛ لأن القبورية يطلقون الزيارة على شد الرحل، وهذا القول لم يقل به أحد من الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة .

الوجه الثالث : يلزم من هذا القول أن من لم يزر القبر عاص؛ لأنه تارك لواجب منتفي العدالة لا تصح شهادته، ولا تقبل روايته وفتواه. قال ابن عبد الهادي: " وفي هذا تفسيق جميع الصحابة إلا من صح منهم الزيارة، ولا ريب أن هذا شر من قول الرافضة الذين فسقوا جمهورهم بتركهم تولية علي، بل هو جنس قول الخوارج الذين يكفرون بالذنب"[2] .

الوجه الرابع : لو كانت الزيارة واجبة لكانت مما لا يتم الإيمان إلا به ولما أضاع ذلك السابقون المقربون وسبقهم الخلف إليها[3] .

الوجه الخامس : أن النبي عليه الصلاة والسلام أرسله الله بالشرع المطهر، وحقيقة تعظيم النبي عليه الصلاة والسلام أن يعظم بما دلّ عليه الشرع، فحقيقة تعظيم النبي عليه الصلاة والسلام هو تعظيم أوامره بالإتباع، وتعظيم نواهيه بالاجتناب.[4]

---

(١) المواهب (٤٠٤/٣).

(٢) الصارم المنكي (٣٣٢) .

(٣) انظر : الصارم المنكي (٣٣٢) .

(٤) انظر : الصارم المنكي في الرد على السبكي (٣٣١) .

الشبهة الخامسة : الدعاء عند قبور الأنبياء والأولياء مستجاب .

ولذلك فالقبورية يشدون الرحل إلى قبور الأنبياء والأولياء ؛ ظنا منهم أن هذه القبور تجاب عندها الدعوات. وقد سبق ذكر شيءٍ من ذلك فيما يتعلق بالاستغاثة والتوسل والتبرك والشفاعة، وبينت أن دعاء صاحب القبر لجلب نفع أو لدفع ضر شرك ؛ لأن الدعاء عبادة، كما ورد في الحديث : " الدعاء هو العبادة " .

وسأناقش في هذه الشبهة اعتقاد القبورية استجابةَ الدعاء عند قبور الأولياء والصالحين، ولهذا قالوا عن بعض القبور تجاب عندها الدعوات "[1] .

قال ابن الحاج في صفة زيارة القبور : " ثم يدعو لنفسه ولوالديه ولمشايخه ولأقاربه، ولأهل تلك المقابر ولأموات المسلمين ولأحيائهم وذريتهم إلى يوم الدين، ولمن غاب عنه من إخوانه، ويجأر إلى الله تعالى بالدعاء عندهم "[2] .

الرد على هذه الشبهة:

الوجه الأول : ورد في السنة المطهرة الدعاء في أماكن وأزمنة، ولم يرد أن من الأماكن التي يدعى عندها وتكون سببًا لإجابة الدعاء القبور، كالدعاء في صعيد عرفات، ودعاء الصائم والمسافر وغيره.

الوجه الثاني : لم يثبت عن أحد من الصحابة أنه دعا عند قبر النبي عليه الصلاة والسلام، بل ورد عن ابن عمر رضي الله تعالى عنه أنه كان إذا قدم من سفر أتى وسلم على النبي عليه الصلاة والسلام، وسلم على أبي بكر وعلى والده، ولم يدل الدليل على أن الدعاء عند القبور من أسباب إجابة الدعاء .

الوجه الثالث : لا حجة في قول بعض القبورية أن هذا القبر قد جرب الدعاء عنده، فإجابة الدعاء ليس دليلاً على المشروعية أو الندب، فإجابة الدعاء قد يكون سببه

---

(١) انظر : دور الصوفية في نشر القبورية (١١١-١٢٤) .

(٢) المدخل (٢٤٩/١) .

اضطرار الداعي وصدقه، وقد يكون رحمة الله له، وقد يكون أمرًا قضاه الله تعالى لا لأجل دعائه، وقد يكون فتنة له، ولا يخفى أن الله عز وجل قد يستجيب للكفار كما في قولـه تعـالى : ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٥]، فليس معنى استجابة الدعاء عند القبور، أن هذه القبـور سببًا في إجابة الدعاء، لا من بعيد ولا من قريب .[1]

الوجه الرابـع : إن تعلق القلوب بالمقبورين، واعتقاد الناس أن عنـد قبـورهم تجاب الدعوات ذريعة إلى الشرك، والوقوع فيما وقعت فيه الأمم السابقة، ولذلك سـد النبي عليه الصلاة والسلام الطرق الموصلة إليه وحسم مادته، فنهى عن الصلاة في المقبرة، و ى عن اتخاذها مساجد، واتخاذها عيدًا ؛ حفاظًا على جناب التوحيد، وسدا للـشرك وذرائعه[2]، بل إن الدعاء عند القبور المعظمة أعظم فتنة من الصلاة عندها ؛ لأن الداعي قصد هذه البقعة لإجابة دعائه، بينما المصلي صلى في هذه البقعة لأداء فريضة . يقـول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : " ومن المعلوم أن المضطر في الدعاء الذي قـد نزلت به نازلة، فيدعو لاستجلاب خير كالاستسقاء، أو لرفع شر كالاستنصار، حاله في افتتانه بالقبور إذا رجا الإجابة عندها أعظم من حال من يؤدي الفرض عنـدها حـال العافية؛ فإن أكثر المصلين في حال العافية لا تكاد قلو م تفتن بذلك إلا قليلاً، أما الداعون المضطرون ففتنتهم بذلك عظيمة جدا، فإذا كانت المفسدة والفتنة التي لأجلها ي عـن الصلاة متحققة في حال هؤلاء، كان يهم عن ذلك أوكد وأوكد "[3] .

وبذلك يتبين حرمة دعاء الله تعالى عند تلك القبور ؛ اعتقادًا منهم أن القرب من قبور الأنبياء أو الأولياء سبب لإجابة الدعاء، بل إن الله تعالى قريب مجيب جعل الـدعاء بينه وبين عباده بلا واسـطة ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا

---

(١) وانظر : اقتضاء الصراط المستقيم (١٦٧/٢ ، ١٦٨) .

(٢) سيأتي تقرير هذه المسائل في المسلك العلمي (٣٥١-٣٧٠).

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم (١٩٦/٢ ، ١٩٧) .

دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

الباب الثالث

الوسائل الشرعية لعلاج ظاهرة القبورية

وفيه ثلاث فصول:

الفصل الأول : المسلك العلمي.

الفصل الثاني : المسلك العلمي لأهل القرون المفضلة مع القبور.

الفصل الثالث : المسلك الاحتسابي.

الفصـــل الأول

المسلك العلمي

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول : الإذن في زيارة القبور بعد النهي.

المبحث الثاني: سؤال النبي صلى الله عليه وسلم ربه ألا يجعل قبره وثناً يعبد.

المبحث الثالث: النهي عن الصلاة في المقبرة أو عند القبور.

المبحث الرابع : النهي عن تجصيص القبور والكتابة عليها.

المبحث الخامس : النهي عن البناء على القبور.

تمهيد :

بعث الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم، والناس في جهالة جهلاء وضلالة عمياء، فبعثه الله عز وجل بالعلم النافع ليزيل به دياجير الجهل، قال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة : ٣٣]، والهدى هو العلم النافع ، ودين الحق هو العمل الصالح ، ومنذ تلك البعثة المباركة والمسلم مأمور بعبادة الله تعالى على علم وبصيرة، قال تعالى :

﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴾ [محمد :١٩]، فالعمل الصالح هو ما كان موافقاً لما شـرع الله تعالى ، وهـذا لا يتأتى إلا بالعلم ، ولهذا بوب البخاري باباً قال فيه : " باب العلم قبل القول والعمل "[1] ، ومرجع العلم الكتاب والسنة ، فهما اللذان يعصمان من الضلال، قال عليه الصلاة والسلام: " تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض"[2] ؛ ولهذا أمر الله عز وجل بالرجوع إليهما والتحاكم لهما عند الاختلاف قال الله تعالى: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ [النساء :٥٩] ومعنى الرد إلى الله الرد إلى كتابه، ومعنى الرد إلى رسوله الرد إلى سنته صلى الله عليه وسلم [3] . وأعظم أمر بينه صلى الله عليه وسلم وأمر به توحيد الله بالعبادة، كما بين ما يضاده من الشرك و ى عنه، وسد الذرائع الموصلة إليه، فالشارع حرم الذرائع الموصلة للشرك وإن لم يقصد ا الشرك ، ولما كان سبب الشرك في العالم تعظيم القبور، فقد ى النبي عليه الصلاة والسلام عن البناء على القبور، وتجصيصها، والكتابة عليها، وإسراجها، والصلاة إليها، والصلاة في المقابر إلى غير ذلك، كل ذلك مخافة اتخاذها أوثاناً[4] ، ولما كان الجهل بأحكام القبور من الأسباب التي تؤدي إلى تعظيمها، فقد جاء الشرع المطهر ببيان أحكامها ، كما جاء بسد الذرائع الموصلة إلى تعظيمها، ومن خلال المباحث التالية يتبين ذلك .

المبحث الأول

الإذن في زيارة القبور بعد النهي:

(1) البخاري كتاب العلم ، باب العلم قبل القول والعمل رقم الباب (١٠) .

(2) أخرجه الحاكم ،كتاب العلم برقم ٣١٩، والبيهقي في الكبرى باب ما يقضي به القاضي بـرقم (٢٠١٢٤)، قال الألباني: حديث صحيح ، انظر : صحيح وضعيف الجامع الصغير برقم (٢٩٣٧) .

(3) انظر : شرح الصدور (٩٧) .

(4) انظر : إغاثة اللهفان (٣٦٢/١) .

ى النبي صلى الله عليه وسلم عن زيارة القبور في صدر الإسلام، كمـا ورد في حديث بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يتكم عن زيـارة القبور فزوروها"[1]؛ والسبب في يه صلى الله عليه وسلم عن زيـارة القبـور في أول الإسلام ؛ لأن الناس في الجاهلية كانوا يعظمون القبور والأضرحة، وكانت فتنة بـني آدم ووقوعهم في الشرك بسبب تعظيم القبور، فنهى صلى الله عليه وسلم عن ذلك صـيانة لجانب التوحيد، وقطعاً للشرك ووسائله، قال ابن القيم رحمه الله تعالى: " بل كان في أول الإسلام قد ى عن زيارة القبور صيانة لجانب التوحيد، وقطعاً للتعلق بالأموات وسـداً لذريعة الشرك التي أصلها تعظيم القبور وعباد ا"[2] .

ولما كان دين الإسلام مبنياً على درء المفاسد وتقليلها، وجلب المصالح وتكميلها، فقد حصل درء المفسدة بالنهي عن الزيارة أولاً، ثم أذن فيه ثانية لما استقر الدين وتمكـن التوحيد من قلوب الناس ليحصل لهم في زيارتـها العبرة والعظة وزيادة الإيمان ، قـال: ابن عباس :"فلما تمكن التوحيد من قلو م، واضمحل الشرك، واسـتقر الـدين، أذن في زيارة يحصل ا مزيد الإيمان ، وتذكير ما خلق العبد له من دار البقاء، فأذن حينئذ فيها فكان يه عنها للمصلحة، وإذنه فيها للمصلحة"[3] .

وقد بين النبي علية الصلاة والسلام المقصود من هذه الزيارة ، وهـي التـذكير بالآخرة، والتزهيد في الدنيا. قال المناوي :" كنت يتكم عن زيارة القبـور لحـدثان عهدكم بالكفر ، وأما الآن حيث انمحت آثار الجاهلية، واستحكم الإسلام ، وصرتم أهل يقين وتقوى، فزوروا القبور، أي : بشرط أن لا يقترن بذلك تمسح بالقبر، أو تقبيل، أو سجود عليه، أو نحو ذلك فإنه كما قال السبكي بدعة منكرة إنما يفعلها الجهال؛ فإ ـا تزهد في الدنيا وتذكر الآخرة، ونعم الدواء لمن قسى قلبه ، ولزمه ذنبـه، فـإن انتفـع

---

(1) جزء من حديث رواه مسلم برقم ٩٧٧، ١٩٧٧ .

(2) ذيب السنن (٩/٤٤) .

(3) الصدر السابق ، بنفس الصفحة .

بالإكثار منها فذاك وإلا أكثر من مشاهدة المحتضرين"[1].

ولهذا أكد النبي عليه الصلاة والسلام مقصد الزيارة، و ى عما يخالف مقـصدها الشرعي الصحيح بقوله : " كنت يتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإ ا ترق القلب وتدمع العين وتذكر الآخرة ولا تقولوا هجرا "[2] .

فمقصود الزيارة، رقة القلب وتذكر الآخرة ، ثم ى عليه الصلاة والسلام عـن مشا ة أهل الجاهلية في زيار م، قال النووي:" والهجر : الكلام الباطل ، وكان النـهي أولاً لقرب عهدهم بالجاهلية فربما كانوا يتكلمون بكلام الجاهلية الباطل، فلما اسـتقرت قواعد الإسلام ، وتمهدت أحكامه، واشتهرت معالمه أبيح لهم الزيارة ، واحتـاط عليـه السلام بقوله : "ولا تقولوا هجراً "[3].

ولقد وقع كثير من العوام بالهجر الذي ى عنه النبي صلى الله عليه وسلم عنـد الزيارة من دعاء الأموات، والاستغاثة م، وطلب البركة والشفاعة منهم ، إلى غير ذلك من الأقوال والأفعال التي تخرج الزيارة عن مقصودها الشرعي .

المبحث الثاني

سؤال النبي صلى الله عليه وسلم ربه ألا يجعل قبره وثناً يعبد

لما كان تعظيم القبور من أعظم الأسباب المؤدية إلى الشرك، وكانـت الفتنـة في قبور الأنبياء أعظم من غيرها، وكان الشرك الذي حصل في الأمم السابقة بسبب تعظيم قبور الأنبياء والصالحين " فقد رأيت أن سبب عبادة اللات هو الغلو في قبره حتى صـار

---

(1) فيض القدير (٥٥/٥)، وانظر : التيسير بشرح الجامع الصغير (٢٢٤/٢) .

(2) رواه الحاكم برقم (١٣٩٣)، وأحمد (١١٦٢٤). قال الألباني : صحيح ، انظر : صـحيح الجـامع بـرقم (٤٥٨٤).

(3) المجموع (٢٧٧/٥).

وثناً يعبد، كما كان ذلك هو السبب في عبادة الصالحين: ود، وسواع، ويغوث، ويعوق، نسر، وغيرهم، وكما كان ذلك هو السبب في عبادة الصالحين من الأموات وغيرهم اليوم، فإنهم غلوا فيهم ، وبنوا على قبورهم القباب والمشاهد وجعلوها ملاذاً لقضاء المآرب"[1] ، ومفسدة صرف العبادة أو جزء منها للأنبياء ، ومن سار على نهجهم بعد موتهم؛ إذ أنهم في حياتهم ينهون عن الشرك،. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله: "ومنها إفضاء ذلك إلى الشرك وهذه المفسدة توجد مع الموت دون الحياة، فإن أحداً من الأنبياء والصالحين لم يعبد في حياته؛ إذ هو ينهى عن ذلك، وأما بعد الموت فهو لا ينهى فيفضي ذلك إلى اتخاذ قبره وثناً يعبد " [2]، وحرصاً منه صلى الله عليه وسلم على أمته وسداً للشرك وذرائعه؛ فإنه دعا ربه ألا يجعل قبره وثناً يعبد، كما ورد في حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " اللهم لا تجعل قبري وثناً ، لعن الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"[3]

والوثن: الصنم، وهو الصورة من ذهب كان أو من فضة أو غير ذلك من التماثيل، وكل ما يعبد من دون الله فهو وثن صنماً كان أو غير صنم**[4]** ، و قبر النبي عليه الصلاة والسلام هو أشرف القبور وأكرمها ؛ ورغم ذلك فلو عبد لأصبح وثناً من الأوثان ؛ لكن الله عز وجل استجاب دعاء نبيه عليه الصلاة والسلام، فأحيط بجدران ثلاثة تمنع الناس من الوصول إلى قبره عليه الصلاة والسلام قال ابن القيم رحمه الله تعالى :

فأجاب رب العالمين دعاءه ... وأحاطه بثلاثة الجدران
حتى غدت أرجاؤه بدعائه ... في عزة وحماية وصيان[5]

---

(1) تيسير العزيز الحميد (٢٩٩).

(2) الاستغاثة في الرد على لبكري (٣٤٣/١) .

(3) أحمد برقم (٧٣٥٢) ، قال الألباني إسناده صحيح انظر : تحذير الساجد (٢٥) وروى مالك في الموطأ قريباً منه برقم (٤١٤).

(4) التمهيد (٤٥/٥) .

(5) الكافية الشافية مع شرحها (٣٥٢/٢) .

قال القرطبي :" ولهذا بالغ المسلمون في سد الذريعة في قبر النبي صلى الله عليـه وسلم، فأعلوا حيطان تربته وسدوا المداخل إليها وجعلوها محدقة بقبره صـلى الله عليـه وسلم، ثم خافوا أن يتخذ موضع قبره قبلة؛ إذ كان مستقبل المصلين فتصور الصلاة إليـه بصورة العبادة، فبنوا جدارين من ركني القبر الشماليين وحرفوهما حتى التقيا على زاويـة مثلثة من ناحية الشمال حتى لا يتمكن أحد من استقبال قبره "[1] .

والقبر يصبح وثناً إذا كان يباشر القبر بالعبادة، أو تباشر التوابيت الذي عليـة ؛ ولهذا لا حجة لمن يقول إن قبر النبي عليه الصلاة والسلام يطيب ويسجد له، ليساوي به الأضرحة المعظمة عند القبورية ؛ لأن قبر النبي لا يمكن الوصول إليه[2] ، وهذا من حماية الله تعالى لقبر نبيه عليه الصلاة والسلام ، بخلاف غيره من القبور المعظمة التي يوصل إليها وتمس توابيتها. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : " في بعض الأحوال قد ستر بعض الناس الحجرة أو خلقها بعضهم بزعفران، فهذا إنما هو للحائط الذي يلي المـسجد لا من باطن الحجرة والقبر كما يفعل بقبر غيره، فعلم أن الله سبحانه اسـتجاب دعـاءه حيث قال اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد"[3] .

وإن المسلم ليعجب أشد العجب من أحوال كثير من القبورية في دعو م للبنـاء على الأضرحة وشد الرحل إليها والاستغاثة ا ودعائها وغير ذلك من أعمالهم الـشنيعة التي استفاضت عنهم عند القبور، وهم بذلك إنما يجعلو ا أوثاناً تعبد من دون الله تعـالى فيعصون الله جل وعلا ، ويعصون نبيه صلى الله عليه وسلم الذي ى أن تتخذ القبـور أوثاناً .

المبحث الثالث

النهي عن الصلاة في المقبرة أو عند القبور

---

(1) المصدر السابق (٣٥٣/٢) وانظر : أضواء البيان (٣٥٣/٨) .

(2) انظر : فتح ا يد (٢٧٦) .

(3) الإخنائية (١٠٣) .

نـهى النبي عليه الصلاة والسلام عن الصلاة في المقبرة ، كما في حديث أبي مرثد الغنوي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا تجلسوا على القبور ولا تـصلوا إليها"[1] ، والمقصود في المقبرة موضع القبور[2] أي الموضع الذي فيه قبر أو أكثر سـواء كان مسوراً أم لم يكن مسوراً ؛ لأن المسجد في اللغة يطلق على مكان السجود، وهذا ما دلّ عليه حديث النبي عليه الصلاة والسلام: "جعلت لي الأرض مسجدا وطهـورا" [3]، وبالتالي فالأرض كلها مسجد، إلا ما استثناه الدليل من هذا العموم، ومنها الـصلاة في المقبرة قال عليه الصلاة والسلام: " الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام"[4]، والنـهي عن الصلاة في المقبرة يتناول الصلاة على القبر أو إلى القبر، أو بين القبـور . قال الحافظ ابن حجر: "يتناول ما إذا وقعت الصلاة على القبر أو إلى القبر أو بين القبرين "[5] .

فالمقابر ليست أماكن للصلاة ، وهذا الذي تضافرت عليه الأدلة مـن الـسنة النبوية المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم ، وهو الذي عليـه العمـل عنـد أصحاب القرون المفضلة؛ ولهذا يكفي في الحث على صلاة النافلة في البيت أن لا يـصبح البيت كالمقبرة؛ لأنه قد استقر عند الصحابة أن المقابر ليست أماكن للصلاة، فعن ابـن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ولا تتخذوها قبوراً " ، وفي رواية مسلم: "ولا تجعلوا بيوتكم مقـابر" [6] ؛ ولهذا نجد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما رأى أنس يصلي إلى القبر قال : " القـبر

(1) رواه مسلم برقم (٩٧٢) .

(2) انظر : لسان العرب (٥: ٦٨) .

(3) جزء من حديث عند البخاري ، كتاب التفسير ، باب فلم تجدوا ماء فتيمموا ... برقم (٣٣٥، ٤٣٨) .

(4) رواه ابن خزيمة ، باب الزجر عن الصلاة في المقبرة والحمام ، برقم (٧٩١) ، والترمذي بـاب ماجـاء أن الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام برقم (٣١٧) قال الشيخ الألباني: صحيح .

(5) فتح الباري (٥٢٤/١) .

(6) البخاري كتاب الصلاة ، باب كراهة الصلاة في المقابر برقم (٤٣٢، ١١٧٨) ، ومسلم برقم (٧٧٧).

القبر"[1] . قال الحافظ ابن حجر قوله : " القبر القبر بالنصب فيهما على التحذير" [2] ، وهذا الذي فهمه كثير من علماء الإسلام في النهي عن الصلاة عند القبور ، سـواء في ذلك أكان القبر قبلته أو عن يمينه أو عن يساره أو خلفه، ولهذا بوب كثير من المحدثين في النهي عن الصلاة في المقبرة أو عند القبور [3].

والعلة التي حرم من أجلها الصلاة عند القبور أوفي المقابر، هي الخوف من تعظيم الأموات، والافتتان م ، ومن ثم عباد م، قال: النووي رحمه الله تعالى: " قوله صلى الله عليه وسلم (لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها) فيه تصريح بالنهي عن الـصلاة إلى قبر، قال الشافعي رحمه الله : وأكره أن يعظم مخلوق حتى يجعل قبره مسجداً مخافة الفتنـة عليه وعلى من بعده من الناس"[4] ، فاتخاذ المقابر أماكن للـصلاة يفـضي إلى عبـادة المقبورين ، وهو سبب ضلال من قبلنا من الأمم . قال شـيخ الإسلام رحمه الله تعالى : " وهذه العلة التي لأجلها ى الشارع عن اتخاذ المساجد على القبور، وهي التي أوقعت كثيرا من الأمم إما في الشرك الأكبر أو فيما دونه من الشرك، فإن النفوس قد أشركت بتماثيل القوم الصالحين، وتماثيل يزعمون أ ا طلاسم لكواكب ونحو ذلك، فإن الـشرك بقبر الرجـل الـذي يعتقـد صـلاحه أقـرب إلى النفـوس مـن الـشرك بخـشبه أوحجر؛ ولهذا تجد أهل الشرك يتضرعون عندها ويخشعون ويخضعون ويعبدون بقلـو م عبادة لا يفعلو ا في بيوت الله ولا وقت السحر، ومنهم من يسجد لهـا ، وأكثـرهم

---

(1) البخاري كتاب الصلاة ، باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكا ا المساجد برقم (١٦).

(2) فتح الباري (٥٢٤/١) .

(3) انظر : صحيح البخاري باب كراهة الصلاة في المقابر ، وانظر : ما بوبه النووي على مسلم قال : باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد، وبوب النسائي النهي عـن اتخاذ القبور مساجد، وبوب الدارمي النهي عن اتخاذ القبور مساجد، وبوب ابن خزيمة باب الزجر عن الصلاة في المقبرة والحمام ، وقال: البيهقي باب ما جاء في النهي عن الصلاة في المقبرة والحمام وغيرهم مـن علمـاء الإسلام .

(4) شرح النووي على صحيح مسلم (٣٨/٧) ، ا موع شرح المهذب (٢٧٠/٥).

يرجون من بركة الصلاة عندها والدعاء ما لا يرجونه في المساجد ؛ فلأجل هذه المفسدة حسم النبي صلى الله عليه وسلم ماد ا، حتى ى عن الصلاة في المقبرة مطلقـاً، وإن لم يقصد المصلي بركة البقعة بصلاته كما يقصد بصلاته بركة المساجد، كما ـى عـن الصلاة وقت طلوع الشمس وغرو ا ؛ لأ ا أوقات يقصد المـشركون فيهـا الـصلاة للشمس، فنهى أمته عن الصلاة حينئذ وإن لم يقـصد مـا قـصده المـشركون سـداً للذريعة"[1].

ولذلك ى النبي عليه الصلاة والسلام أمته في أحاديث كثيرة عن اتخـاذ المقـابر أماكن للصلاة، وبين عليه الصلاة والسلام أن هذا من فعل اليهود والنـصارى الـذين استحقوا بسببه لعن الله ومقته، فقد ورد في حديث عائشة رضي الله تعالى عنها قالـت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي لم يقم منـه: " لعـن الله اليهـود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد قالت: فلولا ذاك أبرز قبره غير أنـه خـشي أن يتخذ مسجداً "[2] . ولمسلم من حديث جندب قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسـلم قبل أن يموت بخمس وهو يقول : "إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليـل، فـإن الله تعالى قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلا، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أ اكم عن ذلك"[3] .

قال الحافظ ابن حجر: " وفائدة التنصيص على زمن النهي الإشارة إلى أنه مـن الأمر المحكم الذي لم ينسخ؛ لكونه صدر في آخر حياته صلى الله عليه وسلم"[4] ، فمـن الأمور المحكمة التي بينها عليه الصلاة والسلام أكمل بيان أن الصلاة في المقابر من اتخاذها

(1) اقتضاء الصراط المستقيم (١٩٢/٢، ١٩٣) .

(2) روا ه البخاري ، كتاب الجنائز ، باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور برقم (١٣٩٠)، ومسلم بـرقم (٥٢٩) .

(3) رواه مسلم برقم (٥٣٢) .

(4) فتح الباري (١/ ٥٢٥) .

مساجد، سواءً كانت الصلاة في المقبرة لله تعالى، أو الصلاة لصاحب القبر ، أو الـصلاة تبركاً بالمقبور، لكن هذه الصور المذكورة بعضها أكبر من بعض ، فمنها ما هو شـرك أكبر يخرج من الملة ، ومنها ما هو شرك اصغر ، ومنها ما هو محرم يفضي إلى الشرك .

فالصلاة لله عند القبور وفي المقابر محرمة للأدلة الواردة في ذلك قال: الـشنقيطي رحمه الله تعالى: " أما الصلاة في المقابر فقد وردت أحاديث صحيحة في النهي عنها، منها ما رواه الشيخان في صحيحيهما عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في مرض موته:" لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، يحذر مـا صنعوا ولولا ذلك أبرز قبره صلى الله عليه وسلم غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً " [1]، ثم ساق أدلة أخرى تدل على ذلك ، ثم قال "والنبي صلى الله عليه وسلم لا يلعـن إلا على فعل حرام شديد الحرمة "[2]؛ فالصلاة في المقابر محرمة حرمة شديدة لأ ا تفضي إلى الشرك .

كما أن فيها مشا ة لليهود والنصارى في عبادا م. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " لما فيه من التشبه بالمتخذين القبور مساجد، وإن كان المصلي قد لا يقصد الصلاة لأجل فضيلة تلك البقعة ، بل اتفق له ذلك لكن فيه تشبه بمن يقصد ذلك، فنهى عنه كما ينهى عن الصلاة المطلقة وقت الطلوع والغروب، وإن لم يقصد فضيلة ذلك الوقت لما فيه مـن التشبه بمن يقصد فضيلة ذلك الوقت وهم المشركون، فنهيه عن الصلاة في هذا الزمـان كنهيه عن الصلاة في ذلك المكان"[3] .

وأما إذا قصد المصلي في صلاته عند القبر بركة المكان بسبب وجود القبر فيه فإن هذا أشد حرمة من الذي قبله، وهو ذريعة إلى الشرك، قال الألوسي : " وقـال بعـض الحنابلة قصد الرجل الصلاة عند القبر متبركاً به عين المحاداة لله تعالى ورسوله صـلى الله عليه وسلم ، وإبداع دين لم يأذن به الله عز وجل، للنهي عنها ثم إجماعاً ، فإن أعظـم

---

(1) أضواء البيان (٢ /٢٩٥) .

(2) المصدر السابق نفس الصفحة

(3) الفتاوى (٥٠٣/١٧) .

المحرمات وأسباب الشرك الصلاة عندها واتخاذها مساجد أو بناؤها عليها، وتجب المبادرة لهدمها وهدم القباب التي على القبور؛ إذ هي أضر من مسجد الضرار؛ لأ ا أسست على معصية رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأنه عليه الصلاة والسلام ى عن ذلك وأمـر دم القبور المشرفة وتجب إزالة كل قنديـل أو سراج على قبر ولا يصح وقفـه ولا نذره"[1] .

وأما إذا صلى للقبر، وسجد له فهذا شرك أكبر ينقل من الملة. قال التوربشتي[2] في معنى اتخاذ القبور مساجد : "هو مخرج على وجهين أحدهما : كانوا يسجدون لقبـور الأنبياء تعظيماً لهم وقصد العبادة في ذلك، وثانيهما : أ م كانوا يتحـرون الـصلاة في مدافن الأنبياء ويتوجهون إلى قبورهم في حالة الصلاة والعبادة لله، نظراً منهم أن ذلـك الصنيع أعظم موقعاً عند الله لاشتماله على الأمرين العبادة والمبالغة في تعظـيم الأنبيـاء، وكلا الطريقتين غير مرضية، أما الأولى فشرك جلي، وأما الثانية فلما فيها مـن معـنى الإشـراك بالله عز وجل وإن كان خفياً، والدليـل على ذم الوجهين قوله صلى الله عليه وسلم : " اللهم لا تجعل قبري وثناً، اشتد غضب الله على قوم اتخـذوا قبـور أنبيـائهم مساجد "[3] .

والفقهاء رحمهم الله تعالى اختلفوا في جواز الصلاة في المقبرة من عدمه إلى أقوال: فمنهم من رأى جواز الصلاة في المقبرة ، ومنهم من كره ذلك، ومنهم من حرم ذلـك ومنعه ، وسبب اختلاف الفقهاء رحمهم الله خلافهم في علة الحكم، فمنهم من قال : إن علة الحكم النجاسة، وهذا قول الشافعية، وبالتالي رأوا جواز الصلاة في المقبرة إذا أحترز من النجاسة، ومنهم من رأى الكراهة كالحنفية، ومنهم من رأى المنع والتحريم كالحنابلة، والعلة سد ذريعة الشرك؛ لأن اتخاذ القبور مساجد يصيرها أوثاناً [4] .

---

(1) روح المعاني (١٥/ ٢٣٨) ، وانظر : اقتضاء الصراط المستقيم، قريبا منه (٢/ ١٩٣) .

(2) **فضل الله** : رجل محدث فقيه من أهل شيراز ، شرح مصابيح البغوي ، ت بحدود ٦٦٠ هـ . انظر : طبقات الشافعية . الكبرى (٣٤٩/٨) .

(3) سبق تخريجه (٣٥٥).

(4) انظر : عمدة القاري (١٧٣/٤) .

ولاشك أن النهي للتحريم كما سبق بيانه، والعلة سد ذريعة الشرك؛ لأن اتخـاذ المقابر مساجد يصيرها أوثاناً ، وأما قول : إن العلة لأجـل النجاسة فهذا قـول باطـل لوجوه :

منها أن النهي جاء عن الصلاة في المقبرة، ولم يفرق بين المقبرة المنبوشـة وغـير المنبوشة، كما فرق المعللون .

ومنها أن موضع مسجد النبي عليه الصلاة والسلام كان موضع مقبرة للمشركين فنبش قبورهم وسواها واتخذه مسجداً ولم ينقل ذلك التراب، ولو كانت العلة النجاسـة لوجب نقل ذلك التراب.

ومنها لو كان العلة النجاسة لما ى عن الصلاة في المقبرة ؛ لأنه قد ثبت في سنته أن الأرض تطهر بما مسها من الشمس والريح .

ومنها أن النبي عليه الصلاة والسلام لعن اليهود والنصارى الذين اتخـذوا قبـور أنبيائهم مساجد ومعلوم قطعاً أن العلة ليست النجاسة؛ لأن قبور الأنبياء من أطهر البقاع فالله حرم على الأرض أن تأكل أجسادهم فهم في قبورهم طريون [1] .

فالعلة ليست النجاسة، بل العلة سد الذريعة المفضية إلى الشرك؛ لأن أصل شرك العالم تعظيم قبور الأنبياء والصالحين .

المبحث الرابع

النهي عن تجصيص القبور والكتابة عليها

ى النبي عليه الصلاة والسلام عن تجصيص القبور والكتابة عليها؛ وذلك لحديث جابر رضي الله قال: " ى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجصص القبر، وأن يقعـد عليه، وأن يبنى عليه" [2]

---

(1) انظر : إغاثة اللهفان (١٨٨،١٨٧/١) . وانظر : الفتاوى (٣٢١/٢١-٣٢٣) .

(2) رواه مسلم برقم ٩٧٠ .

وفي رواية أخرى عند مسلم : " ى عـن تقـصيص القبـور"، والتقـصيص والتجصيص بمعنى واحد ،"و القَصةُ و القِصة و القَص: الـجص، لغة حجازية، وقـيل: الـحجارة من الـجص، وقد قَصص داره أي جصصها، ومدينة مقَصـصة: مطْلـية بالقَص، وكذلك قبر مقَصص. وفـي الـحديث : ى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تقْصِيص القُبور، وهو بناؤها بالقَصة "[1] .

والجص له استعمالات: فمنها تبييض القبر بالجبس أو الجير ،" ويكره تجـصيص القبر أي تبييضه بالجبس أو الجير"[2]، وتبييض القبور منهي عنه بأي مادة كانت سـواء بالجص أو غيرها " ويكره تجصيص القبر أي تبييضه بالجص، وهو من الجبس، وقيل الجير، والمراد هنا هما أو أحدهما "[3] .

وقد يكون المقصود من تجصيص القبر تزيينه وهذا داخل في النهي، "فمن أصـول ذلك وشواهده تزيين القبر فما أشبه تزيين النعش بتزيين القبر ، وقد صح ي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تجصيص القبور، وعلله الإمام الشافعي رضي الله عنه بأن ذلك يشبه الزينة والخيلاء وليس الموت موضع واحد منهما، وقال في موضع آخر ى فيه عـن بعض ما يراد به تزيين الميت ، الميت لا يزين"[4] .

وقد يستعمل الجص في البناء على القبر أو رفع جوانب القـبر بـه ، " وإفـراد التجصيص؛ لأنه أتم في إحكام البناء فخص بالنهي مبالغة" [5] ، والبناء على القبور محـرم إجماعاً وسيأتي ، وقد استدل العلامة الشوكاني في تحريم البناء على القبور ذا الحـديث؛ إذا قال رحمه الله بعد ما ساق هذا الحديث: "وفي هذا تصريح بالنهي عن البنـاء علـى القبور، وهو يصدق على ما بني على جوانب حفرة القبر،كما يفعله كثير من الناس مـن

---

(1) لسان العرب (٧٧،٧٦/٦) .

(2) السراج الوهاج (١١٤/١) .

(3) مغني المحتاج (٣٦٤/١) .

(4) فتاوى أبن الصلاح (١٢٣/١) .

(5) حاشية السندي (٨٧/٤) .

رفع قبور الموتى ذراعاً فما فوق"[1]. فالتجصيص يستعمل للبناء ، أو الزينة، "ولا تجصص لما روي أن النبي ى عن تجصيص القبور وتربيعها ؛ ولأن التجصيص في الأبنية أما للزينة أو لإحكام البناء"[2] .

و ذا يتبين ي النبي الكريم عليه الصلاة والسلام عن تجصيص القبور لأي غرض كان سوأء للتزيين، أوالتبييض، أو البناء؛ ولهذا بوب كثير من العلماء في كتبهم في النهي عن تجصيص القبور[3]، والبناء منهي عنه سواءً كان على القبر، أو حول القبر؛ ولهذا ذهب جمع من أهل العلم أن لا يزاد على القبر أكثر من ترابه، " وعليه حمله النووي في شرح المهذب، قال الشافعي والأصحاب : يستحب أن لا يزاد القبر على التراب الذي أخرج منه لهذا الحديث؛ لئلا يرتفع القبر ارتفاعاً كثيراً أو يجصص" [4]،كل ذلك من سلف الأمة عملاً بنصوص السنة المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم ، وسداً لتعظيم القبور الذي يعتبر من أخطر المزالق الموصلة إلى الشرك؛ ولهذا فتجصيص القبور للزينة ، أو البناء عليها، أو حولها بالجص أو غيرها محرم لنهيه عليه الصلاة والسلام.

وأما الكتابة على القبور فقد ى النبي عليه الصلاة والسلام عنها ، قال جابر: " ى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبنى على القبر أو يجصص أو يقعد عليه و ى أن يكتب عليه" [5].

---

(1) شرح الصدور (١١١) .

(2) المبسوط (٦٢/٢) .

(3) انظر : شرح مسلم للنووي باب النهي عن تجصيص القبر والبناء عليه (٦٦٧/٢)، و صحيح ابن حبان . وذكر الزجر عن تجصيص القبور (٤٣٣/٧) ، وسنن ابن ماجه ، باب ما جاء في النهي عن البناء على القبور وتجصيصها والكتابة عليها (٤٩٨/١)

(4) شرح السيوطي لسنن ابن ماجة (٨٦/٤) .

(5) سنن أبي داود ، كتاب الجنائز برقم (٣٢٢٦)، المستدرك على الصحيحين، باب الجنائز برقم (١٣٦٩). قال الشيخ الألباني : " حديث صحيح " . انظر تخريج الشيخ لسنن أبي داود.

ولهذا بوب جماعة من أهل العلم في النهي عن الكتابة على القبور أياً كانت هذه الكتابة "[1] سواءً كانت هذه الكتابة اسم صاحب القبر، أو تاريخ وفاته، أو شيئا مـن القران، أو اسماً من أسماء الله الحسنى؛ ولأي غرض كان " أو يكتب عليه يحتمل النهي عن الكتابة مطلقاً ككتابة اسم صاحب القبر وتاريخ وفاته، أو كتابة شيء من القرآن وأسماء الله تعالى ونحو ذلك للتبرك؛ لاحتمال أن يوطأ أو يسقط علـى الأرض فيـصير تحـت الأرجل"؛[2] ولهذا ذهب جماعة من أهل العلم إلى تسوية الكتابة بالتجـصيص والبنـاء "ويكره تجصيص القبر أي تبييضه بالجبس أو الجير والبناء عليه، والكتابة عليه، ولو لاسم صاحبه ، ويكره تقبيل التابوت والأعتاب، وأن يجعل على القبر مظلة [3]، فهذه الأمـور الثلاثة ى عنها النبي صلى الله عليه وسلم، وسار سلف الأمة من الـصحابة والتـابعين وتابعيهم بإحسان على تركها والإنكار على فاعلها، ثم أتى من بعدهم أقوام خالفوا هدي النبي عليه الصلاة والسلام؛ إما جهلاً لعدم وصول الدليل إليهم ؛ وإما لاستحسان مجـرد عن الدليل؛ وإما تشبه بغير المسلمين؛ أو لغير ذلك من الأسباب، ولا يقف الأمر عند هذا الحد، بل يصل الأمر إلى، تأثر العلماء أصحاب الدليل بسوط العامة وجهلة الناس فنجد الحاكم يسوق حديث جابر الذي ينهى فيه عن الكتابة إذ قال جابـر رضي الله عنـه: " ى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تجصيص القبور ، والكتابة فيهـا ، والبنـاء عليها، والجلوس عليها "[4] ثم يقول: "هذه الأسانيد صحيحة وليس العمل عليها فإن أئمة المسلمين من الشرق إلى الغرب مكتوب على قبورهم وهو عمل أخذ به الخلـف عـن

(1) انظر : صحيح ابن حبان، ذكر الزجر عن الكتابة على القبور(٤٣٤/٧) ، خلاصة الأحكام ١٠٢٦/٢، باب النهي عن تجصيص القبر والكتابة عليه والبناء والقعود والوطء .
(2) السراج الوهاج (٨٧/٤).
(3) المصدر السابق (١١٤/١).
(4) سبق تخريجه (٣٦٣).

السلف"[1]، والأصل الذي عليه العمل والذي يعول عليه الدليل، فإذا صح الحديث وجب العمل به ، و ي النبي عليه الصلاة والسلام مقدم على قول وفعل غيره .

قال الذهبي رحمه الله تعالى متعقبا هذه المقولة: " قلت ما قلت طائلاً، ولا نعلم صحابياً فعل ذلك، وإنما هو شيء أحدثه بعض التابعين فمن بعدهم، ولم يبلغهم النهي" [2]، ولا يعول على عمل الناس فالناس أحدثوا أموراً ى النبي عليه الصلاة والسلام عنها ، وأجمع العلماء على تحريمها كالبناء على القبور، وأما قول أن أئمة المسلين مكتوب على قبورهم، فهذا ليس بحجة؛ لأنه في مقابل النص ، بل ذهب ما لا يحصى من علماء الحديث والفقه كما سبق إلى النهي عن الكتابة على القبور، و ي النبي عليه الصلاة والسلام يستلزم التحريم؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: "ما يتكم عن شيء فاجتنبوه "[3]، وبذلك يتبين لنا ي النبي عليه الصلاة والسلام عن تجصيص القبور والكتابة عليها ؛ لما في ذلك من الإفضاء إلى تعظيمها وزخرفتها حتى يصل الأمر إلى البناء عليها والافتتان ا .

المبحث الخامس

النهي عن البناء على القبور

ى النبي عليه الصلاة والسلام عن الهجر في زيارة القبور، وعن تجصيصها،

---

(1) المستدرك على الصحيحين، كتاب الجنائز (٣٧٠/١).

(2) التلخيص (٣٧٠/١). انظر : الروضة الندية (٤٧٠/١)، وفيض القدير (٣١٠/٦)،

(3) جزء من حديث أخرجه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب الإقتداء بسنن رسول الله ......، برقم (٧٢٨٨) ، ومسلم برقم (١٣٣٧).

والكتابة عليها، ورفعها، والصلاة في المقابر ؛ كل ذلك حماية لجانب التوحيـد ، وسـدا للشرك وذرائعه.

وكلما كان الابتداع أكثر فتنة ، كان النهي أشد، والوقوع فيه أخطـر، ألا وإن من أعظم المنكرات التي ى النبي عليه الصلاة والسلام عنها البناء على القبور، واتخاذهـا مساجد ، فتضمن ي النبي عليه الصلاة والسلام أمورًا تدل على خطورة الأمر، وإنه من كبائر الذنوب ومن الوسائل المفضية للشرك بالله رب العالمين ، ومن هذه الأمور :

أولاً : أن النبي عليه الصلاة والسلام ى عن اتخاذ القبور مساجد في مرض موته كما ورد في حديث عائشة وابن عباس، قالا : لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسـلم طفق يطرح خميصة[(1)] له على وجهـه فإذا اغتم كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك : " لعنة الله على اليهـ ـود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا "[(2)] ، وكان يه عليه الصلاة والسلام قبل وفاته بخمس ليال ، ويستفاد من ذلك أن شدة المرض والوعك الشديدلم يشغله عن تحذير أمته من البناء على القبور، كما يستفاد منه أن النهي عن البناء على القبور من الأمور المحكمة التي لم يلحقها النسـخ . قال الحافظ ابن حجر: " وفائدة التنصيص على زمن النهي الإشارة إلى أنه من الأمر المحكم الذي لم ينسخ لكونه صدر في آخر حياته صلى الله عليه وسلم "[(3)] .

ثانيًا : ى النبي عليه الصلاة والسلام عن اتخاذ القبور مـساجد ، ولعـن عليـه الصلاة والسلام من يفعل ذلك ، وسبب اللعن هو اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين ، قـال الشيخ سليمان آل الشيخ : " لعنهم صلى الله عليه وسلم على هذا الفعل بعينه وهو اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد ، أي كنائس وبيع يتعبدون ويسجدون فيها لله، وإن لم

---

(١) **الخميصة** : كساء له أعلام ، انظر : شرح السيوطي لسنن النسائي (٤٠/٢) .

(٢) أخرجه البخاري ، كتاب الصلاة ، باب الصلاة في البيعة برقم (٢٣٦ ، ٣٤٥٤ ، ٤٤٤٤، ٥٨١٦) ، ومسلم برقم (٥٣١) .

(٣) فتح الباري (٥٢٥/١) .

يسموها مساجد فإن الاعتبار بالاسم لا بالمعنى "[1] .

ثالثًا : دعاء النبي عليه الصلاة والسلام على اليهود والنصارى بـالهلاك والقتـل بسبب اتخاذ قبور الأنبياء مساجد ، فقد ورد في حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مـساجد "[2] ، أي : قتلـهم وأهلكهم[3] ، فاستحقوا بفعلهم هذا لعن النبي عليه الصلاة والسلام ودعـاءه علـيهم بالهلاك والقتل .

رابعًا : بين النبي عليه الصلاة والسلام أن من يفعل ذلك من البناء على القبـور واتخاذها مساجد إنما هم شرار الخلق عند الله يوم القيامة ، كما في حديث عائشة رضي الله عنها أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصاوير فذكرتا للـنبي صلى الله عليه وسلم فقال : " أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنـوا على قبره مسجـدًا ، وصوروا فيه تلك الصور ، فأولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة "[4] .

واستحقوا هذا الواصف وأ م شرار الخلق عند الله يوم القيامة ؛ لأ م ضموا إلى اعتقادهم الباطل أعمالاً قبيحة ، فعبدوا الله تعالى عند القبور وبنوا المباني العظيمة عليها .

قال الحافظ ابن رجب : " هذا الحديث يدل على تحريم بناء المساجد على قبـور الصالحين ، وتصوير صورهم فيها ، كما يفعله النصارى ، ولا ريب أن كل واحد منهما محرم على انفراده ، فتصوير صور الآدميين يحرم ، وبناء القبور على المساجد بانفراده يحرم كما دلت عليه نصوص أخر "[5] . ويعظم التحريم وتزداد الفتنة إذا جمعـوا بـين فتنـة

---

(١) تفسير العزيز الحميد (٢٨٠) .

(٢) أخرجه البخاري ، كتاب الصلاة، باب الصلاة في البيعة برقم (٤٣٦) ، ومسلم برقم (٥٣٠) .

(٣) انظر : شرح النووي على صحيح مسلم (١٢/٥) .

(٤) أخرجه البخـاري ، كتاب الصلاة، باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية . . . برقم (٤٢٧ ، ٤٣٤، ١٣٤١ ، ٣٨٧٣)، ومسلم برقم (٥٢٨) .

(٥) فتح الباري لابن رجب، ذكره في الكواكب الدراري (٦٥/ ٨٢/ ٢) نقلاً عن تحذير الساجد (١٩ - ٢٠).

التصوير وفتنة البناء على القبور، وفتنة البناء على القبور تؤول إلى فتنة التماثيل وحصول الشرك . قال الشيخ سليمان : " إن الذين بنوا هذه الكنيسة جمعوا فيها بين فتنتين ضل ا كثير من الخلق الأولى : فتنة القبور لأ م افتتنوا بقبور الصالحين وعظموها تعظيمًا مبتدعًا فآل م إلى الشرك، وهي أعظم الفتنتين، بل هي مبدأ الفتنة الثانية وهي فتنة التماثيل أي الصور ، فإ م لما افتتنوا بقبور الصالحين وعظموها وبنوا عليها المساجد وصـوروا فيهـا الصور للقصد الذي ذكره القرطبي[1] فآل الأمر إلى أن عبدت الصور ، ومن هي صورته، من دون الله "[2] .

خامسًا : إن البناء على القبور ، واتخاذها مساجد من أفعال أهل الكتاب الـذين أمرنا بمخالفتهم ، فقد ينا عن مشا ة الكفار في عبـادا م وفي عـادا م وسـلوكهم وأخلاقهم وفي اعتقادا م وإراد م ، ينا عن ذلك كله ، و ينا عـن مـشا ة اليهـود والنصارى باتخاذ القبور مساجد ، والبناء عليها كما دلت هذه الأحاديث الذين استحقوا ا اليهود لعنة الله وهلاكه ومقته ، وبيان أ م شر الخلائق عند الله يوم القيامة .

سادسًا : لعن الله ومقته ليس مقصورًا على اليهود والنصارى الذين اتخذوا قبـور أنبيائهم مساجـد ، بل كل من فعل فعلهم فهو مستحق لذلك فقـد ورد في حـديث جندب بن عبد الله البجلي قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يمـوت بخمس وهو يقول : " إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل ، فإن الله تعالى قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً ، ولو كنت متخذًا من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخـذوا القبور مساجد إني أ اكم عن ذلك "[3] ، وقد ورد في حديث عائشة رضي الله تعـالى

---

(١) القصد الذي ذكر القرطبي هو قوله رحمه الله : ((قال علماؤنا : ففعل ذلك أوائلهم ليتأسوا برؤية تلك الصور ويتذكروا أحوالهم فيجتهدون كاجتهادهم ويعبدون الله عز وجل عند قبورهم، فمضت لهم بذلك أزمان ثم أ م خلف من بعدهم خلوف جهلوا أغراضهم ووسوس لهم الشيطان أن آباءكم وأجدادكم كانوا يعبدون هذه الصور فعبدوها)) . انظر : تفسير القرطبي (٨٥/٢) .

(٢) تيسير العزيز الحميد (٢٧٧) .

(٣) أخرجه مسلم ، باب النهي عن بناء المساجد على القبور ، رقم (٥٣٢ ، ورقم ٢٣٨٢).

عنها قولها : " يحذر ما صنعوا " فإذا النبي عليه الصلاة والسلام ى عن ذلك ، وعائـشة راوية الحديث بينت تحذير النبي من صنيع اليهود والنصارى الذي أوقعهم فيـه بالـشرك واستحقوا لعنة الله ومقته ودعاء النبي عليه الصلاة والسلام بالمقت والقتل والهلاك .

سابعًا : من اتخذ القبور مساجد فهو من شرار الخلق سواء كـان مـن اليهـود والنصارى أو ممن ينتسب إلى هذه الأمة . فقد ورد في أثر ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " إن من شرار الناس من تدركه الـساعة وهم أحياء ، ومن يتخذ القبور مساجد "(1) . ومعلوم أن شرار الناس من تقوم علـيهم الساعـة كما ورد في حديث أنس بن مالك أن رسـول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض : الله الله "(2) . فالنبي عليه الصلاة والسلام قرن بين شرار الخلق الذين تقوم عليهم الساعة ، وهم لا يعرفون الله تعالى ولا يؤمنون به وبين من يتخذ القبور مساجد ؛ لشناعة هذه الفعلة ، وعظيم خطرها ، ولأ ـا مـن أقـوى الصوارف عن التوحيد بل من أعظم أسباب الوقوع بالإشراك والوثنية .

ثامنًا : ى النبي عليه الصلاة والسلام عن التجصيص والصلاة عند القبور واتخاذ السرج عليها والكتابة عليها ، فما بالكم بالبناء عليها واتخاذها مساجد، فالنهي أعظـم والتحذير أشـد ، قال القرطـبي رحمه الله تعالى : " فاتخاذ المساجد علـى القبـور والصلاة فيها والبناء عليها إلى غير ذلك مما تضمنته السنة من النهي عنه ممنوع لا يجوز . .. " ثم ساق أدلة تحريم البناء على القبور إلى أن قال : " وذهب الجمهـور إلى أن هـذا الارتفاع المأمور بإزالته هو ما زاد على التسنيم ويبقى للقبر ما يعرف به ويحترم، وذلـك وصف قبر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقبر صاحبيه رضي الله عنهما على ما ذكـر مالك في الموطأ . . . " إلى أن قال : " وأما تعلية البناء الكثير على نحو ما كانت عليـه الجاهلية تفعله تفخيمًا وتعظيمًا فذلك يهدم ويزال، فإن فيه استعمال زينة الـدنيا في أول

---

(١) رواه ابن خزيمة ، باب الزجر عن اتخاذ القبور مساجد برقم (٧٨٩) ، وابن حبان ، باب ذكر البيان بأن من أدرك الساعة وهو حي كان من شرار الناس ، برقم (٦٨٤٧) ، وأحمد برقم (٣٨٤٤ ، ٤١٤٣) ، قال الشيخ الألباني : والحديث بمجموعه صحيح ، انظر : تحذير الساجد (٢٧) .

(٢) أخرجه مسلم برقم ١٤٨ .

منازل الآخرة وتشبهًا بمن كان يعظم القبور ويعبدها "[1] ، ولهذا فبناء المساجد على القبور ليس من دين الإسلام لما يدل عليه النصوص ، وقد اتفق أئمة الدين على منعه وتحريمه . قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " فإن بناء المساجد على القبور ليس من دين المسلمين، بل هو منهي عنه بالنصوص الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم واتفاق أئمة الدين "[2] .

بل إن رفع القبور والبناء عليها قد استقر عند غالب المسلمين بأنها بدعة محدثة نهى عنها النبي عليه الصلاة والسلام نهيًا شديدًا وتوعد من فعل ذلك وعيدًا أكيدًا ، قال الشوكاني رحمه الله تعالى : " اعلم أنه قد اتفق الناس، سابقهم ولاحقهم ، وأولهم وآخرهم من لدن الصحابة رضي الله عنهم إلى هذا الوقت: أن رفع القبور والبناء عليها بدعة من البدع التي ثبت النهي عنها ، واشتد وعيد رسول الله صلى الله عليه وسلم لفاعلها ، ولم يخالف في ذلك أحد من المسلمين أجمعين "[3] .

لكن لما بعد الناس عن السنة، ودب فيهم الضعف وتأثروا بأهل الأديان، وآلت أمور المسلمين وولايتهم لأهل الباطن العبيدية التي عظمت المشاهد ، وبنت عليها القباب، فتأثر بهم عوام الناس، ولازالت هذه البدعة تعظم وتجر إلى بدعة أعظم وأشد حتى أصبح الميت يستغاث به ويدعى وتطلب منه الحوائج ، حتى وصل الأمر بانتشارها في بلاد المسلمين حتى أن المصلي يبحث في بعض البلاد عن مسجد ليس فيه قبر وقد لا يجد، يقول الشيخ الألباني رحمه الله تعالى : " ومن المؤسف لكل مؤمن حقا أن كثيرًا من المساجد في البلاد السورية وغيرها لا تخلو من وجود قبر أو أكثر فيها كأن الله تبارك وتعالى أمر بذلك ولم يلعن فاعله "[4] .

والحقيقة التي لا بد من معرفتها ولا مناص عنها ، لا يجتمع قبر وبناء عليه في

---

(١) تفسير القرطبي (٣٧٩/١٠ – ٣٨١) .

(٢) مجموع الفتاوى (٤٨٨/٢٧) .

(٣) شرح الصدور بتحريم رفع القبور (١٠٢) .

(٤) تحذير الساجد (١٠ ، ١١) .

الإسلام، ولا يجتمع مسجد وقبر ، فالمسجد بيت الخالق ، والقبر بيت المخلوق ، وما حصل عند من تركوا الهدى وتنكبوا طريق الذين أنعم الله عليهم بالبناء على القبور ، إنما هو مضاهاة لبيوت الله تعالى، وتعظيمًا لما لم يعظمه الله تعالى، بل وصل الحال ببعض المسلمين بتعطيل المساجد، ورفعوا الأضرحة والمقابر، فعطلوا ما حقه الرفع والبناء، بناءً حسيا ومعنويا ورفعوا الذي حقه التسوية وعدم الرفع ، إذ المقصود من القبر مواراة جثث الموتى كمـا قـال الله تعالى: ﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِي سَوْءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوْءَةَ أَخِيۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴾ [المائدة : ٣١] . وكلما عظم البناء على القبور كلما زادت الفتنة ا ، وكثر الخضوع لأهلها وصرفت لهم النذور والهدايا والأموال ، وقبل ذلك صرفت لهم العبادات من الاستغاثة والدعاء ، بل إن البناء على القبور هو الذي يؤدي للإشراك بالله تعالى قال الشوكاني رحمه الله تعالى : " فلا شك ولا ريب أن السبب الأعظم الذي نشأ منه هذا الاعتقاد في الأموات هو ما زينه الشيطان للناس من رفع القبور ووضع الستور عليها ، وتجصيصها ، وتزيينها بأبلغ زينة ، وتحسينها بأكمل تحسين فإن الجاهل إذا وقعت عينه على قبر من القبور قد بنيت عليه قبة فدخلها ونظر على القبور الستور الرائعة ، والسرج المتلألئة ، وقد سطعت حوله مجامر الطيب ، فلا شك ولا ريب أنه يمتلىء قلبه تعظيمًا لذلك القبر ، ويضيق ذهنه عن تصور ما لهذا الميت من المنـزلة ويدخله من الروعة والمهابة ما يزرع في قلبه من العقائد الشيطانية التي هي من أعظم مكائد الشيطان للمسلمين ، وأشد وسائله إلى ضلال العباد ، ما يزلزله عن الإسلام قليلاً قليلاً ، حتى يطلب من صاحب ذلك القبـر ما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه ، فيصير في عداد المشركين "(1) .

وبذلك يعلم خطورة البناء على الأضرحة، وأ ا من أعظم الفتن المفضية للشرك.

---

(١) شرح الصدور (١١٣ – ١١٤) .

الفصل الثاني

المسلك العملي لأهل القرون المفضلة مع القبور

وفيه تمهيد وخمسة مباحث :

التمهيد : سلامة القرون المفضلة.

المبحث الأول : موقف الصحابة وأهل القرون المفضلة من قبر النبي صلى الله عليه وسلم.

المبحث الثاني : موقف الصحابة من قبور الأنبياء.

المبحث الثالث : موقف الصحابة من عامة القبور.

المبحث الرابع : موقف التابعين من تعظيم القبور.

المبحث الخامس : وقفة مع اختلاف المؤرخين في تعيين قبور الصحابة.

سلامة القرون المفضلة من مظاهر القبورية

خير القرون هو القرن الذي بعث فيه النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم الذي يليه ، ثم الذي يليه [1].

وذلك لأن أهل القرون المفضلة أعلم الناس بسنة النبي صلى الله عليه وسلم ، وأشدهم حبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومتابعةً وتمسكًا بهديه صلى الله عليه وسلم .

ولما كان أصل شرك بني آدم تعظيم القبور والافتتان بالمقبور ، فقد استفاضت الأحاديث النبوية في النهي عن اتخاذ القبور مساجد ، ولعن من يفعل ذلك ، وبيان أنهم شرار الخلق عند الله ، وبراءة النبي صلى الله عليه وسلم منهم، كما نهى أن يتخذ قبره عيدًا ، وسأل ربه ألا يجعل قبره وثنًا يعبد . كل ذلك حمايةً لجانب التوحيد ، وسدا للشرك وذرائعه.

فعلم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وتابعوهم هديه ، فعملوا به ، ولذلك فإن آثارهم مشهورة ، ومواقفهم مذكورة تجاه القبور ؛ إذ تلك المواقف مستمدة من هدي النبي الكريم عليه الصلاة والسلام .

المبحث الأول

(١) إشارة إلى حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي أخرجه البخاري في كتاب الشهادات، باب لايشهد على شهادة جور إذا شهد ، برقم (٢٦٥١، ٢٦٥٢، ٣٦٥٠، ٣٦٥١، ٥٣٠٠) وغيره ، ومسلم برقم (٢٥٣٣، ٢٥٣٤) .

مواقف الصحابة، وأهل القرون المفضلة

من قبر النبي عليه الصلاة والسلام

ومن مواقفهم ما يلي :

الموقف الأول : موقف الصحابة من دفن الرسول عليه الصلاة والسلام.

الأصل أن الأموات يدفنون في المقابر ، حيث كان النبي صلى الله عليه وسلم يدفن الموتى بمقبرة البقيع، كما تواترت الأدلة على ذلك، فلم يكن أحد يدفن في منزل أو مسجد أو غير ذلك . قال الشيخ الألباني : " ولم ينقل عن أحد من السلف أنه دفن في غير المقبرة "[(1)] .

إلا أن النبي عليه الصلاة والسلام دفن في حجرته التي قبض فيها ، وذلك من خصوصيات الأنبياء . والدليل على ذلك حديث عائشة - رضي الله عنها - قالت : " لما قُبِض رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفوا في دفنه ، فقال أبو بكر : سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئًا ما نسيته . قال : " ما قبض الله نبيا إلا في الموضع الذي يجب أن يدفن فيه " فدفنوه في موضع فراشه"[(2)] .

وكذلك دفن النبي صلى الله عليه وسلم في موضعه الذي قبض فيه حمايةً لجانب التوحيد ، وسدا لذريعة الافتتان بقبره عليه الصلاة والسلام ، كما افتتن أهل الكتاب بقبور أنبيائهم وصالحيهم ، إذ اتخذوا قبورهم مساجد ، فحذر النبي صلى الله عليه وسلم أمته من فعلهم كما في حديث عائشة وابن عباس رضي الله عنهم قالا : " لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم طفق يطرح خميصةً له على وجهه ، فإذا اغتم ا كشفها عن وجهه، فقال وهو كذلك : لعنة الله على

---

(١) أحكام الجنائز (١٣٧) .

(٢) أخرجه الترمذي، أبواب الجنائز ، باب أين تدفن الأنبياء برقم (١٠١٨) (١٢٩/٢)، قال الألباني : حديث صحيح . انظر : جامع الترمذي (٣٣٨/٣) بتخريج الشيخ الألباني.

اليهود والنصارى ؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، يحذر ما صنعوا "[1] .

قال ابن حجر رحمه الله في قول الراوي " يحذر ما صنعوا " : " كأنه سئل عن حكمة ذكر ذلك في ذلك الوقت ، فأجيب بذلك "[2] .

كما خشي النبي صلى الله عليه وسلم ، وخشي الصحابة أنه لو أبرز قبره لاتخذ مسجدًا . يدل على ذلك حديث عائشة رضي الله عنها قالت : "قال النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي لم يقم منه : " لعن الله اليهود ؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد " قالت عائشة : " لولا ذلك لأبرز قبره ؛ خشي أن يتخذ مسجدًا "[3] .

قال النووي : ضبطناه " خشي " بضم الخاء وفتحها ، وهما صحيحان[4] .

فعلى الفتح يكون النبي صلى الله عليه وسلم خشي ذلك ، ولهذا أمرهم أن يدفنوه في المكان الذي قبض فيه .

وعلى رواية الضم يكون الصحابة هم الذين خافوا أن يقع ذلك من بعض الأمة .

قلت : وكلا المعنيين صحيح ؛ لصحة الرواية . والله أعلم .

الموقف الثاني : عدم تمييز الصحابة لقبره صلى الله عليه وسلم من حيث الصفة عن سائر القبور .

---

(١) سبق تخريجه (٢٦).

(٢) فتح الباري (٥٣٢/١).

(٣) البخاري ، كتاب الجنائز ، ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور ، برقم (١٣٣٠، ٤٤٤١).

(٤) المنهاج لشرح مسلم (١٢/٥).

لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم ، وحفر قبره لحد لـه كمـا يلحـد للنـاس عليه الصلاة والسلام . ورد في الأثر عن عامر بن سعد بـن أبي وقـاص ، عـن أبيـه أنه قال : " الحدوا لي لحدًا ، وانصبوا علي اللـبن نـصبًا ، كمـا صـنع برسـول الله صلى الله عليه وسلم "[1] .

قال النووي : " فيه استحباب اللحد ، ونـصب اللـبن ، وأنـه فُعـل ذلـك برسول الله صلى الله عليه وسلم ، باتفاق الصحابة رضي الله عنـهم وقـد نقلـوا أن عدد لبناته صلى الله عليه وسلم تسع "[2] .

وأهيل عليه التراب عليه الصلاة والـسلام ، وقـاموا بتـسويته ، فلـم يرفـع على الأرض رفعًا كثيرًا .

قال جابر رضي الله عنه : " إن النبي صلى الله عليه وسـلم ألحـد لـه لحـد ، ونصب عليه ا للبن ، ورفع قبره من الأرض نحوًا من شبر "[3] .

قال ابن القيم رحمه الله : " وكانت قبور الـصحابة لا مـشرفة ولا لاطئـة ، وهكذا كان قبره الكريم ، وقبر صـاحبيه ، فقـبره صـلى الله عليـه وسـلم مـسنم مبطوح ببطحاء العرصة الحمراء ، لا مبني عليـه ، ولا مطـين ، وهكـذا كـان قـبر صاحبيه "[4] .

الموقف الثالث : عدم قصد الصحابة لقبر النبي صلى الله عليه وسلم

دفن النبي صلى الله عليه وسلم في حجـرة عائـشة رضـي الله عنـها فكـان

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٩٦٦) .

(٢) شرح النووي لمسلم (٣٤/٧) .

(٣) ابن حبان ، برقم (٦٦٣٥) ، والبيهقي (٦٥٢٧) ، وحسنه الألباني ، كما في الجنائز (١٥٣).

(٤) زاد المعاد (٥٢٤/٢) ، وانظر : فتح الباري (٣٢٥/٣) .

الناس يدخلون على عائشة رضي الله عنها ؛ لسماع الحديث ، واستفتائها ، وأخذ العلم منها ، وزيارتها ، ولم يكن أحد منهم يقصد القبر المكرم لا لصلاة ولا دعاء ، وما كانت هي رضي الله عنها تأذن بذلك ، فلما توفيت رضي الله عنها ، وكان ذلك في خلافة معاوية رضي الله عنه ، سدوا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باب الحجرة ، وبنوا عليه حائطًا آخر ، فلم يكن أحد يستطيع الدخول إلى القبر المكرم[1] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " فإنهم دفنوه بالحجرة ، ولم يبرزوا قبره ، كما كانوا يبرزون قبورهم ؛ خوفًا من أن يتخذ مسجدًا ، ثم إنهم منعوا الناس من زيارته كما يزورون القبور ، فلم يكونوا يمكنون الناس من الدخول إلى قبره لزيارته ، ثم إنهم سدوا باب الحجرة ، وبنوا عليها حائطًا ، فلم يبق أحد متمكنًا من زيارته كما تزار القبور "[2] .

ثم إن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خرجوا من المدينة النبوية يدعون إلى الحق ، ويجاهدون في سبيل الله في أرض الشام والعراق واليمن ومصر، وغيرها من أصقاع البسيطة . ولم يرد في دواوين الإسلام عن أحد من الصحابة ، شد الرحل من بلدته التي وصل إليها لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، بل كانوا يأتون ، فيسلمون على النبي صلى الله عليه وسلم عند دخولهم إلى المسجد ، وعند خروجهم منه، فلم يدخلوا إلى قبره المكرم، ولم يقفوا عند سور الحجرة التي دفن بها . قال شيخ الإسلام : " وكان يقدم في خلافة أبي بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب أمداد اليمن الذين فتحوا الشام والعراق وهم الذين قال الله فيهم : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة : ٥٤]. ويصلون في مسجده ، كما ذكرنا ، ولم يكن أحد يذهب إلى القبر ولا يدخل

(١) انظر : الجواب الباهر (١١ - ١٥) .

(٢) الإخنائية (١٨) .

إلى الحجرة ولا يقوم خارجها في المسجد . . . "[1]

وقال رحمه الله : " بل كان الصحابة إذا سافروا إلى مسجده صلوا فيه واجتمعوا بخلفائه مثل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، يسلمون عليه ويصلون عليه في الصلاة ، ويفعل ذلك من يفعله منهم عند دخول المسجد والخروج منه ، ولم يكونوا يذهبون إلى القبر ، وهذا متواتر عنهم "[2]

ولهذا فجمهور الصحابة ما كانوا يذهبون إلى قبره للسلام عليه ، ولم يثبت هذا الفعل عند أحد من أزواجه أمهات المؤمنين ، ولا أصحابه ، إلا عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما فكان إذا قدم من سفر يسلم عليه وعلى صاحبيه ثم ينصرف ، ولا يطيل الوقوف ، ولا يفعل غير السلام .

ورد في الأثر ، عن نافع قال : " كان ابن عمر إذا قدم من سفر أتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا أبا بكر ، السلام عليك يا أبتاه " .

قال معمر : " فذكرت ذلك لعبيد الله بن عمر فقال : ما نعلم أحدًا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فعل ذلك إلا ابن عمر "[3] .

ويستفاد من قول عبيد الله بن عمر ما تم تقريره ، أن أصحاب النبي رضوان الله تعالى عليهم من الخلفاء الراشدين ، وأهل الفضل من السابقين من المهاجرين والأنصار وأمهات المؤمنين ، كانوا يصلون عليه صلى الله عليه وسلم عند دخولهم إلى المسجد وعند خروجهم منه وفي صلاتهم ، وفي سائر أوقاتهم يكثرون من الصلاة والسلام عليه . ولم يكونوا يأتون لقبره عليه الصلاة والسلام مع محبتهم وتعظيمهم وطاعتهم ، واستجابتهم له ، استجابة لأمره ، وخوفًا أن

---

(١) الجواب الباهر (٢٣) .

(٢) المصدر السابق (٢٨) .

(٣) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه، باب السلام على قبر النبي برقم (٦٧٢٤)، وابن أبي شيبه برقم (١١٧٩٣).

يتخذ قبره مسجدًا ، أو يتخذ قبره عيدًا صلى الله عليه وسلم . إلا ما ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما. فهذه سنة أصحاب النبي الكريم عليه الصلاة والسلام في التعامل مع قبره المكرم.

وبقي الأمر على ما هو عليه من ناحية قبر النبي صلى الله عليه وسلم إذا كان القبر في حجرة عائشة رضي الله تعالى عنها، وكانت الحجرة خارج المسجد ، وبعد موت عائشة وانقراض عصر الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، بل موت جميع الصحابة الذين كانوا في المدينة ، أدخلت الحجرة النبوية في المسجد النبوي . قال شيخ الإسلام : " وإنما أدخلت فيه في خلافة الوليد بن عبد الملك بعد موت العبادلة : ابن عمر ، وابن عباس ، وابن الزبير ، وابن عمرو، بل بعد موت جميع الصحابة الذين كانوا بالمدينة ، فإن آخر من مات بها جابر بن عبد الله في بضع وسبعين سنة، ووسع المسجد في بضع وثمانين سنة"(1).

فهذا الحدث لم يحدث في عهد الصحابة ، وإنما حدث بعدهم ، حيث حدث ذلك في سنة ثمان وثمانين في شهر ربيع الأول عندما كان عمر بن عبد العزيز واليًا على المدينة، جاءه كتاب الوليد بن عبد الملك يأمره بهدم المسجد وإضافة الحجر إليه، فجمع عمر بن عبد العزيز وجوه الناس والفقهاء العشرة وأهل المدينة، وقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين فشق عليهم ذلك، فكتب عمر بن عبد العزيز للوليد بذلك ، فكتب له الوليد يأمره بهدم المسجد وبنائه على ما ذكر، فلم يجد عمر بدا من ذلك ، فلما شرعوا بالهدم صاح الأشراف ووجوه الناس من بني هاشم وغيرهم وتباكوا مثل يوم مات النبي صلى الله عليه وسلم ، فأدخلت حجرة عائشة فدخل القبر في المسجد، وكان حده من الشرق ، ويحكى أن سعيد بن المسيب أنكر إدخال حجرة عائشة في المسجد كأنه خشي

---

(١) الجواب الباهر (٦٧) .

أن يتخذ القبر مسجدًا .[1]

والمسجد النبوي وسع عدة توسعات ، فلم يعـارض أصـحاب الـنبي علـى تلك التوسعات المـذكورة، وإنمـا عـارض التـابعون دخـول الحجـرة النبويـة في المسجد، لأ م أرادوا بقاء ما كان على ما كان .

ولما هدم عمر بن عبد العزيز جدار الحجرة النبويـة ، وبـدت الـساق فـزع فزعًا شديدًا ؛ خوفًا أن تكون ساق الـنبي صـلى الله عليـه وسـلم ، كمـا ورد في الأثر عن هشام بن عروة قال : حدثني أبي قـال: "كـان النـاس يـصلون إلى القـبر فأمر عمر بن عبد العزيز رحمه الله فرفع حتى لا يصلي إليه الناس، فلمـا هـدم بـدت قدم بساق وركبة، قال: ففزع من ذلك عمر بن عبد العزيـز، فأتـاه عـروة فقـال: هذه ساق عمر رضي الله عنه وركبته، فسري عن عمر بن عبد العزيز "[2] .

قلت : فهذا أمير المدينة عمر بـن عبـد العزيـز ، لم يـدخل إلى قـبر الـنبي وصاحبيه ، ولم يعرف أماكنها ، وهذا مما تستـشرف لـه النفـوس ، ولـو لم يكـن المانع مانعًا شرعيا لدخل .

بل إن الجمع من الناس الذين حضروا الحادثـةلم يميـزوا هـذا الـساق لمـن يكون حتى أتى عروة رضي الله عنه ، وهذا دليل علـى إجمـاع الـصحابة والتـابعين على عدم الدخول إلى قبر النبي وصاحبيه ؛ سـدا لذريعـة الـشرك ، وخوفًـا مـن اتخاذ قبره عيدًا ومسجدًا .

ثم إن عمر لما هدم الحجرات سد باب الحجرة ، وبـنى جـدارًا آخـر عليهـا غير الحائط القديم.[3]

(١) البداية والنهاية (٧٥/٩) بتصرف .

(٢) الشريعة للآجري برقم ١٨٧١ قال محقق الشريعة د . الدميجي : إسناده حسن، انظر : (٢٣٨٩/٥) .

(٣) انظر : الإخنائية (١٢٨) .

قال النووي رحمه الله : " ولما احتاجت الصحابة رضوان الله عليهم أجمعون والتابعون إلى الزيادة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كثر المسلمون ، وامتدت الزيادة إلى أن دخلت بيوت أمهات المؤمنين فيه ، ومنها حجرة عائشة رضي الله عنها مدفن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما بنوا على القبر حيطانًا مرتفعة مستديرة حوله ؛ لئلا يظهر في المسجد ، فيصلي إليه العوام ، ويؤدي إلى المحذور، ثم بنوا جدارين من ركني القبر الشماليين ، وحرفوهما حتى التقيا حتى لا يتمكن أحد من استقبال القبر "(1) .

وهذا زين العابدين، علي بن الحسين من أجل التابعين حتى قال عنه الزهري : ما رأيت هاشميا مثله " أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، فيدخل فيها فيدعو ، فدعاه فقال : ألا أحدثك بحديث سمعته من أبي، عن جدي، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : "لا تتخذوا قبري عيدًا ، ولا بيوتكم قبورًا ، وصلوا علي ؛ فإن صلاتكم وتسليمكم يبلغني حيثما كنتم "(2) .

وموقف آخر من رجل من آل بيت النبي عليه الصلاة والسلام : روى سعيد بن منصور في سننه : حدثنا عبد العزيز بن محمد أخبرني سهيل بن أبي سهيل قال : " رآني الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عند القبر فناداني وهو في بيت فاطمة يتعشى ، فقال : هلم إلى العشاء ، فقلت : لا أريده . فقال : ما لي رأيتك عند القبر ؟ قلت : سلمت على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : " إذا دخلت المسجد فسلم " ثم قال: " إن رسول الله صلى

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٤/٥).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٧٥٤٢) ، وأبو يعلى في مسنده (٤٦٩) ، .

قال الشيخ الألباني في تحذير الساجد ، ويقويه ما أخرجه ابن أبي شيبة أيضًا ، وابن خزيمة في (حديث علي بن حجر) . ج ٤ رقم (٤٨)، وابن عساكر من طريقين ، عن سهيل بن أبي سهيل .

الله عليه وسلم قال : " لا تتخذوا قبري عيدًا، ولا تتخذوا بيوتكم مقابر . لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، وصلوا علي ؛ فإن صلاتكم تبلغني حيث ما كنتم " ما أنت ومن بالأندلس إلا سواء"(1) .

نهي النبي عن اتخاذ القبر عيدًا

ففي الأثر الأول ى زين العابدين عن قصد القبر للدعاء عنده .

وفي الأثر الثاني : ى عن قصد القبر للسلام عليه ، وبين الحسن أن الرجل إذا دخل المسجد يسلم على النبي عليه الصلاة والسلام ، وهو دعاء يدعوه المسلم عند دخول أي مسجد من المساجد ، وهذه سنة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، إذ لم يأت أحد منهم للسلام على القبر ، ولم يثبت ذلك عن أحد منهم إلا ابن عمر إذا أتى من سفر يأتي يسلم على النبي عليه الصلاة والسلام ، ثم على أبي بكر ثم على أبيه ، ولا يفعل غير السلام .

بينما معظم الصحابة يقدمون من الأمصار ، ولا يأتون قبر النبي عليه الصلاة والسلام للسلام عليه ، بل يكتفون بالسلام عليه عند دخول المسجد والخروج منه ، والسلام عليه في الصلاة وغيرها .

وبقي الأمر كذلك في عهد التابعين .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " فانظر إلى هذه السنة ، كيف مخرجها من أهل المدينة وأهل البيت ، الذين لهم من رسول الله قرب النسب والدار ؛ لأ م

---

(1) عزاه شيخ الإسلام بن تيمية لسنن سعيد بن منصور، و أخرجه ذا الإسناد الإمام إسماعيل بن إسحاق القاضي في فضل الصلاة على النبي . الحديث رقم (٣٠)، بنحوه وصححه الألباني. انظر : تحذير الساجد (١٢٨) بدون " ما أنت ومن بالأندلس إلا سواء ".

قال شيخ الإسلام بعد سياق هذا الأثر والذي قبله : فهذان المرسلان من هذين الوجهين المختلفين يدلان على ثبوت الحديث ، لاسيما وقد احتج به من أرسله به، وذلك يقتضي ثبوته عنده، ولو لم يكن روى من وجوه مسندة غير هذين فكيف وقد تقدم مسندا. انظر : الاقتضاء (١٧٢/٢) .

إلى ذلك أحوج من غيرهم ، فكانوا له أضبط "[1] .

المبحث الثاني

مواقف الصحابة من قبور الأنبياء

الصحابة رضي الله عنهم لم يعظموا مكانًا أو زمانًا بدون مستند شرعي، بل إن تعظيم مكان من الأمكنة أشد خطرًا من تعظيم زمان من الأزمنة ؛ وذلك لعظم الفتنة فيه. قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " فإن تعظيم مكان لم يعظمه الشرع شر من تعظيم زمان لم يعظمه الشرع "[2] .

وقد مر معنا مواقف الصحابة من قبر النبي صلى الله عليه وسلم .

أما بقية الأنبياء فقبورهم غير معروفة إلا قبر إبراهيم عليه السلام .

قال شيخ الإسلام : " وكان غير واحد من أهل العلم يقول : لا يثبت من قبور الأنبياء إلا قبر نبينا صلى الله عليه وسلم ، وغيره قد يثبت غير هذا أيضًا، مثل قبر إبراهيم الخليل عليه السلام "[3] .

فلننظر إلى موقف الصحابة من قبر الخليل عليه السلام ، فلم نجد أحدًا منهم شد الرحل إلى قبره أو فعل فعلاً مخالفًا لهدي النبي الكريم صلى الله عليه وسلم عند قبر الخليل عليه السلام . قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " بل لما قدم المسلمون إلى الشام غير مرة ومعهم عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وغيرهم ، ثم لما قدم عمر لفتح بيت المقدس ثم لما قدم لوضع الجزية على أهل الذمة ومشارطتهم ، ثم لما قدم إلى سرغ ففي جميع هذه المرات لم يكن أحدهم يقصد السفر إلى قبر الخليل، ولا كان هناك مشهد، بل كان هناك البناء

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (١٧٦/٢) .

(٢) المصدر السابق (١٦٥/٢) .

(٣) المصدر السابق (١٦٦/٢) ، وانظر : مجموع الفتاوى (١٤١/٢٧) .

المبني على المغارة وكان مسدودًا بلا باب له مثل حجرة النبي صلى الله عليه وسلم "[1] .

هكذا كان هدي أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مع قبر خليل الرحمن، وكان فعلهم طاعة لله وإتباعًا لسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم .

موقف الصحابة من قبر دانيال عليه السلام.

لما توجهت الجيوش الإسلامية فاتحة لقلوب العباد قبل البلاد كانوا يحملون مقصدًا عظيمًا وهو الدعوة إلى التوحيد والنهي عن الشرك وسد الذرائع الموصلة إلى الشرك، وهذه المقاصد هي الغاية من الجهاد في سبيل الله ﴿ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ﴾ [البقرة : ١٩٣] .

قال ابن عباس : " الفتنة هناك الشرك ، وما تابعه من أذى المؤمنين"[2].

فلما وصلت الجيوش الإسلامية إلى مدينة تستر[3] وجدوا رجلاً ميتًا على سرير عند رأسه مصحف ، يعظمه الناس هناك ويستنزلون به المطر .

قال ابن كثير رحمه الله:"وقال يونس بن بكير[4]، عن محمد بن إسحاق[5] ، عن أبي خلدة بن دينار[6] ، حدثنا أبو العالية[1] قال : لما فتحنا

---

(١) منهاج السنة النبوية (٤٨٠/١) .

(٢) تفسير القرطبي (٣٥٤/٢) .

(٣) **تستر** : مدينة بالمشرق الأقصى ، فتحت في خلافة عمر رضي الله عنه. انظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان (٢٩/٢) .

(٤) **يونس بن بكير** : أبو بكر بن واصل الشيباني الجمال الكوفي ، صدوق يخطئ ، توفي سنة (٢٩٩ هـ) . التقريب (٦١٣) .

(٥) **محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي مولاهم** ، المدني نزيل العراق ، إمام المغازي ، صدوق يدلس ، ورمي بالتشيع والقدر . ت (١٥٠) . تقريب التهذيب (٤٦٧) .

(٦) **خلد بن دينار** : التميمي السعدي ، البصري الخياط ، مشهور بكنيته ، صدوق . تقريب (١٨٧) .

تستر وجدنا في مال بيت الهرمزان[2] سريرًا عليه رجل ميت عند رأسه مصحف فأخذنا المصحف فحملناه إلى عمر بن الخطاب فدعا له كعبًا فنسخه بالعربية . فأنا أول رجل من العرب قرأته مثل ما اقرأ القرآن هذا ، فقلت لأبي العالية : ما كان فيه ؟ قال : سيركم وأموركم ولحون كلامكم وما هو كائن بعد ، قلت : فما صنعتم بالرجل ؟ قال : حفرنا بالنهار ثلاثة عشر قبرًا متفرقة فلما كان الليل دفناه وسوينا القبور كلها لنعميه على الناس فلا ينبشونه . قلت : فما يرجون منه ؟ قال : كانت السماء إذا حبست عنهم برزوا بسريره فيمطرون، قلت : من كنتم تظنون الرجل ؟ قال : رجل يقال له دانيال . قلت : منذ كم وجدتموه قد مات ؟ قال : منذ ثلاثمائة سنة ، قلت : ما تغير منه شيء ؟ قال : لا ، إلا شعرات من قفاه ، إن لحوم الأنبياء لا تبليها الأرض ولا تأكلها السباع . وهذا إسناد صحيح إلى أبي العالية "[3] .

قال ابن كثير بعد سياق هذه الحادثة : " ولكن إن كان تاريخ وفاته محفوظًا من ثلاثمائة سنة فليس بنبي، بل هو رجل صالح ؛ لأن عيسى بن مريم ليس بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم نبي بنص الحديث الذي في البخاري[4] ، والفترة التي كانت بينهما أربعمائة سنة ، وقيل ستمائة وقيل

---

(١) **أبو العالية** : رفيع بن مهران الرياحي مولاهم البصري ، أدرك الجاهلية وأسلم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين ، من أعلم التابعين بالقراءة ، روى عن علي وابن مسعود وأبي موسى وعائشة ، وهو ثقة كثير الإرسال ، توفي سنة ٩٠ هـ . انظر : ميزان الاعتدال (٥٤/٢)، ومعرفة القراء الكبار للذاهبي (٤٩/١ – ٥٠) ، والتهذيب (٢٨٤/٣ – ٢٨٥) .

(٢) **الهرمزان** : هو الكبير من ملوك العجم . انظر : لسان العرب (٤٢٣/٥).

(٣) وأخرجه نعيم بن حماد في الفتن برقم (٣٧) مختصرًا . وذكره القاسم بن سلام في كتاب الأموال (ص ٤٢٩، ٤٣٠ ، رقم ٨٧٦) على غير هذا النحو . وانظر : إغاثة اللهفان (٢٠٣/١) ، البداية والنهاية (٤٠/٢)

(٤) يشير إلى حديث أبي هريرة ، قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : " أنا أولى الناس بابن مريم والأنبياء أولاد علات ليس بيني وبينه نبي ". البخاري ، كتاب الأنبياء ، باب ﴿واذكر في الكتاب مريم ﴾ برقم ٣٤٤٢، ومسلم برقم ٢٣٦٥ .

ستمائة وعشرون سنة، وقد يكون تاريخ وفاته من ثمانمائة سنة وهو قريب من وقت دانيال إن كان كونه دانيال هو المطابق لما في نفس الأمر، فإنه قد يكون رجلاً آخر إما من الأنبياء أو الصالحين ، ولكن قربت الظنون أنه دانيال لأن دانيال كان أخذه ملك الفرس فأقام عنده مسجونًا "[1] .

فهذا فعل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم؛إذ قاموا بتعميته على الناس لكي لا يفتتن الناس به فيتخذ مزارًا أو يتخذ عليه مسجدًا . قال ابن القيم رحمه الله: " ففي هذه القصة ما فعله المهاجرون والأنصار من تعمية قبره ؛ لئلا يفتتن به ولم يبرزه للدعاء عنده والتبرك به، ولو ظفر به المتأخرون لجالدوا عليه بالسيوف ولعبدوه من دون الله "[2] .

هكذا كان هدي الصحابة رضي الله تعالى عنهم فلم يدعوا عندها ولم يشدوا الرحل إليها ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد ما ذكر بعض المقامات المنسوبة لبعض الأنبياء : " وقد كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لما فتحوا بلاد الشام والعراق ومصر وخراسان والمغرب وغيرها ، لا يقصدون هذه البقاع ولا يزورو ا ولا يقصدون الصلاة والدعاء فيها ، بل كانوا مستمسكين بشريعة نبيهم : يعمرون المساجد . . . "[3]

المبحث الثالث

مواقف الصحابة من عامة القبور

لما كانت الفتنة بقبور الأنبياء أعظم من الفتنة في قبور غيرهم فقد سد

(١) البداية والنهاية (٤٠/٢ ، ٤١) .
(٢) إغاثة اللهفان (٢٠٣/١ ، ٢٠٤) .
(٣) الفتاوى (١٣٨/٢٧ – ١٣٩) .

أصحاب النبي رضوان الله تعالى عليهم أجمعين أبوا ا والطـرق الموصـلة إلى الافتتـان ا علمًا وعملاً دي الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، ولم يقـف الأمـر علـى سد الذريعة الموصلة إلى الافتتان بقبور الأنبياء، بل بـسد هـذه الذريعـة الموصـلة إلى الافتتان بأي قبر من القبور ، ومواقفهم في ذلك مشهورة منها .

موقف عمر من الصلاة عند القبر:

فهذا عمر رضي الله عنه يرى أنس بن مالك يصلي عند قـبر لا يـدري عنـه فينهاه عن ذلك .

قال أنس رضي الله عنه: " كنت أصلي قريبًا مـن قـبر ، فـرآني عمـر بـن الخطاب رضي الله عنه فقال : القـبر القـبر ، فرفعـت بـصري إلى الـسماء وأنـا أحسبه يقول القمر "[1] .

موقف عثمان بن عفان من تسوية القبور:

كان عثمان رضي الله تعالى عنه يأمر بتـسوية القبـور، فعـن عبـد الله ابـن شرحبيل بن حسنة قال: رأيت عثمان بن عفان يأمر بتـسوية القبـور ، فقيـل لـه : هذا قبر أم عمرو بنت عثمان فأمر به فسوي .[2]

موقف علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه من تسوية القبور:

ويدل على موقف علي بن أبي طالب رضـي الله تعـالى عنـه مـا ورد عنـد أبي الهياج الأسدي قال : قال لي علي بن أبي طالب : " ألا أبعثـك علـى مـا بعـثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسـلم ؟ أن لا تـدع تمثـالاً إلا طمـسته ، ولا قـبرًا

---

(١) بوب البخاري باباً : هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكا ا مساجد لقول النبي عليه الصلاة والسلام لعن الله اليهود ... ورأى عمـر بن الخطاب رضي الله عنه أنس بن مالك يصلي عند قبر فقال : القبر القبر ، وسنن البيهقي الكبرى برقم، باب النهي عن الصلاة على القبور برقم (٤٠٧٥) .

(٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه برقم (١١٧٩٥) . قال الألباني : بسند صحيح عن عبد الله . انظر: تحذير الساجد (١٢٨).

مشرقًا إلا سويته "[1] .

وهذا الحديث يتضمن معاني ، منها :

١ – أن هذا الأمر الذي أبعثك عليه إنما هـو أمـر بعـثني إليـه رسـول الله صلى الله عليه وسلم .

٢ – لأهمية الأمر فإن النبي صلى الله عليه وسـلم أمـر عليـا علـى طمـس التماثيل وتسوية القبور، ويدل على ذلك الـسياق إذ قـال علـي رضـي الله عنـه: "أبعثك على ما بعثني " فالسياق فيه تعديتـه بحـرف علـى والبعـث مـن معـاني الاستعلاء والتأمير ، أي أجعلك أميرًا على ذلك كمـا أمـرني رسـول الله صـلى الله عليه وسلم .

٣ – القبر المشرف هو القبر الذي بـني عليـه حـتى إذا ارتفـع دون الـذي أعلم عليه بالرمل والحصباء بالحجارة ليعرف ولا يوطأ .[2]

فهذا موقف علي رضي الله تعالى عنه من القبور المـشرفة سـدا للافتتـان ـا واتخاذها أعيادًا ومزارات .

ولما رأى ابن عمر فسطاطًا على قبر عبد الـرحمن ، قـال للغـلام : " انزعـه يا غلام فإنما يظله عمله "[3] .

وهذا أبو هريرة رضي الله تعالى عنه يوصي ألا يتخـذ بنـاءً علـى قـبره، إذ أوصى ألا يضربوا على قبره فسطاطًا .[4]

---

(١) رواه مسلم برقم (٦١/٣) ، وأبو داود (٧٠/٣) ، والترمذي والنسائي وأحمد برقم ٧٤١ ، ١٠٦٤ .

(٢) انظر : تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ، كتاب الجنائز ما جاء في تسوية القبور برقم (٩٧٠) .

(٣) بوب البخاري باباً وساق في الباب هذا الحديث . انظر : كتاب الجنائز ، باب الجريد على القبر .

(٤) رواه عبد الرزاق (٦١٥٤) ، وابن أبي شيبة (١١٧٤٨) ، قال الألباني : وإسناده صحيح . انظر: تحذير الساجد (١٣٠).

موقف أبي موسى الأشعري ووصيته بعدم البناء على القبر:

فعن أبي بردة قال: أوصى أبو موسى حين حضره الموت ، فقال : إذا انطلقتم بجنازتي فأسرعوا المشي ولا يتبعني مجمر ، ولا تجعلوا في لحدي شيئًا يحول بيني وبين التراب ، ولا تجعلوا في لحدي شيئاً يحول بيني وبين التراب ، ولا تجعلوا على قبري بناءً ، وأشهدكم أني بريء من كل حالقة أو سالقة أو خارقة ، قالوا: أو سمعت فيه شيئًا ؟ قال : نعم من رسول الله صلى الله عليه وسلم "[(1)] .

ولا عجب أن يصدر ذلك من أبي موسى الأشعري ، فهذه الوصية مستمدة من هديه صلى الله عليه وسلم بالأمر و تسوية القبور و عدم البناء عليها.

والآثار المروية عن الصحابة كثيرة في النهي عن تعظيم القبور بأي نوع من أنواع التعظيم .

المبحث الرابع

مواقف التابعين من تعظيم القبور:

التابعي : هو من لقي واحدًا من الصحابة فأكثر .

والتابعون لقوا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم و نهلوا من معينهم الصافي واستحقوا تزكية النبي عليه الصلاة والسلام لقرنهم ، فهم من أهل القرون المفضلة ، ولهم مواقف مشهورة في دعوة التوحيد والنهي عن الشرك وسد الذرائع الموصلة إليه ، ولما كان تعظيم القبور من الطرق الموصلة إلى عبادتها من دون الله كان لهم مواقف مشهورة ، وآثاره محفوظة في النهي عن تعظيم القبور بأي نوع من أنواع التعظيم ، وإليك بعض الأمثلة :

موقفهم من البناء على القبور .

---

(١) أخرجه أحمد برقم١٩٥٦٥ ، وسنن البيهقي برقم ٦٤٤٦، وابن حبان ، ٣١٥٠ ، وقال الألباني إسناده قوي. انظر: تحذير الساجد (١٢٣).

فهذا إبراهيم النخعي يحرم البناء على القبور .

فإن إبراهيم كان يكره أن يجعل على القبر مسجدًا[1] .

موقفهم من الصلاة عند القبور .

كانوا يحرمون الصلاة عند القبور . قال ابن طاووس[2] عـن أبيـه قـال: "لا أعلمه إلا كان يكره الصلاة وسط القبور كراهة شديدة "[3] .

وكان مكحول " يكره الصلاة في المقابر "[4] .

وكانوا لا يصلون في المقابر رحمهم الله جميعًـا، فـإبراهيم النخعـي " كـانوا إذا خرجوا مع جنازة فحضرت الـصلاة تنحـوا عـن القبـور"[5] سـدا لذريعـة الشرك، واستجابةً لنهي النبي عن الصلاة في المقابر .

موقفهم من البنـاء على القبـور ، والكتابـة عليها .

وكانوا يحرمون البناء على القبور وتجصيصها والكتابة عليها .

قال ابن طاووس ، عن أبيه : كان يكره أن يـبنى علـى القـبر أو يجـصص ، أو يتغوط عنده.

وهم أعلم الناس بالسنة ، وأكمل حبا لرسول الله صـلى الله عليـه وسـلم ، ومتابعةً لشرعه على عدم تعظيم القبور بأي نوع من أنـواع التعظـيم سـواء بـشد الرحل إليها ، أو البناء عليها ، أو الدعاء عندها ، أو الاستغاثة ا وبأهلها .

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (١١٧٤٤) ، قال الشيخ الألباني بسند صحيح عنه. انظر : تحذير الساجد (١٢٤).

(٢) **ابن طاووس** : عبد الله بن طاووس بن كيسان اليماني ، أبو محمد ، ثقة فاضل عابد من السادسة . مات سنة ١٣٢ . التقريب (٣٤١٨) .

(٣) مصنف عبد الرزاق برقم (١٥٩٢)، وسنده صحيح. انظر : أقوال التابعين في مسائل التوحيد (٦٦٩/٢).

(٤) مصنف ابن أبي شيبة (٣٨٠/٢) ، إسناده حسن . انظر : أقوال التابعين (٦٧٤/٢) .

(٥) مصنف ابن أبي شيبة (٣٨٠/٢) ، إسناده حسن . انظر : أقوال التابعين (٦٣٥/٢) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " إن قول القائل : إن الدعاء مستجاب عند قبور الأنبياء والصالحين ، قول ليس له أصل في كتاب الله ، ولا سنة رسوله، ولا قاله أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان ، ولا أحد من أئمة المسلمين المشهورين بالأمانة في الدين ، كمالك، والثوري، والأوزاعي، والليث ابن سعد، وأبي حنيفة، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وأبي عبيدة، ولا مشايخهم الذين نقتدي بهم كالفضيل بن عياض، وإبراهيم بن أدهم، وأبي سليمان الداراني، وأمثالهم . ولم يكن في الصحابة والتابعين والأئمة والمشايخ المتقدمين من يقول إن الدعاء مستجاب عند قبور الصالحين ، لا مطلقًا ولا معينا "[1] .

وقال شيخ الإسلام عن عدم تعظيم المشاهد والمزارات في القرون المفضلة: " دع خلافة بني العباس في أوائلها ، وفي حال استقامتها ؛ فإنهم حينئذ لم يكونوا يعظمون المشاهد ، سواء منها ما كان صدقًا أو كذبًا ، كما حدث فيما بعد ؛ لأن الإسلام كان حينئذ ما يزال في قوته وعنفوانه ، ولم يكن على عهد الصحابة والتابعين وتابعيهم في ذلك شيء في بلاد الإسلام ، لا في الحجاز، ولا اليمن ، ولا الشام ، ولا العراق ، ولا مصر ، ولا خراسان ، ولا المغرب ، ولم يكن قد أحدث مشهد ، لا على قبر نبي ولا صاحب ولا أحد من أهل البيت ، ولا صالح أصلاً ، بل عامة هذه المشاهد محدثة بعد ذلك ، وكان ظهورها وانتشارها حين ضعفت خلافة بني العباس ، وتفرقت الأمة ، وكثر فيهما الزنادقة الملبسون على المسلمين ، وفشت فيهم كلمة أهل البدع ، وذلك من دولة المقتدر في أواخر المائة الثالثة "[2] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " وأما السفر إلى قبور الأنبياء والصالحين

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٧/ ١١٥- ١١٦) .

(٢) مجموع الفتاوى (٢٧/ ٤٦٥ - ٤٦٦) .

فهذا لم يكن موجودًا في الإسلام زمن مالك ، وإنما حدث هذا بعد القرون الثلاثة ، قرن الصحابة والتابعين وتابعيهم ، فأما هذه القرون التي أثنى عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يكن هذا ظاهرًا فيها "[(1)] .

وقال رحمه الله : " وكذلك من يزور قبور الأنبياء والصالحين ليدعوهم ، أو يطلب منهم الدعاء، أو يقصد الدعاء عندهم لكونه أقرب إلى الإجابة في ظنه، فهذا لم يكن يعرف على عهد مالك "[(2)] .

هذه المواقف الحازمة، وإجماع الأمة في قرونها المفضلة على عدم تعظيم المشاهد والقبور أدى إلى سلامة الأمة من مظاهر القبورية في القرون الأولى .

ولهذا اندرست غالب قبور الصحابة والتابعين وتابعيهم ؛ وما ذلك إلا بسبب نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن تعظيم قبور الأموات بأي نوع من أنواع التعظيم .

المبحث الخامس

وقفة مع اختلاف المؤرخين في تعيين قبور الصحابة

الصحابة لهم منزلة رفيعة ومكانة عالية ، ويكفيهم شرفًا ثناء الله عز وجل عليهم في كتابه : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ..... ﴾ [الفتح : ٢٩].

ولهذا حازوا قصب السبق في أجر العمل ، إذ قال النبي صلى الله عليه وسلم كما في حديث : " لا تسبوا أصحابي ؛ فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه "[(3)] .

---

(١) الجواب الباهر (٥٧) .

(٢) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٣) البخاري كتاب المناقب ، باب قول النبي : لوكنت ، برقم ٣٦٧٣ ، ومسلم برقم ٢٥٤٠.

ولا عجب في ذلك ؛ إذ أن الله اصطفاهم واختـارهم لـصحبة نبيـه صـلى الله عليه وسلم .

ولهذا اعتنى أهل الإسـلام مـن العلمـاء والمـؤرخين بـسيرهم ، وبـسطوا أخبارهم ، وحفظوا علمهم وعملهم وفتوحاتهم ، بل وسيرهم الشخصية .

لكن هؤلاء المؤرخين لم يعينوا لنا قبور الألوف المؤلفة منـهم ، فلـم يحـددوا مكانها ، إلا ما علموه بالتخمين والظن " وإن الظـن لا يغـني مـن الحـق شـيئًا " ، فكيف غابت تلك القبور عن نظر المؤرخين ؟

والسبب في ذلك استجابة أولئك الأبرار لنهي الـنبي صـلى الله عليـه وسـلم عن تعظيم القبور بأي نوع من أنواع التعظـيم . قـال رفيـق بـك العظـم : " إن الصحابة والتابعين لم يكونوا في عصرهم بأقـل تقـديرًا لقـدر الرجـال ، وتعظيمًـا لشأن من نبغ فيهم من مشاهير الأبطال ، وأخبار الأمـة ، إلا إنهـم كـانوا يـأنفون من تشييد قبور الأموات ، وتعظيم الرفات ؛ لتحقيقهم النـهي الـصريح عـن ذلـك من صاحب الشريعة الغراء الحنيفيـة الـسمحة ، الـتي جـاءت لاستئـصال شـأفة الوثنية، ومحو آثار التعظيم للرفات ، أو العكوف على قبـور الأمـوات ، ويـرون أن خير القبور الدوارس، وأن أشرف الذكر في أشرف الأعمال، ولهـذا اختفـت عمـن أتى بعد جيلهم ذلك قبور كبار الصحابة، وجلة الماهدين إلا ما ندر "[(1)] .

قال السـمهودي[(2)] في كلامه عن قبر فاطمة – رضـي الله تعـالى عنـها : " وإنما أوجب عدم العلم بعين قبر فاطمة رضي الله عنها وغيرهـا مـن الـسلف مـا كانوا عليه من عدم البناء على القبور وتجصيصها "[(3)] .

وقال المد : " لا شك أن مقبرة البقيع محشوة بالجمـاء الغفـير مـن سـادات

---

(١) أشهر مشاهير الإسلام ، نقلاً عن تحذير الساجد (١٥٢ ، ١٥٣) .

(٢) **السمهودي** : علي بن عبدالله بن أحمد بن علي بن عيسى المعروف بالسمهودي أبو الحسن، مؤرخ فقيه، ولد بسمهود ومات بها. من تصانيفه : خلاصة الوفاء في أخبار المصطفى ، ت/ ٩١١هـ . انظر : معجم المؤلفين (٤٦٣/٢).

(٣) وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى (٩٠٦/٣) .

الأمة ، غير أن اجتناب السلف الصالح المبالغة في تعظيم القبور وتجصيصها أفضى إلى انطماس أكثرهم ، فلذلك لا يعرف قبر معين منهم إلا أفرادًا معدودة "[1].

بل إن خلو تلك الحقبة الزمنية من مظاهر تعظيم القبور من حفظ الله تعالى لدينه ؛ إذ تعطينا التطبيق الفعلي للنصوص الشرعية ، والاهتداء بهدي النبي الكريم صلى الله عليه وسلم .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : " والسبب في خفائها وكثرة الخلاف فيها أن الله حفظ الدين الذي بعث به رسوله بقوله : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] واتخاذ هذه معابد ليس من الدين ، فلهذا لم تحفظ هذه المقامات والمشاهد ..."[2] .

ولو كان تعظيم المقبورين عملاً صالحًا لسبقنا إليه أهل القرون المفضلة ؛ إذ لو كان خيرًا لسبقونا إليه . فمن المحال أن يصرف عنه البررة من أهل القرون المفضلة ، ثم يرزقه الخُلاّف الذي يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون"[3] ، وهذا هو السبب في خفاء معظم قبور الصحابة ، لأن الله تعبد الخلق بطمس القبور وعدم البناء عليها وتعظيمها بأي نوع من أنواع التعظيم .

---

(١) المصدر السابق (٩١٦/٣) .
(٢) دقائق التفسير (٢٠٣/٢ ب) .
(٣) انظر : إغاثة اللهفان (٢٠٢/١) .

الفصل الثالث

المسلك الاحتسابي

ويشتمل على تمهيد ومبحثين :

التمهيد.

المبحث الأول : احتساب الولاة على القبورية.

المبحث الثاني : احتساب العلماء على القبورية.

المسلك الاحتسابي

تمهيد :

الاحتساب يأتي في اللغة بمعنيين:

المعنى الأول : من العدد ، احتسب الشيء : اعتد به وجعله في الحساب ، ومنه احتسب عند الله تعالى خيرًا إذا قدمه ، ومعناه : اعتده فيما يدخر وعليه قـول الـنبي صلى الله عليه وسلم : " من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه "[1] .

والمعنى الثاني : الإنكار . والحسبة تأتي بمعنيين ، أحدهما بمعنى الحساب ، والثاني بمعنى التدبير ، يقال : فلان حسن الحسبة في الأمر ، أي حسن التدبير .

ومعنى الاحتساب بالشرع : الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه ، والنهي عن المنكر إذا ظهر فعله .[2]

وسأتناول في هذا الفصل احتساب الولاة واحتساب العلماء على القبورية .

المبحث الأول

احتساب الولاة على القبورية

الحاكم أو السلطان أو ولي الأمر كلها أسماء لصاحب الولاية ، أو الإمامة العظمى في الأمة ، وأعظم مقاصد الولاية على الإطلاق إصلاح دين الخلق ، قال شيخ الإسـلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : " فالمقصود الواجب بالولايات : إصلاح دين الخلق الذي متى فا م خسروا خسرانًا مبينًا ، ولم ينفعهم ما نعموا به في الدنيا "[3] .

ولما كان رأس المعروف التوحيد ، ورأس المنكر الشرك ، فإن أوجب ما يجب على ولي الأمر رعاية التوحيد وحمايته والدعوة إليه ، والنهي عن الشرك وسد الطرق الموصلة إليه ، والقضاء على مظاهره ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " ولاة الأمر أحـق النـاس بنصر دين الرسول صلى الله عليه وسلم وما جاء به من الهدى ودين الحق ، وبإنكار ما ى، وما نسب إليه بالباطل من الكذب والبدع إما جهلاً من ناقله وإما عمدًا ، فإن أصل

---

(١) أخرجه البخاري ، كتاب الإيمان ، باب صوم رمضان احتساباً من الإيمان برقم (٣٨ ، ١٩٠١، ٢٠١٤) ، ومسلم برقم (٧٦٠).

(٢) انظر : نصاب الاحتساب (٨٢) ، والأحكام السلطانية (٢٨٤) .

(٣) مجموع الفتاوى (٢٦٢/٢٨) .

الدين هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ورأس المعروف هو التوحيد ، ورأس المنكر هو الشرك ، وقد بعث الله محمدًا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ، به فـرق الله بين التوحيد والشرك ، وبين الحق والباطل ، وبين الهدى والضلال ، وبين الرشاد والغي ، وبين المعروف والمنكر ، فمن أراد أن يأمر بما ى عنه ، وينهى عما أمر به ، ويغير شريعته ودينه ، إما جهلاً وقلة علم ، وإما لغرض وهوى ، كان السلطان أحق بمنعه بما أمر الله به ورسـ ـوله ، وكان هو أحق بإظهار ما جاء به الرسول من الهدى ودين الحق "[1] .

فإذًا النهي عن الشرك والطرق الموصلة إليها من أوجب الواجبـات علـى ولاة الأمور، والسلطان له اليد الطولى في ذلك ؛ إذ أنه هو صاحب القدرة والاستطاعة علـى إزالة المنكر .

والتوحيد والسنة تظهر والشرك والبدعة تدحض بسيف السلطان ؛ لأن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن ، ولهذا نجد أن النبي عليه الصلاة والسلام لما فتح مكة بادر بتكسير الأصنام ، وعقد الألوية للقضاء على الأوثان فعن أبي الطفيل ، قال : لمـا فـتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة بعث خالد بن الوليد إلى نخلة وكانت ا العـزى على ثلاث سمرات ، فقطع السمرات ، وهدم البيت الذي كان عليها ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فقال : " ارجع ، فإنك لم تصنع شيئًا " فرجع خالـد ، فلمـا أبصرته السدنة أمعنوا في الجبل ، وهم يقولون : يا عزى يا عزى ، فأتاها خالد فإذا امرأة عريانة ناشرة شعرها تحفن التراب على رأسها فعممها بالسيف فقتلها . . . "[2] .

وكذلك الأمر بالنسبة للبناء الذي بني على اللات، واللات رجل كـان يلـت السويق للحاج فلما مات عكفوا على قبره[3] ، وكان معظمًا معبودًا عند أهل الطائف،

---

(١) الجواب الباهر (٩٩) .

(٢) السنن الكبرى للنسائي ، باب قوله تعالى : ﴿ أفرأيتم اللات والعزى ﴾ برقم (١١٥٤٧) .

(٣) انظر : صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب : ﴿أفرأيتم اللات والعزى﴾ ، دون الجملة الأخيرة . برقم (٤٨٥٩) .

يستر ويهدى له الهدي كما يهدى لبيت الله الحرام[1] ، فأرسل النبي عليه الصلاة والسلام وفدًا أمر عليهم خالد بن الوليد رضي الله عنه ، وفيهم المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، فعمدوا إلى اللات ليهدموها، فهدموها ونقضوها حجرًا حجرًا ، وحفروا أساسها حتى أخرجوا ترابه[2] .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في الفوائد المستقاة من قصة وفد بني ثقيف : " ومنها هدم مواضع الشرك التي تتخذ بيوتًا للطواغيت وهدمها أحب إلى الله ورسوله ، وأنفع للإسلام والمسلمين من هدم الحانات والمواخير ، وهذا حال المشاهد المبنية على القبور التي تعبد من دون الله ، ويشرك بأربابها مع الله ، لا يحل إبقاؤها في الإسلام ، ويجب هدمها ، ولا يصح وقفها ، ولا الوقف عليها ، وللإمام أن يقطعها وأوقافها لجند الإسلام ويستعين بها على مصالح المسلمين ، وكذلك ما فيها من الآلات والمتاع والنذور التي تساق إليها ، يضاهى بها الهدايا التي تساق إلى البيت الحرام ، للإمام أخذها كلها وصرفها في مصالح المسلمين "[3] .

بل إن تسوية الأضرحة والقبور أولى من القضاء على غيرها من المنكرات ؛ لأن ما يحصل عند القبور المعظمة إما شرك أكبر مخرج من الملة، وإما ذريعة إلى الشرك الأكبر ، فإن الأضرحة المقامة على القبور أعظم جرمًا من مسجد الضرار الذي أسس على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم ، فإن ذلك المسجد الذي بني ضرارًا وكفرًا وتفريقًا بين المؤمنين ، نهى الله نبيه عن الصلاة فيه وأمر بهدمه ، وبناء القباب والمساجد على القبور أعظم فسادًا من مسجد الضرار ، قال ابن القيم رحمه الله تعالى : " وأبلغ من ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هدم مسجد الضرار ففي هذا دليل على هدم ما هو أعظم فسادًا منه ، كالمساجد المبنية على القبور، فإن حكم الإسلام فيها أن تهدم كلها

---

(١) انظر : زاد المعاد (٥٩٨/٣) .

(٢) انظر : البداية والنهاية (٣٤/٥) ، وتاريخ الإسلام (٦٧١/٢) ، زاد المعاد (٥٩٩/٣) .

(٣) زاد المعاد (٦٠١/٣) .

حتى تسوى بالأرض ، وهي أولى بالهدم من مسجد الضرار ، وكذلك القباب التي علـى القبور ، يجب هدمها كلها ؛ لأ ا أسســت على معصية الرسول؛ لأنه قد ى عـن البناء على القبور "[1] .

فإن من أوجب واجبات السلطان هدم معاقل الشرك كما فعل النبي عليه الصلاة والسلام ، فقد ورد في حديث أبي الهيـاج الأسـدي قال : قال لي علي بن أبي طالب : " ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ألا تـدع تمثـالاً إلا طمسته ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته "[2] .

وهذا الحديث يتضمن معاني منها :

١- أن النبي عليه الصلاة والسلام يبعث بعثًا لتسوية القبور ، والسياق يدل على الاستعلاء والتأمير ، فالنبي عليه الصلاة والسلام أمر عليا للقضاء على هذه المنكرات.

٢- لخطورة ارتفاع القبور قر ا النبي عليه الصلاة والسلام مع صور التماثيـل فما بالكم بالأبنية السامقة والقباب العالية على القبور .

٣- القبر المشرف هو القبر المرتفع الذي تجاوز الحد الذي ورد في الـسنة سـواء كان الارتفاع ببناء أو بزيادة رمل أو غير ذلك .

٤- أن عليا لما آلت إليه الخلافة بعث أبا الهياج الأسدي على ما بعثه عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم[3] . إذ أن حماية جانب التوحيد ، والقضاء على الشرك وسـد الذرائع الموصلة إليه من أوجب واجبات ولي الأمر .

ولذلك فإن محاربة الشرك والقضاء على مظاهره ، وسد الذرائع الموصلة إليه هـو ديدن ولاة أمر المسلمين من السلف الصالح ؛ ولذلك نجد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قطع الشجرة التي بايع تحتها الصحابة رضوان الله عليهم رسول الله صلى الله عليـه

---

(١) إغاثة اللهفان (٢١٠/١) .

(٢) أخرجه مسلم برقم (٩٦٩) .

(٣) انظر : عون المعبود (٢٦/٩) .

وسلم. فعن نافع قال : " بلغ عمر بن الخطاب أن أناسًا يأتون الشجرة التي بويع تحتها ، قال : فأمر بها فقطعت "[1] .

فهذا عمل عمر رضي الله عنه بهذه الشجرة التي ذكرها الله في كتابه، وبايع تحتها الصحابة، كل ذلك سدا للشرك وذرائعه، قال ابن القيم رحمه الله : " فإذا كان هذا فعل عمر رضي الله عنه بالشجرة التي ذكرها الله تعالى في القرآن، وبايع تحتها الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فماذا حكمه فيما عداها من هذه الأنصاب والأوثان التي عظمت الفتنة بها، واشتدت البلية بها "[2] ؟

لا شك أنه لو رأى هذه الأضرحة المعظمة والقباب السامقة على القبور لأمر بهدمها، وإزالتها حماية لجانب التوحيد وسدا للشرك وذرائعه ، فإن الفتنة في القبور المعظمة أشد وأعظم من الفتنة في الأشجار والأحجار .

ولازال ولاة الأمر من أهل السنة والجماعة يأمرون بتسوية القبور وهدم الأبنية المقامة عليها لدلالة السنة على ذلك . قال الإمام الشافعي : " وقد رأيت من الولاة من يهدم بمكة ما يبنى فيها فلم أر الفقهاء يعيبون ذلك "[3] فتواطأت كلمة الفقهاء وسلطة الأمراء على هدم الأبينة التي على القبور ، قال الإمام النووي بعد سياق هذه المسألة عن الإمام الشافعي : " ويؤيد الهدم قوله : " ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته "[4] .

بل لم يقتصر دور ولاة أمر المسلمين من أهل السنة والجماعة على هدم الأضرحة، بل تعدى ذلك إلى تأديب من يأتي معظمًا لهذه الأضرحة بالسجن وتغيير معالم الأماكن المعظمة حماية لجانب التوحيد ، فقد ذكر ابن كثير في أحداث سنة ٢٣٦هـ : " فيها أمر

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة ، باب في الصلاة عند قبر النبي وإتيانه برقم ٧٥٤٥ ، وأخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (١٠٠/٢) قال ابن حجر : " ثم وجدت عند ابن سعد بإسناد صحيح عن نافع أن قومًا يأتون الشجرة فيصلون عندها فتوعدهم ثم أمر بقطعها فقطعت " انظر : الفتح (٤٤٨/٧)

(٢) إغاثة اللهفان (٢١٠/١) .

(٣) الأم (٢٧٧/١) .

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم (٢٧/٧) .

المتوكل[1] هدم قبر الحسين بن علي بن أبي طالب وما حوله من المنازل والدور ، ونودي في الناس من وجد هنا بعد ثلاثة أيام ذهبت به إلى المطبق[2] فلم يبق هناك بشر ، واتخذ ذلك الموضع مزرعة تحرث وتستغل "[3] .

هكذا كان ولاة أمر المسلمين يغارون على التوحيد ويحمون جنابه ، ويهدمون مظاهر الشرك ويسدون ذرائعه .

ولا شك أن هدم الأضرحة المعظمة التي هي من معاقل الشرك ووسائله يجب على ولاة أمر المسلمين القضاء عليها وهدمها ، وهي من أوجب واجباتهم ومن أخص خصائصهم، فإن ولي أمر المسلمين ، كما يجب عليه أن يرعى دنيا الناس فمن باب أولى أن يرعى عقيدتهم، والله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن ، والاحتساب على المنكرات مبني على الاستطاعة، فالعالم وعامة الناس قد لا يستطيعون هدم القباب والأضرحة ، لكن يد السلطان عليا وهو قادر على ذلك .

ولذلك لما قام الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الدعوة إلى الله تعالى وأصبح له مناصرون من العامة وناصره في بداية الأمر عثمان بن معمر[4] أمير العيينة تمكن بحكم مناصرة الأمير بهدم الأبنية والقباب والمشاهد المبنية على القبور . قال ابن بشر : " ثم إن الشيخ أراد أن يهدم قبة زيد بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، أتى بلدة الجبيلة فقال لعثمان: دعنا لنهدم هذه القبة التي وضعت على الباطل، وضل بها الناس عن الهدى، فقال: دونكها فاهدمها، فقال الشيخ: إني أخاف من أهل بلدة الجبيلة أن ينصروها،

---

(١) **المتوكل** : هو **جعفر بن المعتصم** تولى الخلافة بعد أخيه الواثق وكانت خلافته خيرًا على أهل السنة ، خيرًا من خلافة الواثق والمأمون والمعتصم ، تولى الخلافة سنة ٢٣٢ ، ت ٢٤٧ . البداية والنهاية (١٠/٣١٠ – ٣٤٩).

(٢) **المطبق** : السجن ، والذي يظهر أنه مأخوذ من الطباق وهو المطبق عليه حمقًا ، وقيل هو الذي أموره مطبقة عليه مغشاة ، انظر : النهاية (٣/١١٤) .

(٣) البداية والنهاية (١٠/٣١٥) .

(٤) **عثمان بن حمدين بن عبد الله بن محمد** ، من بني سعد من تميم ، تولى بلدة العيينة بعد ما قتل أخوه الملقب خرفاش سنة ١١٤٢ . انظر : عنوان المجد في تاريخ نجد (٣٨) .

ويقعوا بنا، ولا أستطيع هدمها إلا وأنت معي، فسار معه عثمان بنحو ستمائة رجـل ، فأراد أهل الجبيلة أن يمنعوهم من هدمها، فلما رأوا عثمان وأنه قد عزم على حر م إن لم يتركوه يهدمها كفوا، وخلوا بينهم وبينها فهدمها الشيخ لما يب هدمها الـذين معـه، فانتظر جهلة أهــ ـل البلد ما يحـدث على الشيخ بسبب هدمها، فأصبح في أحـسن حال"[1].

إن تأصيل الناس تأصيلاً علميا أمر مهم، والأمر الآخر الذي هو بدرجـة مـن الأهمية القضاء على معاقل الشرك أمام أهله المعتقدين به ليتضح لهـم زيـف عقائـدهم وضلالها .

فالشيخ محمد بن عبد الوهاب لم يكن يقدر على هدم هذه القبة المعظمـة عنـد أهلها لولا الله عز وجل ثم نصرة الأمير ، فالحق يحتاج إلى قرآن يهدي وسيف يحمي.

وهذا الذي قام به حكام الدولة السعودية عند دخولهم لأي بلد مـن البلـدان ، يبادرون لهدم الأضرحة والقباب. فقد ذكر ابن بشر في حوادث سنة ١٢٠٧هـ عنـدما دخل الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود[2] قال : " ودخل المسلمون الأحساء وهدموا جميع ما فيه من القباب والمشاهـد التي على القبـور والمواضع الشركية فلم يتركوا لهـا أثرًا "[3] .

وكذلك في حوادث سنة ١٢١٦ هـ قال ابن بشر في دخول جـيش الدولـة السعودية الأولى كربلاء : " وهدموا القبة الموضوعة بزعم من اعتقد فيهـا علـى قـبر الحسين، وأخذوا ما في القبة وما حولها ، وأخذوا النصيبة التي وضعوها على القبر وكانت

(١) عنوان الـد في تاريخ نجد (٣٩/١) .

(٢) هو **عبد العزيز بن محمد بن سعود بن مقرن بن مرخان** ينتهي نسبه إلى قبيلة عـ ة بن أسد بن ربيعة ، آل إليه الحكم بعد وفاة والده عام ١١٧٩ ، وقد سار سيرة حسنة ، ونشر الدين وبسط نفوذ الدولة شرقًا وغربًا وشمالاً وجنوبًا ، قتل سنة ١٢١٨هـ رحمه الله . انظر : عنوان الـد (٩٩/١ – ٢٦٤) .

(٣) عنوان الـد (٢٠٢/١) .

مرصوفة بالزمرد والياقوت والجواهر "[1] .

هكذا يعمر الروافض القبورية القبور ، ويقوم أهل الإسلام بهدمها وتسويتها.

كما قام الأمير سعود بن عبد العزيز في عام ١٢١٧ بهدم القبور والقباب التي أقيمت على الأضرحة قال ابن بشر : " فلما خرج سعود والمسلمون من الطواف والسعي، فرق أهل النواحي ليهدموا القباب التي بنيت على القبور والمشاهد الشركية ، وكان في مكة من هذا النوع شيء كثير في أسفلها وفي أعلاها ووسطها وبيوتها ، فأقاموا فيها أكثر من عشرين يومًا يهدمون، يبكرون إلى هدمها كل يوم، وللواحد الأحد يتقربون ، حتى لم يبق في مكة شيء من تلك المشاهد والقباب إلا أعدموها وجعلوها ترابًا "[2] .

وكذلك الحال في المدينة؛ فعندما دخلها جيش الإمام وبايع أهلها هدمت جميع القباب والمشاهد وذلك في عام١٢٢٠ هـ.[3]

ثم بسقوط الدولة السعودية الأولى وخلال ولاية الأشراف على الحجاز أعيد البناء على الأضرحة والقبور من جديد .

ولما فتح الملك عبد العزيز الحجاز بادر رجاله لهدم الأضرحة والقباب التي بنيت عليها ، فهدمت القباب والبيبان التي كانت على القبور . قال الريحاني عن هذه الحادثة : " لا ثأر على الإخوان على المساجد ، ولكن في القباب مصيبة الدين الكبرى . قال الإمام محمد بن عبد الوهاب : " المشاهد التي بنيت على القبور التي اتخذت أوثانًا تعبد من دون الله ، والأحجار التي تقصد للتبرك والنذر والتقبيل ، لا يجوز إبقاء شيء منها على وجه

(١) عنوان المجد (٢٥٧/١) .

(٢) عنوان المجد (٢٦٣/١) .

(٣) انظر المصدر السابق (٢٨٨/١) .

الأرض مع القدرة على إزالته"[1].

فهدم القباب والقبور هو نهج ولاة الأمور من أهل السنة والجماعة منذ عهد النبي الكريم عليه الصلاة والسلام الذي أمر بتسوية القبور المشرفة إلى هذا الزمان.

كما هدمت الأضرحة والقباب المشيدة على القبور التي في مكة ، وهدمت الأضرحة والقباب التي في المدينة نصرةً للحق وحماية لجانب التوحيد؛ وذلك أنه لما قدم الشيخ عبد الله بن بليهد [2] إلى المدينة النبوية سنة ١٣٤٤هـ أزال البناء والقباب التي أقيمت على الأضرحة والقبور في البقيع وفي غيرها، وكان ذلك تحت ولاية الملك عبدالعزيز وتأييده [3].

ولم يقف دور ولاة أمر المسلمين على الهدم والإزالة ، بل إرسال الرسل والدعاة والعلماء للنواحي التي تعظم فيها الأضرحة والقبور لدعوة أهلها إلى الحق ، وإزالة حب هذه الأضرحة من قلوبهم ، كما أرسل النبي عليه الصلاة والسلام معاذًا إلى أهل اليمن يدعوهم لإفراد الله تعالى بالعبادة، ولهذا فقد قام الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود بإرسال دعاة إلى ولاة بعض النواحي، حيث يناقش بحضرة والي تلك الناحية مع العلماء ما يتعلق ببعض المسائل الشرعية، وخاصة ما يتعلق بتعظيم القبور ، ففي أحداث سنة ١١٨٥هـ أرسل الإمام والشيخ محمد بن عبد الوهاب الشيخ عبد العزيز الحصين[4] ، لمناقشة علماء مكة في عدة مسائل بحضرة شريف مكة آنذاك؛ منها ما يتعلق بهدم القباب

---

(١) تاريخ نجد الحديث (٣٧٠).

(٢) **عبدالله بن سليمان بن سعود بن سالم بن محمد بن بليهد الخالدي** ، ولد ببلدة القرعاء سنة ١٢٨٤هـ ، عين قاضياً بحائل ثم رئيساً للقضاة بمكة سنة ١٣٤٣هـ ثم عاد إلى رئاسة قضاء حائل سنة ١٣٤٥هـ، ت ١٣٥٩هـ. انظر : علماء نجد خلال ثمانية قرون (١٣٨/٤-١٥٠) ، مشاهير علماء نجد (٣٤٤-٣٥٤).

(٣) انظر : مشاهير علماء نجد (٣٤٥).

(٤) **عبد العزيز بن عبد الله بن الحصين الناصري** الحنبلي ، كان عالمًا زاهدًا ورعًا حليمًا ، تولى القضاء زمن الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود ، وابنه سعود وابنه عبد الله بن سعود ، ت (١٢٣٧) ، انظر : عنوان المجد (٤٦٤/١، ٤٦٥) .

التي على القبور ، فقال الشيخ عن هذه المسألة : " وأما هدم القباب التي على القبور فهو الحق والصواب كما هو وارد في كثير من الكتب، وليس لدى العلماء فيه شك ، وأما دعوة الصالحين وطلب الشفاعة منهم والاستغاثة بهم في النوازل فقد نص الأئمة العلماء وقرروا أنه من الشرك الذي فعله القدماء ولا يجادل في جوازه إلا كل ملحد أو جاهل. فأحضروا كتب الحنابلة فوجدوا أن الأمر على ما ذكر فاقتنعوا واعترفوا بهذا "[1] .

ولا شك أن بعث العلماء والدعاة من قبل الولاة يكسبهم هيبة تمنع تطاول الجهال عليهم ؛ لأن العالم يتكلم بلسان من أرسله ، فيتحقق بذلك من الاحتساب والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما لا يتحقق لو أن العالم تولى هذا الأمر بمفرده .

المبحث الثاني

احتساب العلماء على القبورية

العلماء ورثة الأنبياء ، ورثوا عنهم العلم؛ علم الكتاب والسنة ، وتفقهوا في دين الله تعالى، فلهم من المنزلة والمكانة ما ليس لغيرهم، وعليهم من الواجب ما ليس على غيرهم، ومن أوجب ما يجب على العلماء الدعوة إلى التوحيد، والتحذير من الشرك ووسائله وأهله ودعاته. قال العز بن عبد السلام[2] : " أوجب الله على العلماء إعزاز الدين، وإذلال المبتدعين ، فسلاح العالم علمه ، كما أن سلاح الملك سيفه وسنانه . فكما لا يجوز للموك إغماد أسلحتهم عن الملحدين والمشركين ، لا يجوز للعلماء إغماد ألسنتهم عن الزائغين والمبتدعين ، فمن ناضل عن الله وأظهر دين الإسلام دين الله ، كان جديرًا أن يحرسه الله تعالى بعينه التي لا تنام، ويعزه بعزه الذي لا يضام "[3] .

فالواجب على علماء الأمة الاحتساب على أهل البدع التي من أعظمها تعظيم

---

(١) عنوان المجد (حاشية) (١١٧/١) .

(٢) **عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي** ، أبو محمد ، فقيه شافعي ، تولى الخطابة في المسجد الأموي ، ثم انتقل إلى مصر ، فتولى القضاء . ولد سنة ٥٧٧ ، ت ٦٦٠ هـ . انظر الشذرات (٣٠١/٥)، والبداية والنهاية (٢٣٥/١٣).

(٣) شفاء الصدور في زيارة المشاهد والقبور (٢٢٣ ، ٢٢٤) .

القبور، وعدم كتمان العلم، كما قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [آل عمران : ١٨٧] .

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه : " هي لليهود أخذ عليهم العهد في أمر محمد صلى الله عليه وسلم ، فكتموه ، وهي عامة في كل من علمه الله علمًا "[1] .

قال سفيان : وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونـه؛ أن تنكر المنكر، وتأمر بالخير وتحسن الحسن، وتقبح القبيح "[2] .

واحتساب العلماء على القبورية يكون بأمور :

أولاً : الاحتساب في دعوة الناس للرجوع لنصوص الكتاب والسنة : مـا وقـع الناس فيما وقعوا فيه إلا بسبب عدم الرجوع إلى كتاب الله وسنة نبيه صـلى الله عليـه وسلم، فعظمت القبور، وبنيت الأضرحة عليها، واستغاث الناس ا، وتوسـلوا ـا ، وطلبوا الشفاعة والدعاء منها ، إلى غير ذلك من أفعـال القبوريـة، اتخـذوا المنامـات والحكايات وأقوال السدنة لهذه الأضرحة دينًا ، وأعرضوا عن دين الله الحق . يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : " فإنه يقال : إن هذا مقام نبي أو قبر ولي بخبر لا يعرف قائلـه ، أو بمنام لا تعرف حقيقته ، ثم يترتب على ذلك اتخاذه مسجدًا فيصير وثنًا يعبد من دون الله تعالى ، شرك مبني على إفك ، والله سبحانه يقرن في كتابه بين الشرك والكذب ، كما يقرن بين الصدق والإخلاص "[3] .

---

(١) تفسير ابن كثير (١٢٦/١) .

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٨٣٧/٣) .

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم (٢٧٩/٢) .

ولو تأصل عند الناس الرجوع للكتاب والسنة على أيدي العلماء العاملين لردت تلك الأفعال الآثمة والأقوال الشركية البدعية بنصوص الكتاب والسنة ، فالكتاب والسنة هما المرجع وهما سبيل الهداية والنجاة من الضلال ؛ فقد ورد في الحديث عن أبي شـريح الخزاعي رضي الله عنه قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن هذا القرآن طرفه بيد الله ، وطرفه بأيديكم فتمسكوا به ؛ فإنكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعـده أبدًا "[1] .

فإذا تواصى العلماء على نشر هذا الأمر والدعوة إليه والاحتساب فيـه، أصـبح ديدن الناس السؤال عن الدليل، فردت البدع وأحييت السنن . وإذا نظرنـا إلى أحـوال القبورية وما يفعلونه عند القبور رأينا ما يفعل عند القبور مناقضًا لما جاء بـه صـاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام .

ثانيًا : بيان أن ما يحصل عند القبور شرك أكبر مخرج من الملة أو وسيلة إليـه:

دعوة الأنبياء دعوة قامت على توحيد الله تعالى، وإفراده بالعبادة، والتحذير من الشرك. قـال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾. [النحل: ٣٦]

وقال تعالى لنبيه صلى الله عليـه وسـلم : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

فدعوة الأنبياء دعوة قامت على توحيد الله، والتحذير مما يضاده من الشرك. ولهذا نجد أن إبراهيم عليه السلام خاف على ذريته من الشرك. قال الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام : ﴿ وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ [إبراهيم : ٣٥]. قال إبراهيم التيمي[2] : "

(١) رواه ابن حبان ، باب نفي الضلال عن الآخذ بالقرآن ، برقم (١٢٢) . قال الشيخ الألباني : صحيح . انظر صحيح الترغيب والترهيب ، رقم ٣٩ .

(٢) **إبراهيم بن يزيد بن شريك** ، أبو أسماء ، الكوفي العابد ، ثقة إلا أنه يرسل ويدلس . ت (١٩٢) . تقريب رقم (٩٥) .

ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم "[1] .

ولذلك لا يأمن من الشرك إلا جاهل ، والسبيل الذي يخلص من الشرك وذرائعه هو العلم بالله ، وبما بعث به رسوله صلى الله عليه وسلم، والنهي عن الشرك به[2] .

وكما سرى الشرك إلى الأمم السابقة سيسري الشرك إلى هذه الأمة. فقد ورد في حديث أنس رضي الله عنه، أن النبي عليه الصلاة والسلام قال : " لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله .. الله "[3] .

وكما كان الشرك في قوم نوح وفي اليهود والنصارى بسبب تعظيم القبور فقد وقع في هذه الأمة بالسبب نفسه .

ولذلك فالواجب على العلماء بيان الشرك الذي يحصل عند القبور والوثنية التي أطبقت على فئام من الأمة المحمدية . قال ابن القيم رحمه الله مبيِّنًا ما يحصل عند القبور من الشرك الأكبر ومن الذرائع الموصلة إليه: " فلو رأيت غلاة المتخذين لها عيدًا ، وقد نزلوا عن الأكوار والدواب إذا رأوها من مكان بعيد، فوضعوا لها الجباه، وقبلوا الأرض وكشفوا الرءوس، وارتفعت أصوا م بالضجيج، وتباكوا حتى تسمع لهم النشيج، ورأوا أ م قد أربوا في الربح على الحجيج، فاستغاثوا بمن لا يبدي ولا يعيد، ونادوا ولكن من مكان بعيد، حتى إذا دنوا منها صلوا عند القبر ركعتين، ورأوا أ م قد أحرزوا من الأجر ولا أجر من صلى إلى القبلتين، فتراهم حول القبر ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الميت ورضواناً، وقد ملئوا أكفهم خيبة وخسراناً، فلغير الله، بل للشيطان ما يراق هناك من العبرات، ويرتفع من الأصوات، ويطلب من الميت من الحاجات ويسأل من تفريج الكربات ، وإغناء ذوي الفاقات، ومعافاة أولي العاهات والبليات، ثم أنثنوا بعد ذلك حول القبر طائفين، تشبيهاً له بالبيت الحرام، الذي جعله الله مباركاً وهدىً للعالمين، ثم

---

(١) الدر المنثور (٤٦/٥) .

(٢) انظر فتح المجيد (١٠١) .

(٣) رواه مسلم ، برقم (١٤٨) .

أخذوا في التقبيل والاستلام، أرأيت الحجر الأسود وما يفعل به وفد البيت الحرام ثم عفروا لديه تلك الجباه والخدود، التي يعلم الله أنها لم تعفر كذلك بين يديه في السجود. ثم كملوا مناسك حج القبر بالتقصير هناك والحلاق، واستمتعوا بخلاقهم من ذلك الوثن إذ لم يكن لهم عند الله من خلاق، وقربوا لذلك الوثن القرابين. وكانت صلاتهم ونسكهم وقربانهم لغير الله رب العالمين، فلو رأيتهم يهنئ بعض بعضهم ويقول : أجزل الله لنا ولكم أجراً وافراً وحظاً، فإذا رجعوا سألهم غلاة المتخلفين أن يبيع أحدهم ثواب حجة القبر بحج المتخلف إلى بيت الله الحرام، فيقول : لا، ولو بحجك كل عام "[1] .

بل وصل الحال بالقبورية أنهم يتضرعون عند القبور ويخشعون في قلوبهم عندها ما لا يخشعون في بيوت الله جل وعلا، بل وصل الحال ببعضهم للسجود للقبر واستدبار الكعبة زاعمًا أن القبر قبلة الخاصة والكعبة قبلة العامة. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " وما أكثر من يرى من هؤلاء أن صلاته عند هذا القبر المضاف إلى بعض المعظمين مع أنه كذب في نفس الأمر أعظم من صلاته في المساجد بيوت الله ، فيزدحمون للصلاة في مواضع الإشراك المبتدعة ، التي نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن اتخاذها مساجد ، وإن كانت على قبور الأنبياء، ويهجرون الصلاة في البيوت التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيه اسم الله قال الله فيها : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ . . . ﴾ [التوبة : ١٨] ، ومن أكابرهم من يقول : " الكعبة في الصلاة قبلة العامة ، والصلاة إلى قبر الشيخ فلان مع استدبار الكعبة قبلة الخاصة "[2] .

فأي توحيد وأي دين لمن هذا حاله، يرجو غير الله ويخاف من غير الله، ويسأل صاحب القبر الميت كما يسأل الحي الذي لا يموت يقول : يا سيدي فلان اغفر لي ، وارحمني واشف مريضي، بل يظن بعضهم أن شد الرحل للقبور أنفع من الحج، بل من شيوخ القبورية من يحج فإذا دخل المدينة رجع وظن أن هذا أبلغ[3] ، بل وصل الحال

(١) إغاثة اللهفان (١٩٤/١) .
(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (٣٨٤/٢ ، ٣٨٥) .
(٣) انظر : المصدر السابق (٣٨٢/٢، ٣٨٣) .

ببعضهم الخوف من صاحب القبر أشد خوفًا من الله تعالى، فإذا قيل له: احلـف بـالله حلفًا كاذبًا حلف من غير تردد ، وإذا قيل له احلف بفلان صاحب القبر لم يحلف لخوفه من بطشه .

هذه أحوال القبورية الأحياء في أجسادهم الأموات في قلوبهم مع أصحاب القبور، فالواجب على علماء الإسلام بيان ذلك ونشره وتحذير الناس منه .

ومن المؤسف إنك تجد في كثير من المساجد المقامة على الأضرحة في بعض بلدان المسلمين بعض العلماء يدرس العلوم الشرعية في تلك المساجد، ويرى الشرك أمام عينيـه حول تلك الأضرحة ولا يحرك لذلك ساكنًا .

ثالثًا : بيان ما يحصل عند القبور من فساد أخلاقي :

الإسلام دين كمله الله تعالى. قال تعـالى : ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا ﴾ [المائدة : ٣] قال ابن عباس رضـي الله تعـالى عنهما : " أخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أنه أكمل لهم الإيمان فلا يحتاجون إلى زيادة أبدًا، وقد أتمه الله فلا ينقصه أبدًا ، وقد رضيه فلا يسخطه أبدًا "(1) .

وكلما ازداد تمسك الإنسان بهذا الدين كلما سمت نفسه وحـسنت أخلاقـه ، وترفع عن الدنايا ، وهذا خلاف ما يحصل من القبورية عند الأضرحة ، وفي احتفـالاتهم في موالد أوليائهم من خلطة الرجال بالنساء . قال ابن الحاج عن مفاسد خروج النـساء للقبور : " وأما في حال زيارتهن القبور فأشنع وأعظم ؛ لأنها اشـتملت علـى مفاسـد عديدة؛ فمنها : مشيهن بالليل مع الرجال في زيارة القبور مع كثرة الخلـوات هنـاك، وكثرة الدور المتيسرة، وكشفهن لوجوههن وغيرها، حتى كأنهن مع أزواجهن وملاعبتهن وكثرة الضحك مع الغناء في موضع الخشوع والاعتبار "(2) .

الشاهد في ذلك أن كثيرًا من الأضرحة أصبحت مكانًا لاختلاط الرجال بالنساء،

---

(١) تفسير ابن كثير (١٣/٢) .

(٢) المدخل (٢٦١/١) .

وفعل المحرمات، وشرب الخمر. ففي بعض بلاد المسلمين ينتشر حول هـذه الأضـرحة بعض القبوريين الذين يعيشون في ساحا ا ويلازمو ا. ففي بنجلادش مثلاً ينقسم القبورية حول الأضرحة إلى قسمين :

الأول : أناس يلبسون ثياباً رثـة لا تكاد تستر عورا م ، بدا علـيهم التبلـد والقذارة، يخالطهم الناس طلبًا للبركة ، وتبيت معهم النساء ، ولا يتحرزن عن معاشر م.

الثـانـي : أناس يهتمون بمظهرهم ، يجلسون على ساحة الـضريح ، وينـاديهم الناس بكل شوق باسم (بابا) ، وتبيت النساء أيضًا عندهم من غير تحرز عن ارتكـاب الفواحش معهم ، حيث يتناولون المخدرات والمسكرات، ويغنون بإيقاع خاص أشـعار الشرك والفجور، ولا يتورعون عن ارتكاب الزنا[1] .

فأصبحت أماكن الأضرحة مكانًا لمقارفة أنواع المحرمات؛ ومن ذلك مـا ذكـره الجبرتي عن ضريح عبد الوهاب العفيفي[2] : " ثم إ م ابتدعوا له موسمًا وعيدًا كل سنة ، يدعون الناس من البلاد القبلية والبحرية ، فينصبون خيامًا كثيرة وصـواوين ومطـابخ وقهاوي، ويجتمع العالم الأكبر من أخلاط الناس وخواصـهم وعـوامهم ، وفلاحـين الأرياف، وأرباب الملاهي، والملاعيب، والبغايا، فيملؤون الصحراء والبستان، فيطئـون القبور ويوقدون عليها النيران، ويصبون عليها القاذورات، ويزنون ويلوطون ، ويلعبـون ويرقصون، ويضربون بالطبول والزمور ليلاً و ارًا، ويستمر ذلك نحو عشرة أيام أو أكثر، ويجتمع لذلك أيضًا الفقهاء والعلماء، وينصبون لهم خيامًا أيضًا، ويقتدي م الأكابر من الأمراء والتجار والعامة من غير إنكار، بل ويعتقدون أن ذلك قربة وعبادة، ولو لم يكـن كذلك لأنكره العلماء، فضلاً عن كو م يفعلونه "[3] .

---

(١) انظر دمعة على التوحيد (٤٧) .

(٢) **عبد الوهاب بن عبد السلام بن أحمد بن حجازي العفيفي** ، ولد بمدينة عفيف ، صوفي من كبار الصوفية ، ت ١١٧٢هـ . انظر عجائب الآثار في التراجم والأخبار (٣٦٤/١ ، ٣٦٥) .

(٣) عجائب الآثار (٣٦٥/١، ٣٦٦) بتصرف يسير .

ولذلك يستغل هذه المواسم قليلو الديانة، لفعل الموبقات والتفرج على القبورية أثناء احتفالا م وزيار م ، حتى سئل شيخ الإسلام عن رجل غدا إلى التكروري[1] يتفرج فغرق هل هو عاص أم شهيد .

فأجاب رحمه الله : " إن قصد الذهاب إلى هذا القبر للصلاة عنده والدعاء به والتمسح بالقبر ونحو ذلك مما ى عنه ، أو أن يعمل بشيء ى الله عنه من الفواحش والخمر والزمر أو التفرج على هؤلاء ورؤية أهل المعاصي من غير إنكار، فهم عصاة لله في هذا السفر، وأمرهم إلى الله تعالى "[2] .

فهذه أحوال كثير من القبورية عند القبور، وليس معنى هذا أن جميع من يذهب للأضرحة أنه يقترف ذلك، لكنه لما فعلت المعاصي عند هذه الأضرحة دل ذلك على بعدها وبعد أهلها عما أمر الله به سبحانه وتعالى، وما يحصل عند الأضرحة من الشرك أو من وسائله أعظم من فعل الذنوب والمعاصي.

رابعًا : مناظرة القبورية، وإقامة الحجج عليهم:

الله عز وجل أرسل رسله لدعوة الناس إلى التوحيد ، ولإقامة الحجج عليهم. قال تعالى : ﴿ رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء : ١٦٥] .

فبيان الحق للناس وإزهاق الباطل مقصد إلهي ، وهذا المقصد قد لا يتحقق إلا بالمناظرة، فالمدعوون مختلفون، منهم من تنفعه الدعوة بحكمة ، ومنهم من تنفعه الموعظة، ومنهم من لا تنفعه إلا المناظرة ومقارعة الحجة بالحجة مع استيفاء شروط المناظرة، كما قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ [النحل : ١٢٥].

---

(١) لم أجد له ترجمة ، والذي يظهر من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية ، أنه قبر معظم .
(٢) الفتاوى (٤٩٦/٢٧) .

فمبدأ المناظرة المستوفية لشروطها التي تحقق المصالح وتدرأ ا المفاسد أمر شرعي ذكره الله تعالى عن أنبيائه، فهذا إبراهيم عليه السلام يناظر النمرود[1]، ويقيم عليه الحجج البالغة التي كانت سببا في تانه . قال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [البقرة : ٢٥٨] .

ومناظرة القبورية وإقامة الحجج عليهم أمر سار عليه بعض علماء الإسلام، وحققوا فيه مصالح عظيمة، ومنها ما قام به الإمام محمد بن عبد الوهاب والإمام عبدالعزيز لإرسال من يناظر بعض علماء مكة، فناظرهم وأقام الحجة عليهم .

وكذلك لما دخل جيش الدولة السعودية الأولى بقيادة الأمير سعود عام ١٢١٨هـ ، وبعد أن تمت عمرة الأمير وجيشه التقى بالناس كما التقى بالعلماء ، وحصلت مناظرة بين الإمام عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب مع بعض علماء مكة. يقول الإمام عبد الله : " فألححنا عليهم في مسألة طلب الحاجات من الأموات إن بقي لديهم شبهة، فذكر بعضهم شبهة أو شبهتين، فرددناها بالدلائل القاطعة من الكتاب والسنة ، حتى أذعنوا ولم يبق عند أحد منهم شك ولا ارتياب ٠٠٠٠ إلى أن قال ٠٠٠ وحلفوا لنا الأيمان المعقدة من دون استحلاف لهم على انشراح صدورهم وجزم ضمائرهم أنه لم يبق لديهم شك فيمن قال يا رسول الله أو يا ابن عباس أو يا عبد القادر أو غيرهم من المخلوقين طالبًا بذلك دفع شر أو جلب خير من كل ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى من شفاء المريض والنصر على العدو والحفظ من المكروه ونحو ذلك أنه مشرك الشرك الأكبر... إلى قوله:...وأن ما وضع من البناء على قبور الصالحين صارت في هذه الأزمان أصنامًا تقصد لطلب الحاجات، ويتضرع عندها ويهتف بأهلها في الشدائد كما

---

(١) **نمرود بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح**، ملك بابل، كان من ملوك الدنيا. انظر تفسير ابن كثير (٣١٤/١) .

تفعله الجاهلية الأولى " وبعد هذه المناظرة قال الإمام : " فبعد ذلك أزلنا جميع البناء على القبور وغيرها حتى لم يبق في البقعة الطاهرة طاغوت يعبد "[1] .

فهذه المناظرات نتج عنها قناعة العلماء ، وانشراح صدورهم للتوحيد ، والعـوام تبع للعلماء والأمراء ، ولذلك قاموا دم الأضرحة والقبور بكل يسر وسهولة .

ومنها مناظرة بين علماء مكة وعلماء نجد ليشرح كل فريق ما عنده من العقائـد لأخيه، وبعد المداولة بينهم في المسائل الأصولية من العقائد خرج بيان يتضمن ما يلي:

١- أن من أقر بالشهادتين وعمل بأركان الإسلام الخمسة ثم أتى بمكفر يـنقض إسلامه قولياً أو عملياً أو اعتقادياً يكون كافرًا بذلك ، يستتاب ثلاثًا ، فـإن تـاب وإلا قتل.

٢- ومنها من جعل بينه وبين الله وسائط من خلقه ، يدعوهم في جلب نفـع أو دفع ضر أو يقربونه إلى الله زلفى أنه كافر يحل دمه وماله ، ومن طلب الشفاعة من غـير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله أن ذلك شرك ، فإن الشفاعة ملك لله ولا تطلب إلا منه .

٣- ومنها تحريم البناء على القبور وإسراجها، وتحري الصلاة عندها أن ذلك بدعة محرمة في الشريعة إلى آخر البيان[2] .

وكان هذا البيان بعد المناظرة بين الفريقين ثم اجتمعوا على الحق وكتبوا هذا البيان ووقع عليه أكثر من عشرين عالمًا من علماء مكة وعلماء نجد .

فهذه المناظرات مع من فتنوا بالقبور إذا استوفت شروطها لا شك أن لهـا دورًا كبيرًا في إزالة مظاهر القبورية من القلوب ومن الأرض .

خامسًا : الرد على القبورية :

الرد على المخالفين للدين أمر شرعي ، إذ أرسل الله الرسل وأنزل الكتب لإحقاق

---

(١) صيانة الإنسان (٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٠) .

(٢) انظر : البيان المفيد (٣٨ - ٤٠) .

الحق وإزهاق الباطل كما قـال تعـالى : ﴿ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحۡمَةً لِّقَوۡمٍ يُؤۡمِنُونَ ﴾ [النحل : ٦٤] .

قال ابن جرير : " يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم: وما أنزلنا يا محمد عليك كتابنا، وبعثناك رسولاً إلى خلقنا إلا لتبين لهم ما اختلفوا فيه من دين الله فتعرفهم الصواب منه والحق من الباطل وتقيم عليهم بالصواب منه حجة الله الذي بعثك بها "(1) .

ولذلك فالعلماء من أهل السنة يحتسبون على أهل الزيغ والضلال نصرةً لدين الله، وإحقاقًا للحق وإزهاقًا للباطل، فيجمعون بين الإيمان برسل الله وطاعتهم وحفظ دين الله. قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى : " إن أهل التوحيد والسنة يصدقونهم فيمـا أخـبروا ويطيعونهم فيما أمروا ، ويحفظون ما قالوا ويفهمونه ، ويعملون به ، وينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، ويجاهدون من خالفهم ويفعلون ذلك تقربًا إلى الله تعالى طلبًا للجزاء منه لا منهم "(2) .

بل الرد على المخالفين لنصوص الكتاب والسنة واجب باتفاق العلماء وقربة مـن أعظم القرب وهو من الجهاد في سبيل الله تعالى، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمـه الله تعالى : " ومثل أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسـنة ، أو العبـادات المخالفة للكتاب والسنة ، فإن بيان حالهم وتحذير الأمة منهم واجب باتفاق المسـلمين ، حتى قيل لأحمد بن حنبل: الرجل يصوم ويصلي ويعتكف أحب إليك أو يتكلم في أهـل البدع ؟ فقال : إذا قام وصلى واعتكف فإنما هو لنفسه، وإذا تكلم في أهل البدع فإنما هو للمسلمين، هذا أفضل، فبين أن نفع هذا عام للمسلمين في دينهم من جنس الجهـاد في سبيل الله. إذ تطهير سبيل الله ودينه ومنهاجه وشرعته، ودفع بغي هؤلاء وعدوانهم علـى ذلك واجب على الكفاية باتفاق المسلمين ، ولولا من يقيمه الله لدفع ضرر هؤلاء لفسد الدين ، وكان فساده أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب ، فـإن هـؤلاء إذا

---

(١) تفسير الطبري (١٣٠/١٤) .

(٢) تلخيص كتاب الاستغاثة (٥٨٦/٢) .

استولوا لم يفسدوا القلوب وما فيها من الدين إلا تبعًا ، وأما أولئـك فهـم يفـسدون القلوب ابتداًء "[1] .

ولذلك فالاحتساب على القبورية ورد بدعهم ، وتفنيد شبها م من أعظم أنواع الجهاد في سبيل الله تعالى، وقد انبرى لهذا الباب أئمة أعلام ، وعلماء أفذاذ ، بينوا للناس العقيدة الصافية، وكشفوا زيف القبورية .

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله رحمة واسعة له القدح المعلا في ذلك ، وطلابه كابن القيم وابن عبد الهادي ، وغيرهم ، وقد قام الإمام المجدد محمد بـن عبـد الوهاب رحمه الله وأبناؤه وطلابه بالاحتساب على القبورية ورد شبها م ، كما قـام عدد من العلماء بنفس الدور كالإمامين الجليلين في اليمن الشوكاني والصنعاني وغيرهـم كثير ، رحم الله الأموات ، وحفظ الأحياء ، وبارك فيهم .

سادسًا : بيان أن القبورية من أسباب هزيمة الأمة وخذلا ا :

جعل الله النصر والتأييد لمن نصره، والذلة والصغار لمن خالفه وعصى أمره، قـال الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾ [محمـد: ٧] ، وأعظم النصر لله والنصح لله تعالى تحقيق العبودية له جل وعلا، وأعظم أسباب الخـذلان الشرك بالله تعالى والتعلق بالمخلوقين، واعتقاد أ م ينصرون على الأعداء، ويحفظون البلاد والعباد من كيد الكائدين ، وهذه عقيدة كثير من القبورية، اعتقدوا أن المقبورين يحمون البلاد وينصرون العباد، ويتصرفون بالكون فأشركوا بالله وتوكلوا على خلقه ، فكان هذا من أعظم أسباب خذلا م، هذا من جهة، ومن الجهة الأخرى لم يأخذوا بأسباب النصر والقوة والمنعة من بذل الأسباب المادية من إعداد القوة ، فتسبب ذلك في خذلان الأمـة وذلتها ، ولهذا لما أغار التتار على بلاد الشام ، لاذ الناس بقبر أبي عمر .

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٣١/٢٨ – ٢٣٢) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " حتى إن العدو الخارج عن شريعة الإسلام لما قدم دمشق خرجوا يستغيثون بالموتى عند القبور التي يرجون عندها كشف ضرهم ، وقال بعض الشعراء :

يا خائفين من التتر   لوذوا بقبر أبي عمر

أو قال :

عوذوا بقبر أبي عمر   ينجيكم من الضرر "[1]

وكذلك الحال في العصر الحديث الذي أخذت به الدول الكافرة بوسائل القوة ففرضت سيطرتها على كثير من بلاد العالم الإسلامي ، ونشرت ثقافتها ، وغربت أهل تلك البلاد، ففي هذا الوقت الذي أخذت به البلاد الكافرة بأسباب القوة المادية، كثير من المسلمين يأخذون بالخرافة والوثنية، ومن ذلك " أن فرنسيا أسلم وتنسك وصار إمامًا لمسجد كبير في القيروان بتونس ، فلما اقترب الجنود الفرنسيون من المدينة استعد أهلها للدفاع عنها، وجاؤوا يسألونه أن يستشير لهم ضريح شيخ في المسجد يعتقدون فيه، فدخل الضريح ثم خرج مهولاً لهم بما سينالهم من المصائب، وقال لهم بأن الشيخ ينصحكم بالتسليم، فاتبع أولئك البسطاء قوله واستسلموا لعدوهم "[2] ، فهذا كما هو دليل على خيانة القبورية وعمالتهم للاستعمار، وسهولة اختراق المسلمين من قبلهم، فيمكن أن يكون الرجل معظمًا عند القبورية، إذا أصبح سادنًا للقبر حتى ولو لم يكن عنده من العلم شيئًا، فكذلك فيه أنه سبب لضعف الأمة وانحطاطها .

ولهذا لما رأى شيخ الإسلام ابن تيمية تعلق الناس بالمقبورين عندما هجم التتار عليهم احتسب رحمه الله في البيان وإقامة الحجج عليهم، وبين لهم أنه لو كان الذين تستغيثون بهم معكم في القتال لانهزموا بسبب الشرك والمعصية، وقد انهزم المسلمون ومن معهم بسبب معصية أمر الرسول، بل امتنع بعض أهل الدين من القتال لما رأوا منهم من

---

(١) الاستغاثة في الرد على البكري (٦٣٢/٢) .

(٢) انظر : التصوف بين الحق والخلق (٢١١، ٢١٢) نقلاً عن دمعة على التوحيد (١٥٧) .

الاستغاثة بالمقبورين، وأمرهم شيخ الإسلام بالإخلاص لله تعالى والاستغاثة به جل وعلا فهو الذي يغيث، وهو الذي ينصر على الأعداء، فلما أصلحوا شأ م نصرهم الله تعالى . قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " فقلت لهم : هؤلاء الذين تستغيثون م لو كانوا معكم في القتال لا نزموا، كما ا نزم من ا نزم من المسلمين يوم أحد، فإنه كان قد قضي أن العسكر ينكسر لأسباب اقتضت ذلك ولحكمة كانت لله عز وجل في ذلك ، ولهذا كان أهل المعرفة بالدين والمكاشفةلم يقاتلوا في تلك المرة لعدم القتال الشرعي، الذي أمر الله به ورسوله، ولما يحصل في ذلك من الشر والفساد، وانتفاء النصرة المطلوبة في القتال، فلا يكون فيه ثواب الدنيا ولا ثواب الآخرة، لمن عرف هذا وهذا، وإن كان كثير مـن المقاتلين الذين اعتقدوا هذا قتالاً شرعيا أجروا على نيا م .

فلما كان بعد ذلك جعلنا نأمر الناس بإخلاص الدين لله ، والاستغاثة به ، وأ م لا يستغيثون إلا إياه ، لا يستغيثون بملك مقرب ولا نبي مرسل كما قال تعالى يوم بدر: ﴿ إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ ﴾ [سورة الأنفال : ٩] ، إلى أن قـال : " فلمـا أصلح الناس أمورهم وصدقوا في الاستغاثة بر م نصرهم الله على عدوهم نصرًا عزيزًا ، لم يتقدم نظيره ، ولم نزم التتار مثل هذه الهزيمة قبل ذلك أصلاً ، لما صح مـن تحقيـق توحيده وطاعة رسوله ما لم يكن قبل ذلك ، فإن الله ينصر رسله، والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد"(1).

فالاحتساب على القبورية ببيان دورهم في خذلان الأمة ، وبيان أن العزة والنصر بتوحيد الله وإخلاص العبودية لله تعالى ، هو ج العلماء العاملين ، الذين جمعـوا بـين تصحيح العقيدة وتحقيق النصر على الأعداء .

(١) الاستغاثة في الرد على البكري (٦٣٢/٢ – ٦٣٣) .

الخاتمـــة :

الحمد لله على نعمائه المتواصلة، وآلائه المتتابعة، الحمد لله الذي بنعمته تـتم الصالحات، أعان سبحانه على جمع مسائل هذا البحث، وإتمام مباحثـه وإكمـال فصوله وأبوابه حتى خرج ذه الصورة، فالحمد لله أولاً وأخراً وظاهراً وباطناً.

وقد حاولت قدر استطاعتي، وبذلت وسع جهدي لخدمة هذا الموضوع، ومع ذلك أحس بالتقصير، وأشعر أن هناك مباحث وفصول تحتاج إلى مزيد من البـسط والبيان ، وهكذا كل عمل بشري لا بد أن يعتريه النقص.

ثم إنني بعد دراستي لهذا الموضوع المهم (**القبورية وموقف الإسـلام منـها**) توصلت إلى نتائج مهمة منها:

- أن الغاية التي خلق من أجلها الخلق هي التوحيد وأن الله فطر عباده على إفراده بالعبادة، وأرسل الرسل وأنزل الكتب من أجل ذلك، وأن الناس بقوا علـى التوحيد قروناً طويلة.
- إن أول شرك وقع في العالم كان بسبب تعظيم المقبورين والغلو فيهم.
- العكوف على قبور الأنبياء والأولياء يصيرو ا أوثاناً تعبد من دون الله.
- إن أفعال القبورية ليست على درجة واحدة ؛ فمنها ما هو شرك مخرج عن الملة كدعاء الأموات والاستغاثة م ، ومنها ما هو ذريعة للشرك ووسـيلة إليـه، كعبادة الله عند قبور الصالحين.
- إن الشرك الذي وقع في الأمم السابقة كاليهود والنصارى من أعظم أسبابه أ م اتخذوا القبور مساجد.
- ساهمت الديانات المحرفة والفرق الضالة في دخول مظاهر القبورية لهذه الأمة.

- حذر النبي عليه الصلاة والسلام من وسائل الشرك وذرائعه الموصلة إليه والتي من أخطرها تعظيم القبور.
- عقيدة القبورية دخيلة على الإسلام وأهله مناقضة لما جاء به صاحب الرسالة .
- هناك دعوة قبورية في هذا الزمان تستغل وسائل الإعلام وشبكات المعلومات. تبث الشبهات وتلبس على الناس أمر دينهم يصاحبها تقصير كثير من العلماء في كثير من بلاد الإسلام عن القيام بدور البيان والنصح وإقامة الحجج.

التوصيات :

- دعوة الناس إلى التوحيد الخالص وتحذيرهم من الشرك وذرائعه ، والطرق الموصلة إليه.
- تأصيل الناس على الرجوع إلى الكتاب والسنة، وفهم نصوصهما على فهم سلف الأمة.
- كشف عقائد القبورية بالرد عليهم وبيان زيفها ومخالفتها لما شرع الله تعالى.
- احتساب ولاة الأمور والحكام على القبورية ، فإن هذا من أوجب الواجبات عليهم ، فحفظ دين الناس أولى من حفظ مآكلهم ومشاربهم.
- تبني الهيئات الشرعية والكليات العلمية مشاريع علمية بحثية تخدم هذه القضية من خلال الكتابة في موضوعات متعلقة بهذا البحث مثل: القبورية عند الرافضة، وعلاقة القبورية في الأديان الوضعية، والرد على كتب كثير من القبورية التي لم يتم الرد عليها، وتسليط الضوء على بعض الفرق الصوفية التي حملت لواء القبورية في هذا الزمان، ومناقشة القبورية في بعض البلدان، والرد عليهم، وبيان دور علماء السلف في ذلك البلد في كشف شبهاتهم والرد عليهم.

وبهذا اختم هذه البحث سائلاً المولى الكريم أن ينفعني به وينفع به الإسلام والمسلمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،

الفهـــارس العامـــة

أولاً – فهرس الآيات القرآنية

الآيـــــــة	السورة	رقمها	الصفحة
﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ﴾	البقرة	١٢٤	١٤٢
﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ ﴾	البقرة	١٢٥	٣٢٦
﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ لإِلَـٰهَكَ ﴾	البقرة	١٣٣	١٣٣
﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَـٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴾	البقرة	١٥٤	٢٣١
﴿ وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾	البقرة	١٦٣	١٥٧
﴿ وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ ﴾	البقرة	١٦٣-١٦٤	١٨٨/١٨٧
﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾	البقرة	١٦٥	١٤٨
﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾	البقرة	١٧١	٢٨٠
﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ ﴾	البقرة	١٨٦	٥٧، ٢٥٥، ٢٥٧
﴿ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ﴾	البقرة	١٩٣	٣٨٥

الآيـــــــة	السورة	رقمها	الصفحة
﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ ﴾	البقرة	٢٠٠	٢٠٠
﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ ﴾	البقرة	٢١٣	١٦
﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ ﴾	البقرة	٢٢٢	٧٣
﴿ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾	البقرة	٢٥٤	١٤٢، ٢٨٩
﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ ﴾	البقرة	٢٥٥	٢٩٠، ٢٩٦
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ ﴾	البقرة	٢٥٨	٤١٤
﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ ۖ ﴾	البقرة	١٢٣	٣٠٣
﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	آل عمران	٣١	٣١٣
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	آل عمران	٣٣	١٣
﴿ وَجِيهاً فِي الدنْيا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمقَرَبِينَ ﴾	آل عمران	٤٥	٢٤٤/٢٤٥
﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ ﴾	آل عمران	٥٣	٢٢٠
﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ	آل عمران	٦٤	١٣٦

الآيـــــــة	السورة	رقمها	الصفحة
بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾			
﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾	آل عمران	٨٣	١٧٥
﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ ﴾	آل عمران	١٠٩	٢٧٢
﴿ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾	آل عمران	١٣٥	٢٥٤، ٢٦٤
﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ﴾	آل عمران	١٣٨	٢٧٣
﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ ﴾	آل عمران	١٤٤	٢٣٠
﴿ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾	آل عمران	١٦٩	٢٣٢
﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾	آل عمران	١٨٧	٤٠٧
﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾	آل عمران	١٩١	١٨٩
﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ ﴾	آل عمران	١٩٢	٢٦٤
﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ ﴾	آل عمران	١٩٣	٢٢٠
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ ﴾	النساء	١	١

الآيـــــــة	السورة	رقمها	الصفحة
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾	النساء	٤٨	٢٥٧
﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾	النساء	٥٩	٣٥٢
﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾	النساء	٦٤	٢٢٢، ٢٣٧، ٢٤١
﴿ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾	النساء	٨٣	١٧٢
﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ﴾	النساء	٨٥	٢٧٨
﴿ وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ﴾	النساء	٨٩	٧٧
﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾	النساء	١٦٥	٤١٣
﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾	المائدة	٢	٢٥٣
﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾	المائدة	٣	٤١١
﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾	المائدة	١٧	٢٥
﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ﴾	المائدة	١٨	٢٢
﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ﴾	المائدة	٣١	٣٧٢
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾	المائدة	٣٥	٢٣٦

الصفحة	رقمها	السورة	الآيـــــــة
٣٧٩	٥٤	المائدة	﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾
٢٦٥	٧٦	المائدة	﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾
٨٢	٧٧	المائدة	﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾
٢٣٢/٢٣١	١١٧	المائدة	﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾
٢٧٢	١١٦-١١٧	المائدة	﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ ﴾
١٤٤	١	الأنعام	﴿ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾
٢٥٥	١٧	الأنعام	﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ ﴾
٣٧	٢١	الأنعام	﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾

الصفحة	رقمها	السورة	الآيـــــــــة
٢٦٩	٤١	الأنعام	﴿ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴾
٢٧٢ ، ١٧٥	٥٠	الأنعام	﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾
٢٨٩	٥١	الأنعام	﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾
٢٦٧	٦٣-٦٤	الأنعام	﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ﴾
١٤١	٨٢	الأنعام	﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾
١٣٢	٩٥	الأنعام	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ ﴾
٢٠٢ ،٢٠٠	١٠٨	الأنعام	﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾
٢٠٣	١٣٦	الأنعام	﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ ﴾
١٨٥	١٤٨	الأنعام	﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ﴾
١٦٩	١٦٤	الأنعام	﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا ﴾
١٨٠	١٩٠	الأنعام	﴿ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ﴾

الآيـــــــة	السورة	رقمها	الصفحة
﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴾	الأعراف	١٦ ، ١٧	٦٢
﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾	الأعراف	٢٣	٢٦٤
قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾	الأعراف	٣٣	٢٦٣، ٢٧١
﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	الأعراف	٥٤	١٣٢، ٢٧١
﴿ ويذرك وإلهتك ﴾	الأعراف	١٢٧	١٦٦
﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾	الأعراف	١٧٢	١٦٩، ١٧٠
﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ ﴾ .	الأعراف	١٧٢ ، ١٧٣	١٣
﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ ﴾	الأعراف	١٨٠	١٣٤، ٢١٩

الصفحة	رقمها	السورة	الآيـــــــة
٢٧٢	١٨٨	الأعراف	﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِى نَفۡعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُۚ ﴾
٢٦٦، ٢٧٢	١٩٤	الأعراف	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾
٢٧٢	١٩٧	الأعراف	﴿ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ﴾
٢٥٢، ٤١٩	٩	الأنفال	﴿ إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلۡفٍ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ﴾
١٤٥	٣٨	الأنفال	﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾
٤١٠	١٨	التوبة	﴿ إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ . . . ﴾
٢٢	٣٠	التوبة	﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ ﴾
٢٣	٣١	التوبة	﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾
٣٥٢	٣٣	التوبة	﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾
١٦١، ١٦٩	٦٠	التوبة	﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ ﴾
٢٠٧	٦٥-٦٦	التوبة	﴿ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ٦٥ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ مُجۡرِمِينَ ﴾

الآيـــــــة	السورة	رقمها	الصفحة
﴿ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ ﴾	التوبة	٧٤	٢٠٧
﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴾	التوبة	٨٠	٢٩٢
﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ﴾	يونس	٣	٢٩١
﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾	يونس	١٨	١٨٢، ٣٠٤
﴿ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾	يونس	١٨	١٩٢
﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾	يونس	١٩	١٣٩
﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ ﴾	يونس	٣١	١٣٨، ١٥٥، ١٧٥ ، ٢٦٤
﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾	يونس	١٠٦	١٤٢، ٢٦٢
﴿ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾	هود	٣٢	١٩
﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴾	يوسف	٩٧	٢٢٢
﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾	يوسف	١٠٦	١٦٢، ١٧٣، ١٩٦
﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ﴾	الرعد	٣٠	١٣٥
﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ﴾	الرعد	١٠٤	٢٦٢

الصفحة	رقمها	السورة	الآيـــــــة
٤٠٨	٣٥	إبراهيم	﴿ وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾
٣٩٥	٩	الحجر	﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾
١٧٨	٩٤، ٩٥	الحجر	﴿ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ۝٩٥ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾
٤٠٨، ١٣٠	٣٦	النحل	﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾
٢٦٧	٥٣	النحل	﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ﴾
٢٠٤	٥٧	النحل	﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴾
١٣٤	٦٠	النحل	﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ ﴾
٤١٦	٦٤	النحل	﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾
٤١٣	١٢٥	النحل	﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾
٣٠٠	٧	الإسراء	﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾
٢٠٠	١٧	الإسراء	﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾
١٥٨	٢٣	الإسراء	﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾
١٩٥	٤٩	الإسراء	﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾
٢٦٧	٥٦	الإسراء	﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلاً ﴾

الآيـــــة	السورة	رقمها	الصفحة
فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلاً ۝٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ	الإسراء	٥٦-٥٧	٧٦، ٢٦٨
﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ ﴾	الإسراء	٥٧	٢١٦
﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ أَعۡرَضۡتُمۡۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴾	الإسراء	٦٧	٢٦٩
﴿ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۝٤ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٖ وَلَا لِأٓبَآئِهِمۡۚ ﴾	الكهف	٤-٥	٥٣
﴿ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴾	مريم	٣	٢٨٠
﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا ۝٥٤ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيًّا ﴾	مريم	٥٤ – ٥٥	٣٤
وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا	مريم	٧٢	١٩٢
﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمۡ عِزًّا ﴾	مريم	٨١	١٩٢
﴿ لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدًا ﴾	مريم	٨٧	٢٩٢
﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدًا ۝٨٨ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدًّا ﴾	مريم	٨٨-٨٩	١٩٣
﴿ يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلاً ﴾	طه	١٠٩	٢٩١
﴿ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمًا ﴾	طه	١١٠	١٤٥
﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ	الأنبياء	٢٥	١٣٠، ١٥٨،

الصفحة	رقمها	السورة	الآيـــــــة
٢٤٧، ٤٠٨			إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾
٢٩١، ٢٩٦	٢٨	الأنبياء	﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴾
٢٣٠	٣٤	الأنبياء	﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴾
١٨٣	٦٥	الأنبياء	﴿ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴾
٢٨٠	٧٦	الأنبياء	﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ ﴾
٢٦٤، ٢٢٠	٨٧	الأنبياء	﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾
١١، ٢٥٣	٩٠	الأنبياء	﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾
٢٣٢	١٠٤	الأنبياء	﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾
١٤٤	٢٦	الحج	﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا ﴾
٣٢٦	٢٩	الحج	﴿ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾
١٦٩	٤٠	الحج	﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ﴾
٢٦٦	٧٣	الحج	﴿ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾
١٥٦	٨٨ ، ٨٩	المؤمنون	﴿ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾

الصفحة	رقمها	السورة	الآيـــــــة
٢٠٠، ١٩٩	٩١	المؤمنون	﴿ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾
٣٠٤	١١٧	المؤمنون	﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾
٦٣ ،٦٢	٢١	النور	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾
١١٨	٣٥	النور	﴿ يكاد يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾
١٠٦	٣٦	النور	﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴾
٢٨٢	٦٣	النور	﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ ﴾
٣١٠،٣١٨	١	الفرقان	﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ ﴾
١٩٧	٦٠	الفرقان	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴾
١٣٨،١٩٥	١٤	النمل	﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ ﴾
٢٥٢،٢٦٧	٦٢	النمل	﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ ﴾
٢٥٣	١٥	القصص	﴿ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾
٢٥٤	٥٦	القصص	﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾
١٧٨ ،١٥٥	٦١	العنكبوت	﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ

الآيـــــة	السورة	رقمها	الصفحة
ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴾			
﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ مَوۡتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ ﴾	العنكبوت	٦٣	١٥٥
﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ ﴾	العنكبوت	٦٥	٥٥، ١٨٥، ١٨٦، ٢٦٩
﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ ﴾	الروم	٣٠	١٢، ١٤، ١٣٩
﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوۡجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾	لقمان	٣٢	٢٦٢
﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ ﴾	السجدة	٤	٢٩١
﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ ﴾	الأحزاب	٥٢	٢٣٤
﴿ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ ﴾	الأحزاب	٥٣	٢٣٤
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ ﴾	الأحزاب	٧٠، ٧١	١
﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ ﴾	الأحزاب	١٠٦	٢٣٤
﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾	سبأ	٢٢	٢٢٦، ٢٩٣

الآيـــــــة	السورة	رقمها	الصفحة
﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ ﴾	سبأ	٢٣	٢٦٦ ،٢٢٦
﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَهَـٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾	سبأ	٤٠-٤١	٦٥، ١٨٤ ، ١٨٥
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَـٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ ﴾	فاطر	٣	٢٥٤
﴿ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴾	فاطر	١٣	٢٧٢
﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾	فاطر	٢٢	٢٣١
﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَـٰهُمْ كِتَـٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ ﴾	فاطر	٤٠	٢٧١،٢٧٢
﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴾	يس	٧٤	١٩٠،١٩١
﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ ﴾	يس	٧٥	١٩٢
﴿ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴾	يس	٧٨	١٩٤ ،١٩١
﴿ وَٱلصَّـٰٓفَّـٰتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَٱلتَّـٰلِيَـٰتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَـٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴿٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَـٰرِقِ ﴾	الصافات	١-٥	١٥٧

الآيـــــــة	السورة	رقمها	الصفحة
﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾	الصافات	١٦	١٩٥
﴿ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ۝٦ مَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَـٰقٌ ﴾	ص	٥ -٧	٢٠١
﴿ صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ . . . بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ﴾	ص	١-٨	١٩٠
﴿ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾	ص	٥	١٣٣،١٥٩،١٨ ،٥، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩
﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ .	الزمر	٣	٣٧، ١٨١، ١٨٢، ١٨٤، ١٩١ ، ٢٠١ ، ٢٠٨، ٢٩٧، ٣٠٤
﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾	الزمر	٣	١٤٨
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴾	الزمر	٣	١٩١، ١٩٤
﴿ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴾	الزمر	١٩	٢٧٢
﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾	الزمر	٣٠	٢٣٠،٢٦٥
﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ . . . ﴾	الزمر	٣٨	١٦٢،١٨١، ٢٠١
﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴾	الزمر	٤٣	١٨٢

الآيـــــــة	السورة	رقمها	الصفحة
﴿ قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴾	الزمر	٤٣	٢٩٠
﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾	الزمر	٤٤	٢٩٠، ٢٩٦، ٣٠٣
﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ﴾	الزمر	٤٥	١٢٥
﴿ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾	غافر	١٨	٢٨٩
﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾	غافر	٦٠	٢٥٢، ٢٥٧
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ﴾	فصلت	٣٠	١٦٩
﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾	الشورى	١١	١٣٣،١٤٥
﴿ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾	الشورى	٢٦	٢٢٢
تعالى ﴿ وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ . . . ﴾	الزخرف	١٥-١٦	١٩٣
﴿ وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ﴾	الزخرف	١٩	١٩٣
﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ ﴾	الزخرف	٨٧	١٥٥،١٧٥
﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾	الجاثية	١٨	٧٢
﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ ﴾	الجاثية	٢٣	١٦٥
﴿ وَقَالُواْ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ ﴾	الجاثية	٢٤	١٩١،١٩٤ ١٩٥

الآيـــــــة	السورة	رقمها	الصفحة
﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾	الجاثية	٢٧	١٣٢
﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾	الأحقاف	٥	٢٥٦
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾	محمد	٧	٤١٧
﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴾	محمد	١٩	٣٥٢
﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾	الفتح	٢٨	٥٤
﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ .....﴾	الفتح	٢٩	٣٩٣
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾	الحجرات	١	٢٤٥، ٣٠٣
﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ ﴾	الحجرات	٧	٣٠١
﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ ۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ﴾	الحجرات	١٧	٣٠١
﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾	الذاريات	٥٦	١٤
﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴾	الذاريات	٥٦ – ٥٧	١١
﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾	الذاريات	٥٦-٥٨	٢٤٧

الآيــــــة	السورة	رقمها	الصفحة
﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾	النجم	١٨	٢٥٨
﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ۝٢٠ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ .... ﴾	النجم	١٩-٢١	١٩٠، ١٩٣
﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾	النجم	٢٦	٢٩١، ٣٠٧
﴿ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴾	القمـر	١٠	١٩
﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴾	القمر	١٠	٢٨٠
﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ۝١١ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۝١٢ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ۝١٣ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴾	القمر	١١– ١٤	١٩
هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾	الحشر	٢٣	١٤٠
﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾	التغابن	٧	١٩٥
﴿ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾	نوح	٢٣	١٩،٢٠ ، ٧٥، ٨٦
﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾	الجن	١٨	٣٠٣، ٣٠٧

الآيـــــــــة	السورة	رقمها	الصفحة
﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴾	الجن	٢٣	١١٦
﴿ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ ﴾	المدثر	٣٨	٢٦٥
﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾	القلم	٤	٨٤
﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ﴾	الغاشية	١٧-٢٠	١٨٧، ١٨٩
﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾	البينة	5	١٥٨
﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾	الإخلاص	١	١٢٨
﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ ﴾	الناس	١-٢	١٦١
﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴾	الناس	١-٣	١٦٩

ثانياً - فهرس الأحاديث الشريفة

م	الحديــث	الصفحة
٧٠-	الله الذي يحي ويميت وهو حي لا يموت، أغفر لأمي فاطمة بنت أسد	٢٤٧
٧١-	اللهم الرفيق الأعلى	٢٣١
٧٢-	اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الآكام والجبال والآجام والظراب والأودية ومنابت الشجر	٢٢٣
٧٣-	اللهم لا تجعل قبري وثناً	٣٥٥، ٣٦١
٧٤-	لو أحسن أحدكم ظنه بحجر لنفعه	٦٠
٧٥-	ما ابتدع قوم بدعة في دينهم إلا نزع الله من سنتهم مثلها	٢٩٩
٧٦-	ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه	٦٦
٧٧-	ما من مولود إلا يولد على الفطرة	١٥
٧٨-	ما من ميت يصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة	٢٨٨
٧٩-	ما يتكم عن شيء فاجتنبوه	٣٦٦
٨٠-	ما هذه الجفوة بلال	٣٢٣
٨١-	من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد	٣٠٣
٨٢-	من أعتق شركاً له في عبد أي حصة ونصيبا	١٤٠
٨٣-	من بدل دينه فاقتلوه	٩٥
٨٤-	من حج حجة الإسلام، وزار قبري، وغزا غزوة	٣٤١

ثالثاً – فهرس الآثـــار

رابعاً – فهـــرس الأعلام

خامساً – فهرس الأشعار

سادساً – فهرس الألفاظ الغريبة

م	اللفظ	الصفحة
٣-	الأسقف	٢٣
٤-	اصطلملهم	٩٥
٥-	الآكام	٢٢٣
٦-	البطريق	٢٣
٧-	الترياق	٦٨
٨-	جثا	٢٩٤
٩-	جثوه من تراب	١٨٤
١٠-	الحلول	١١٤
١١-	خانقاه	١١٤
١٢-	خفاء	١٨٠
١٣-	الخميصة	٣٦٧
١٤-	الساروس	٢٦
١٥-	الطنفسة	٢٤٠
١٦-	الظراب	٢٢٣
١٧-	قبة الزمان	٢٦
١٨-	القتب	٢٣
١٩-	قزعـة	٢٢٣

م	اللفظ	الصفحة
٢٠-	القسيس	٢٣
٢١-	المطبق	٤٠٢
٢٢-	المغل	٥٦

سابعاً – الأماكـــن والبلـــــدان

الصفحة	المكـــان	م
١٧٩	بوانه	١-
٣٨٥	تستر	٢-
٤١	سامراء	٣-
٤٢	سلمية	٤-
٩٩	طوس	٥-
٤١	عذرا	٦-
٦٩	القرافة	٧-
٩٩	قم	٨-

ثامناً – فهرس المصادر والمراجع

١- أبجد العلوم / صديق بن حسن القنوجي ، دار النشر : دار الكتـب العلميـة – بيروت، ١٩٧٨م ، تحقيق : عبد الجبار ذكار .

٢- الآثار والمشاهد وأثر تعظيمها على الأمة الإسلامية / عبد العزيز بن عبدالله الجفير، دار النشر: دار الهدي النبـوي، مـصر، دار الفـضيلة، الريـاض، ط الأولى، ١٤٢٤هـ.

٣- الأحكام السلطانية / للقاضي أبي يعلي محمد بن الحسين الفـراء الحنبلـي، دار الوطن.

٤- الأحكام السلطانية في الولايات الدينية / أبي الحسن علي بن محمد بـن حبيـب البصري البغدادي الماوردي، دار الكتاب العربي، أخرج أحاديثه وعلق عليه: خالد عبد اللطيف، السمع العلمي، ١٤١٤هـ.

٥- أحكام المقابر في الشريعة الإسلامية / عبدالله بن عمر بن محمد الـسحيباني، دار النشر: دار ابن الجوزي، ط الأولى، ١٤٢٦هـ.

٦- إحياء المقبور / أحمد بن عبد الله الصديق الغماري ، الناشر : مكتبة القـاهرة – القاهرة ، ط الثالثة، ١٤٢٤هـ .

٧- أدب الطلب ومنتهى الأدب / محمد بن علي الشوكاني ، ت : عبـد الله يحـيى السريحي ، الناشر : دار ابن خزيمة ، ط الأولى، ١٤١٩هـ .

٨- إرغام المريد شرح النظم العقيد لتوسل المريد / الكوثري، الناشـر: دار الخلافـة التركية.

٩- الاستغاثة في الرد على البكري / شيخ الإسلام ابن تيمية ، ت : عبد الله بن دجين السهلي ، الناشر : دار الوطن ، ط الأولى، ١٤١٧هـ .

١٠- الإصابة في تمييز الصحابة / أحمد بن علي بن حجر أبـو الفـضل العـسقلاني الشافعي، دار النشر: دار الجيل، بيروت، ط الأولى، ١٤١٢هـ، تحقيق: علـي محمد البجاوي.

١١- إصلاح المساجد من البدع والعوائد، تأليف: العلامة محمد جمال الدين بن محمـد

القاسمي، اعتنى به الشيخ علي أحمد عبد العال الطهطاوي، دار الكتب العلمية، ط الأولى ، ١٤٢٣هـ .
١٢- إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد للإمام المجدد الشيخ: محمد بن عبد الوهاب، شرح معالي الشيخ الدكتور: صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، مؤسسة الرسالة، ط الثانية ، ١٤٢٢هـ .
١٣- اعترافات كنت قبورياً / عبد المنعم الجداوي، الناشر : دار الوطن، الرياض، ط الأولى، ١٤١٣هـ .
١٤- الاعتصام / أبو إسحاق الشاطبي، دار النشر: المكتبة التجارية الكبرى، مصر.
١٥- اعتقاد أهل السنة والجماعة / الحافظ أبو القاسم هبة الله أبي الحسن الطبري اللالكائي، تحقيق: أحمد بن سعيد بن حمدان الغامدي، الناشر: دار طيبة، ط الثامنة، ١٤٢٣هـ .
١٦- إعلام الموقعين عن رب العالمين / أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، الناشر: دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣هـ ، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد.
١٧- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان / تأليف: الإمام الحافظ، أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الشهير بابن قيم الجوزيه، دار المعرفة.
١٨- اقتضاء الصراط المستقيم / شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: ناصر بن عبد الكريم العقل، دار العاصمة. ط السادسة، ١٤١٩هـ .
١٩- أقوال التابعين في مسائل التوحيد والإيمان، تحقيق : عبدالعزيز عبدالله المبدل، الناشر : دار التوحيد ، الرياض ، ط الأولى ، ١٤٢٤هـ .
٢٠- الأم / محمد بن إدريس الشافعي أبو عبد الله، دار النشر: دار المعرفة، بيروت، ط الثانية، ١٣٩٣هـ .

٢١- الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع / للحافظ جلال الدين الـسيوطي، دار ابـن القيم، ط الثانية، ١٤١٦هـ، تحقيق: مشهور حسن سلمان.

٢٢- الأموال/ أبو عبيد القاسم بن سلام، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨هـ، ت: خليل محمد هراس.

٢٣- الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين/ علي ابن بخيت الزهراني، دار النشر: دار الرسالة، مكة.

٢٤- ا يار الدولة العثمانية ، دار النشر : المكتب الإسلامي ، دمشق .

٢٥- الأنوار اللامعة في شرح الزيارة الجامعة / السيد عبد الله شبرا – الناشر : مؤسسة الوفاء ، بيروت ط الأولى، ١٤٠٣هـ .

٢٦- الإيضاح في علوم البلاغة / الخطيب القزويني ، دار النشر : دار إحياء العلـوم – بيروت ١٤١٩هـ ، ط الرابعة ، ت : الشيخ يج غزاوي .

٢٧- البحر الرائق/ زين الدين ابن نجيم الحنفي ، دار النشر: دار المعرفـة ، بيروت ، ط الثانية.

٢٨- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع / علاء الدين الكاساني، دار النشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ط الثانية، ١٩٨٢م.

٢٩- بدائع الفوائد / محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، الناشر: مكتبة نـزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ١٤١٦هـ، ط الأولى، تحقيق: هشام عبد العزيـز عطار – عطار عبد الحميد.

٣٠- بدع الاعتقاد وأخطارها على التمعات المعاصرة: الإرجـاء، الغلـو في الـدين (التطرف)، التصوف/ تأليف: محمد حامد الناصر.

٣١- البراهين الساطعة في رد بعض البدع الشائعة / سلامة القضاعي العزامي الشافعي – الناشر : نجم الدين محمد أمين الكردي .

٣٢- البروق النجدية / عبد الله بن علي النجدي القصيمي، دار النشر: مكتبة ريـاض الجنة، ط الثانية، ١٩٨٩م.
٣٣- البصائر للمتوسلين بالمقابر / مولانا محمد طاهر، الناشـر : المطبعـة الأهليـة، ١٤١٤هـ
٣٤- البناء على القبور: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، تحقيق : حـاكم بـن عبيـسان المطيري، الناشر : دار أطلس، الرياض، ط الأولى ، ١٤١٧هـ
٣٥- البيان المفيد فيما اتفق عليه علماء مكة ونجد من عقائد التوحيد، وزارة الـشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية الـسعودية، ط الثانيـة، ٤٢٦هـ.
٣٦- تاريخ الإسلام / شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، دار النـشر : دار الكتاب العربي ، لبنان / بيروت ١٤٠٧هـ ، ط الأولى ، تحقيق : د . عمر بن عبد السلام تدمري .
٣٧- تاريخ الطبري / أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، دار النـشر : دار الكتـب العلمية – بيروت .
٣٨- تاريخ الفلسفة الإسلامية / هنري كوربان – السيد حسين نصر – عثمان يحيى ، الناشر : عويدات بيروت ، ط الثالثة ١٩٨٣م .
٣٩- تاريخ كربلاء / عبد الجواد الكليـدار ، المطبعـة الحيدريـة في النجـف ، ط ١٤١٨هـ
٤٠- تاريخ مدينة دمشق / أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي، الناشر : دار الفكر – بيروت ١٩٩٥م ، ت : محب الدين أبي سعيد عمـر بـن غرامة العمري .
٤١- تبرك الصحابة بأثر الرسول صلى الله عليه وسلم / محمد طاهر بن عبدالقادر بـن محمود الكردي، مكتبة القاهرة، ط الثالثة ، ١٤١٨هـ.

٤٢- التبرك أنواعه وأحكامه / ناصر بن عبدالرحمن بن محمد، دار النشر: مكتبة الرشد، الرياض، ط الخامسة، ١٤٢١هـ.

٤٣- تجريد التوحيد المفيد / أحمد بن علي المقريزي المصري الشافعي ، اعتنى به: علي ابن محمد العمران ، دار عالم الفوائد ، الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ .

٤٤- تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد / للعلامة المحدث، ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط الأولى ، ١٤٢٢هـ.

٤٥- التحذير من مختصرات الصابوني في التفسير / د . بكر بن عبدالله أبو زيد ، دار الراية، الرياض، ط الأولى ، ١٤٠٩هـ.

٤٦- تحفة الأحباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات والتراجم والبقاع المباركات/ أبو الحسن نور الدين علي بن أحمد بن عمر بن خلف بن محمود السخاوي الحنفي، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٦هـ، مكتبة الكليات الأزهرية.

٤٧- التحفة المدنية في العقيدة السلفية / حمد بن ناصر بن عثمان آل معمر ، الناشر : دار العاصمة للنشر والتوزيع ، الرياض ١٤١٣هـ ، ط الأولى ، تحقيق : عبد السلام بن برجس بن ناصر آل عبد الكريم .

٤٨- التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية / فالح بن مهدي آل مهدي ، ت : عبد الرحمن بن صالح المحمود ، الناشر : دار الوطن ، الرياض ، ط الأولى ١٤١٤هـ

٤٩- التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية / محمد بن خليفة النبهاني ، الناشر : مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، ١٩٨٠م، ط الثانية ، ١٣٤٢هـ.

٥٠- تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، البيروني، طباعة : دار المعارف العثمانية، حيدرآباد ، الدكن، الهند.

٥١- التسهيل لعلوم التنزيل / محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي ، دار النشر :

دار الكتاب العربي – لبنان ١٤٠٣هـ ، ط الرابعة .
٥٢- التصوف – المنشأ والمصادر / إحسان إلهي ظهير، الناشر : إدارة ترجمان السنة، لاهور ، باكستان.
٥٣- التصوف الإسلامي / محمد عبد المنعم خفاجي، الناشر : مكتبة القاهرة ، مصر.
٥٤- التصوف والمتصوفة في مواجهة الإسلام ، تأليف : عبد الكريم الخطيب ، دار النشر : دار الفكر العربي ، ط الأولى، ١٩٨٠م .
٥٥- تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد / للإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني ، تحقيق : عبد المحسن بن محمد العباد البدر ، الناشر : دار المغني للنشر والتوزيع ، ط الأولى ١٤٢٤هـ .
٥٦- التعرف على مذهب أهل التصوف / محمد الكلاباذي أبو بكر ، دار النشر : دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٤٠٠هـ.
٥٧- تفسير ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تأليف: إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء، الناشر دار الفكر بيروت ١٤٠١هـ.
٥٨- تفسير أبي السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم / أبو السعود محمد بن محمد العمادي ، دار النشر : دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
٥٩- تفسير البغوي/ تأليف: أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي، الناشر: دار المعرفة، بيروت، المحقق: خالد عبد الرحمن العك.
٦٠- تفسير السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان / عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، دار النشر : مؤسسة الرسالة – بيروت ١٤٢١هـ .
٦١- تفسير الطبري / محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر، الناشر: دار الفكر، بيروت، ط عام ١٤٠٥هـ.
٦٢- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) تأليف: أبو عبد الله محمد بن أحمد

الأنصاري القرطبي، دار النشر، دار الشعب ، القاهرة.

٦٣- تفسير بن أبي حاتم/ عبدالرحمن بن محمد بن إدريس الرازي، دار النشر: المكتبـة العصرية، صيدا، تحقيق: أسعد محمد الطيب.

٦٤- تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي / محمد أحمد لوح، دار النشر: دار ابن القيم، ط الأولى، ١٤٢٢هـ.

٦٥- تقريب التهذيب / أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني ، دار النـشر : دار الرشيد – سوريا ١٤٠٦هـ ، ط الأولى ، ت : محمد عوامة .

٦٦- تلخيص كتاب الاستغاثة/ أبي الفداء الحافظ ابن كثير ، تحقيق : عبدالله بن دحين السهلي.

٦٧- التمهيد شرح كتاب التوحيد / صالح بن عبد العزيز آل الشيخ ، الناشـر : دار التوحيد ، ط الأولى، ١٤٢٣هـ .

٦٨- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تأليف: أبو عمر يوسف بن عبد الله ابن عبد البر النمري، دار النشر، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغـرب – ١٣٨٧هـ، تحقيق: مصطفي بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري.

٦٩- تنزيه الشريعة / علي بن محمد بن علي بن عراق الكناني أبو الحسن، دار النـشر: دار الكتب العلميـة، بيروت، ١٣٩٩هـ ط الأولى، تحقيـق: عبد الوهـاب عبد اللطيف، عبدالله محمد الصديق الغماري.

٧٠- تهذيب الكمال / يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج المزي ، دار النشر : مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠٠هـ ط الأولى ، ت : د . بشار عواد معروف

٧١- تهذيب اللغة / أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري ، دار النشر : دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ٢٠٠١م ط الأولى ، ت : محمد عوض مرعب .

٧٢- التوسل بالنبي وجهلة الوهابية / أبو حامد مرزوق ، ط إيشيق بالقسطنطينية.

٧٣- التوسل والوسيلة / شيخ الإسلام ابن تيمية، ت: ربيع بن هادي عمير المـدخلي، الناشر: مكتبة لينة، ط الأولى، ١٤١٢هـ.

٧٤- التوسل: أنواعه وأحكامه / محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعـارف، الرياض، ط الأولى، ١٤٢١هـ.

٧٥- التيسير بشرح الجامع الصغير / عبد الرؤوف المناوي، الناشر : مكتبـة الإمـام الشافعي، الرياض، ط الثالثة ، ١٤٠٨هـ.

٧٦- الجامع الأموي في دمشق / علي الطنطاوي ، الناشر : دار الفكر بدمشق .

٧٧- جامع كرامات الأولياء/ تأليف: يوسف بن إسماعيـل النبـهاني، دار الفكـر، ١٤١٢هـ.

٧٨- جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، أحمد بن محمد ابن حجر الهيثمي، تأليف: السيد نعمان خير الدين، مطبعة المدني، دار المدني.

٧٩- جهود الشافعية في تقرير توحيد العبادة / عبدالله بن عبد العزيـز بـن عبـدالله العنقري، دار النشر: دار التوحيد للنشر، الرياض، ط الأولى، ١٤٢٥هـ

٨٠- جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية / الدكتور شمس الـدين الـسلفي الأفغاني، دار النشر: الصميعي، ط الأولى، ١٤١٦هـ.

٨١- جهود علماء السلف في القرن السادس الهجري في الرد على الصوفية/ محمد بـن أحمد بن علي الجوير، دار النشر: مكتبة الرشد، ط الأولى، ١٤٢٤هـ.

٨٢- الجواب الباهر في زوار المقابر / شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بـن تيمية، دار النشر: دار الآثار، القاهرة، ط الأولى، ١٤٢٤هـ.

٨٣- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح/ أحمد بن عبد الحليم بن عبدالسلام ابـن تيمية، دار النشر: مطبعة المدني، مصر، تحقيق: علي سيد صبح المدني.

٨٤- حاشية ابن القيم على سنن أبي داود / أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، الناشر : دار الكتب العلمية ، بيروت، ط الثانية، ١٤١٥هـ

٨٥- حاشية الجمل / سليمان الجمل، دار النشر: دار الفكر، بيروت.

٨٦- حاشية السندي على سنن النسائي / نور الدين بن عبد الهادي، أبو الحسن السندي، الناشر : مكتب المطبوعات الإسلامية ، حلب ، ط الثانية ، ١٤٠٦هـ ، تحقيق : عبدالفتاح أبو غدة.

٨٧- حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح / أحمد بن إسماعيل الطحاوي الحنفي ، دار النشر : المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق ، مصر ١٣١٨هـ ، ط الثالثة .

٨٨- الحاوي للفتاوى في الفقه وعلوم القرآن والحديث والأصول والعقائد والتصوف والنحو وغيرها / للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الكتاب العربي.

٨٩- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة/ جلال الدين السيوطي ، دار إحياء الكتب العربية، ت : محمد علوي مالكي، مصفوفة على الكمبيوتر.

٩٠- حقيقة التوحيد والفرق بين الربوبية والألوهية / علي بن نفيع العلياني ، الناشر : دار الوطن ، الرياض ، ط الأولى، ١٤١٩هـ .

٩١- حقيقة التوسل والوسيلة على ضوء الكتاب والسنة / تأليف: موسى محمد علي، دار التراث العربي.

٩٢- الخليل والحرم الإبراهيمي في عصر الحروب الصليبية/ السيد علي أحمد، القاهرة، دار الفكر العربي ، ١٤١٨هـ .

٩٣- خمسة أعوام في شرق الأردن / الأرشمندريت بولس سلمان ، الناشر : الدار الأهلية عمان ، الأردن .

٩٤- الدر المنثور، تأليف: عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، الناشر: دار

الفكر بيروت، طبع عام ١٩٩٣م.
٩٥- الدر النضيد على أبواب التوحيد / العلامة سليمان بن عبـدالرحمن الحمـدان، تحقيق: عبدالإله بن عثمان الشايع، دار النشر: دار الصميعي، الرياض، ط الأولى، ١٤٢٤هـ.
٩٦- الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد / محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: عبدالله الحلبي، دار النشر: دار ابن خزاعة، ط الأولى، ١٤١٤هـ
٩٧- درء تعارض العقل والنقل / شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمدرشاد سالم.
٩٨- الدرر السنية في الأجوبة النجدية / جمع: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي القحطاني النجدي الحنبلي، الطبعة الخامسة ١٤١٣هـ.
٩٩- الدرر السنية في الرد على الوهابية / السيد أحد بن زيني دحلان، الناشر: مكتبـة الحقيقة، تركيا.
١٠٠- دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب / عبد العزيز بن محمد بـن علي العبد اللطيف – الناشر : دار الوطن ، الرياض ، ط الأولى، ١٤٢٢هـ .
١٠١- دعوة التوحيد أصولها – الأدوار التي مرت ا – مشاهير دعا ا / تأليف فـضيلة الدكتور محمد خليل هراس، المكتبة العصرية، ط الأولى ، ١٤١٨هـ.
١٠٢- دفع شبهة من شبه تمرد / تقي الدين أبي بكر الحصني الدمشقي، المكتبة الأزهرية، القاهرة.
١٠٣- دمعة على التوحيد ، الناشر : المنتدى الإسلامي ، ط الأولى، ١٤١٩هـ .
١٠٤- الدين الخالص / السيد محمد صديق حسن ، ت : محمد زهري النجار ، الناشر : مكتبة دار التراث ، القاهرة .
١٠٥- الذخائر المحمدية / محمد علوي مالكي، مطبعة حسان، القاهرة، مصر.

١٠٦- رجال الفكر والدعوة في الإسلام، ابو الحسن الندوي، دار القلم، ط الرابعة.
١٠٧- رحلة ابن جبير / الناشر : دار صادر ، بيروت .
١٠٨- الرحلة الحجازية /محمد لبيب التبنوني ، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية ١٤١٥هـ .
١٠٩- الرد على الإخنائي (الإخنائية)/ أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، دار النشر: المطبعة السلفية، القاهرة، تحقيق: عبدالرحمن بن يحيى المعلمي اليماني.
١١٠- الرد على المنطقيين / شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: رفيق العجم، الناشـر: دار المعرفة، بيروت.
١١١- رسالة التوحيد للدهلوي / للعلامة الشيخ إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي ، الملقب بالشهيد، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقـاف والـدعوة والإرشـاد ، ١٤١٧ هـ .
١١٢- رسالة الشرك ومظاهره، تأليف: مبارك محمد الميلي، تحقيق وتعليـق: أبي عبـد الرحمن محمود، دار التربية، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٢هـ.
١١٣- الرسالة القشيرية / للإمام أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري ، الناشـر : دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٤٢٢هـ .
١١٤- روح المعاني / العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي ، دار النشر : دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
١١٥- الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائـل من الكتاب والسنة / أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ، دار النشر : دار الكتب العلمية – بيروت ١٣٩٥هـ .
١١٦- الروضة النديـة / صديق حسن خان ، الناشر : ابن عفان ، القاهرة، ١٩٩٩م، ط الأولى. تحقيق : علي الحلبي.

١١٧- زاد المعاد / تأليف: شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، دار النشر: مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار، بيروت، الكويت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م، ط الرابعة عشر، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وعبدالقادر الأرناؤوط.

١١٨- زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور / تأليف: شيخ الإسلام ابن تيمية، دار المسلم للنشر والتوزيع.

١١٩- السراج الوهاج على متن المنهاج / محمد الزهري الغمراوي، الناشر : دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.

١٢٠- سلسلة الأحاديث الضعيفة / محمد ناصر الدين الألباني ، الناشر : مكتبة المعارف – الرياض ، ط الأولى ، ١٤١٢هـ .

١٢١- سنن الترمذي / للإمام الحافظ محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ، تحقيق : عادل مرشد، الناشر : دار البيان الحديثة ، دار الإعلام ، ط الأولى، ١٤٢٢هـ .

١٢٢- سنن الدارمي / عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي ، دار النشر : دار الكتاب العربي – بيروت ، ١٤٠٧هـ ، ط الأولى ، تحقيق : فواز أحمد أمولي ، خالد السبع العلمي .

١٢٣- السنن الكبرى / تأليف: أحمد بن شعيب أبو عبدالرحمن النسائي، (٢١٥-٣٠٣)، دار النشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١ هـ - ١٩٩١م، ط الأولى، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن.

١٢٤- سنن النسائي (المجتبى) / أحمد بن شعيب النسائي، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٤٠٦هـ، ط الثانية ، تحقيق : عبدالفتاح أبو غدة.

١٢٥- سير أعلام النبلاء / تأليف: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله، دار النشر، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٣هـ، الطبعة التاسعة، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي.

١٢٦- سيف الله على من كذب على أولياء الله / صنع الله بن صنع الله الحلبي المكـي الحنفي، تحقيق: علي رضا بن عبدالله بن علي رضا، الناشر: دار الوطن، الرياض، ط الأولى، ١٤٢٠هـ.

١٢٧- شبهات المبتدعة في توحيد العبادة عبدالرحمن الهذيل، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

١٢٨- شذرات الذهب/ عبد الحسين بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي، دار النشر: ابن كثير، دمشق، ١٤٠٦هـ، ط الأولى، تحقيق: عبد القادر الأرنـاؤوط، محمـد الأرناؤوط.

١٢٩- شرح الصدور في تحريم رفع القبور / للإمام محمد بن علي الشوكاني (١١٧٢ – ١٢٥٠هـ)، دار النشر: دار المغني للنشر والتوزيع.

١٣٠- شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، تأليف العلامة: صدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، سنة ١٤١٣هـ.

١٣١- شرح العقيدة الواسطية / صالح بن فوزان الفوزان ، الناشر : رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء ، الإدارة العامة لمراجعة المطبوعات الدينية – الرياض ، ط السابعة ١٤٢٢هـ .

١٣٢- شرح العقيدة الواسطية / محمد الصالح العثيمين ، خرج أحاديثه واعتنى به : سعد ابن فواز الصميل ، الناشر : دار ابن الجوزي ، ط الخامسة ١٤١٩هـ .

١٣٣- شرح الفقه الأكبر / الملا علي بن سلطان محمد القاري ، ت : الشيخ مروان محمد السعار ، الناشر : دار النفائس ، ط الأولى ١٤١٧هـ .

١٣٤- شرح النووي على المجموع / محيي الدين يحيى بن شرف بن .... بن حسن بـن حسين بن حزام النووي ، دار النشر : دار الفكر – بيروت ١٩٩٧م .

١٣٥- شرح ثلاثة الأصول / لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، إعداد: فهد بـن

ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الثريا للنشر، الطبعة الأولى سنة ١٤٢١هـ.
١٣٦- الشرك في القديم والحديث / أبو بكر محمد زكريا، مكتبة الرشد، ط الأولى سنة ١٤٢٢هـ.
١٣٧- شعب الإيمان / أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، دار النشر : دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٠هـ ، ط الأولى ، تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول.
١٣٨- شفاء السقام في زيارة خير الأنام، أو شن الغارة على من أنكر... الزيارة، تأليف: الإمام تقي الدين السبكي، دار كنز السعادة.
١٣٩- شفاء الفؤاد بزيارة خير العباد / السيد محمد بن السيد علوي المالكي الحسني ، طباعة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف ، الإمارات العربية المتحدة ، ط الأولى ١٤١١هـ .
١٤٠- الشفاعة / مقبل عبدالرحمن مقبل بن هادي الوادعي، دار النشر: دار الآثار، صنعاء، ط الرابعة، ١٤٢٣هـ.
١٤١- شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق، تأليف: يوسف بن إسماعيل النبهاني، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٤هـ.
١٤٢- الصارم المنكي في الرد على السبكي/ محمد بن أحمد بن عبد الهادي، تحقيق: أبو عبدالرحمن السلفي عقيل بن محمد بن زيد القطري اليماني، الناشر: مؤسسة الريان، بيروت، ط الثانية، ١٤٢٤هـ.
١٤٣- صحيح البخاري / للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، الناشر: مكتبة دار السلام، ط الثانية ١٤١٩هـ.
١٤٤- صحيح الترغيب والترهيب / محمد ناصر الدين الألباني ، الناشر : مكتبة المعارف – الرياض ، ط الخامسة .
١٤٥- صحيح مسلم / للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري

النيسابوري – رحمه الله، مع ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، دار السلام، الرياض، ١٤١٩هـ الطبعة الأولى.

١٤٦- صحيح وضعيف الجامع الصغير / محمد ناصر الدين الألباني، الناشر : المكتب الإسلامي.

١٤٧- الصراع بين الإسلام والوثنية /عبد الله علي القصيمي، القاهرة، ط الثانية ١٤٠٢هـ .

١٤٨- صفحات من تاريخ مكة / المستشرق : ك . سنوك هورخرونية ، نقله إلى العربية وعلق عليه محمد بن محمود الرياني – معراج بن نواب مرزا ، راجعه د . محمد بن إبراهيم أحمد علي ، الناشر : مطبوعات نادي مكة الثقافي ، ط الأولى ١٤١١هـ

١٤٩- الصفدية/ أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، دار النشر: دار الفضيلة، الرياض ١٤٢١هـ ، تحقيق: محمد رشاد سالم.

١٥٠- الصواعق المرسلة الشهابية / سليمان بن سحمان، تحقيق: عبد السلام بن برجس آل عبدالكريم، دار العاصمة، الرياض، ط الأولى.

١٥١- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ، ابن قيم الجوزية ، دار النشر : دار العاصمة – الرياض ١٤١٨هـ ، ط الثالثة ، تحقيق : د . علي بن محمد الدخيل الله .

١٥٢- صيانة الإنسان عن وسوسة دحلان / محمد بشير السهسواني الهندي ، الناشر : مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، مكتبة العلم ، جدة ، ط الرابعة، ١٤١٠هـ .

١٥٣- الطب النبوي/ محمد بن أبي أيوب الدمشقي، دار النشر: دار الفكر، بيروت، تحقيق: عبد الغني عبد الخالق.

١٥٤- طبقات الحفاظ / عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، أبو الفضل ، دار النشر : دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٣هـ ، الطبعة الأولى .

١٥٥- طبقات الشافعية الكبرى/ أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شـهبة، دار النشر: عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٧هـ، ط الأولى، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان.

١٥٦- طبقات الفقهاء / إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي أبو إسحاق، دار النـشر: دار القلم، بيروت،: خليل الميس.

١٥٧- طبقات المفسرين للداودي/ تأليف: أحمد بن محمد الأدنة وي، دار النشر: مكتبة العلوم والحكم، السعودية، ١٤١٧هـ، ط الأولى، تحقيق: سليمان بـن صـالح الخزي.

١٥٨- طبقات فحول الشعراء/ محمد بن سلام الجمحي، دار النشر: دار المدني، جـدة، تحقيق: محمود محمد شاكر.

١٥٩- العبودية، تأليف: شيخ الإسلام ابن تيمية، الناشر عالم الكتب، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٣هـ.

١٦٠- عجائب الآثار في التراجم والأخبار / عبد الرحمن بن حسن الجبرتي ، تحقيـق : عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، الناشر : دار الكتب المصرية بالقاهرة .

١٦١- عقائد الإمامية / الشيخ محمد رضا المظفر ت محمد مهدي الآصـفي والـدكتور حامد حنفي داود ، الناشر : دار الغدير ، بيروت .

١٦٢- عمدة الزائر في الأدعية والزيارات / السيد حيدر الحسني الكاظمي ، الناشر : دار التعارف ، بيروت ، ط الثالثة، ١٣٩٩هـ .

١٦٣- عمدة القاري شرح صحيح البخاري / بدر الدين محمود بن أحمد العيني ، الناشر: إحياء التراث العربي ، بيروت.

١٦٤- عون المعبود (شرح سنن أبي داود)، تأليف: محمد شمس الحق العظيم آبادي، دار النشر، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٩٩٥م، ط الثانية.

١٦٥- غاية الأماني في الرد على النبهاني، تصنيف الإمام العلامة أبي المعالي محمود شكري الألوسي، اعتنى به وعلق عليه الداني بن منير آل زهوي، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٢هـ.

١٦٦- غاية المرام / محمد ناصر الدين الألباني ، الناشر : المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط الثالثة ١٤٠٥هـ .

١٦٧- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء / أحمد بن عبد الرزاق الدويش ، الناشر : رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء ، ط الأولى ١٤٢٢هـ .

١٦٨- فتاوى مهمة لعموم الأمة / عبدالعزيز بن باز، ومحمد بن صالح العثيمين، جمع إبراهيم الفارس، دار النشر : دار العاصمة ، الرياض ، ١٤١٣هـ ، ط الأولى.

١٦٩- فتح الباري شرح صحيح البخاري، تأليف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار النشر، دار المعرفة ، بيروت، تحقيق: محب الدين الخطيب.

١٧٠- فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد، تأليف: عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، تحقيق: د. الوليد بن عبد الرحمن بن محمد آل فريان، دار عالم الكتاب، الطبعة الرابعة ١٤١٩هـ.

١٧١- الفتن/ نعيم بن حماد المروزي، مكتبة التوحيد ، القاهرة، ١٤١٢هـ، ط الأولى، ت: سمير أمين الزهيري.

١٧٢- فرق الشيعة / الحسن بن موسى النوبختي ، دار النشر : دار الأضواء ، بيروت ١٤٠٤هـ .

١٧٣- الفرق بين الفرق / عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي أبو منصور، دار النشر: دار الآفاق الجديدة – بيروت ١٩٧٧م ، ط الثانية .

١٧٤- فصل المقال وإرشاد الضال في توسل الجهال / أبو بكر محمد عارف خوقير الكتبي المكي، تحقيق: أبي بكر سالم الشهال، دار النشر: دار المسلم، الرياض ط الأولى، ١٤٢٣هـ.

١٧٥- فهرس الفهارس والأثبات / عبد الحي بن عبد الكبير الكتـابي، دار النـشر: دار الغرب الإسلامي، ط الثانية، ١٤٠٢هـ.

١٧٦- فيض القدير شرح الجامع الصغير / عبد الرؤوف المنـاوي، الناشـر : المكتبـة التجارية الكبرى ، مصر ، ١٣٥٦هـ.

١٧٧- فيض الوهاب في بيان أهل الحق ومن ضل عن الصواب، الشيخ: عبد ربـه بـن سليمان بن محمد بن سليمان، مكتبة القاهرة.

١٧٨- القاموس المحيط / محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، دار النشر : مؤسسة الرسالة ، بيروت .

١٧٩- القبورية في اليمن / أحمد بن حسن المعلم، دار النشر: مركـز الكلمـة الطيبـة للبحوث والدراسات العلمية، صنعاء، ط الأولى، ١٤٢٤هـ.

١٨٠- القدس مقدسات لا تمحى / أحمد الصاوي ، الناشـر : مركز الإعـلام العربي ، ط الأولى ١٤٢٤هـ .

١٨١- قصة الحضارة/ تأليف : ول ديورانت، ترجمة : محمد بدران وزكي نجيب محمود، ١٩٤٩م.

١٨٢- القصيدة النونية الموسومة بالكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية / أحمد بـن إبراهيم بن عيسى ، الناشر : المكتب الإسلامي ، ط الثالثة ١٤٠٦هـ .

١٨٣- القول الجلي في حكم التوسل بالنبي والولي / محمد بن أحمد بن محمد عبدالـسلام خضر، عنى به: يوسـف بن محمد السـعيد، دار النشر: دار أطلس، الريـاض، ط الأولى، ١٤١٧هـ.

١٨٤- القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد / عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد البدر ، الناشر : دار ابن عفان ، ط الأولى، ١٤١٧هـ .

١٨٥- القول الفصل النفيس في الر على المفتري داود بن جرجيس / الشيخ عبـدالرحمن ابن حسن، الناشر: دارالهداية، الرياض، ١٤٠٥هـ.

١٨٦- القول المفيد على كتاب التوحيد، شرح فضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، جمعه وخرج أحاديثه: د. سليمان بن عبد الله أبا الخيل، د. خالـد بـن علـي المشيقح، دار ابن الجوزي، ط الأولى سنة ١٤١٨هـ.

١٨٧- الكامل في التاريخ / أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني ، دار النشر : دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٤١٥هـ ، ط الثانيـة ، تحقيق : عبد الله القاضي .

١٨٨- كتاب الشريعة / الإمام المحدث أبي بكر محمد بن الحسين الآجـري، تحقيـق : عبدالله الدميجي، دار النشر: دار الوطن، الرياض، ط الثانية، ١٤٢٠هـ.

١٨٩- الكتاب المقدس، الناشر: دار الكتاب المقدس بمصر، ط الأولى ٢٠٠١م.

١٩٠- كرامات الأولياء في الحياة وبعد الانتقال، تأليف أحمد الجوهري الخالدي، تحقيق ودراسة: سيد عبد الفتاح، دار الأوقاف العربية، طبعة ١٤٢٣هـ.

١٩١- كشف الأكاذيب والشبهات عن دعوة المصلح الإمام محمد بن عبـد الوهـاب، تأليف أبي عبد الله صلاح الدين محمد آل الشيخ، مكتبـة الرشـد، ط الأولى ، ١٤٢٥هـ.

١٩٢- كشف الخفاء / إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي ، دار النـشر : مؤسـسة الرسالة ، بيروت ١٤٠٥هـ ، ط الرابعة ، تحقيق : أحمد القلاش .

١٩٣- الكشف المبدي في الرد على السبكي /محمد بن حسين بن سليمان بن إبـراهيم الفقي، تحقيق: صالح بن علي المحسن، أبو بكر بن سـالم شـهال، الناشـر: دار

الفضيلة، الرياض، ط الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٩٤- الكلم الطيب / لشيخ الإسلام ابن تيمية، ت: العلامة محمد بن ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي ، ط الثالثة، عام ١٩٧٧م، بيروت.

١٩٥- الكنز المرصود، محمد عبد الله الشرقاوي، الناشر: دار الفكر العربي، ١٤٢٢هـ.

١٩٦- الكواشف الجلية / عبد العزيز المحمد السلمان ، الناشر : رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ١٤٠٢هـ .

١٩٧- الكواكب الدرية / الشيخ الإمام عبد الرؤوف المناوي ، تحقيق : الدكتور عبد الحميد صالح حمدان ، الناشر : المكتبة الأزهرية للتراث .

١٩٨- لسان العرب / محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، دار النشر ، دار صادر ، بيروت ، الطبعة الأولى .

١٩٩- لسان الميزان، تأليف: أحمد بن علي بن حجر، أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار النشر، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٦ – ١٩٨٦، ط الثالثة، تحقيق: دائرة المعارف النظامية ، الهند.

٢٠٠- اللمعة في الأجوبة السبعة، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد السلام بن تيمية، تحقيق وتعليق: سليمان بن صالح الغصن، دار الصميعي، ط الأولى، ١٤١٩هـ.

٢٠١- لوامع الأنوار البهية / العلامة الشيخ محمد السفاريني الحنبلي ، الناشر : المكتب الإسلامي ، دار الخانجي والمكتب الإسلامي ، ط الثالثة ، ١٤١١هـ .

٢٠٢- مجلة الثقافة المصرية (عدد ٩٠) – الثلاثاء ١٤ شعبان ١٣٥٩هـ .

٢٠٣- مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم.

٢٠٤- مجموع رسائل السقاف/ حسن بن علي السقاف ، الناشر: دار الرازي .

٢٠٥- مجموع فتاوى سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، إعداد وتقديم: أ. د. عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار والشيخ أحمد بن عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار الوطن، ط الأولى، ١٤١٦هـ.

٢٠٦- مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، تأليف عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن بن باز، جمع وترتيب وإشراف: د. محمد بن سعد الشويعر، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، ط الرابعة ١٤٢٣هـ.

٢٠٧- مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب / محمد بن عبد الوهاب ، ط الثانية ١٤٢٣هـ .

٢٠٨- مجموعة الرسائل والمسائل النجدية/ تأليف : بعض علماء نجد الأعلام، اعتنى بها: عبد السلام بن برجس العبد الكريم، ١٤٠٩هـ، الرياض.

٢٠٩- مجموعة رسائل المعلمي / عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني ثم المكي ، تحقيق : ماجد بن عبد العزيز الزيادي ، الناشر : المكتبة المكية ، ط الأولى ١٤١٧هـ .

٢١٠- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز / تأليف : أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ، دار النشر : دار الكتب العلمية – لبنان ١٤١٣هـ ، ط الأولى، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد .

٢١١- محموعة مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب / محمد بن عبد الوهاب ، دار النشر : جامعة الإمام محمد بن سعود – الرياض ، تحقيق : عبد العزيز زيد الرومي ، د . محمد بلتاجي ، د . سيد حجاب .

٢١٢- مختار الصحاح / محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي ، دار النشر : مكتبة لبنان ناشرون – بيروت ١٤١٥هـ ، طبعة جديدة ، تحقيق : محمود خاطر .

٢١٣- مختصر التحفة الإثنى عشرية / شاه عبد العزيز الإمام ولي الله أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي – تحقيق : محب الدين الخطيب ، الناشر : الرئاسة العامة للإدارات

والبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد – الرياض ، ١٤٠٤هـ .
٢١٤- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين / محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي أبو عبد الله ، دار النشر : دار الكتاب العربي – بيروت ١٣٩٣هـ ، ط الثانية ، تحقيق : محمد حامد الفقي .
٢١٥- المدخل، لابن الحاج أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري المالكي الفائسي، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، المكتبة التوفيقية.
٢١٦- مرقاة المفاتيح / علي بن سلطان محمد القاري ، دار النشر : دار الكتب العلمية – لبنان / بيروت ١٤٢٢هـ ، ط الأولى ، تحقيق : جمال عيتاني .
٢١٧- مروج الذهب ومعادن الجواهر، تأليف أبو الحسن علي بن الحسن المسعودي، ط الثالثة، المكتبة التجارية بمصر.
٢١٨- مساجد الكوفة ، تأليف كامل سلمان الجبوري ، مطبعة النعمان ، ط الأولى – النجف .
٢١٩- مساجد مصر وأوليائها الصالحون / د. سعاد ماهر، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر.
٢٢٠- مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة / ناصر بن عبد الله بن علي القفازي ، الناشر: دار طيبة .
٢٢١- المستدرك على الصحيحين للإمام الحافظ أبي عبدالله الحاكم النيسابوري، وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي ، إشراف : الدكتور يوسف المرعشي، الناشر : دار المعرفة ، بيروت ، لبنان.
٢٢٢- المستدرك على الصحيحين، تأليف: محمد بن عبد الإله الحاكم النيسابوري، دار النشر، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١١هـ ، ط الأولى، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.

٢٢٣- مسند أبي يعلى / أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي ، الناشر : دار المؤمون للتراث ، دمشق، ١٤٠٤هـ ، ط الأولى ، تحقيق : حسين سليم أسد.

٢٢٤- مسند الإمام أحمد، الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق : شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط الثانية ١٤٢٠هـ.

٢٢٥- المشروع والممنوع من التوسل / عبد السلام بن برجس العبد الكريم، دار النشر: دار الصميعي، الرياض، ط الأولى، ١٤٢٥هـ.

٢٢٦- مشكاة المصابيح، محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة عام ١٤٠٥هـ بيروت، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني.

٢٢٧- مصباح الأنام وجلاء الظلام في رد شبهة البدعي النجدي التي ضل بها العباد / علوي بن أحمد بن حسن بن عبدالله بن علوي الحداد، دار النشر: دار الحقيقة.

٢٢٨- مصباح الظلام / الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، الناشر: دار الهداية، الرياض.

٢٢٩- مصنف ابن أبي شيبة / أبو بكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، الناشر : مكتبة الرشد، الرياض ، ١٤٠٩هـ ، ط الأولى ، تحقيق : كمال يوسف الحوت.

٢٣٠- مصنف عبدالرزاق / أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، الناشر : المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٣هـ ، ط الثانية. تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي.

٢٣١- المصنف في الآحاديث والآثار/ أبو بكر بن أبي شيبة، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٠٩هـ، ط الأولى، ت : كمال يوسف الحوت.

٢٣٢- مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية / أبو عبد العزيز إدريس محمد إدريس، مكتبة الرشد، الرياض، ط الأولى، ١٤٢١هـ.

٢٣٣- معارج القبول / حافظ بن أحمد حكمي ، دار النشر : دار ابن القيم – الدمام ١٤١٠هـ ، ط الأولى ، تحقيق : عمر بن محمود أبو عمر .

٢٣٤- معجم الأدباء / أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ، دار النشر : دار الكتب العلمية – بيروت ١٤١١هـ ، ط الأولى .
٢٣٥- معجم البلدان / ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله ، دار النشر : دار الفكر – بيروت .
٢٣٦- معجم المؤلفين / عمر رضا كحالة، الناشر : مكتبة المثنى وإحياء التراث العربي ، بيروت.
٢٣٧- المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى أحمد الزيات / محمد النجار ، دار النشر : دار الدعوة ، تحقيق : مجمع اللغة العربية .
٢٣٨- معجم مقاييس اللغة / أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، دار النشر : دار الجيل – بيروت – لبنان ١٤٢٠هـ _ ط الثانية ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون.
٢٣٩- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأمصار / محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي أبو عبدالله ، الناشر : مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٤هـ ، ط الأولى ، تحقيق : بشار عواد معروف، شعيب الأرناؤوطي، صالح مهدي عباس.
٢٤٠- مغني المحتاج إلى معرفة معاني وألفاظ المنهاج / محمد الخطيب الشربيني، الناشر : دار الفكر ، بيروت.
٢٤١- مفاتح الغيب / فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ، ط الأولى.
٢٤٢- مفاهيم يجب أن تصحح / محمد بن علوي المالكي الحسني، طباعة وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف، الإمارات العربية المتحدة ، ط الرابعة ١٤١٠هـ .
٢٤٣- المفردات في غريب القرآن / أبو القاسم الحسين بن محمد ، دار النشر : دار المعرفة، لبنان ، تحقيق : محمد سيد كيلاني .

٢٤٤- المقاصد الحسنة / أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي ، دار النشر : دار الكتاب العربي – بيروت ١٤٠٥هـ ، ط الأولى ، تحقيق : محمد بن عثمان الخشت .

٢٤٥- مقال أضرحة الصحابة الكرام ومقامتهم في الأردن / خالد مبارك ، وكالة الأنباء الأردنية – المجلة الثقافية – الأردن ، ربيع الثاني ١٤١٤هـ .

٢٤٦- مقالات الكوثري، بقلم: الشيخ محمد زاهد الكوثري، المكتبة التوفيقية.

٢٤٧- الملل والنحل/ محمد بن عبدالكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، دار النشر: دار المعرفة، بيروت، ١٤٠، تحقيق: محمد سيد كيلاني.

٢٤٨- من لا يحضره الفقيه / لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين ، تحقيق : حسين الأعلمي ، الناشر : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت .

٢٤٩- منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز / محمد أمين الشنقيطي.

٢٥٠- منهاج التأسيس في كشف شبهات داود بن جرجيس / الشيخ الإمام عبد اللطيف ابن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، اعتنى به : إسماعيل بن سعد العتيق ، الناشر: دار الهداية للنشر والطبع والترجمة، ١٤٠٨هـ.

٢٥١- منهاج السنة النبوية/ شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، ط الأولى، ١٤٠٦هـ.

٢٥٢- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار / تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي المقريزي ، تحقيق : خليل المنصور ، الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت ، ط الأولى ١٤١٨هـ .

٢٥٣- المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، تأليف: أحمد بن محمد القسطلاني، تعليق وشرح: مأمون بن محيي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، ط الأولى، ١٤٢٦هـ.

٢٥٤- موسوعة العتبات المقدسة / جعفر الخليلي ، الناشر : مؤسسة الأعلمي

للمطبوعات والإرشاد – لبنان ، ط الثانية ١٤٠٧هـ .

٢٥٥- موقف ابن تيمية من النصرانية / الدكتورة مريم عبد الرحمن عبدالله زامل، مطبوعات جامعة أم القرى، ط ١٤١٧هـ.

٢٥٦- موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من آراء الفلاسفة ومنهجه في عرضها، د. صالح بن غرم الله الغامدي، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط الأولى سنة ١٤٢٤هـ.

٢٥٧- النبذة الشريفة النفيسة في الرد على القبوريين/ حمد بن ناصر بن عثمان آل معمر، تحقيق: عبد السلام ابن برجس بن ناصر آل عبد الكريم، الناشر: دار العاصمة، الرياض، ط الأولى، ١٤٠٩هـ.

٢٥٨- النجوم الزاهرة / جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي ، دار النشر : وزارة الثقافة والإرشاد القومي – مصر .

٢٥٩- نصاب الاحتساب، لعمر بن محمد بن عوض السنامي، تحقيق ودراسة: الدكتور مريزن سعيد مريزن عسيري، ط الأولى، دار الوطن.

٢٦٠- نقض القبورية / محمد بن عبد الرحمن الخميس، الناشر: دار أطلس، الرياض، ط الأولى، ١٤١٨هـ.

٢٦١- النكت على ابن الصلاح / ابن حجر

٢٦٢- النهاية في غريب الحديث والأثر / أبو السعادات المبارك بن محمد الجزر، دار النشر: المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي- محمود محمد الطناحي.

٢٦٣- ر الذهب في تاريخ حلب / كامل حسين البالي الحلبي الغزي، المطبعة المارونية، ١٣٤٢هـ.

٢٦٤- هداية الحيارى / ابن القيم، دار النشر : الجامعة الإسلامية – المدينة المنورة .

٢٦٥- الهداية شرح البداية / أبي الحسن علي بن أبي بكر عبد الجليل الرشداني المرغياني، دار النشر: المكتبة الإسلامية.

٢٦٦- هذه مفاهيمنا / صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ، ط ١٤٢١هـ .

٢٦٧- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تأليف: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ابن أبي بكر بن خلكان، دار النشر، دار الثقافة، لبنان، تحقيق: إحسان عباس.

٢٦٨- اليهودية، أحمد شلبي، الناشر: مكتبة النهضة المصرية، ط: الحادي عشر.

المحتويات

الموضـــــــوعـــات	الصفحة

الموضـــــوعـــات	الصفحة

الباب الثاني

التوحيد والشرك وشبهات القبورية والرد عليها

١٢٥-٣٤٩

الموضـــــوعـــات	الصفحة

الموضـــــــوعـــات	الصفحة

الموضـــــوعـــات	الصفحة